

المعهد الخفيف للأبحاث المغربية
بيت المغرب

انها الناض في خباياك

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

ضبطه وحققه وعلق عليه

عبد الحفيظ شلبي

المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري

المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السبقا

المدرس بجامعة فؤاد الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م

المعهد الخليفى للأبحاث العربية
بيت الغرب

أزهار الناض في جناب عبدك

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني

ضبطه وحققه وعلق عليه

عبدحفيظ شلبي
المدرس بالمدارس الأميرية

أبراهيم الأبياري
المدرس بالمدارس الأميرية

مصطفى السقا
المدرس بجامعة فؤاد الأول

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٠٨ هـ - ١٩٣٩ م



صورة صاحب السمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي المولى خليفة جلالة ملك
المغرب الأقصى ، وباعث النهضة العلمية ، ومؤسس المعهد الخليلي بتطوان
وبيت المغرب بمصر ، ومن آثار سموه لفر هذا الكتاب

مقدمة الناشرين

كتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» ، من خير ما أُلّف في أدب الغاربة ، نرجو أن ننشر بنشره آية فَخَّار من مجد علماء الإسلام ، وأن نضيف إلى الأدب العربي الخالد ، صفحة مُشرِّقة من الأدب المغربي الزاهي الألوان ، وأن نضع بين يدي العلماء والنقاد خير الوثائق وأنفس المصادر التي يُعتمد عليها في تاريخ الآداب .

أما مؤلفه فهو حافظ عصره في علوم الدين ، وحُجة زمانه في علوم الدنيا ، وخاتمة أدياء المغرب ، الذي جمع الشعر والكتابة والخطابة ، والمحاضرة والمسامرة ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، صاحب «فتح الطيب» وغيره من الكتب الممتعة . تُوِّفَى سنة إحدى وأربعين وألف للهجرة بالقاهرة .

وأما المؤلف في ترجمته وسيرته فهو قاضي المغرب الأجل ، وحافظه الأكبر ، الإمام الطائر الصيت ، عياض بن موسى اليحصبي السبتي صاحب الشفاء ومشارك الأنوار وكثير من المصنفات الجليلة في الدين وعلوم اللغة والنحو والأنساب . تُوِّفَى سنة ٥٤٤ هـ بمراكش .

وكتاب أزهار الرياض في أخبار عياض ، هو كصنوه فتح الطيب ، في أخبار لسان الدين بن الخطيب ، كلاهما قد تضمن ترجمة واسعة خِصبة النواحي ، لعلَّ مفرد من أفاضال الرجال في المغرب والأندلس ، وقد استطاع مؤلفهما أبو العباس المقرئ أن يجعل كلا من صاحبي الترجمة مركزاً لدائرة معارف تاريخية وأدبية ، تحوى أخبار عصره ومصره ، لا ، بل تستوعب كثيراً من أخبار الأجيال التي تعاقبت في الأندلس والمغرب إلى زمان وجوده ، وهما لذلك جديران أن يُعدَّا من أعظم الأركان التي يقوم عليها تاريخ تلك البلاد .

وبين الكتائين وجوه من الشبه ، وتشابه في المزاي ، لا تزيد إحصاءها في هذه المقدمة الموجزة ، وبحسبنا أن نذكر هنا المنهج الذي اتفردا به دون أكثر كتب التراجم العربية القديمة ، فإن مؤلفنا الشيخ المقرئ يرسم للترجمة خطة واضحة ، ويرتب عناصرها ترتيباً حسناً ، ويتغلغل في التفاصيل ويعتدق ، ويتتبع أخبار المترجم حتى قبل ولادته ، ويتحسس عن أوليته وأسرته ، ويبحث عن نشأته في صباه وشبابه وكهولته ، ثم يذكر شيوخه الذين أخذ العلم عنهم ، في كثير من التفاصيل والعناية بذكر مؤلفاتهم ، ويخص بالعناية النتاج الأدبي للمترجم ، ويذكر تأليفه ، وتصرفه في الحياة ، وعمله في خدمة السلطان ، ووفاته ، وآراء الناس فيه .

منهج المؤلف في أزهار الرياض ونفع الطيب متأثر تأثراً ما بمنهج لسان الدين ابن الخطيب في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، فإن هذه الكتب تتشابه في العناصر التي تتألف منها الترجمة ، وفي أسلوب الإنشاء ، إلا أن لسان الدين كان أميل إلى مجانية الاستطراد الذي فشا في تواليف المقرئ ، وطبعاً بهذا الطابع الخاص .

ألف المقرئ كتاب أزهار الرياض في مدينة فاس ، في المدة التي بين سنتي ١٠١٣ و ١٠٢٧ للهجرة ، إذ كان قد نزع عن وطنه لأسباب سياسية ، واتخذ فاس مقراً له ، وكان الباعث له على تأليفه رغبة أهالي بلده بلخسان في التعريف بالقاضي عياض ، عالم المغرب الأوسط وقاضيه الأشهر ، وقد ألم في هذه الترجمة بكثير من شئون بلاد الأندلس ، وذكر طائفة من أخبار لسان الدين بن الخطيب وأحوال المسلمين في عصر الجلاء عن الأندلس ، على سبيل الاستطراد ، ثم ألف كتاب نفع الطيب بعد سنة ١٠٢٨ في القاهرة ، استجابة لرغبة بعض أعيان دمشق وعلمائها في التعريف بلسان الدين بن الخطيب ، فذكر كثيراً من شئون

الأندلس في تفصيل وترتيب عجيبين . ومن أجل هذا يظهر للمتأمل أن المؤلف كان مضطرا أن يكرر في فتح الطيب طائفة من الأخبار التي ذكرها من قبل في أزهار الرياض ، لبعد ما بين الأقفين اللذين ظهر فيهما الكتابان .

وقد يمتاز أزهار الرياض ، فوق اشتتاله على ترجمة القاضي عياض ، بطائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية ، التي لم ترد في فتح الطيب ولا في غيره من الكتب المطبوعة حتى الآن ، وإنما بادت أصولها ، أو هي لا تزال سرا مطويا في خزائن الكتب لم تنشره للطابع بعد . ولذلك يُعَدُّ نشر هذا الأثر الجليل اليوم ثروة جديدة تضاف إلى ما سبق نشره من آثار المغرب والأندلس في عالم الدراسات العربية .

وكان الفضل في إخراج هذا الكتاب الجليل ، على هذا الوضع الأنيق ، « لمكتب التبادل الثقافي » التابع للسند الخليفي بتطوان ، الذي أسسه سمو الخليفة المعظم مروي المحسى بن المهدي ، فقد اختط خطة موقفة في نشر الكتب النفيسة ، التي تهيج آثار السلف ، وكان هذا الكتاب با كورة أعماله ، وأول ثماره .

ولما عهد إلينا في تحقيق هذا الكتاب ، بالأسلوب العلمي الذي يجري عليه علماء المشرقيات ، فقتشنا عما يوجد من أصوله المخطوطة والمطبوعة في دار الكتب المصرية ، فمثرنا منه على النسخ الآتية :

الأولى : النسخة المخطوطة الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بالحرف (ط) ، ورقها في دار الكتب المصرية (٢٠١٣ تاريخ) وهي في ألف ومئة وسبعين صفحة ، من القطع المتوسط ، طول الجزء المكتوب في كل منها عشرون سنتيمترا وعرضه عشرة . وهي مخطوطة بخطوط مختلفة ، فالست والأربعون صفحة الأولى بخط مغربي جميل ، وما بعدها إلى صفحة ١٠٥٨ بخط نسخي معتاد ، ويتلو ذلك

اثنتا عشرة صفحة ومشتان تتضمن الروضة الثامنة ، وهي بخط مغربي مختلف النوع ، أقل جودة من الخط الذي بدى به الكتاب .
وبهذه النسخة خرم في موضعين :

الأول في الروضة الرابعة ، عند صلاة سيدى حسين الزويلي وترجمة الشيخ أبى إسحاق بن الحاج ، وقد ترك الكاتب صفحتين خاليتين جاء بعدها تمة ترجمة ابن الحاج ، ثم وصل الكلام بذكر صلاة الجيلاني صفحة ٨٣٤ ، والثاني بعد تمام الروضة الخامسة ، ويشمل الروضتين السادسة والسابعة جميعهما ؛ ولا نعلم في كم ورقة تكونان .

وجاء في آخر هذه النسخة بالخط المغربي ما نصه :

« انتهى التأليف المبارك بحمد الله وتوفيقه ، وعلى نهج السلف الصالح وطريقه ، ليلة الاثنين من شهر الله العظم رمضان ، بعد ما مضى منه عشرون يوما ، من سنة ثلاث وأربعين بعد المئتين والألف ، غفر الله لكاتبه ولما لكه .
وبعد ذلك كلام قد طمس طمسا فلم نتبينه ، يحوى اسم المالك والناسخ للكتاب .

وهذه النسخة كما قدمنا ليست من خط كاتب واحد ، كما أنها ليست كاملة ولا جيدة التصحيح .

الثانية : نسخة الجزء الأول المطبوع بتونس ، بالمطبعة الرسمية العربية سنة ١٣٢٢ هـ ، وهي التي رمزناها في الحواشي بالحرف (ت) وهذا الجزء في ٣٤٠ صفحة من القطع المتوسط ، في كل صفحة عشرون سطرا ، وتنتهى بترجمة لسان الدين ابن الخطيب ، وهذه الطبعة خالية من الحواشي والشروح والفهارس ، وفيها كثير من واضع النقص ومن التحريف والخطأ الطبى .

الثالثة : النسخة المحفوظة بالخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية ، ورقها (٧٩٤ تاريخ) ، وهي في أربعة أجزاء :

الجزء الأول منها هو المطبوع بتونس المقدم ذكره ، المرموز إليه في حواشي طبعتنا بالحرف (ت) .

والجزء الثاني مخطوط يحتوى على بقية الروضة الأولى ، وتبقى منها بقية تأتى في الجزء الثالث .

والجزء الثالث يتضمن بقية الروضة الأولى كلها وتنتهى في الصفحة ٤٣ ، والروضة الثانية كلها إلى الصفحة ١٠٥ ، ثم الروضة الرابعة جميعها إلى نهاية هذا الجزء في صفحة ٤٤٢ .

والجزء الرابع يحوى الروضة الرابعة من أوله إلى الصفحة ٣٠٥ ثم الخامسة إلى الصفحة ٤٥٠ .

وهذا الجزء ينتهى بآخر رحلة أبى عبد الله المقرئ . وفي نهايته بخط المرجوم أحمد تيمور باشا ما نصه :

« والروضة السادسة والسابعة والثامنة تأتى في جزء خامس » . وليس لهذه النسخة جزء خامس في الحقيقة ، وهي أجود خطأً من النسخة (ط) .

وجاء في آخرها أيضاً أنها نقلت من نسخة قديمة في مكتبة الملك الظاهر بدمشق ، وأن كاتبها هو محمد صادق فهمى المالح سنة ١٣٤٥ هـ .

والنسخ الثلاث من هذه الأصول متشابهة في كثرة ما بها من الخطأ والتعريف والكلمات الغامضة ، التي تصعب قراءتها أو تحار في فهمها المقول .

وقد جعلنا النسخة (ط) أساساً للطبع ، وعارضنا بها الجزء الأول المطبوع بتونس ، وأثبتنا ما وجدناه من خلاف بينهما بالزيادة والنقص ، وصححنا الأخطاء

اللغوية والنحوية والمجاثية الكثيرة ، ولم نكتف بهذا ، بل كنا نقش عن كل خبر في مظانه من الكتب المطبوعة ، مثل نفع الطيب للزؤف ، والإحاطة لابن الخطيب ، وتاريخ ابن خلدون ، والاستقصا للسلوى ، كما كنا نلجأ في شرح الكلمات الأندلسية والمغربية التي لم ترد في المعجمات العربية ، إلى تكملة المعجمات العربية للاملامة دوزى ، وجعلنا كل ملاحظاتنا حواشى فى أسفل صفحات الكتاب إشاراً لتعجيل الفائدة للقارى . ولم نشرح من مفردات الألفاظ إلا ما ظننا أنه يفض على القارى المتوسط ، وما اعتقدنا أن معجماته ليست فى أيدي جميع الناس ، وتركنا بعد ذلك الفرصة لذهن القارى ، لينشط إلى البحث عما يروم البحث عنه من معانى الأشعار ، ولم نشرح شيئاً من ذلك إلا ما كان ضروريا لا بد منه .

وقد وضعنا فى الهوامش الجانبية الخارجية عناوين للمعاني الجزئية ، لتجزئة الموضوع الواحد المطول ، إلى عناصره التى يتألف منها ، وفى ذلك إراحة للذهن ، وتفصيل لمجل الموضوع ، وتنبية على مواضع الانتقال ؛ ووضعنا فى الهوامش التى فى الجهة الداخلية أرقام صفحات النسخة المخطوطة الرموز إليها بالحرف (ط) أمام السطر الذى تبدأ عنده الصفحة الجديدة من الأصل المخطوط ، لتسهيل المضاهاة على من أراد أن يتتبع ذلك الأصل ، ويعارض به طبعنا هذه . وقد حملنا لهذا الجزء فهرس منوعة ، تيسيراً للبحث والمراجعة .

والله نسال أن يوفق المعهد الخليفى ويوفقنا إلى إخراج البقية من أجزاء هذا السفر الجليل ، إنه أكرم مسئول ، وهو حسبنا ونم الوكيل ما

مصطفى السقا ابراهيم اليسىرى عبد الحفيظ سلبى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

[مقدمة المؤلف]

[٢] الحمد لله الذى أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ ، وَزَكَّىٰ مِنْهُمْ الْقَوْلَ الرَّاجِحَةَ
وَالْأَحْلَامَ ، وَمَنْحَهُمْ مَا تَرْتَقِصُ عَنْ جَمْعِهَا ^(١) التَّحَابُرُ وَالْأَقْلَامُ ؛ وَمَتَاخِرَ طَارَت
كُلِّ مَطَّارٍ . وَجَعَلَ مَعَالِيَهُمْ زَاهِرَةً زَاهِيَةً ، وَأَضْوَاءَ فَهُومِهِمْ نَامِيَةً سَامِيَةً ، وَأَنْوَاءَ ^(٢)
عُلُومِهِمْ هَامِيَةً هَامِيَةً ^(٣) ؛ يَوَافِكُ الْأَمْطَارَ ^(٤) ، وَأَطْلَمَهُمْ عَلَى دَقَائِقِ الْأَسْرَارِ . وَهَدَاهُمْ
وَهَدَىٰ بِهِمْ إِلَى تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ ، وَتَقَرِيبِ الْمَسَالِكِ ؛ وَجَلَّىٰ بِمَشَارِقِ الْأَنْوَارِ مِنْ
مَعَارِفِهِمْ وَأَدَابِهِمْ ، عَمَّنْ تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِهِمْ وَأَهْدَابِهِمْ ، غِيَاظَ الْجَهْلِ الْحَوَالِكِ ^(٥) ؛
فَأَضَاءَتْ الْأَقْطَارُ . وَعَرَّفَهُمْ الْمَقَاصِدَ الْحِسَانِ ، وَالْوَسَائِلَ الْمُتَعَبِّطَةَ وَالْإِلْمَاعَ ^(٦) ،
بِأَصُولِ الرَّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ ؛ وَالْإِعْلَامَ ، بِمُحْدُودِ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى
التَّنْبِيهِاتِ الْمُسْتَنْبَطَةِ السَّامِيَةِ الْأَخْطَارِ ؛ حَتَّى رَفَعُوا مِنْ حُلُلِ التَّحْقِيقِ السَّابِقَةِ ،
فِي مَطَارِفِ ^(٧) وَبُرُودِ ؛ وَوَرَدُوا مِنْ مَنَاهِلِ التَّوْفِيقِ السَّائِقَةِ ، كُلَّ عَذْبٍ

(١) في ت : « عن فهمها » .

(٢) الأنواء : النجوم ، وكانت العرب تعزف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى

ظهورها ، فيقولون مثلا : مطرنا بنوء الثريا .

(٣) هامة هامية : أى تسيل في غزارة وانصباب .

(٤) واكف الأمطار : هاطلها .

(٥) غياظ الجهل : ظلماته . والحوالك : الشديدة السواد .

(٦) الإلماع : التنويه والإشارة .

(٧) المطارف : أردية من خز مربع ذى أعلام ؛ الواحد : مطرف كعبر ومقعد .

برود^(١) ؛ وتَسَمَّوْا من حُجَجِ الحقِّ بالفسه ، الروضَ المِطار ، واجتَنَوْا
 أَزَاهِرَ^(٢) ، أَصَحَّتْ مُنْيَةُ الطَّالِبِ ، وَبُنِيَّةُ الرَّائِدِ^(٣) ؛ وَاجْتَلَوْا^(٤) جَوَاهِرَ^(٥) ، نَقَلْتِ
 مِنْهَا الثَّرَرَ وَالْفَرَادِ ؛ فِي أَجْيَادِ^(٦) الْأَسْطَار . فَإِنَّ أَهْلَهُمْ نَاقِصٌ عَدِيمٌ ، أَلْفَى لَدَيْهِمْ
 الْفَنِيَّةُ وَالْإِكَال ؛ أَوْ قَصْدُهُمْ عَلِيلٌ سَقِيمٌ ، وَجَدَ فِي يَدَيْهِمْ الشِّفَاءُ ، فَنَالَ غَايَةَ
 الْأَمَالِ ، وَظَلَمَ بُمْتَهَى الْأَوْطَار^(٧) . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
 أَفْضَلُ الْعَالَمِينَ بِإِطْلَاقِ ، سِرَاجِ الْمُرِيدِينَ ، وَكَزْزِ الْعَارِفِينَ ، الَّذِي لَا يُخْشَى
 مَعَهُ إِمْلَاقٌ ، مُحَمَّدُنَا الْمُظَلَّى ، وَوَسِيلَتُنَا الْكُبْرَى عِنْدَ الْمَلِكِ الْخَلَائِقِ ؛ صَاحِبِ
 الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ ، الَّتِي اهْتَدَى بِهَا ذَوُو الْأَفْكَارِ ، وَالْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ ، الَّتِي
 حَصَلَ بِهَا التَّيْيِزُ^(٨) لِمَنْ لَهُ أَسْتَذْكَارٌ ؛ الْمَوْطَأُ الْأَكْنَافُ^(٩) وَالْأَخْلَاقُ ، الْمُتَنَقِّ
 مِنْ أَعْظَمِ الذِّخَائِرِ ، وَأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ^(١٠) ، الْمُخْتَارُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ وَالْكُونِ

(١) البرود : البارد .

(٢) في ط : « أَزْهَارًا » .

(٣) الرائد : الذي يقدم القوم يصبر لهم السكَّاء ومساقط النيث .

(٤) اجتلى : نظر .

(٥) في ت : « يَوَاهِر » .

(٦) في ت : « بِأَجْيَاد » .

(٧) الأوطار : جمع وطر « بالضميرك » ، وهو الحاجة .

(٨) في ت : « التمهيد » .

(٩) للموطأ الأكناف : الكريم الممتلئ الأخلاق .

(١٠) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شيء .

وقد ذكر المؤلف هنا — على سبيل التورية — أسماء طائفة من الكتب ، للفاضل
 عياض وغيره ، وهي : « الروض المِطار » ، في أخبار الأقطار « لأبي عبد الله الجعفي ؛
 و « منية الطالب » ، لأعرس المطالب « لم يعلم مؤلفه ؛ و « بنية الرائد » ، لما تضمنته حديث
 أم زرع من الفوائد « ؛ و « الفنية » و « الإكمال لكتاب المعلم » ، في شرح صحيح
 مسلم « ، وهذه الثلاثة للفاضل عياض ؛ و « سراج المرادين » لأبي بكر بن العربي .
 و « كنز العارفين » لم يعلم مؤلفه ؛ و « الذخائر والأعلاق » ، في آداب النفوس
 ومكالم الأخلاق « لأبي عبد الله الباهلي الإشبيلي ؛ و « الموطأ » للإمام مالك .
 و « المتني » اسم لمدة كتب .

لم تفتح له أغلاق ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين نُجومهم في سماء الحق أفتلاق ؛ صلاةً وتُسلياً دائمتين ، ما أنشئت في ثنائه الأحدى ، وأنشدت بفنائه الحمدي ، القصائد والأبيات والأشعار . وبعد ^(١) :

[٢]

فيقولُ أحمدُ ذو القُصو رِ المَقَرِّي إذا انتسب ^(٢)

جَبَرَ المُهَيَّمُ صَدْعَهُ وَوَقَّاهُ سَيِّئَ ما اكتسب

وَحَبَّاهُ مِنْحَةً مُؤْمِنٍ مَحَضَ العِبَادَةَ وَأَحْتَسِب ^(٣)

وأُسدى إليه من التواهب أسناها ، ومن العواقب حُسناها :

إنه لما سَبَقَ القضاء وَجَرَّتْ الأقدار ، بارتحالي عن الوطن المخبوب والقرار ، بعد أن كَثُمَتْ عَرَارُهُ ^(٤) النَّجْدِي ولا أشجان ولا أكدار ^(٥) ، في عَشِيَّة لم يكن بعدها من عرار ؛ وَزَحَّضَتْ عن بلد ، به الوالد وما وَلَدَ ؛ مَحَلَّ قَطَعَ التَّمَائِم ^(٦) ، وَفَتَحَ السَّكَّام ^(٧) ، سَقَى اللهُ عِيَادَهُ ^(٨) صَوَّبَ الفَائِم ^(٩) :

بَلَدَهُ حَفَّ بِهِ الرِّيَاضُ كَأَنَّهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَالرِّيَاضُ عِدَارُهُ ^(٩)

(١) في ت : « أما بعد » .

(٢) القصور : المعجز .

(٣) محض العباداة : أخلصها . واحتسب : نوى بعمله وجه الله .

(٤) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ؛ يشير إلى قول الصمة القشيري :

تفتح من شميم مزار نجد فما بعد المشية من مزار

(٥) في ط : « بعد أن شممت حرارة النجد من الأشجان والأكدار » ؛ ولا يستقيم بها الكلام .

(٦) التَّمَائِم : خرزات كان الأعراب يطلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والمين بزمهم .

يريد بقطع التَّائِم : وقت أن شب وترصرع .

(٧) السَّكَّام : أغظية الزهر . يريد وقت تفتح زهرة صباه .

(٨) يريد «المهاد» : جمع عهد ، وهو الزمان . وفي كتب اللغة أن المهاد جمع العهد ، وهو المطر بعد المطر . أما العهد للزمان فجمعه عهود .

(٩) المنار : جانب البيت . وهذا البيت والذي يسده للمان الدين بن الخطيب .

وَكَاثِمًا وَاوْدِيَهُ مِعْصَمٌ غَادِيَةٌ وَمِنْ الْجُسُورِ الْحَكَمَاتِ سِوَاهُ
وَكَانَ ذَلِكَ وَعُضُنَ التَّشَاطُ يَانِعٌ^(١) ، وَبُرْدُ الشَّبَابِ قَشِيبٌ ؛ وَكَمَلُ النَّفْسِ
مَجْتَمِعٌ دُونَ مَانِعٍ ، وَكَأْسُ^(٢) الْأَنْسِ مُنْزَجٌ بِتَسْلِيمِ الْقُرْبِ وَشَيْبٌ^(٣) ؛ وَفُودٌ^(٤)
الرَّأْسِ غَيْرُ خَاضِعٍ وَلَا خَانِعٍ ، إِذْ^(٥) لَمْ تَطْرُقْ سَاحَتُهُ وَلَمْ تَجْعَسْ خِلَالَهُ جِيُوشُ
التَّشْيِيبِ ؛ حَلَّتْ الْحَضْرَةُ الْقَاسِيَّةُ — حَاطَهَا اللَّهُ — حَيْثُ الْجُلُوسُ غَاصُهُ ، بِالْعَامَةِ
وَالْخَاصَّةِ ؛ وَالْمَسَاجِدُ آهَلَةٌ مَعْمُورَةٌ ، وَالْمَشَاهِدُ بِالزُّوَارِ مَعْمُورَةٌ ؛ وَحَالُ الْمَعَارِفِ
فَضْفَاضُهُ ، وَالْعَوَارِفُ^(٦) الْجَلِيلَةُ مُقَاضُهُ ؛ حَضْرَةُ دِيْبَاجِهَا رَيْبِيٌّ ، وَامْتِزَاجِهَا
بِالنَّفُوسِ طَيْبِيٌّ ، وَلَمْ لَا ، وَقَدْ نَقَلَتِ الْمَفَاخِرُ وَنَسَقَتِهَا ، وَجَمَعَتِ الْمَأْتَرُ وَوَسَقَتِهَا ،
جَادَتِهَا غُرَّةُ الشُّعْبِ^(٧) وَسَقَتِهَا :

بِلَادُهَا الْحَضْبَاءُ دُرٌّ وَزُرْهَا عَيْرٌ وَأَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ كَمُولٌ^(٨)
تَسْلَسَلُ مِنْهَا مَأْوَاهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ وَصَحَّ نَسَمُ الرُّؤُوسِ وَهُوَ عَلِيلٌ
فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّسْيَارِ ، وَقَاهَا اللَّهُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْأَغْيَارِ ، وَأَقْتَضَيْتُ فِي
ذَلِكَ سَنَنَ بَعْضِ سَلَكِي الْأَخْيَارِ ؛ إِذْ كَانَ أَشْهَرُ أَسْلَافِنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ — صَاحِبُ
التَّصَانِيفِ الشَّهِيرَةِ ، الَّتِي اقْتَادَتِ الْمَحَاسِنُ بِزِمَامٍ ؛ الْقَاضِي الْأَشْهَرُ ، الْعَلَامَةُ

(١) الْأَصْلُ فِي الْبَيْعِ : نَضِجَ الثَّمَرُ .

(٢) فِي ط : « وَكَأْسٌ » .

(٣) تَسْيِيبٌ : مَاءٌ فِي الْجَنَةِ . وَشَيْبٌ : خَلَطٌ (بِالْبَاءِ لِلْمِجْهُولِ نِيهَا) . وَلِسْلَهُ رَاضِي
الْمُضَافِ إِلَيْهِ فَذَكَرَ الْقَطْلَيْنِ .

(٤) الْفُودُ : مَعْظَمُ شَعْرِ الرَّأْسِ مِمَّا يَلِي الْأُذُنَ . وَيُرِيدُ بِمُخْضَوْعِهِ وَخُنُوعِهِ : إِمَالَتَهُ
مِنْ كِبَرٍ وَضَعْفٍ .

(٥) فِي ط : « إِذَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) الْمَوَارِفُ : جَمْعُ عَارِفَةٍ ، وَهِيَ لِلْمُرُوفِ .

(٧) فِي ت : « السُّحَابِ » .

(٨) الْعَبِيرُ : الزَّعْفَرَانُ ، أَوْ هُوَ أَخْلَاطُ الطَّيِّبِ . وَالنَّمُولُ : الْحَمْرُ ، أَوْ مَا يَرُدُّ مِنْهَا .

الأظهر ، سيدي أبو عبد الله محمد [بن محمد ^(١)] بن أحمد المقرئ القرشي ،
التلصصاني النشأة والقبر ، أفاض الله سبحانه ^(٢) الرحمة على مثوى ذلك الحبر —
انتقل إليها أيام السلطان المرحوم أبي عنان فارس ، فولاه قضاء جماعتها ، وبني
له ^(٣) المكتبة أعظم المدارس ، حسبما ذكره غير واحد من أهل الفهارس ،
وأشار إليه الوزير ابن الخطيب في كتاب « الإحاطة » التي أحييت من التاريخ
الرسم المدارس .

ولم تزل كتب الأقارب والإخوان ترد على ، وتنتهي عنان أعتلتها إلى ؛
وتكرز وتمدد ، وتنتاب وتتردد ، وتنوع وتجدد ؛ فأرتاح إليها ارتياح
الفن عند هزته ، وأحين إليها حنين كثير إلى معاهد عزته :

[٤] يا مَنْ يذكّرني حديث أحبّي . طاب الحديث يذكّرهم . يعطيه
أعيد الحديث على من جنباته . إن الحديث عن الحبيب حبيب ^(٥)
وكثيراً ما يحرك ذلك مني كامن شوق ، شبّ عمره عن الطوق ^(٥) ؛ وأجد
من لواحي الأوار ^(٦) ، ما وجده القرزدي عند ^(٧) مهابنة النوار ^(٨) :

(١) زيادة عن الإحاطة وفتح الطيب .

(٢) جمع سجل ، وهي القلو الضخمة الملوقة بالماء .

(٣) في ت : « وبه » وهو تحريف .

(٤) جنباته : نواحيه .

(٥) أي جاوز حد الاحتمال ؛ مأخوذ من اللثل : « كبر عمرو عن الطوق » . قاله
جذبة لعمرو بن عدي ، ابن أخته رفاش ، حين رأى عليه طوقاً من ذهب كان له
في صفرة ، وقد طوقه به أمه بعد فية فلها عنها ، في حديث طويل ، ذكره
الليداني في أمثاله وصاحب القاموس في مادة « طوق » .

(٦) لواحي الأوار ، أي حرق نار الشوق .

(٧) في ت : « من » .

(٨) يشير إلى ندم القرزدي لما طلق اسمائه النوار في قوله :

ندمت ندامة الكسي لما غدت مني مطلقة نوار

بَلَدُ الْجَزَائِرِ مَا أَسْرَّ نَوَاهَا كَلَفَ الْفَوَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا
يَا عَاذِلِي فِي حُبِّهَا كُنْ عَاذِرِي يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاوُهَا وَهَوَاهَا

والحنين إلى الوطن مجال لكل حُرٍّ ومُضْمَارٍ

إِيه أَحَادِيثَ نَعَانٍ وَسَاكِنِهِ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ
وَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ حَنِينُ النَّابِ^(١) إِلَى عَطْنِهِ^(٢) ، وَلِرَّءِ إِلَى مَحَلِّ نَشْأَتِهِ وَوَطْنِهِ .
وَقَدْ رَوَيْنَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَنِينِ سَيِّدِ الْوُجُودِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ
إِلَى مَكَّةَ ، مَا لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ عَنِ الْعُلُومِ بِمَغْزَلٍ . وَمِنَ الْآيَاتِ السَّائِرَةِ :
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُهُ الْفَقِي^(٣) وَحَيْنِيَسُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ
وَرَبِّ ذِكْرِي أَثَارَتِ الْأَشْوَاقَ وَحَرَّكَتْهَا ، وَأَنْشَبَتِ النُّفُوسَ فِي حَبَائِلِ
الْجُؤْسِ وَتَرَكْتَهَا ؛ وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ بَكَى لَفَقْدِ الْمَشَاهِدِ ، وَأَهْتَمَّ لِبُعْدِ الْعَالَمِ
وَالْمَشَاهِدِ :

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا مَرَاتِعُ أَلْفِي وَعَهْدُ صِحَابِي
وَيَا سَرْحَةَ الْحَيِّ أَنْعَمِي فَلَطَالَمَا سَكَبْتُ عَلَى مَثْوَاكِ مَاءَ شَبَابِي
فَلَهُ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ ، مَا أَبْهَجَ مُحْيَاها اِحْطَا^(٤) بَيْنَ كَلَامَتِهِ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ ،
مَا أَطْيَبَ^(٥) رِيَّاهَا ، حِينَ بَاكَرَهَا الرَّشْمِيُّ^(٦) وَحْيَاها :

(١) النَّابُ : النَّاقَةُ الْمَسْنُونَةُ . وَهِيَ مُؤَثَّةٌ . وَقَدْ أَعَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهَا مَذْكَرًا ، كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْأَصْلِ ، وَهُوَ النَّابُ مِنَ الْعَظْمِ ، فَهُوَ مَذْكَرٌ فِي الْأَشْهُرِ .

(٢) الْمَطْنُ : وَطْنُ الْإِبِلِ وَمِوْكُهَا حَوْلَ الْمَاءِ .

(٣) كَذَا فِي طَوْدِيَّانِ أَبِي تَمَامٍ . وَفِي ت : « كَمْ مِنْ مَنَازِلَ كَانَ يَأْلُهَا الْفَقِي » .

(٤) فِي ت : « وَبَيْنَ كَلَامَتِهِ » .

(٥) فِي ت : « فَا أَطْيَبَ » .

(٦) الرَّشْمِيُّ : مَطَرُ الرَّيْسِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ يَسَمَّى الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ . وَيْلِيهِ « الْوَلِي » وَهُوَ الْمَطَرُ الثَّانِي .

حَيًّا تَلْسِفَ الْحَيَّا فَرُبُّوعَهَا صَدَفٌ يَجُودُ بِذُرِّهِ الْمَكْنُونِ^(١)
 مَا شِئْتُ مِنْ فَضْلِ عَمِيمٍ إِنْ سَقَى أَرْوَى وَمَنْ لَيْسَ بِالْتَّمَنُونِ
 أَوْشِئْتُ مِنْ دِينٍ إِذَا قَدَحَ الْهَدَى أَوْزَى وَدُنْيَا لَمْ تَكُنْ بِالثُّونِ^(٢)
 وَرَدَّ النَّسِيمُ لَهَا بِنَشْرِ حَدِيقَةٍ قَدْ أَزْهَرَتْ أَفْنَانُهَا بِفُنُونِ^(٣)
 وَإِذَا حَبِيبَةٌ أُمٌّ يَحْيَى أَهْجَبَتْ فَلَهَا الشُّفُوفُ عَلَى عُيُونِ الثُّونِ^(٤)
 طَالَمَا ذَكَّرْتُ الْأَبْلَةَ وَشَبَّ بَوَانِ^(٥) ، وَأُنْسْتُ صُرُوفَ الزَّمَانِ النَّحْوَانَ ،
 وَأَنْبَتَ أَزْهَارَ أُنْسٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ ، وَثِمَارِ نَخْلٍ مِنَ الْقُرْبِ^(٦) ، صِنَوَانٍ وَغَيْرِ
 صِنَوَانِ^(٧) ، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ بِالْجِيرَانِ^(٨) وَالْإِخْوَانِ ؛ وَالرُّوضُ مَطْلُولُ
 النَّبَاتِ^(٩) ، مُخَضَّرَةُ الْعَذَابَاتِ^(١٠) ، مُخَضَّلَةُ الْجَنَنَاتِ^(١١) ، مَقُوفُ الْحَمَائِلِ^(١٢) ،

(١) الحيا : اللطى . وهذه الأبيات لسان الدين بن الخطيب .

(٢) أورى : أنار وأضاء .

(٣) نشر الحديقة : ما يتنشر عنها من رائحة طيبة .

(٤) حبيبة أم يحيى : عين ماء جلسان ماؤها عذب . (عن هامش الأصل المخطوط) .

والشفوف : الرقة . والعون : البقر الوحشى . أى أن مادها أصنى وأرق من

عيون العون .

(٥) الأبله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة . وشبب بوان : بفارس ، وهو والأبله

من متزهات الدنيا ، التى سار ذكرها .

(٦) فى ت : « من القرب » .

(٧) الصنوان : المجتمعة ، أو التى أصلها واحد .

(٨) فى ت : « بالأطراب » .

(٩) مطلول النبات : مندى بماء الطل .

(١٠) العذبات : أى أطراف الأغصان .

(١١) مخضلل : مبتل . والجنات : التواشى ؛ أى إنه غير جاف ولا متصوح .

(١٢) مقوف : فيه بياض . والحمايل : جمع خيلة ، وهى الأرض ذات النبات ؛ يعنف

نبات هذه الحمايل وقد ظهر عليه النور الأبيض ،

مُتَضَوِّعُ الشَّامِلِ^(١) ؛ مُنْسَابُ الْمَاءِ ، مُنْجَابُ السَّمَاءِ^(٢) ؛ وَالْفُصُونُ مُتَأَوِّدَةٌ
الْأَعْطَافُ^(٣) ، دَانِيَةُ الْبَحْرِ وَالْقِطَافِ ، وَالنَّسِيمُ يَتَّبِقُ نَشْرًا ، وَالْجَوُّ يَتَأَلَّقُ رَوْقًا
وَبَشْرًا ؛ فَتَقْصُرُ عَنْهُ أَوْصَافُ ذَوِي^(٤) الْإِنْصَافِ :

وَالزَّهْرُ حَيَاتَانَا بَشْفَرٍ بِاسْمٍ وَالتَّهَرُّ قَابِلُنَا بِقَلْبٍ صَافٍ
وَلَا لِي الْأَنْدَاءُ^(٥) فِي النَّدِيرِ غَرْقِي ، وَدُمُوعُ النَّهْرِ لَا تَرْفَعَانِي^(٦) ؛ وَالزَّهْرُ
يَسْقُطُ ، وَأَكْفُ الرِّيحِ تَكْتُبُ ، وَالْغَامُ يُنْقِطُ :

كَأَنَّ أَكْفَ الرِّيحِ تَكْتُبُ أُسْطَرًا عَلَى النَّهْرِ إِلَّا أَنَّ أَحْرَفَهَا زُرْقُ
فَتَحْنِي عَلَيْهِنَ الْفُصُونُ قُدُودَهَا لَتَقْرَأَهَا جَهْرًا مِنَ الْوَرَقِ الْوُرْقِ^(٧)
وَالرِّقَاءُ تَهْتَفُ لِقَدِّ الْفِ نَازِحَ ، قَهَبِجُ شَجْوِ الْجَادِّ وَالْمَازِحِ :

[٥]

رُبَّ وَرْقَاءٍ هَتَفَ بِالضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنِّ
ذَكَرَتْ إِلْقَاً وَدَهْرًا صَالِحًا فَبَكَتْ شَجْوًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فُبَكَائِي رَبِّمَا أَرْقَهَا وَبُكَاهَا رَبِّمَا أَرْقَنِي
فَإِذَا تَبَدَّدُونِي أَسْمِدُهَا وَإِذَا أَبْدَوْهَا تُسْعِدُنِي^(٨)
وَلَقَدْ تَبَكَّيْ قَا أَضْمَهَا وَلَقَدْ أَبْكِي قَا تَقْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالشَّجَا أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالشَّجَا تَعْرِفُنِي

(١) المتضوع : اشتعار الرائحة الطيبة . والمبائل : جمع شمائل وهي الرياح . أى أن الرياح
تنبعث مطيرة بأربع هذا الروع .

(٢) كذا في ط . ومنجياب السماء ، أى مماؤها صافية . وفي ث : « منجاب » .

(٣) متأودة : تهتز وتميل . والأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب .

(٤) في ت « ذى » .

(٥) كذا في ت . وفي ط : « الأنواء » . وهي النجوم ، وقد يراد بها المطر .

(٦) لا ترفأ (بالهمز وسهل) : لا تسكن .

(٧) الورق : الحمام ؛ الواحدة : ورقاء .

(٨) أسمدها : أهينها على البكاء .

فَأَكْرِمَ بِهَا مِنْ ذَاتِ طَوْقٍ ، عَبَّرَتْ عَمَّا فِي ضَمِيرِهَا مِنْ جَوَى وَشَوْقٍ ،
فساقت لواعج الأفكار أَى سَوْقٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّبِّ فَرَقٌ ، عِنْدَ ذَوَى النَّوْقِ :

وَتَرَنَّمَتْ ذَاتُ الْجَنَاحِ بِسُحْرَةٍ بِالْوَادَيْنِ فِهَيْجَتِ أَشْوَاقِ
وَرَفَا تَعَلَّمَتِ الْبُكَاءَ وَالْبَثَّ مِنْ يَغْقُوبَ وَالْأَلْحَانَ مِنْ إِسْحَاقِ^(١)
أَنْتِ تَضَاهِيهِ هَوَى وَصَبَابَةٍ وَأَسَى وَفَرَطَ جَوَى وَفَيْضَ مَآقِ^(٢)
وَأَنَا الَّذِى أُمِلِّى الْهَوَى مِنْ خَاطِرِى وَهَى الَّتِى تُتْلَى مِنَ الْأَوَاقِ

فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ تَمْزِيقِ ذَلِكَ الْإِهَابِ ، وَحُصُولِ شَمْلِهِ فِي يَدِ الْإِتِهَابِ ،
وإنشاد لسان حاله عِنْدَ النَّهَابِ :

أَلَا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ^(٣) يَكْرَهُ أَنْ مِنْ سَبَبٍ عَلَيْكَ إِلَى سَبَبٍ
فَقُلْ لِلْجَدِيدِ الْعَيْشِ لَا بُدَّ مِنْ بَلَى وَقُلْ لِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ لَا بُدَّ مِنْ شَتٍ^(٤)
وهكذا الدنيا إِيْخْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ ، وَإِقْرَارٌ وَإِنْكَارٌ^(٥) ، وَإِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ ؛
تَعَقَّى كُلَّ رَنْجٍ عَامِرٍ^(٦) ، وَتَبَدَّدَ شَمْلُ كُلِّ مَأْمُورٍ وَآمِرٍ :
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّاجِ إِلَى الصَّافَا أَنْيَسُ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ^(٧)
بَعْدَمَا نَعِمْنَا بِرُحْمَةٍ مِنْ [الزَّمانِ ، فِي ظِلَالِ^(٨)] الْأَمَانِ ؛ وَقَطَعْنَا نُبْذَةً مِنْ

(١) يَغْقُوبُ : هُوَ يَغْقُوبُ النَّبِيُّ وَالِدُ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَإِسْحَاقُ : هُوَ

ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصَلِيُّ ؛ مِنْ شَبَوخِ الْمُنْتَنِينَ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ .

(٢) تَضَاهِيٌّ : تَشَاقُفٌ . وَالْمَآقَى : مَجَارَى الْمَوْجِ مِنَ الْعَيُونِ .

(٣) قِيَتْ : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ » .

(٤) شَتٌّ : تَفَرُّقٌ .

(٥) قِيَتْ ط : « وَإِنْكَارٌ وَإِقْرَارٌ » .

(٦) تَعَقَّى : تَطْمَسُ وَتَنْتَهَرُ ، وَالرَّيْحُ : لِلتَّزَلُّزِ وَالْهَارِ .

(٧) الْحَجَّاجُونَ وَالصَّافَا : جَبَلَانِ بِمَكَّةَ . وَهَذَا الْبَيْتُ لِعَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَضَاهٍ .

(٨) زِيَادَةٌ عَنْ ت .

الشباب ، في مواطن الأحباب ؛ ما بين دراسة ودراية ورواية ، وممارسة أمور
تُبعد عن طُرُق القَوَاية ؛ وتَخْبِير طُرُوس ، وملازمة دروس ، ومثول بين يدي
أشياخ مجالسهم نامية الفُروس ؛ وخصوصاً شيخهم الذي [فضله^(١)] لا يفتقر إلى
دلالة ، عَمَّا مُفَتِّهَا سِيدِي سَعِيد بن أَحْمَد المَقْرِي ، شَكَرَ اللهُ خِلَالَهُ ، فهو شيخ
أولئك^(٢) الأعلام الذين وَرَثُوا العلم عن غيرِ كَلَاله^(٣) ، وعَمَرُوا ربوع المجد ،
وتَفَيَّهُوا خِلَالَهُ ، وأرشدوا إلى سُبُل الهدى ، وأزاحوا عن الضلالة ، وعَمَرَت
أَرْضُهُمْ بكل مجد وجمال ، وإن نَبَتَ^(٤) بي لا عن جُفوة ومَلَاله ؛ فَأَهَّا عَلَى
ذلك القصر ما أباه وأجله ! وَأَتَمَّهُ وأَكَلَهُ ؛ عصر يكاد يُكَلِّمنا فيه الجمادُ ،
وتُرَوِّينَا الثَّمَادُ^(٥) ؛ وتُحَيِّينَا العُشَيَاتِ والبُكْرَ ، ولا تَنْتَابِنَا التَّعْلَلَاتِ ولا الفِكرَ ؛
فإن سَأَلْنَا فَعَنَّهُ في الحقيقة ، وإن صَرَّحْنَا أو كَتَبْنَا ، فنَعْنِي حِمَاهُ وَعَقِيْقَهُ :

نُسْأَلُ عَنْ ثَمَامَاتٍ بِحُزْوَى وبأن الرَّمْلَ يَعْلَمُ مَا عَيْنُنَا^(٦)
وقد كُشِفَ النِّطَافُ فَمَا نُبَالِي أَصَرَّحْنَا بِذِكْرِي أَمْ كُنْتِنَا
ولو أَنِّي أَنَادِي يَا سُلَيْمَى لَقَالُوا مَا أَرَدْتَ سِوَى لُبِّي
أَلَا لِلَّهِ طَيْفٌ كَانَ يَسْقِي بكاسات الكرى زُورًا وَمَيْنَا
فَأَمْسِينَا كَأَنَّا مَا افْتَرَقْنَا وَأَصْبَحْنَا كَأَنَّا مَا التَّقَيْنَا

[٦]

وكنا نَحْسِبُ أن الدهر لا يَدُور ، وأن الأبحار صُدُور ، والأهلة بُدُور ؛

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « هؤلاء » .

(٣) عن غير كلاله : أى باستحقاق . وفي ت : « لا من كلاله » .

(٤) في ت : « نبت » .

(٥) الثماد (ككتاب) : جمع ثمد ، وهو الماء القليل .

(٦) الثمام : نبت قصير ضعيف لا يطول . وحزوى (بالضم) : جبل من جبال الدهناء .

والبان : الكتيب من الرمل .

حتى ضرب الدهر ضرباً به^(١)، وبدد الرفيق من ذلك الطريق وأبانه ؛ فلم تتأوّد
قُدود الأغصان ، ولم تترنّح أعطاف البان ؛ وانقطعت الأسباب ، عن مواصلة
الجيران والأحباب ؛ الذين :

جَرَى^(٢) بعضهم ذاتَ المِئين وبعضهم شمالاً وقلبي بينهم مُتَوَزّع
فوالله ما أدرى بلّيل وقد مَضَتْ مُحوْلُمُ أَيِّ الرقيقِ أَتْبَعَ؟
وهأنا الآن أحاول إطفاء لهيبِ بالضلوع وقد^(٣) ، وأعالج أدواء شتى جَلَّ
وكيف لا وقد :

رُوِّعَتْ بالبَيْنِ حتى ما أُرَاعُ بِهِ وبالتصائب في أهلى وجيراني
لم يتركِ الدهرُ لى عِلْقاً أَضْنُ بِهِ^(٤) إِلَّا زَمَاهُ بِفَقْدِ أَوْ بِهَجْرَانِ
وفى هذا التاريخ الغريب ، وردت كتبٌ من تلك الناحية حركت شَجْو
الغريب ؛ والشوق إلى لقاءهم ، والتوقُّ إلى ما يَرِدُ من تِلْقائهم ، يقتادان
القلبَ بِزِمَامِ فَيْتَقَادِ ، ويُوقِدَان نارَ الوجدِ بين الضلوعِ أى إيقاد :

هى البارُّ لا أَصْحُو بها عن علاقة [لأمر لنا بين الجوانح مُضْمِرٍ
فجَادَ عَلَى أَرْجائها النَيْثُ إِنِّهَا منازلُ جيرانِ كرامٍ ومَقْشَرِ^(٥)
وكان من مُجْملة فُصولها ، وفُرُوع أصولها ؛ طلبُ التعريف والإعلام ، ببعض
أحوال الشيخ الإمام ، قاضى الأئمة وعلم الأعلام ، عُمدَةُ أربابِ الحُجَرِ والأقلام ،
ومُفَخَّرُ علماء الإسلام ، ذى الفضائل التى استقلتْ رسومُها^(٦) ، فلم تحتج إلى إعمال

(١) ضرب الدهر ضرباً به : أحدث حوادثه .

(٢) فى ت : « حنا » .

(٣) وقد : اتهد واشتعل .

(٤) فى ت : « أظن » ، وهو تحريف .

(٥) ما بين القوسين ساقط فى ت .

(٦) استقلت : علت فبانت وظهرت . والرسوم : جمع رسم ، وهى الآثار التى لاظل لها .

الأعلام^(١)؛ والمحاسن التي بَهَرَتْ أَقَارًا وشُمُوسًا، سَيَدَى أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ
ابن موسى؛ الشهير الصَّبِيّ في كل قُطْرٍ، صَبَّ اللَّهُ على مَثْوَاهِ مِنَ الرَّحْمَاتِ
شَايِبَ الْقَطْرِ:

فهو الإمام الذي سارت مآثره في الشَّرْقِ والغَرْبِ سِيرَ الشَّمْسِ والقَمَرِ
وكم له من تَأْلِيفٍ قد اشتهرت بكل قُطْرٍ فَسَلِّ نُنْبِيكَ عن حَبَرٍ
قلت: مالى بهذا الأمرِ يَدَانِ، ولو أَيْدَى كُلُّ قَاصٍ ودان؛ وماذا عسى
أن أصِفَ من جَلَالَةِ يَهْلٍ بِشَرُّهَا، وَجَزَالَةِ يَتَضَوَّعٍ نَشْرَهَا؛ وبلاغة تَبَدُّ بلاغة
سَحَابَانِ، وبراعة تَقَاعَسَ عن رُبْنَتِهَا^(٢) الشَّيْبُ والشَّبَانِ، وعِلْمٌ أظهر غَوَامِضَ
الحَقَائِقِ وَأَبَانَ، وحِلْمٌ أَرْسَخَ من رَضْوَى وَأَبَانَ^(٣)؛ ومحاسن، ماؤها غير آسِنِ،
وحُلَى، حازت مراتب العُلَى، ومصنّفات، مُقَرَّطَاتٌ مُسْتَنَفَاتٌ^(٤)، أَغْلَاقٍ
لا تَعْدِلُهَا الأَيْمَانُ، ولا تُشَدُّ على مثلها الأَيْمَانُ^(٥).

على أُنَى لستُ من رجال هذا المجال، ولا من فُرُشَانِ مَيِّدَانِ الإِحْسَانِ؛
إِذِ الْبَاغُ قَصِيرٌ، والقَلْبُ بقواعد العلم^(٦) غَيْرُ بَصِيرٍ؛ والقلب حَلِيفُ أَشْجَانِ
وَأَوْصَابِ، والفكر أَلِيفُ غُصَصِ تَجَرُّعٍ منها جَنَى حَنْظَلٍ أَوْ صَابِ^(٧)؛

(١) الأعلام: العلامات يبتدى بها في الطريق؛ الواحد: علم.

(٢) في ت: «وبئنها».

(٣) رضوى: جبل بالمدينة. وأبان: جبلان، الأبيض والأسود، بينهما نحو فرسخ.
الأبيض لبني جريد من فزارة، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن ثعلبة. (انظر
معجم ما استعجم للبكري).

(٤) مقرطات: ذات أفرط. ومشتفات ذات شنوف، وهي الأفرط توضع في
أعلى الأذان.

(٥) الأيمان: جمع يمين، وهي اليد اليمنى.

(٦) في ت: «العلوم».

(٧) الصاب: شجر مر.

[٧] لا أستطيع إنشاء قول ، ولا أفكر^(١) إلا في همٍّ أو هول ؛ إلى ما دهم من الفتن ،
التي تحت مابا الدهر^(٢) من ازديان ؛ وطرق من الحن ، التي يُغنى عن خبرها العيان ؛
فتنوّعت منها الأعداد ، إلى أفراد وأزواج ؛ وكثر الترداد ، من الخطوب ذات
الجموع والأفواج ؛ وتقام وازداد ، هول بحورها التلاطمة الأمواج :

حملنا من الأيام ما لا نُطيقه كما حل العظم الكسيرُ المصابيا^(٣)
وعصر رجونا منه إبداء منحة فأندى ولكن بحنة ومصابيا^(٤)
وما حال من قرّت^(٥) المصابب عيونَه دُموعا وجوانحه جوى ، ورمتَه
النوائب^(٦) عن قسيّ النوى ؛ نفلع على الكواكب كراه ، وبرّج به الشوق
وبرّاه . وقطع ودج^(٧) صبره وفراه^(٨) ، واعتراه من دهره ما اعتراه ، وضاعف
ما به كذبٌ حاسد^(٩) افتراه ؛ يأكل المحاسن ، ويجهل بمساويه أن يحاسن ؛
ويُعبد الحق باطلا ، والحاليَ عاطلا ؛ ويُقلب للمنة مخنه ، ويرى المصافاة
إحنه ؛ يختال مخاتلة الذيب ، ويكدر مناهل الخُلوص والتهذيب ، ويقابل الحق

(١) في ت : « ولا فكر » .

(٢) في ت : « إلى فادح من الفتن التي تحت مابا الدهر » . وهو تحريف .

(٣) الكسير : المكسور . والمصابب : جمع مصابة ، وهي مايلف حول الجبيرة ونحوها .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

وعصر رجونا أن يجمود بمنحة وإدراك آمال فأسدى للمصابيا

(٥) كذا في ط . وقرت : زودت ، من القرى ، وهو الطعام يقدم للضيف . وفي ت :

« وقرت » . ووقرت ، أي حملت (بالتضيف) . والمعروف في هذا المتن : « أوقر » .

(٦) في ط : « ورمته سهام النوائب » .

(٧) كذا في ط . والودج (محرّكة) : عرق في المتن . وفي ت : « وجد » .

(٨) فراه : قطعه .

(٩) في ت : « خاسر » .

الواضح بالتكذيب ؛ ويشغل بما لا يعنيه ، ويُعرض عما يقربه إلى ربه
ويزلفه ويُدنيه^(١) :

لى حيلة فيمن ينم وليس للكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ل خيلتي فيه قليله

إلى الله المشتكى من هذا وأضرابه ، ممن لم تصف موارد شرابه :

مضت أعمارنا ومضت سنونا ولم تظفر بذى ثقتهم يدان
وجربنا الزمان فلم نفيذا سوى التخويف من أهل الزمان
ولا عرو أن كان لأهل الزمان به اشتباه ، والله قول بعض أهل الذكاء
والتيقظ والاتباه :

والناس مثل زمانهم قدوا^(٢) الخذاء على مثاليه
ورجال دهرك مثل دهرك في تقلبه وحاله
ولنا إذا فسد الزمان جرى الفساد على رجاله

أستغفر الله ، هذه نقشة مَّصدور ذى ألم ، أو هفوة مغمور ساعدها طغيان القلم :
نذم زماناً ما له من جناية ونشكوه لو تقي عن المرء شكواه
ولا ذنب فينا للزمان وإنما جنينا فموقبنا بما قد جنيناه
هو القدر الجاري على الكره والرضا فصبراً وتسليماً لما قدر الله
ونفوسنا أولى باللوم ، لو سلكتنا سبيل خيار القوم ؛ واقفتمنا سنن التقوى ،
وتمسكتنا بحبل التوفيق الأقوى :

(١) في ت : « يقربه لربه زلفى ويدنيه » .

(٢) كذا ط ولعلها بحرفة عن : « حذو » أو « قد » وكلاما مصدر بمعنى قطع
الماء على مثال شيء آخر .

وما دارنا إلا مَوَاتٌ لَوْ أَنَّا نُنْكِرُ وَالْآخِرَى هِيَ الْحَيَوَانُ
 شَرِينَا^(١) بها عزاً بهونٍ جمالةً وَشَتَانٌ عَزٌّ لِلْفَتَى وَهَوَانُ
 وَحَقٌّ لِمَنْ عِلْمٌ تَقْلِبَاتِ الدَّهْرِ بِأَهْلِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ ، أَنْ يَسْتَعْمَلَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمرِهِ .
 فَيَأْتِيهِ يَوْمَهُ إِلَى مَنَازِلِ النِّعَمِ الْمُقِيمِ وَغُرَفَاتِهِ :

لِلدَّهْرِ قَوْمٌ لَا تَزَالُ سِيَاهُهَا تُضَيُّعُ الْأَنَامَ أَصَاغِرًا وَأَكْبَرًا
 طُوبَى لِمَنْ هَجَرَ الْقَبِيحَ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ مَثَابِرًا
 جَعَلْنَا اللَّهُ تَمَنَّا ثَابِرًا عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ ، وَبَلَغَ مِنْ خَيْرِ الدَّارَيْنِ غَايَةَ التَّامِيلِ .

[٨] وحين ورد على هذا الخطب الذي تقدم ، وألقى ركن الاصطبار كاد يتهشم .
 أو تهشم ؛ أضربت عن جوابه حيناً من الدهر ، وماطلت مُقْتَضِي دَيْنِهِ مِنْ .
 يوم إلى يوم ، ومن شهر إلى شهر ؛ والأرض تَمِيدُ اضْطِرَابًا وَاجْتِلَالًا ، والأحوال .
 تَزِيدُ دَفْقًا وَاجْتِلَالًا ؛ وَأَنَا أَحُومُ عَلَى مَنَاهِلِ الْجَوَابِ حَوْمًا ، وَأُرُومُ الْوُرُودِ فِي .
 مَشَارِبِهَا الْعَذْبَةِ يَوْمًا فَيَوْمًا ؛ وَالْأَيَّامُ لَا تَسْمَحُ بِنَهْلِهِ ، وَلَا تَفْسَحُ^(٢) إِلَيْهَا فُسْحَةً ،
 وَلَا تَوْسِعُهَا مَهْلَهُ ؛ ثُمَّ وَقَعَ الْعَزْمُ وَالتَّصَمُّيمُ عَلَى جَوَابِ هَذَا السَّائِلِ ، رَاجِيًا مِنْ
 اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ وَأَعْظَمِ الْوَسَائِلِ ؛ وَدَخَلْتُ مِنْ هَذَا
 الْبَابِ بَعْدَ أَنْ قَرَعْتُ ، وَأَخَذْتُ فِي هَذَا الْغَرَضِ وَشَرَعْتُ ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ
 التَّقْصِيفِ وَكَرَعْتُ ، وَبَذَرْتُ فِي أَرْضِ التَّأْلِيفِ وَزَرَعْتُ ، هَذَا^(٣) مَعَ أَنِّي
 مَا مَهَرْتُ وَلَا بَرَعْتُ ؛ وَلَا أَتَقَنْتُ لِمَصْنَعَةِ التَّأْلِيفِ عَمَلًا :

لَكِنْ قُدْرَةٌ مِثْلِي غَيْرُ خَافِيَةٍ وَالْقَمَلُ يُغْدِرُ فِي الْقَدْرِ الَّذِي حَمَلَا
 وَكَثِيرًا مَا خَرَجْتُ مِنَ الشَّيْءِ إِلَى مَا يَنْسَابُهُ وَيَدَانِيهِ ؛ وَرَبِّمَا أَبْعَدْتُ .

(١) شَرِينَا (هنا) : هينا .

(٢) فِي ت : « تَفْسَحُ » .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ « هَذَا » : سَائِلَةٌ فِي ت .

النَّجْمَةُ^(١)، ثم وقعت الأوبة والرجعة؛ على رَغَمِ أَنْفِ قَالِي ذَلِكَ وشانيه،
وقربت بذلك كله شاسعاً، كي تسهل مثنوته على مُعَانِيهِ، وهصرت أفنان
ألفاظه ومعانيه؛ لِيَقْرُبَ اقْتِطَافُهُ لجانِيهِ؛ وسميته^(٢) «بأزهار الرياض»، في أخبار
عياض، وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض؛ تسمية وافقت إن شاء الله
مَعْنَاهُ، وناسبت منزله ومَعْنَاهُ؛ لأنه جمع أزهار ذات ألوان، من وَرْدٍ وَأَنْحَوَانٍ؛
وبَهَارٍ^(٣)، عَرَفَهُ ذُو الْإِنشَارِ^(٤)؛ وَمَنْشُورٌ، روضه مَرِيْعٌ^(٥) مَمْطُورٌ، ونُسْرِيْنٌ^(٦)،
يَفُوقُ أَرْجَاهُ مِسْكَ دَارِيْنٍ^(٧)؛ وَأَسْ^(٨)، عاطر الأنفاس؛ وشَقِيْقٌ^(٩)، خَلِيْقٌ
بِالْمَدْحِ حَقِيْقٌ؛ وَيَلُوفِرُ^(١٠)، حَارٌّ مِنَ الْحَاسِنِ النَّصِيْبِ الْأَوْفَرِ؛ وَأَجْرِيْتُ
جَدَاوِلَ أَنْهَارٍ، مِنَ الْحِكَايَاتِ لَسَقَى هَذِهِ الْأَزْهَارَ؛ فَأَيْنَعُ النَّوَارُ، وتَأَلَّقَتْ الْأَنْوَارُ،
وَتَقَنَّ النَّظَائِرُ بَيْنَ أَنْجَادٍ وَأَغْوَارٍ، ولم يَدِرْ وقد انتقل من أطوار إلى أطوار،
وَتَأْمَلُ صَرْحاً^(١١) بُنِيَ عَلَى غَيْرِ [شفا^(١٢)] جُرْفٍ هَارٍ:

أُضِيَاءُ هَذِي أُمِّ ضِيَاءِ نَهَارٍ وَشَذَا الصَّحَامِدِ أُمِّ شَذَا الْأَزْهَارِ

- (١) النجعة (ضم النون): الارتياح والطلب.
- (٢) كذا في ت وهو موافق للمصدر الذي بيده. وفي ط: «ووسمته».
- (٣) الأنحوان: نبت طيب الريح، له نور أبيض كأنه نمر جارية حديثة السن، وهو البابونج بالفارسية. والهبار: نبت جعد له فقاقة صفراء، طيب الرائحة.
- (٤) في ت: «ذو اشتهار».
- (٥) مريع: خصيب.
- (٦) النسرين (بكسر النون): ورد أبيض عطري الرائحة.
- (٧) دارين: فريضة بالبحرين، يجلب لإليها الملك من الهند. (عن معجم البلدان).
- (٨) الأس: الریحان.
- (٩) الشقيق: نبات أحر الزهر مبيع بتقط سود. وفي ط: «والشقيق».
- (١٠) اليلوفر (يفتح النون المشددة وكسرها): نبات مائي، له ساق أملس، فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر زهراً أبيض، وسطه زعفراني اللون.
- (١١) في ت: «سرحا» بالسین.
- (١٢) زيادة عن ت.

وقد أفصح تَرْجُمان التراجم عن عدّها ^(١) وسَرَدَها ، ولَوَّحَ لُفْكَته الاختتام
بنيْلوفرها والافتتاح بوزدَها .

وهي هذه الترجمة :

الأولى : روضة الورد ، في أولية هذا العالم الفرد .

الثانية : روضة الأخوان ؛ في ذكر حاله في التمشأ والمُنشأ .

الثالثة : روضة النهار ، في ذكر جملة من شيوخه الذين فضّلهم أظهر من
شمس النهار .

الرابعة : روضة المنثور ، في بعض ماله من منظوم ومنثور .

الخامسة : روضة التّسرين ، في تصانيفه العديدة النظير والقَيرين .

السادسة : روضة الآس ، في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس لجُرْحه
من آس . [٩]

السابعة : روضة الشّقيق ، في جمل من [فوائده ، ولُغَم من ^(٢)] فرائده ،
للمنظومة نظم الدرّ والعقيق .

الثامنة : روضة النيْلوفر ، في ثناء الناس عليه وذكر بعض مناقبه التي هي
أعطر من المسك الأذفر .

فدونك أيها الناظر ^(٣) روضات أزهار ، وجنات تجري من تحتها الأنهار ؛
أبوابها ثمانية ، وقطوفها دانية ؛ تَعَطَّرَ منها نسيم الصّبا بزهر الآداب ، وسما إلى

(١) في ط : « عددها » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « أيها الأخ الناظر » .

محاسنها من تعلق من التاريخ بأهداب^(١) ؛ لم أَسْبِقْ إلى مثلها فيما رأيت ، وإن
بَعُدَتْ فيها عن التمهيع المطروق ونأيت ؛ والإنسان مُعْرَمٌ^(٢) بِنَيْتَاتِ أَفْكَارِهِ ،
وإن قُوبِلَ مَا صَدَّرَ مِنْهُ بِإِنْكَارِهِ ؛ وقد أَثْنَدْتُ بِلِسَانِ حَالِهَا ، مَخَاطِبَةً مِنْ رِضَى
بِإِتْسَابِهَا وَانْتِحَالِهَا :

سَرَّحَ جُفُونَكَ فِي الْحَدَا ثِقْ وَأَجْنِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ
مِنْ وَرْدٍ أَوْ أَحْمَرَ أَوْ شَقَا ثِقْ أَوْ بَهَارِ ذِي بَيَاضِ
وَأَشْرَبْ بِكَاسَاتِ الرَّفَا ثِقِ مِنْ عُيُونِ أَوْ حِيَاضِ
وَانْظُرْ مَنَاقِبَ ذِي الْحَقَا ثِقِ عَالِمِ الدُّنْيَا عِيَاضِ

وَإَكْرِعْ بِمَاءِ التَّعْرِيفِ زُلَالَا ، وَأَدِرْ كَأْسَ التَّشْرِيفِ حَلَالَا ؛ وَأُرَوِّ مِنْ هَذَا
النَّهْرِ ، وَأَقْطِفْ مَا شَتَّ مِنْ أَصْنَافِ الزَّهْرِ ؛ وَأَخْطِرْ هَذِهِ الرُّوضَةَ بِبَالِكَ ، وَأَدِرْ
إِلَيْهَا وَجْهَ قَبُولِكَ وَإِقْبَالَكَ ؛ ففَوِّقْهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِمُصِيبٍ ، وَلَا مِمَّنْ لَهُ فِي
الْإِجَادَةِ حِفْظٌ وَافِرٌ وَلَا نَصِيبٌ^(٣) ، فَمَنْ أَلْفَتْ فِيهِ تَحَسُّنٌ لِإِحْسَانِهِ وَتَنَالُ^(٤)
لِلرَّمَى الْخَصِيبُ :

سَلَامٌ مِثْلُ عُرْفِ اللَّسَكِ طَيِّبَا وَحُسْنًا مِثْلُ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ
عَلَى لَقَظِ الْجَلَالَةِ وَالْمَعَالَى إِمَامِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عِيَاضُ^(٥)
إِذَا مَا قِيسَ بِالْمَلَاءِ طُرَا غَدَا بِجَحْمَا وَأَخْصَا كَالْحِيَاضِ

(١) في ت : « قطعاً إلى محاسنها من تعلق من التاريخ الأهداب » . وهي
ظاهرة التعريف .

(٢) في ت : « يقرع » وهو تعريف .

(٣) في ط : « وافر ونصيب » .

(٤) أشير في هامش ط فوق هذه الكلمة إلى رواية لسغة أخرى ، وهي : « وترى » .

(٥) رواية الشطر الثاني من هذا البيت في ت : « ومعنى الحمد والعليا عياض » .

وكنت حين شرعت في هذا المجموع السامى ، وأطلمت على بعضه صاحبنا
الفقيه العلامة الأصيل الحاجّ الرّحال ، أبا الحسن سيّدى على بن أحمد العزّرجيّ
الشامى ، حفظ الله كماله ، وبلغه أماله ، خاطبني بقصيدة من نظمته ، أثنى الله ،
ألم فيها بذكر هذا الموضوع بما يقتضيه شرفه خلالّه ، وكرم جلاله ؛ وأشار فيها
إلى نقض عزم الرّحلة التي نويت إذ ذاك^(١) للمكان الشريف ، لأحرّمنّا^(٢) الله
من مشاهدته عن قرب ، في حفظ وعافية ، بمنّه ويمنّه . وهى هذه ، وأنشدنيها
من نظمه ، وكتبها بخطه ، وأرسلها إلى ، شكر الله صنيعه :

أُمُتُّى الغرب أبْدَقْتُ طَرَاظًا نَثَرْتُ فِيهِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ^(١)
وَنَظَّمْتُ حُقُودًا مِنْ لَآلٍ لِحَبِيدِ حُلَى اللَّائِزِ مِنْ عِيَاضِ
وَأَوْرَقْتُ عُصَوْنَ عُلاهِ لَمَّا سَقَاها فِكْرُكُمْ سَقَى الحِيَاضِ^(٢)
وَنَقَّصْتُ مَطَارِفَ مَا رَأَيْنَا كَطَرُهَا سَوَادًا فِي بِيَاضِ^(٣)
وَنَادَيْتُمْ حَقَائِلَهَا فَذَلَّتْ شَوَامِسُهَا إِلَيْكُمْ بِإِثْبَاطِ^(٤)
وَأَسْتَمْتُمْ مِنَ الْآثَارِ طُرًّا قَوَاعِدَ لَا تُسَاوِمُ^(٥) بِإِثْقَاطِ
لَكَ التَّيْبِيزُ فِي الصَّلِيَاءِ فَاقْضِ عَلَى عُلَمَائِهَا مَا أَنْتَ قَاضٍ

(١) فى ت : « ذاك » .

(٢) فى ت : « لا أحرّمنّا » .

(٣) المسبوع أن الفطمين (حرم ، وأحرم) يضلّيان بنفسهما إلى مفعولين .

(٤) الطراز : علم الثوب ، أى ما فيه من نقش .

(٥) جاء بالفعل « أورق » هنا متعدياً ، وهو لازم .

(٦) الطرة : نقش فى الثوب يخالف لونه ، يمتد على الجانبين .

(٧) المعائل : جمع عقيلة ، وهى التبيبة الكريهة ، والفوامس : جمع شاسة ، وهى الممتنة .

(٨) كذا فى ط . ولا تساوم بإثقاف ، أى لا يطعم فى نقضها ، من الساموة ، وهى المجاذبة بين البائع والمشتري . وفى ت : « لا تسام » ، إلا أن الوزن لا يمتثل بها .

تَبَدَّلْتُمْ بِهَا بَدْرًا وَحُزْنًا خِصَالِ سَبَاقِكُمْ^(١) دُونَ اغْتِرَاضِ
نِعْمَتُمْ بِالْكَامِلِ بَغِيرِ عَطْفٍ وَكُلُّهُمْ بِذَلِكَ التَّغْتِ رَاضٍ
وَمَا وَفَوْا بِحَقِّكُمْ وَلَكِنْ يُؤَدِّي الْبَعْضُ مِنْ بَعْضِ افْتِرَاضِ
بِعِلْمِكُمْ شَقِيقَتِ أَرْضِ غَرْبٍ وَكَانَتْ ذَاتَ أَحْشَاءِ مِرَاضِ
وَلَمَّا أَنْ بَدَأَ مِنْكُمْ فِرَاقٌ تَوَقَّعَتْ أَنْ يَتَوَلَّ إِلَى افْتِرَاضِ
وَأَنْ نَجُوهَا بِالْبَعْدِ يُجْحَشَى عَلَيْهَا مِنْ سُقُوطٍ وَأَنْقِضَاضِ
فَأَرْسَلَ شَاقِيًا خِلًّا حَسَّاهُ بِهَذَا الْبُعْدِ أُمْسَتْ فِي انْقِضَاضِ
يَذْكُرُكُمْ لِبَالَى نَوَارِثِ بِأَنْسِكُمْ . تُنْهَرُ دُجَى الْفَضَاضِ^(٢)
يَوَدُّ الطَّرْفُ يَجْعَلُهَا اكْتِحَالًا مَكَانَ سَوَادِهِ . دُونَ اغْتِرَاضِ
بِحَقِّ اللَّهِ لَا تُبْدِي دُجَاهَا بَنِيَّةَ بَدْرِكُمْ بِسَدِّ انْقِضَاضِ^(٣)
وَلَا تُهْمِلْ شِفَاعَةَ مُسْتَهَامٍ صَدُوقِ الْوُدِّ فِي آتٍ وَمَاضٍ
وَدُمْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا إِمَامًا وَتَحَرَّ هُدًى عُلُومِكُمْ فِي افْتِرَاضِ
يَعْمُ الْأَرْضُ مَا لَاحَتْ^(٤) بُدُورُ وَمَا فَاحَتْ أَزَاهِرُ فِي رِيَاضِ
يَكْتَرِعُ مِنْهُ الْمُلُوكُ عِلًّا وَنَهْلًا ، وَيَضْرَعُ فِي الْجَوَابِ رِقْلًا لَا قَوْلًا ؛ وَيُعِيدُ
السَّلَامَ الْقَامَ ، الزَّكَاةَ الْعَامَ ، عَلَى الْمَجْلِسِ الْعَلِيِّ ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتِهِ .
انْتَهَى مَا كَتَبَ بِهِ صَانَهُ اللَّهُ ، وَأَضْنَى عَلَيْهِ حُلَّالُ الْمَجْدِ .

(١) فِي ط : « سَبَاقِهِم » .

(٢) الْفَضَاضُ (بِالضَّم) : وَجَعٌ يَمِيبُ الْعَيْنَ (كَأَنَّ فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ) ؟ وَيريد بدعي
الْفَضَاضُ : مَا يَجِدُهُ الْمَرِيضُ بَعَيْنِهِ مِنْ سَوَادٍ خَالِكٍ .(٣) انْقِضَاضٌ : بَرِيضٌ وَلَسَانٌ ؟ وَهُوَ انْقِطَاعٌ مِنْ وَمَضٍ . وَفِي ط « انْقِطَاعٌ » ، وَالْمَعْنَى
مَا أُبْتِنَاهُ .

(٤) فِي ت : « مَا دَامَتْ » .

وقد ذُكرت في هذا الكتاب حكايات مختلفة ، وفنوناً مفيدة^(١) ، يزداد الناظر بها معرفة [حسباً^(٢)] جرت بذلك عادة كثير من الأئمة في مصنفاتهم ، ومجالس درّسهم . وقد قال الماوردي ، أفضى القضاة في كتاب آداب الدين والدنيا^(٣) : القلوب ترمّاح إلى الفنون المختلفة ؛ وذكر أن المأمون كان ينتقل في قصره من موضع إلى موضع ، ويُنشد قول أبي العتاهية :

[١١] لا يصلحُ النفسُ إذ كانت مُدبّرةً إلا التَّنقُّلُ من حالٍ إلى حالٍ^(٤)

وقال أبو حنيفة : الحكايات عن العلماء أحبّ إلى من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم . وقال الشيخ سيّدنا أبو القاسم الجنيد ، رضى الله عنه ، وقمنا ببركاته : الحكايات جُند من جنود الله ، يُقوّى الله بها أبدان الثريدين . وقال الإمام المواق^(٥) في كتابه السّمي «سند المهتدين»^(٦) عن شيخه المتنوّري ، بسنده إلى أبي العباس بن العريف ، قال : كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصّدّقي^(٧) أقرأ عليه الحديث ، قرأ يوماً الحديث ثم أغلق الكتاب وجعل

(١) في ت : « حكايات عظيمة ، وفنون بدية » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هو كتاب « أدب الدنيا والدين » كما في كتب الفهارس .

(٤) النفس المدبرة : الشغولة بالتفكير في الأمور .

(٥) كذا في ط . والمواق ، هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم خطيب

غزناطة . وفي ت : « المولق » وهو تحريف .

(٦) كذا في ط . وهو « سند المهتدين في مقامات الدين » . والكتاب محفوظ

بدار الكتب المصرية برقم ٨٣٥ تصوف . وفي ت : « سنن الهندي »

وهو تحريف .

(٧) هو القاضي أبو علي حسين بن محمد بن حيون بن فيرة الصديقي السمرقطي ، يعرف

بأبن سكرة وبأبن البراج . لم يكن بهرق الأندلس في وقته مثله في تهديد الحديث

وضبطه ، والمواق في روايته . توفي سنة ٥١٤ هـ . (راجع بنية المتنص للفضي ،

وقّع الطبيب المؤلف ، والصلة لابن بشكوال) .

يُحكى حكايات^(١) الصالحين ، فوقع في نفسي : كيف يُجيز الشيخُ أن يَقْطَعَ حديثَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، ويحكى الحكايات ؟ قال : فأتيتُ لي الخاطرُ حتى نَظَرْتُ إلى^(٢) الشيخِ شِزْرًا ، وقال : يا أحمد ، الحكاياتُ جُنْدٌ من جنود الله يُثَبَّتُ الله بها قلوبَ العارفين من عباده . قال : فما بَقِيَ في جَسَدِي شَعْرَةٌ إِلَّا قَطَرُ مِنْهَا العرق . فلما رَأَيْتُ دَهْشَتَ ، قال لي : يا أحمد ، أين مِصْدَاقُ ذَلِكَ من كتاب الله ؟ قلت : الشيخ أعلم ؛ قال : قوله تعالى : « وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ » الآية . انتهى .

وهذا آوانُ الشروع ، وعلى الله قَصْدُ السَّبِيلِ ، وهو حَسْبِي ونعم الوكيل .

(١) كُنا في ت وسند المهتدين . وفي ط : « حكاية » .

(٢) كُنا في سند المهتدين ، وفي الأصلين : « نظرتي » .

روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد^(١)

أقول ، وعلى الله أعتمد ، ومن بحر كرمه أستمد :
هذه ترجمة نذكر فيها أصله ومجتهده ، وأوليته ومولته .

قال الشيخ الإمام الرجال أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي^(٢) ، الملقب عند الوادي آشي بشمس الدين ، رحمه الله ورَضِيَ عنه :

هو عِيَاض بن موسى بن عِيَاض بن عمرو بن موسى بن عِيَاض بن محمد ابن عبد الله بن موسى بن عِيَاض اليَحْصَبِي السَّبْئِي . هكذا ذكر نسبه الشيخ أبو القاسم اللّاحي . وعمرون ، ثبت عنده بنون بعد الواو .

ووقع في مُعْجَم أصحاب الصّدِّيق ، للإمام الشهير القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله القَصَّاعِي ، المعروف بابن الأَبَّار : « عمرو » ، دون نون .

قلت : ونحوه لابن خاتمة^(٣) في الكتاب المسمّى بـ « مَزِيَّة المَرْيَّة » ، على غيرها عند ابن خاتمة من البلاد الأندلسية .

وقال الشيخ أبو القاسم بن الكلجوم :

إجتاز علينا القاضي عِيَاض عند انصرافه من سبتة قاصدا إلى الحضرة ، زائرا لأبي بداره^(٤) عشية يوم الاثنين الثامن لرجب ، سنة ثلاث وأربعين وخمس

(١) فيما سبق عند الكلام على تقسيم الروضات (ص ١٧ من هذا الجزء) : « العالم الفرد » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن علي الموارى ، من أهل المربة ، كان كفيف البصر ، وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب ، وصاحب البديعة المعروفة ببديعة المبيان . وقد رحل إلى المرق في طلب الحديث . والوادي آشي : نسبة إلى وادي آش (ويقال فيه : وادي الأشات) . وهي مدينة جليقة من أعمال غرناطة . (عن فتح الطيب) .

(٣) ابن خاتمة : هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري ، من أهل المربة ، يكنى أبا جعفر . (راجع الإحاطة وفتح الطيب) .

(٤) في ت : « في داره » .

عند ابن الكلجوم

مئة ، وفي هذه العشية استجرت^(١)ته ، وسألته عن نسبه ؛ فقال لي : إنما أحفظ : « عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض . وأحفظ أيضا بعد ذلك : محمد^(٢) بن عبد الله^(٣) بن موسى بن عياض . ولا أعرف أن محمدا هذا هو أبو عياض أو بينهما أحد » . انتهى كلام ابن الملجوم .

وقوله « اجتاز علينا » يعني بمدينة فاس ، وقوله « قاصدا إلى الحضرة » [١٢] يعني مرّا كُش .

وأفادني الشيخُ العارف المتبتّل ، الربّاني البرّكة ، سيدي حسين الزريرليّ أبقى الله برّكاته ، وأدام وجوده والنفع به :

نزوله بدار ابن
الفرديس

أن القاضي عياضا ، رضى الله عنه ، لما دخل الحضرة الفاسية ، حاطها الله ، نزل بدار ابن الفرديس الثّقليّ^(٤) برّقة حجامه ، حسبما أشار إليه ابن الأحرر ، ولم تزل هذه الدار إلى الآن بيد أولاد ابن الفرديس .

وقال نجلُ عياض الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عياض ، قاضي دانية^(٥) ، على ما قال ابن خلكان ؛ وقاضي غرناطة ، على ما قال^(٦) ابن قنفذ وغيره . ولعله تولى القضاء فيهما معا رحمه الله ، المتوفى سنة خمس وسبعين وخمس مئة :

عند ولده محمد

-
- (١) استجرتّه : طلبت منه أن يعيّنني ، أي يأذن لي بقراءة مؤلفاته ومروياته .
(٢) كذا في ت ومجمع أصحاب المصنف لابن الأبار ، وفيها سيأتي في الأصلين . وفي ط هنا : « أحمد » وهو تحريف .
(٣) لم يذكر ابن الأبار « عبد الله » في أجداد القاضي عياض .
(٤) هو محمد بن الفرديس قاضي فاس إذ ذاك . (انظر كتاب البستان لابن مرير طبع الجزائر صفحة ٥٤) .
(٥) دانية : مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية ، على ضفة البحر شرقا . (عن مجمع البلدان) .
(٦) في ط : « ما قاله » .

« كان أبي يقول : لا أدري : هل محمدٌ والد عياض ، أو بينهما رجل ؟ فهو جدّه » . انتهى .

وهو مثل ما حكى ابنُ الملجوم عن عياض ، كما سبق قريبا .
ورأيت في تاريخ الشمس ابنَ خلكان ، المسمى بـ «وفيات الأعيان» ،
في تعداد آباء القاضي عياض ، خلافَ ما سبق ؛ ولا أدري : هل ذلك تحريف
من الناسخ أو وهم من المؤلف ؟ ونصه : « عياض بن موسى بن عياض بن
موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي » . انتهى .
فأنت تراه قد أسقط « عمرو^(١) » فيما بين عياض وموسى ، وأسقط أيضا
« عبد الله » فيما بين « محمد » و « موسى » .

وقد واقفه على إسقاط « عبد الله » الشيخُ العلامة ابن خاتمة في « مزيّة
المرية » ، فإنه قال في باب العين ما نصه : « ومن الثرباء : عياض بن موسى
ابن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض
اليحصبي^(٢) » . انتهى .

على أن ابنَ خلكان وغيره من المشارقة ربما يقع لهم القلط في تاريخ أهل
المغرب ، لبعد الديار ، ولغير ذلك ، مما لا يخفى على من مارس علم التاريخ ؛ كما
أن كثيرا من المغاربة لا يحجرون تاريخ المشارقة ، لما ذكرناه ؛ ولذا قال شيخ
الإسلام ابن حجر^(٣) في تأليفه المسمى بـ « إنباء الفهر ، بأنباء الفهر » حين عرّف

(١) التي في وفيات الأعيان لابن خلكان المطبوع يخالف ما ذكره المؤلف ، إذ فيه :

« عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن
عياض اليحصبي السبق » بذكر « عمر » في مكان « عمرو » .

(٢) وواقفهما أيضا ابن الأبار في مجبه على إسقاط اسم « عبد الله » من نسب عياض .

(٣) هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي ، الشهير بابن حجر السقلاقي ،

المولود سنة ٧٧٣ هـ ، والمتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

في عن ابن
خلكان وابن
خلدون

عند ابن خاتمة
أيضا

بشيخه وليّ الدين بن خلدون الحَضْرَمِيّ القاضِي القضاة المالكية ،
بالديار المصرية ، وهو صاحب التاريخ الكبير للشهور ، للوسوم : « ديوان العِزّ ،
وكتاب المبتدأ والخبر ، في تاريخ العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من
ذوى السلطان الأَكْبَر^(١) » مانصه :

« وصنف التاريخ الكبير في سبع مجلدات ضخمة ، ظهرت فيه فضائله ،
وأبان فيه عن براعته ، ولم يكن مطلقاً على الأخبار على جِلَّتِها ، ولا سِيّاً
أخبار^(٢) المشرق ، وهذا^(٣) يبين لمن نظر في كلامه » . انتهى .

وإن هذا الكلام وقول^(٤) الشيخ^(٥) شمس الدين البغدادى في الشيخ
وليّ الدين عبد الرحمن بن خلدون المذكور ، رحم الله الجميع :

قاضى القضاة ابنُ خلدونِ أُنِي عَجَبَا تَارِيخَهُ مُخْبِرٌ عَنْ سَائِرِ الدُّوَلِ
قَالُوا وَلِيٌّ قَتَلْنَا مِنْ كَرَامَتِهِ وَكَشَفَهُ جَاءَ يُنَبِّئُنَا عَنِ الْأَوَّلِ^(٦) [١٣]
وَلَيْسَ بِذُءَا وَلَا فِي اللَّهِ مُمْتَنِعَا أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ الْكُلِّيَّ فِي رَجُلٍ^(٧)
وبالجملة فما ذكرنا أولاً في تعداد آباء القاضى عياض ، رحمه الله ، هو الذى

(١) اسم الكتاب على النسخة المطبوعة ، وفي كسف الظنون ، وفي نفع الطيب :

« كتاب البر ، وديوان المبتدأ والخبر ... الخ » .

(٢) كذا في ط وإنباء النمر . وفي ت : « أخبار أهل المشرق » .

(٣) كذا في ط وإنباء النمر المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٧٦ تاريخ .
وفي ت : « وهو » .

(٤) في ت : « من قول » .

(٥) هذه الكلمة : « الشيخ » ساقطة في ت .

(٦) يشير بقوله : « ولي » إلى لقب ابن خلدون وهو : « ولي الدين » .

(٧) ينظر في هذا البيت إلى قول أبي نواس :

ليس على الله يستنكر أن يجمع العالم في واحد

عليه المولّد ، وعليه أعتد ولده ، وابن الملجوم ، وابن بشكّوال ^(١) ، وابن جابر ، وابن الخطيب في « الإحاطة » ، وغير واحد ؛ وكفى بهؤلاء حجة . وناهيك بولده وابن الملجوم ، الذي أخذ ذلك من لفظه ، حسبما سبق آتقا ؛ وهو الصواب الذي لا يُعَدّل عنه ، والله تعالى أعلم .

الكلام في ضبط
« اليحصبي »

والْيَحْصَبِيُّ ، بضم الصاد وكسرهما ، وزاد بعضهم فتحة ^(٢) ، ونحوه لابن خلكان ؛ واقتصر بعضهم على الكسر قائلا : وهو الصواب ، بناء على أنها ، أعنى القَبيلة ، يَحْصَب ، بكسر الصاد ، كتغلب . ولا أشك أن النسب إليه إن كان بكسر الصاد : يَحْصَبِي ، بالكسر كتغلب ^(٣) ؛ وأما ضم الصاد في النسب ، فهو مبنى على أن « يَحْصَب » بضم الصاد ^(٤) في الحى . قال ابن سيده في مُحْكَمه : وَيَحْصَب : قبيلة ، وإنما هى يَحْصَب ، يعنى بضم الصاد ، نُقِلَتْ من قولك : حَصَبَهُ بالحصى يحصبه ؛ قال ابن جابر : وليس بالقوى ^(٥) .

ويَحْصَب : من حَمِير ، وهو يَحْصَب بن مُدْرِك ، حسبما هو مذكور في كتب الأنساب .

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي الفضل عياض :

محمد بن عياض
يخبر عن موطن
أجداده

- (١) لم يذكر ابن بشكّوال في الصلة غير : « عياض بن موسى بن عياض اليحصبي » .
- (٢) زيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيكون مثلثا ، ونقل الثلاث الجعري في شرح الفاطمية ، وابن مالك في مثله ، وغيرها » .
- (٣) يجوز في النسب إلى تغلب ونحوه كسر التاء وفتحه . وزيد في هامش ط عند هذه الكلمة : « فيه نظر يعلم من شرح الشفاء للسهاب . وفي كتب الصرف في التسهيل : الفتح ، وهو الجارى على قواعد النسب وإن كان بالكسر ، كأه كسر ونحوه » .
- (٤) في ط : « يعنى بضم الصاد » .
- (٥) أى أن جبل الفيل من باب نصر ليس بالقوى ، وإنما القوى فيه أنه من باب ضرب .

« استقر أجدادنا في القديم بحجة بسطة ^(١) ، من بلاد الأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، فلا أذرى أكان قبل أستقرارهم بالأندلس أم بعده ؟ ولذلك يقول عبد الله بن حكيم :

وكانت لهم بالقيروان مآثر عليها لمحض الحق أوضح برهان
قال :

وكان « عمرو » والد جد أبي ، رحمه الله على جميعهم ، رجلاً خيراً صالحاً ، من أهل القرآن ، حجّ إحدى عشرة حجة ، وغزا مع ابن أبي عامر ^(٢) غزوات كثيرة ، وانتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبتة ، بعد دخول بني عبيد ^(٣) المغرب ، وكان سبب ذلك أنه كان له ولأبيه نباهة بمدينة فاس ، فأخذ ابن أبي عامر رهناً من أعيان مدينة فاس ، فأخذ فيهم أخو « عمرو » : عيسى والقاسم ، فخرج عمرو إلى مدينة سبتة ، ليقرب من أخبارها بمدينة قرطبة ، فاستحسن سكناً مدينة سبتة ، وكان مؤسراً ، فاشتري بها ^(٤) أرضاً ، وهي المعروفة بالمنارة ، فبنى في بعضها مسجداً ، وفي بعضها داراً ، حبسها على المسجد ، وهو حتى الآن منسوب إليه ، وحبس باقي الأرض للدفن ، ولم يزل منقطعاً في ذلك المسجد إلى أن مات ، رحمه الله ، سنة سبع وتسعين وثلاث مئة . ووُلد له قبل وفاته بيسير ابنه عياض ، ثم وُلد لعياض ابنه موسى ، ثم ولد لموسى ابنه

(١) بسطة : من أعمال جيان . (عن تقويم البلدان) .

(٢) هو المنصور محمد بن أبي عامر الماغري الوزير الحاجب في دولة المؤيد هشام بن الحكم المستنصر الأموي . كان من أهل الفقه والخنكة والدهاء ، وأبلى في محاربة الإسبان أعظم البلاء .

(٣) يريد الفاطميين أولاد عبيد الله المهدي .

(٤) زيادة عن ت .

عياض ، أبى ، رحمهم الله أجمعين ؛ وذلك ، فيما رأيته بخطه ، فى النصف من شعبان عام ستة وسبعين وأربع مئة بسبته . انتهى .

والسبتي : نسبة إلى سبته ، مدينة بساحل بحر الزقاق ، مشهورة ، شىء عن سبته ، واختلف فى سبب تسميتها بذلك ، فقيل لانتقطاعها فى البحر ، من قولك : سببت النمل : إذا قطعته^(١) ، وقيل لأن غتطها هو سبت بن سام بن نوح ، وإلى هذا الأخير ينظر قول لسان الدين الوزير الشهير ، العلامة أبو عبد الله بن الخطيب السلماني القرطابي ، رحمه الله ، من قصيدة :

حُبَيْتْ يَا مَحْتَطَّ سَبْتِ بْنِ نُوحٍ بَكْلَ مُزْنٍ يَفْتَدِي أَوْ يَرْوُحُ
مَعْنَى أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ الَّذِي أَخَعَتْ بِرَبَّاهُ رِيَاضُ^(٢) قَوْحُ
وفيهما يقول الأديب أبو الحكم مالك بن المرحل ، من قصيدة طويلة
بديعة^(٣) جداً ، مطلعها :

سَلَامٌ عَلَى سَبْتَةِ الْغَرْبِ أَخِيهِ مَكَّةَ أَوْ يَثْرِبِ
وفى مدحها يقول أيضاً رحمه الله :
أَخْطَرُ عَلَى سَبْتَةٍ وَأَنْظَرُ إِلَى جَاهِلِهَا تَصْبُو إِلَى حُسْنِهِ
كَأَنَّهَا عُرْدُ غِنَاءٍ وَقَدْ أُلْقِيَ فِي الْبَحْرِ عَلَى بَطْنِهِ
وقال الصِّجَارِيُّ فِي الْمُسْتَهَبِ :

« أول من سكن برّ المدوة وبرّ الأندلس من ولد نوح بعد الطوفان ، سببت وأندلس ابناً^(٤) يافث بن نوح ، فنزل سببت فى آخر المعمور من برّ المدوة ،

(١) فى ط : « قطعه » . والمروى أن النمل مؤنثة .

(٢) فى ت وفتح الطيب : « رياضا » .

(٣) هذه الكلمة « بديعة » ساقطة فى ت .

(٤) فى ط : « ابن » وهو غريرف .

وبنى له منزلاً في موضع سَبْتَة ، فُدْعِيَتْ ^(١) باسمه ، وتناسلت منه قبائل البربر ، واتسعت في بَرِّ السُدُودِ إلى أن بلغت إلى فِلَسْطِينَ ، وكان مَلِكُهم يسمي جالوت ، وكان مَجُوسِيًّا ، وهزَمَهُ طالوت ، وقتله داوُدُ ، فانضَمَّت البربر عن فِلَسْطِينَ ، وعن الديار المصرية ، واقتصرت من بَرِّقَةِ إلى آخر المعمور ؛ وسكن أخُوهُ أُنْدَلُس [مقابلاً له في ^(٢)] انتهاء المعمور ، فعرفت باسمه « . انتهى .
وأكثر بلاد السُدُودِ في الإقليم الثالث ^(٣) ، وفيه حَضَرَتها مَرَاكُشُ ، وما قارب منها الأندلس كَسَبْتَة ^(٤) وما قرب منها في الإقليم الرابع .

قال ابن سعيد :

« ولا يُطالَب في هذا البر بما صنعناه في الأندلس ^(٥) ، فأهل الأندلس إما عرب أو متعربون ^(٦) ، قد توارثوا قوام اللسان ^(٧) وحافظوا عليه ، وأهل بَرِّ السُدُودِ إما بَرِّ بَرٍّ أو مُتَعَرِّبُونَ » . اهـ .

وفي وصفها يقول لسانُ الدين بن الخطيب في مقامة وصف البلدان :

« قلت : فمدينة سَبْتَة ؟ قال : تلك عروس المَجْلَى ^(٨) ، وَنَيْبَةُ الصَّبَاحِ الأَجَلِ ؛

وصف ابن
الخطيب لسبته

(١) في ت : « فُعرفت » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) هذا حسب التقسيم الجغرافي القديم . (انظر تقويم البلدان لأبي الفداء ، ومساكن الأبحار للمعري ، ونزهة المشتاق للإدرسي) .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « وما قاربها منها الأندلس كَسَبْتَة في الإقليم الرابع » .

(٥) في ت : « في هذا الفن عما صنعنا بالأندلس » .

(٦) كذا في فتح الطيب (ج ١ ص ٦٣ طبع مصر) . وفي الأصلين : « فكان أهل الأندلس إما عرب أو متعربون » .

(٧) كذا في فتح الطيب وفي ط : « أنوام الأندلس » . وفي ت : « قدام الأندلس » ولا يستقيم بهما الكلام .

(٨) في ط : « مجلى » .

تَبَرَّجَتْ تَبَرَّجَ الثَّقِيلَةِ ، ونظرت وجهها من البحر في المرأة الصَّغِيرَةِ ، واختصَّ ميزانُ حسناتها بالأعمال الثَّقِيلَةِ ؛ وإذا قامت بِيضُ أسوارها^(١) ، وكان جبل بليولش^(٢) تَهْمَامَةً أزهارها^(٣) ، والنَّارَةُ منارةً أنوارها ؛ فكيف^(٤) لا ترغب النفوس في جوارها ، وتَهَمُّ الخواطر بين أمجادها وأغوارها ؛ إلى الليناء الفلكية ، والمرافق الملكية^(٥) . والزَّكِيَّةُ^(٦) الزَّكِيَّةُ ، غير المتزورة^(٧) ولا البكية^(٨) . ذات^(٩) الوقود الجَزَلُ ، الممدَّد للأزَلُ^(١٠) ، والفُصُور المقصورة على الجَدِّ والهزل ؛ والوجوه الزُّهْر السَّخَنُ ، المَضْنُون بها عن اللَّحْن ؛ دار الناشبه^(١١) ، والحامية المضمرة للحرب النُاشِبَة^(١٢) ؛ والأسطول المرحوب ، المحظور الألهوب^(١٣) ، والسَّلاح المكتوب الحسوب ، والأثر المعروف المنسوب ؛ كرسى الأمراء والأشراف ، والوسيطه ، لخامس أقاليم البسيطه ، فلا حظَّ لها في الانحراف ؛

[١٥]

- (١) في ت : « أسوارها » وهو تحريف .
- (٢) كذا في تهووم البلدان لأبي الفداء إسماعيل ، والمغرب ، في بلاد إفريقية والمغرب ، للبكري ، وفي نفع الطيب للمؤلف في بعض مواضع ، وفي الاستبصار ، في عجائب الأمصار ، عند الكلام على سبتة ، وفي الأصلين هنا وفيها سيأتي : « بليولش » .
- (٣) الشامة : ما ينشعب من الأرواح الطيبة . يريد أن جبل بليولش أعطر رياضها .
- (٤) في الأصلين ونفع الطيب : « كيف » .
- (٥) في ت : « الفلكية » .
- (٦) الزكية : البثر . ورواية هذه الكلمة في الأصلين « الذكية » وظاهر أنها محرفة عما أبتناه . وعين عليه فريتنا « المتزورة والبكية » بعده .
- (٧) المتزورة : الثقليلة الماء .
- (٨) البكية : الثقليلة الماء . ورواية هذه الكلمة في الأصلين : « البكية » وظاهر أنها محرفة عما أبتناه .
- (٩) يريد سبتة .
- (١٠) الأزل : الضيق والشدة .
- (١١) كذا في ت . والناشبة : القوم الذين يرمون بالنشاب ، أي النبل .
- (١٢) يقال : ناشبه الحرب ، أي نايفه .
- (١٣) الألهوب (هنا) : السطو والبطش ، مأخوذ من ألحوب الفرس ، وهو اضطرامه في عدوه .

بَصْرَةَ علوم اللسان ، وصَنْعَاءَ الحُللِ الحسان ، وثمرَة امتثال قوله : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » ، الأَمِينَة على الأَخْزَانِ ، القَوِيمة للمَكْيَالِ والمِيزَانِ ، مَحْشَرُ أَنْوَاعِ الحَيَاتَانِ ، وَحِطُّ قَوَافِلِ العَصِيرِ والحَرِيرِ وَالسَّكْتَانِ ، وكَفَاها السَّكْنَى بِبَيْلُونِش في فصول الأَزْمَانِ ، ووجود المسَاكِنِ النَبِيهة بِأَرْخَصِ الأَثْمَانِ ؛ وَالتَّدْفِنِ المَرْحُومِ غَيْرِ المَرْحُومِ ، وَخَزَانَةِ كُتُبِ العلوم ^(١) ، وَالْآثَارِ الْمُثْبِتَةِ عَنْ أَصَالَةِ الحُلُومِ ؛ إِلَّا أَنَّهَا فَاعِرَة الْأَفْوَاحِ لِلجَنُوبِ ^(٢) ، لِلغَيْثِ الْمُضْطُوبِ ، عُرْضَة لِلرِّيَاحِ ذَاتِ الهُبُوبِ ، عَدِيمَة الحَرِّثِ قَفِيرَة مِنَ الحُبُوبِ ، ثَمَرُ تَنْبُو فِيهِ المَضَاجِعِ الجُنُوبِ ، وَنَاهِيكَ بِمَحْسَنَةِ تَعَدٍّ مِنَ الذُّنُوبِ ؛ فَأَحْوَالُ أَهْلِهَا رَقِيقَة ، وَتَكَفُّفُهُم ظَاهِرٌ مِمَّا ظَهَرَتْ وَلِيمة أَوْعَيقِهِ ^(٣) ، وَاقْتِصَادُهُم لَا تَلْتَبِسُ مِنْهُ طَرِيقُهُ ، وَأَنْسَابُ نَفَقَاتِهِمْ فِي تَقْدِيرِ الْأَرْزَاقِ عَرِيقُهُ ؛ فَهَمُ يَصْصُونَ الْبُلَالَةَ مَصْنُوحَاتِ الصَّحَاجِمِ ^(٤) ، وَيَجْمَلُونَ الخَبْزَ فِي الْوَلَاثِمِ بِعَدَدِ الحَاجِمِ ، وَفَتَنَتُهُمْ بِبِلَدِهِمْ فَتَنَةُ الْوَاخِمِ ، بِالْبَشِيرِ المَهَاجِمِ ^(٥) ، وَرَاعِي الجَدِيدِ بِالمَطَرِ السَاجِمِ ^(٦) ؛ فَلَا يَفْضُلُونَ عَلَى مَدِينَتِهِمْ مَدِينَهُ ، الشُّكَّ عِنْدِي فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ . اِتْمَهَى .

قلت : وَلَعَلَّ عَرَضَ بَقُولِهِ : « الشُّكَّ عِنْدِي فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ » ، بِقَوْلِ مَالِكِ بْنِ الرُّحَلِ : « أَخِيَّةُ مَكَّةَ أَوْ يَثْرِبَ » . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ كَثِيرًا مَا يَنْزِلُ فِي وَجْهَاتِهِ التَّغْرِيبَةِ ، عِنْدَ الشَّرِيفِ الشَّهْهَرِ ، سَيِّدِي أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ سَيِّدِي مُحَمَّدَ ، ابْنَ سَيِّدِي أَحْمَدَ ،

المصريف أبو
العباس وحفاته
بأبن الخطيب

(١) هذه المِبارَة : « وَخَزَانَةِ كُتُبِ العلوم » . ساقطه في ت .

(٢) في ت ونفع الطيب : « أَفْوَاحِ الجُنُوبِ » .

(٣) المَقِيَّة : الطَّامُ يَدْعَى إِلَيْهِ النَّاسُ عِنْدَ حَلْقِ شَعْرِ المَوْلُودِ .

(٤) الحَاجِمُ : جَمْعُ مَحْجَمٍ ، أَوْ مَحْجَمَةٌ ، وَهِيَ شَبْهُ الكَلَسِ يَمَسُّ بِهِ النِّمَّ مِنَ الجِسْمِ .

(٥) في ت : « المَهَاجِمِ » .

(٦) المَطَرُ السَاجِمُ : القَلِيلُ .

ابن سيدى طاهر^(١) ، ابن سيدى رفيع ، ابن سيدى على المدعو بالمكين ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى على ، ابن سيدى أبى الطاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن [سيدى]^(٢) مؤهوب ، ابن سيدى أحمد ، ابن سيدى محمد ، ابن سيدى طاهر ، ابن سيدى الحسين ، ابن مولانا على ، المدعو بالمهادى ، ابن مولانا محمد ، المدعو بالجواد ، ابن مولانا على الرضا ، ابن مولانا موسى ، المدعو بالكاظم ، ابن مولانا جعفر الصادق ، ابن مولانا محمد الباقر بن زين العابدين ، ابن مولانا على ، ابن مولانا الحسين الشهيد^(٣) ، ابن مولانا أمير المؤمنين ، مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وتنعنا ببركة هؤلاء السادات ، الذين سرّذنا أسماهم تير كاجها . قال صاحب كتاب « الكواكب الوقادة » ، فى ذكر من دُفن فى سبّنة^(٤)

من العلماء والصلحاء القادة :

« كان هذا السيّد الشريف يُوسّع ابن الخطيب إكراما ، وكان من عادة الشريف المذكور أن يخرج إلى بساتينه فى المصيف بقرية بليونس ، كمنية [١٦] العبا ، وجنة الحافة ، ويجلس فى القبة السامية المطلة على البحر بمحنة الحافة ، ويجعل الطريق تحته ، فإذا رأى جماعة سائر من أى صنف كانوا ، من التجار أو الغرباء أو البلديين ، يوجّه رجاله إليهم ، ويقدم لهم الطعام ، ويرتاح إلى ذلك ، ويُسرّبه ، ويؤنّس كلّ بما يُناسبه ، من ذكر عيون أخبار بلده^(٥) ، وخاصية قطره ، وما يجرّ إلى ذلك ويرجع إليه ، من بديع الحكايات ، ولطيف

(١) فى ت : « الطاهر » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) فى ط : « الصهير » .

(٤) فى ت : « بسينة » . واسم هذا الكتاب فى البستان لابن مريم (ص ٣١٤) :

« الكواكب الوقادة » ، فمن كان بسينة من العلماء والصلّحين القادة .

(٥) فى ت : « بلاده » .

النواذر ؛ ثم يأمر بإدارته على تلك البساتين ، ورؤية ما بها من المصانع ^(١) ، ثم يبعث وراء آخرين ، ويُنزل كل واحد منزلته ؛ ويفيب ^(٢) عن يُجعله حضوره ؛ ويُفصى عن مُداعبة إن وقعت ، ويتجاهل الهفوة إن بدرت . وكان يُخرج الوزير ابن الخطيب — عند نزوله عنده — إلى هذه القرية البليونشية .

شعر لابن الخطيب
في بليونش

ومن بديع نظم ابن الخطيب فيها :

بليونشُ أَسْنَى الْأَمَاكِنِ رُضَةً وَأَجَلُّ أَرْضِ اللَّهِ طُرًّا شَانَا
هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا الَّتِي مَنْ حَلَّهَا ^(٣) نَالَ الرِّضَا وَالرَّوْحَ وَالرَّيْحَانَا
قَالُوا الْقُرُودُ بِهَا قَلَّتْ فَضِيلَةٌ حَيَوَانُهَا قَدْ قَارَبَ الْإِنْسَانَا ^(٤)
وَفِيهَا يَقُولُ الْقَاضِي عِيَاضُ ^(٥) :

شعر لعياض
فيها أيضا

بَلْيُونُشُ جَنَّةٌ وَلَكِنْ طَرِيقُهَا يَقْطَعُ النَّيَاطَا
كَبْكَنَةُ الْخُلْدِ لَا يَرَاهَا إِلَّا الَّذِي ^(٦) جَاوَزَ الصَّرَاطَا

ونقلتُ من خط ابن حَيَّان ^(٧) — بعد كلام في سَبْتَةِ — ما نصّه :

وصف ابن
حيان لها

« ومتنزهاتها أعظمها بليونش ، تحتوى على مياه عيون ، وأودية ، ومتنزهات ، وأبنية عظيمة ؛ وفيها من جميع الأشجار والثمار » .

(١) المصانع : جمع مصنع ، أو مصنعة (بفتح النون وضها) ، وهي شبه الحوض يجمع فيها ماء المطر ؛ والمصانع (أيضا) : الباني من التصور ونحوها .

(٢) في ت : « وينيب » .

(٣) في ت : « من شأنها » . ولا يستقيم بها الكلام .

(٤) قال في الاستبصار : « وعلى قرية بليونش المذكورة جبل عظيم فيه الفردة » . وسيعرض للؤلؤ فلما بعد قليل .

(٥) نسب هذان البيتان في تهويم البلدان لابن عياض .

(٦) كذا في تهويم البلدان . وفي الأصلين : « إذا » ، وما أُنبتناه أظهر .

(٧) في الأصلين : « أبي حيان » وهو تحريف .

شعر المتنقي
فيها أيضا

وفيها يقول أبو الحجاج التنصيني^(١) :

بَلْيُونش شَكْلُهَا بَدِيعُ أَفْرِغْ فِي قَالِبِ الْجَمَالِ^(٢)
فِيهَا الَّذِي مَا رَأَتْهُ عَيْنِي يَوْمًا وَلَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي^(٣)
طَرِيقُهَا كَالصَّدُودِ لَكِنْ تَعْقِبُهُ لَنَّةٌ الْوِصَالِ^(٤)

شعر الكليلي فيها

قال ابن رشيد :

وَأُنْشِدُنِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَلِيلِي^(٥) قَاضِي
أَزْمُور^(٦) فِيهَا :

بَلْيُونش كُلُّهَا عَذَابٌ^(٧) فَالْمَشَى فِي سُبُلِهَا عِقَابٌ^(٨)
يَكْنُفُهَا شَامِخٌ مُنِيفٌ كَأَنَّهُ فَوْقَهَا عِقَابٌ
وهذا الشامخ يعرف بجبل موسى . [وإليه أشار التنصيني^٩ في مخمسة :
وَطَوَّدُ مُوسَى^(٩)] لها تاج على الراس

وبهذا الجبل معتبد مبارك ، وبساحله مَطِطَسُ التَّرْجَانِ ، ومن عجائب هذا
للتعبد أن من دخله من ليس له أهلاً فإنه يجد في عنقه^(١٠) صَفْعاً إلى أسفل الجبل ؛
وهو مسيرة ثلاثة أميال ، وهو من سَبْتِهِ على تسعة أميال ، وبهذا الجبل مغشاً

(١) نسبة إلى « منصف » بفتح الميم والصاد ، من قرى بلنسية .

(٢) في ط : « في قالب كمال » .

(٣) لم ترد صيغة « اختر » في القاموس وشرحه ولا في اللسان ولا في الأساس .

(٤) في ط : « من الصدود لكن » وهو تحريف .

(٥) في ت : « الأبي » .

(٦) أزموور (بفتح الهززة والزاي المعجمة وتشديد الميم ثم واو وراء هجمة) : من مدن
بر المدوة على ميلين من البحر . (عن تقويم البلدان) .

(٧) في ط : « عقاب » .

(٨) في ط : « عذاب » .

(٩) زيادة عن ت .

(١٠) في ط : « في شقه » .

القرود ، وهو مستشرف على بعض الأندلس . وبسبقة مدرسة بناها أبو الحسن الشاربي^(١) ، ووقف بها كتباً عظيمة .

وبموضع يقال له التوتة يوجد كثير من الياقوت الأحمر^(٢) دقيق^(٣) . ومن عجائبها أن البلارج^(٤) لا تمش فيها^(٥) ، ولما تخطر عليها . ويقال إنها^(٦) بناها سبت بن سام بن نوح ، وإنه دعا لها باليمن والبركة ، ورووا في ذلك حديثاً عن مالك عن نافع عن ابن عمر . قال عياض : وأبرأ أنا من عهدته ، وقد خرج في الغنية ، ولذلك قال بعض الشعراء :

فكل جبار إذا ما طغى وكان في طغيانه يُشرفُ
أرسله الله إلى سبتة فكل جبار بها يُقصفُ
أنشدهما أبو عبد الله محمد بن حمادة [البرنسي^(٧)] ، قال أبي لأمه^(٨) ، في كتابه
المسمى بـ «المقتبس» ، في أخبار المغرب والأندلس .

شعر المتنفي فيها

ومن نظم المتنفي في بليونش من قصيدة :
انظر إلى نضرة زهر الزبنا . كأنه وثني على كاعب
ومتع الطرف بيليونش ومائها المنبعث الساكب
تشارك الحسن في وصفها تشارك المين مع الحاجب

(١) في ت : « الشاربي » .

(٢) في ت : « كسر من الياقوت السم » .

(٣) كذا في ت : وقد وردت هذه الكلمة مطبوسة في ط .

(٤) البلارج : القفالي . (عن تكملة المسجات العربية لدوزي) .

(٥) في ت : « بها » .

(٦) في ت : « لانه » .

(٧) زيادة عن ت . والبرنسي : لسبة إلى برنس (بوزن قنذ) : قبيلة من البربر ، سميت

بهم مساكنهم .

(٨) في ت : « قال أبي لأمه » . وهو تحريف .

وقد أَرْتَنَا^(١) اليومَ من حُسْنِهَا ما لم يكن في زَمَنِ الحَاجِبِ
— والحَاجِبِ : أحد^(٢) ملوك سبته ؛ [وله عمل ابن مِرَانَةَ^(٣) قصيدة في
الكوائن والحوادث^(٤)] —

فَعَالَةٌ بِالطَّبِيعِ فِي أَهْلِهَا ما تَفْعَلُ الْقَهْوَةُ بِالشَّارِبِ
تُذَكِّرُ الشَّيْخَ زَمَانَ الصَّبَا وتُقْسِدُ^(٥) التَّوْبَةَ لِلنَّائِبِ
وله :

انظر إلى بَهْجَةِ بَلْيُونِشٍ وحُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ اللَّامِعِ
تَحْكِي الثَّرِيًّا عندما أُسْرِجَتْ بَلِيلَةُ الْخَتْمَةِ في الجامع^(٦)

ولما قُتِلَ السلطان الأشهر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر من المغرب ،
حين رجوعه إلى بلده^(٧) مع قاضي حَضْرَتِهِ غَرْنَاطَةَ ، أبي الحسن علي بن الحسن ،
المعروف بالتَّبَاجِي شَيْخِنَا ، ووزيره أبي عبد الله بن الخطيب ، صنع له ضيافة
مُلوَكِيَّةً^(٨) بالْمُنِيَّةِ ، من قرية بَلْيُونِشٍ المشار إليها ، حيثُ القصر هنالك ، وعُصْصِرَ

(١) في ت : « رأيتا » .

(٢) في ت : « آخر » .

(٣) كذا في مصحف البلدان طبعة أوربة عند الكلام على سبته . وفي ت : « مرانة »
بالتاء المثناة الفوقية .

(٤) زيادة من ت .

(٥) في ط : « وتكسر » .

(٦) في ت : « بالجامع » . ولعله يريد ببلية الختمة ما يفعله أهل المغرب من الاحتفاء
بهم حفظ القرآن أو تفسيره أو ختم صحيح البخاري في حفل عام بالمساجد تغناء له
الأشعار ، ويحضره الناس خاصتهم وعامتهم . وقد أفاض في شيء من ذلك ابن أبي دبنلو
في كتابه « المونس » في أخبار إفريقية وتونس .

(٧) في ت : « ملكه » .

(٨) كذا هنا وفيما سياتي . والنسبة إلى الملوك : « ملكي » ، وشاع على أقلام بعض
الكتاب كالجاحظ : « ملوكي » .

مثل من كرم
الغريف
أبي العباس

الماء المختص بها . ومن هناك ركب البحر ليلا ، وذلك في جمادى الأخرى ^(١) من عام ثلاثة وستين وسبع مئة . وفي الحادى والعشرين من الشهر المذكور دخل دار ملكه حمراء غرناطة ، وأكل من فضل هذه الضيافة معظم من كان بالقرية ، من قوى وضعيف ، ورفيع ووضيع .

ثناء أبى الحسن
النباهى على
المريرى وهى
عنه

وكان شيخنا القاضى أبو الحسن المذكور يُثْنِي عليه ، ويُعْظِمُه تعظيما يليق بمثله ، ويقول فى أثناء حديثه : فعل أبو العباس الشريف صاحب سبته كذا ، وصنع كذا . ولم تزل حالته هذه ، رحمة الله عليه ، إلى أن أسنَّ وأُقْعِدَ ، فزَمَ منزله ثلاث سنين ، من غير أن يَنْقُصَ ذلك من مَنْصِبِهِ شيئا ، ولا من انتفاع الناس به ؛ وكان أبيضَ اللون ، حسنَ الهيئة واللِّبَسِ ، يَخْضِبُ بِالْحَنَاءِ ؛ وَتَوَفَّى فى زَمَانَتِهِ وقد نَيْفَ على ^(٢) الثمانين ، عامَ ستة وسبعين وسبع مئة ، وله الآن قرابة بمدينة فاس بِقَيْدِ الحِياةِ » .

[١٧]

انتهى كلام صاحب الكواكب الوقادة باختصار ، وبعضه بالمعنى .

ومن نظم هذا الشريف ، مما أمر به أن يُنْقَشَ بالقبة المذكورة آنفاً فى معنى الاستعاذة :

شعر لمريرى

وَتَيْتُ بِاللّهِ رَبِّى وَحَسْبَى اللّهُ حَسْبِى
وَاللّهُ كَافٍ وَوَاقٍ وَدَافِعٌ كُلَّ خَطْبٍ
وَلَسْتُ أَخْشَى إِذَا مَا وَتَيْتُ بِاللّهِ رَبِّى
بَلَيْتُ فِيهَا مُرَادَى مُهِتًا مَعَ صَحْبِى
وَالْخَمْسُ تَفَقُّأ عَيْنًا لِكُلِّ حَاسِدٍ نَذْبٍ ^(٣)

(١) فى ط : « الآخر » .

(٢) فى ط : « من » وهو تحريف .

(٣) النذب : الخفيف فى الحاجة الظريف .

حفاوة أبي عنان
بالغريب أبي
العباس ومثله
في سبتة

وكان السلطان المرحوم أبو عنان فارس ، ابن السلطان أبي الحسن القرينيّ يُجِلُّ هذا الشريف ، ويعترف له بالفضل ، ويعطيه العطاء الجزل ، وكان يستدعيه كل سنة إلى حضرته فاس ، لحضور المولد السعيد ، الذي سنّه ببلاد المغرب الشيخ أبو العباس القرنيّ ، وتلك السنّة باقية إلى الآن بحسن نيّته ، واعتناؤه بالجناب العلّيّ^(١) ، نفعه الله بذلك ، ويخلع عليه الخلع اللوكيّة ، ويُعَدُّ له ديناراً مسكوكاً يُصْنَعُ بمدينة مراكش ، زِنْتُهُ مئة دينار ذهباً ، يدفع له ذلك مع جائزته ، إلى غير ذلك مما كان يُتَحَفُّ به ، رحمه الله ، ويصحبه في وجهته تلك من الضعفاء والتجار ما لا يُحصى كثرة ، ويتولّى هو الإنفاق على الجميع من ماله ، ويرفع^(٢) عنهم اللوازم للخزّنيّة ، فكان التجار لأجل ذلك يرصدون وقت سفره وقفوله . وقدمه السلطان أبو عنان المذكور ناظرًا على بلده سبتة ، وأمر صاحب قصبته ألا يقطع أسرا إلا بمشورته ، فكان العتال يخافونه ويشاورونه ، فإذا رأى من أحدهم خروجا عن العادة ، أو حثيفا على الرعية ، كتب إلى السلطان في شأنه ، فيعزله من قوّره ، ويعوّضه بغيره . وكان يقول للسلطان : لعلّك تحسبني خديما^(٣) ، لست كذلك ، وإنما نحن معشر أهل البيت شُفَعَاءُ في الدنيا ، وشفعاء في الآخرة . فكان أهل سبتة في أيامه في عيش هنّ ، ونعمة شاملة ، بقي على هذه الحالة للرّضوية مدة عشرين سنة . وله بسبتة آثار تحكي الآثار القرنيّة^(٤) ، كالرياض^(٥)

[١٨]

(١) في ت : « المال » .

(٢) في ت : « يدفع » .

(٣) يريد : « خادما » . ولم تنقل اللامج : « الخدم » بمعنى الخادم ، لكن شارح القاموس ذكر هذه العبارة : « والخمائن (بالضم) : جمع خادم ، هكذا نقوله العامة ، وكأنهم تصوروا فيه جمع خديم » .

(٤) في ت : « الرية » .

(٥) كذا في الأصلين هنا وفيما سيأتى ، يريد به الفصر وما يحيط به من بساتين ، وقد يجري في لسان العامة حتى اليوم استعمال لفظ الرياض مفردا مذكرا بهذا المعنى .

الأعظم ، الذى أمام باب الميناء الأسفل الذى تأتق في بُنيانه وأبدع صُنْعته ، وجلب إليه الماء بالدواليب حتى أوصله إلى القبة ذات الأعمدة ؛ وكالرياض الذى بالصقارين ، حيث كان قموده مع خواص الناس وعامتهم .

قال صاحب الكواكب الوقادة :

« سمعت أحد كتّابه الخاصَّ به ، الملازم له ليلا ونهارا ، مع مرور الأيام والسنين ، يقول : ما أسرني قطَّ سيدي ومولاي الشريف بكتّاب شيء مخالف للشرع ، بل في رفع المظالم ، وإنهاء الشفاعات ، وتوجيه الأمانات ، وما في معنى ذلك ، مما نَدَبَ إليه الشرعُ ، وحضَّ عليه ، ووعد بالثواب على فعله . وطالما سمعت الكاتب المذكور يُقسم على ذلك ، نفعه الله [به] » ^(١) . انتهى .

وصف أحد
كتّاب
الشريف له

قلت : تذكرت بهذا الفعل الجميل ما كتب [به] ^(٢) على دواة أمير المؤمنين أبي عِنان ، رحمه الله ، وهو :

دواة أبي عنان
وشعر مكتوب
عليها

أنا دواة فارس أبي عِنان المتمدن
خَلَقْتُ مَنْ يَكْتُبُ بِي بالواحد القَرْد الصِّد
أَنْ لَا يَمُدَّ مَدَّةً فِي قَطْعِ رِزْقٍ لِأَحَدٍ

وقد رأيت في هذه الأيام دواة في غاية ما يكون من الإلتقان والصنعة والتذهيب ، وفيها مكتوب البيتان الأخيران ، وهى عند بعض أصحابنا الكتّاب بالحَصْرَة الفاسيّة — حاطها الله — وأظنها هى الدواة التى كانت لأبي عنان ، والله أعلم .

رجع إلى ذكر الشريف

وكان الشريف المذكور يصنع أنواع للطعام الرفيعة ، ويتبسط في ألوانها ،
ويطعمها الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، ممن يحضر مجلسه أو يأتي إليه ، وبالجملة
فهو قطب الجود الذي عليه المدار ، وإمام الأدب الذي لا يجاريه الرضى ولا ميثار ؛
ومن نظمه ، وقد سائر قاضى الجماعة بحضرة غرناطة ، أبا البركات البلفيقي^(١) الشهير
بأبن الحاج الشلمى ، من ولد العباس بن مرداس رضى الله عنه ، زمن الشيبية
في بعض أسفاره ببر الأندلس ، فلما انتهيا إلى قرية بزليانة^(٢) وأدركهما النصب ،
واشتد عليهما حرّ الحجير ، نزلا وأكلا من باكر التين الذى هنالك ، وشربا من
ذلك الماء العذب ، واستلقى أبو البركات على ظهره تحت شجرة مستظلا بظلها ،
ثم التفت إلى الشريف وقال :

ماذا تقول ، فذلتك النفس في حالى يفنى زمانى في حلّ وترحال^(٣)
وأرتجّ عليه ؛ فقال لأبى العباس : أجز ؛ فقال بديها :

كذا^(٤) النفوس اللواتى العزّ يصحبها لا ترتضى بمقام دون آمال

[١٩]

(١) البلفيقي : لجة إلى بلفيقي (بالفتح ، ويرى بتشديد اللام المكسورة مع كسر
الموحدة) : حصن بالمرية . (عن تاج العروس) .

(٢) كذا في مسجى البلدان . وبزليانة (بكسرتين وسكون اللام) : بلدة قرية من مائة
بالأندلس . وفي ط وفتح الطيب (ج ٤ ص ٢٤٩ طبعة مصر) : « بزليانة » . وفي
ت : « قزليانة » .

(٣) في ت : « في حل وترحال » .

(٤) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « إن » .

شئ من كرم
الشريف وشعره

أشرف سبعة

دَعَمَهَا تَجُوبُ الْيَافَى وَالْقَفَارَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ السُّؤْلَ أَوْ تَقْنَى بِتَجْوَالٍ^(١)
وكان عطاء هذا السيد الشريف المرسوم له من بيت المال ، ثلاثين ديناراً من
الذهب العين^(٢) في رأس كل شهر ، وهو خاتمة الشرفاء العظام بمدينة سبته .
وهؤلاء الشرفاء بمدينة سبته نحو الثلاثين قبراً ، في روضتهم المنسوبة إليهم ، بالجانب
الشرقي من رابطة الفصال . وهؤلاء الشرفاء من ذرية أبي الطاهر الذي خرج
من جزيرة صقلية ، وكانت لهم بسبته وجاهة^(٣) وسياده ، وجلالة ومجاده ؛ لمكان
بيتهم الشريف ، ونسبهم العالي المنيف ؛ ما منهم واحد إلا غَدَاهُ الْعِلْمُ بِلَبَانِهِ ،
وَالْأَدَبُ بِلَبَانِهِ . وولّى منهم قضاء بلدهم سبته رجلان ، لم يُطْلِعْ مِثْلُهُمَا الْمَوَانُ ؛
تَقَى وَعِلْمًا ، وَأَنَاةً وَحِلْمًا ؛ وأولها القاضي أبو الشرف^(٤) رفيع ، والثاني ابنه القاضي
أبو الحسن عليّ . وكَمِ نَشَأُ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ الطَّاهِرِ مِنْ جِهْمِذٍ نَحْرِيرٍ ، وَعَالَمٍ مَاهِرٍ ؛
وَسَخْنَى جَوَادٍ ، لَهُ إِلَى الْإِعْطَاءِ^(٥) ارْتِيَا حَإِلٌ إِلَى الْكِرَمِ اسْتِنَادٌ^(٦) ؛ وَنَاهِيكَ
بِخَاتَمَتِهِمْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَذْكُورِ .

وكان فائِدَ مَضْرِبِ^(٧) الميناء لهذا الشريف أبي العباس الحسيني ، دون
أَنْ يَشْرَكَهُ غَيْرُهُ ؛ وَكَانَ لَهُ بِمَضْرِبِ أَوِيَاتٍ يَوْمَ يَضْرِبُ فِيهِ ، وَيَوْمَانِ لِبَيْتِ الْمَالِ ،

دخل المريف
من مضرب الميناء
وما كان ينفعه فيه

(١) رواية هذا البيت في نفع الطب :

دَعَمَهَا تَسْرُ فِي الْيَافَى وَالْقَفَارَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ السُّؤْلَ أَوْ مَوْتًا بِتَجْوَالٍ
وزاد بعده :

الْمَوْتُ أَهْوَى مِنْ عَيْشٍ لَدَى زَمَنِ يَطْلِي الْأَيْمِ وَيَدْنِي الْأَعْرَفِ الْعَالِي

(٢) في ت : « ذهاب » .

(٣) في ط : « وجهة » .

(٤) في ط : « المريف » .

(٥) في ت : « العطا » .

(٦) في ط : « استباح » وهو تحريف .

(٧) المضرب (كما هو ظاهر من السياق هنا) : سوق يتخذها حاكم الليناء لبيع ما يستخرج
من السلك ونحوه .

وكانت عادة عامل المضارب ، الناظر في فوائدها وما تحتاج إليه من تقفة وآلة ، أن يأمر رجاله وأعوانه ، حين يُقعد التَّوَاتِيَةُ الكيسَ ، بالوقوف إليه ، والدفاع عنه ، بعد أن يُحضر الشهود ، خُفراً وضبطاً لما يحصلُ من فائد ^(١) المضرب المالى في يوميه ^(٢) ؛ فإذا كان يوم [السَّيِّد ^(٣)] الشريف يأمر رجاله وخدامه وأُعالِجه ^(٤) الإسلاميين ، بإباحة المضرب للساكين ، وتقريق الحوت على من لا يصل إليه ، ممن يحضر متزّجها ، إما لحفظ مروءة ، وإما لغير ذلك . ولا يزال الناظر من قِبَلِه ، وهو التائّد فارح أحد أُعالِجه ، واقفاً على حصانه ، وقد أحاطت به رجاله ، إلى أن يَرْضَى كل من يحضّر ، وما فضل عن ذلك فهو له . وأما السيد الشريف فلا يحضّر ، إذ همته أرفع من ذلك ، وقدره أعظم ، ومكانته بسبته مكانته ، بحيث يأتى إليه في الموضع الذى أعده لجلوسه برياضه الذى بالصقارين صبيحة كل يوم صاحب القصبة ، كأننا من كان ، مسلماً ^(٥) عليه ، ثم ينصرف ، ثم يأتى الوالى على قبض الجباية مسلماً ، ثم ينصرف بعد تقبيل قدمه ، ثم يأتى صاحب الشرطة ، وكذا جميع أمراء سبته ، إلا القاضى ، لمكان خُطّته ، فيعاملُ كلاً بما يستحق من إكرام وإهانة ، وإغلاظ ومجاملة ، فلا يتخلف أحد عن غرضه ، ولا يتصدّر إلا عن رأيه ونظره . وهذا كله مع النصيحة للمسلمين ، وجلب النعمة لهم بالقول والفعل ، وإطعام الطعام الذى لا يقدر عليه الأمير فنّ دونه ، ورَفْع المظالم ، ومنح الجاه ، إلى غير ذلك ، نفعه الله . فكان من حكمة الله عز وجل وبركة أهل البيت ،

(١) في ط : « فوائده » .

(٢) في ت : « في يومه » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) أعالِجه : مواليه من غير العرب ؟ مفردة : عالج (بوزن ملح) .

(٥) « البارة من » عليه « إلى » مسلماً : ساقطة في ت .

وفضل الجود والكرم ومكارم الأخلاق ، وإيصال المنفعة للعباد ، أن يخرج في اليوم الذي له بالتضرب من الخوت ، أى نوع كان من الجارى ، أضعافاً ما يخرج في اليومين ، ويحصل له من القائد أكثر مما يحصل لمتولى النظر فيهما ، فيتصل^(١) بيده من فائده يومه خمس مئة الدينار^(٢) وسبع المئة ، وربما يزيد وينقص ؛ وقد انتهى في بعض الأحيان إلى ألفي دينار في اليوم ، حسبما يُستنيه^(٣) الله عز وجل ؛ هذا بعد العادة التي عودتها نفسه النفيسة ، من الإيثار والبذل ، للسري والنذل . ولم تكن له همة ، رحمه الله ، في اجتكار المال وجمعه ، بل يصرف ذلك كله في إطعام الطعام ، الخاص والعام ، وفي تشييد البنيان ، والإنفاق على القعلة والصناعات والحلّام ، وآثاره ومصانمه بداخل سبته وخارجها شاهدة بذلك مدى الأيام ؛ وكفى في أثناء هذا التصرف من مؤاسة فقير ، وإعانة ضعيف ، وإغاثة ملهوف ، برفع^(٤) لازم أو وظيف^(٥) ، حسبما هو معلوم معروف منقول .

وكان ملوك بني مرين يعتنون به أتم اعتناء ، ويبادرون إلى موافقة أهراضه ، وقبول شفاعته ، وما كان يتلقاه حين وروده على حضرتهم فاس إلا الملك بنفسه ، إلى غير ذلك من مناقبه رضى الله عنه ، ونقمنا به ، وبسلفه الطاهر .

حفاوة ملوك
بني مرين به

قلت : وإنما ذكرت التعريف بهذا الشريف الفياض ، تفاؤلاً بالابتداء [٢١] به بعد عياض ، لأنى اشترطت أنى أخرج من الشيء إلى ما يناسبه ، فبدأت

سبب تعريف
المؤلف بهذا
الشريف

(١) فت : « ويحصل » .

(٢) في الأصلين : « الخمسة دينار ، والسبعائة » .

(٣) يستنيه الله : يسهله ويسره .

(٤) برفع : يحمل .

(٥) يريد : « الوظيفة » وهو الراتب الجارى من الأرزاق ونحوها .

في ذلك بهذا السيد الشريف ، الذي عظمت مجادته ^(١) ، وكرمت مناصبه ، وزكت مآثره ، وعلت مناصبه ^(٢) ؛ والأعمال بالنيات ، والله يُبلّغنا في الدارين غاية الأمنيات .

استيلاء العدو
على سبته

وبعد أن بلغت سبته ما ذكرناه من أحوالها ، وبقيت مدة أمانة من شرور الدنيا وأحوالها ؛ وأطلعت في سماءها نجوما ، كانت علومها ^(٣) للردة رجوما ^(٤) ؛ كعياض المؤلف فيه هذا الكتاب ، وهؤلاء الشرفاء الذين لا يُستترى في فضلهم ولا يرتاب ؛ وبنى القزقي للشاهير ، الذين برّزوا في ميدان السبق على الخاصة ^(٥) والجاهير ؛ وحازوا رئاسة الدين والدنيا ، وفازوا بالمكانة السامية والمرتبة العليا ؛ وغيرهم ممن لا يحصى كثره ، بمن كان لم تقديم وأثره ؛ عدا عليها الدهر بعدوانه ، وسقط شرفها من إيوانه ؛ واستولى عليها العدو الكافر ، في قضية يطول شرحها ، وعظم على أهل الإيمان قُرْحها ، وأعضل أطباء الملوك إلى الآن جُرْحها ، ولم يزل بنفوس المؤمنين شَجْوُها وبرَحْها .

أخبرني الفقيه الطيب العدل القرضي ، سيدي أبو القاسم بن محمد الوزير النساني رحمه الله : أنه لما دخل سبته ، حين وجهه أمير المؤمنين ، مولانا المنصور ، رحمه الله ، إليها ، في شأن فداء الكفار المأخوذین بالنزوة الشهيرة ، ذهب إلى المدرسة التي كان بناها أحد ملوك بني مرين رحمه الله ، وأظنه أبا عنان ^(٦) ،

(١) في ط : « مآثره » .

(٢) في ت : « وهدهد ومناصبه » .

(٣) في ت : « علومهم » .

(٤) في ت : « نجوما » .

(٥) في ت : « الخواص » .

(٦) هذه البارة : « وأظنه أبا عنان » ساقطة في ت .

وهي من أجل المدارس وأعظمها ، فرأى في محرابها ناقوساً وصليبا ، قال : فساء في ذلك ، فرفعت بصري فإذا كتابة بخط رائق ، في تلك النقوش فوق ذلك الناقوس ، فيها قوله تعالى : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » . وكان ذلك الكتب قديما فيها من جملة ما كتب المسلمون بها حين بنائها ، على ما جرت به عادة الملوك من كتب الآيات القرآنية في النقوش بالزليج^(١) والمرمر . قال لي رحمه الله : فتعجبت^(٢) من ذلك الاتفاق ، وسلاني ذلك بعض التسلي ، وإلى الله ترجع الأمور .

وكان أخذ سبته ، أعادها الله ، سنة تسع عشرة وثمان مئة ، بعد ما استولى العدو الكافر على معظم بلاد الأندلس ، مثل قرطبة ، ومرسية ، وطلطيلة ، وبليسية ، وغيرها ، مما يطول تعدادُه .

وقد قال بعض الشعراء حين أخذت طليطلة ، وكانت من أول ما أخذ من القواعد العظام ، يخاطب أهل الأندلس :

رثاء طليطلة

يأهل أندلسٍ شُدُّوا رحالكم فإلّا الثُّقَامُ بها إلّا من الفَلَّاطِ
السِّلْكُ يُنْتَرُ من أطرافه وأرى سِلْكَ الْجَزَيرةِ مَنُتَوِّراً من الوَسَطِ
من جاور الشرَّ لا يأمن بَوَاتمه كيف الحياةُ مع الحياتِ في سَقَطِ

[٢٢]

(١) الزليج : نوع من الخزف الفاخر الأملس ، تلمط به الأرض أو يلمص على الجدران للزينة ، وهو ما يسمى في لسان العامة « الفاشاني » . (عن جملة الجمع للملكي لغة العربية) . وقد وردت هذه الكلمة في نفع الطبيب (ج ١ ص ٩٤) ، كما وردت في صبيح الأعمى (ج ٥ ص ١٥٦) مفروحة بما لا يخرج عن هذا المعنى .
(٢) في ت : « فُتِجَت » .

ولله در الإمام العالم^(١) العلامة خاتمة أدباء الأندلس ، أبي الطيب^(٢) صالح
ابن شريف الزنبدى [رحمه الله]^(٣) إذ قال يندب بلاد الأندلس ، ويبعث العزائم
ويحركها من أهل الإسلام لنصرة الدين ، وإتقاذ البلاد من يد الكافرين ،
ولسان الحال ينشده « لقد أسمعت لو ناديت حيا » :

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ فلا يُغَرِّ بِطبيب العيش إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتها دُولُ من سرَّه زمن ساءت أزمان
وهذه الدار لا تُبقي على أحد ولا يُلْوم على حال لها^(٤) شان
يُزَقِّ الدهرُ حتماً كل سائفة إذا نبت مشرفيات وخرسان^(٥)
وبنتضى كل سيف للفناء ولو كان ابن ذى يزن والغمدُ عُمدان^(٦)
أين الملوك ذرو التيجان من يمين وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد في إرم وأين ما ساسه في القُرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عادٌ وشداد وقحطان
أتى على الكل أمرٌ لا مَرَدَّ له حتى قصوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقائله وأم كشرى فآواه إيوان^(٧)

(١) في ت : « الأديب » .

(٢) في فتح الطيب : « أبي البقاء » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كلنا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « قوم بها » .

(٥) السائفة : البرع الكاملة . والمشرقيات : السيوف المنسوبة إلى المشرق ، وهي
قرى من أرض العرب تدنو من الريف . والخرسان (بكسر الخاء) : الرماح ،
الواحد : خرس .

(٦) سيف بن ذى يزن : من ملوك اليمن . وعُمدان : قصره .

(٧) دارا : أحد ملوك القُرس .

كأنما الصعب لم يسهل له سبب . يوماً ولا ملك الدنيا سليمانُ
فجائعُ الدهر أنواعٌ متنوعة . وللزمان مَسَرَّاتٌ وأحزان
والحوادث ^(١) سُلوَانٌ يَهْوِيها . وما لما حَلَّ بالإسلام سُلوَان
دَهَى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له . هوى له أحدٌ وانهدتْ هَيْلَان ^(٢)
أصابها العين في الإسلام فازْزُرَتْ ^(٣) حتى خلتْ منه أقطار وبلدان
فاسألْ بِلنْسِيَّةٍ ما شئتْ مُرْسِيَّةٍ . وأين شاطِبةٌ أم أين جِيَان
وأين قُرْطِبةٌ دار العلوم فكَمْ . من عالمٍ قد سما فيها له شان
وأين خِصص ^(٤) وما تَحْوِيه من نُزْوٍ . ونهرها القذْبُ بَقِيَّاضٍ وملآن
قواعدُ كُنْ أركانُ البلاد فَا . عسى البقاء إذا لم تَبْقِ أركان ^[٧٣]
تبكي الحنيفةُ البيضاء من أسفٍ . كما بكى لفراق الإلف هَيَّان
على ديارٍ من الإسلام خاليةً . قد أسلفت ^(٥) ولها ^(٦) بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائسَ ما . فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصلبان
حتى الحارِبُ تبكي وهي جامدةٌ . حقٌّ ^(٧) للنابر ترثي وهي حِيدان
يا غافلاً وله في الدهر مَوْعِظَةٌ . إن كنتَ في سِنَةٍ فالدهر يَنْقُظان
وما شياً مَرَحاً يُلهيه موطنه . أبعدَ خِصصٍ تَقَرُّ المرءُ أوطان

(١) في ت : « وللمصائب » .

(٢) أحد وهلان : جيلان في بلاد العرب .

(٣) كذا في ت : وفتح الطيب . وفي ط : « فامتحن » .

(٤) يريد بمحس : « إشيلية » لأن الذين سكنوها عند الفتح كانوا من أهل حمص بالشام .

(٥) في فتح الطيب : « أفقرت » .

(٦) في ط : « فلها » .

(٧) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « حيث » .

تلك المصيبة أنست ما تقدّمها وما لها مع طول الدهر نسيان
يا أيها الملك البيضاء رايته أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا^(١)
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النّفر نيران
وراعتين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان
أخذكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم رُكبان
كم يستغيث بنو المستضعفين^(٢) وهم أسرى وقتلى فما بهتز إنسان
ما ذا التقاطع^(٣) في الإسلام بينكم وأتمّ يا عبادة الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها هم أما على الصّخر أنصار وأعوان
يا من^(٤) لئلة قوم بعد عزهم أحال حالهم كفر^(٥) وطفئان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبّدان
فلو^(٦) تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب اللؤلؤ ألوان
ولورأيت بكاهم عند بيّتهم لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا ربّ أمّ وطفل حبل بينهما كما تفرّق أرواح وأبدان

(١) هذا البيت ساقط من نفع الطيب .

(٢) في ت : « بنا المستضعفون » .

(٣) في ط : « التنازع » .

(٤) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « من ذا » .

(٥) في ت : « قهر » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ولو » .

وطفلة ما رأتها الشمس إذ^(١) برزت كأنما هي يا قوت ومزجان
يقودها العليج للسكره مكرهة والعين باكية والقلب حيران
مثل هذا يذوب القلب من كند إن كان في القلب إسلام وإيمان
اتهي^(٢).

ابن عاصم وبعض
ما جاء في كتابه
عن انحلال أمر
الأندلس

[٢٤] وكان الشيخ [الإمام]^(٣) العلامة الفقيه الوزير الكاتب أبو يحيى بن عاصم
صاحب الشرح على تحفة أبيه، رحم الله الجميع، عند ما رأى اختلال أمر الجزيرة
— أعادها الله — وأخذ النصارى — دمرهم الله — لمظنها، ولم يبق إذ ذاك بيد
المسلمين إلا غرناطة، وما يقرب منها، مع وقوع فتن بين ملوك بني نصر حينئذ،
ثم أفضى ذلك إلى بعضهم، بعد تمحيص وأمر يطول بيانها، ألف كتابا سماه:
«جنة الرضى، في التسليم لما قدر الله وقضى»، وهو كتاب عجيب جدا غريب،
رأيت بعضه يتلصصان، ونقلت منه ما نصه:

«من استقرأ التواريخ للنصوصة، وأخبار الملوك المتقصصة، علم أن
النصارى — دمرهم الله — لم يدركوا في المسلمين نارا، ولم يرخصوا^(٤) عن^(٥)
أنفسهم عارا، ولم يخربوا من الجزيرة منازل وديارا، ولم يستولوا عليها بلادا
جامعة وأمصارا، إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، واجتهادهم في وقوع
الافتراق، بين المسلمين والاختلاف؛ وتضريبهم^(٦) بالمكر والخديعة بين ملوك

(١) في ت: «قد». ورواية هذا الشطر في فتح الطيب:

«وظلة مثل حسن الشمس إذ طلعت»

(٢) أشار المؤلف في فتح الطيب بعد ذكر هذه القصيدة إلى أنها قد زيد عليها أبيات
آخر ليست منها، وأنه نقلها على هذه الصورة عن يونس بن وهب وليس فيها تلك الزيادة.

(٣) زيادة عن ت.

(٤) كذا في فتح الطيب، ورحض: غسل. وفي الأصلين: «لم يدحضوا».

(٥) في ت: «على».

(٦) كذا في ت: وفتح الطيب. وفي ط: «وتضريبهم».

الجزيرة ؛ وتحريشهم بالكيد والخلافة بين حُجَّاتها في الفتن للبيده ؛ وبها كانت الكلمة مؤتلفه ، والأهواء لا مفترقة ولا مختلفة ، والعلماء بمجاناة اتفاق القلوب إلى الله مزددقه ؛ فالحرب إذ ذاك سجال ، والله في إقامة الجهاد في سبيله رجال ، وللممانعة^(١) في غرض المدافعة^(٢) ميدان رحب ومجال ، وروية^(٣) وارتجال .

ثم قال : وتطاولت الأيام ما بين مهاذنة ومقاطعة ، ومضاربة ومقارعة ، ومنازلة ومنازعة ، ومواقفة وممانعة ، ومحاربة وموادعة ؛ ولا أمل للطاغية إلا في التمرس بالإسلام والمسلمين ، وإعمال الحيلة على المؤمنين ، وإضمار المكيدة للموحدين ، واستبطان الخديعة للمجاهدين ؛ وهو يظهر أنه ساع للوطن في العاقبة الحسنى ، وأنه منطو لأهله على القصد الأسفى ؛ وأنه مُهْتَمٌّ بِمُرَاعَاةِ أُمُورِهِمْ ، وَنَاطِرٌ بِنَظَرِ الْمَصْلَحَةِ لِنَاصَتِهِمْ وَجُمْهُورِهِمْ ؛ وَهُوَ يُسِرُّ حَسْرَتًا فِي أَرْتِقَائِهِ^(٤) ، وَيُعْمِلُ الْحِيلَةَ فِي التَّمَسُّكِ هَلْكَ الْوَطَنِ وَأَبْنَائِهِ . فَبَنَّا لِعَقُولٍ تَقْبِلُ مِثْلَ^(٥) هَذَا الْمِحَالِ ، وَتُصَدِّقُ هَذَا الْكُذْبَ بِوَجْهِهِ أَوْ بِحَالِ^(٦) ؛ وَلَيْتَ التَّمَرُّورُ الَّذِي يَقْبِلُ هَذَا لَوْ فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ، وَعَرَّضَ هَذَا الْمَسْمُوعَ عَلَى مُدْرَكَاتِ حِسِّهِ ، وَرَاجَعَ^(٧) أَوَّلِيَّاتِ عَقْلِهِ وَتَجَرِبَاتِ^(٨) حَذْسِهِ ، وَقَاسَ عِدْوَهُ الَّذِي لَا تُرْجَى مَوَدَّتُهُ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ ؛ فَأَنَا أَنَاشِدُهُ^(٩) اللَّهُ ، هَلْ بَاتَ قَطُّ بِمَصَالِحِ النَّصَارَى وَسُلْطَانِهِمْ مُهْتَمًّا ، وَأَصْبَحَ مِنْ خُطْبِ طَرَقِهِمْ مُعْتَمًّا ؛ وَنَظَرَ لَمْ نَظَرَ الْمَفْكَرَ فِي الْعَاقِبَةِ الْحَسَنَةِ ، أَوْ قَصَّدَ لَمْ قَصَّدَ

[٢٠]

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « والبالغة » .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « المواقفة » . وهو تحريف .

(٣) الحسو : شرب السائل شيئاً بدهش . والارتقاء : احتشاء الرغبة . وهذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره ، أو لمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الكثير .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « تقبل هذا المحال » .

(٥) في ط : « حال » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ورجع » .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « تجربات » .

(٨) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « أنشده » .

المدير في المعيشة^(١) المستحسنه ؛ أو خطر على قلبه أن يحفظ في سبيل القربة^(٢) أربابهم وصُلْبائهم ، أو عمر صغيره من تمكين عزيم بما ترضاه أخبارهم ورهبانهم ؛ فإن لم يكن ممن يدين بدينهم الخبيث ، ولم يُشرب قلبه حب التثليث ؛ ويكون صادق اللمحة ، مُنصفاً عند قيام الحجة ؛ فسيترف أن ذلك لم يخطر له قط على خاطر ولا مرّ له ببال ، وأن عكس ذلك هو الذي كان به ذا اعتباط وبغلة ذا اهتبال^(٣) ، وإن نُسب لذلك المعنى^(٤) ، فهو عليه أقل من الجبال ، وأشدّ على قلبه من وقع النبال ؛ هذا وعقده^(٥) التوحيد ، وصلاته التحميد ؛ وملتته القراء ، وشريعته البيضاء ؛ ودينه الحنيف القويم ، ونبيه الرءوف الرحيم ، وكتابه القرآن الحكيم^(٦) ، ومطلوبه بالمداية الصراط المستقيم ؛ فكيف نعتقد هذه المزية الكبرى ، والمنقبة الشهري ؛ لمن عقده التثليث ، ودينه التليث^(٧) ؛ ومعبوده الصليب ، وتسميته التصليب ؛ وملتته المنسوخة ، وقضيته المنسوخة ؛ وختانه التغطيس ، وغافر ذنبه القسيس ؛ ورثه عيسى المسيح ، ونظره ليس البين^(٨) ولا الصحيح ، وأن ذلك الرب قد ضُرِّج بالدماء ، وسُقِيَ الخل عِوضَ الماء ؛ وأن اليهود قد^(٩) قتلته مصلوباً ، وأدركته مطلوباً^(١٠) ، وقهرته^(١١)

(١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « المعيشة » .

(٢) كذا في ت ونفع الطيب . والقربة : التقرب . وفي ط : « القربة » .

(٣) الاحتيال : تخمين الشيء واغتنامه .

(٤) كذا في نفع الطيب ، وفي ط : « وإن نسب ذلك لا لمعنى » . وفي ت : « وإن لبب ذلك المعنى » . وما أبقناه أولى بالسياق .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وعظه » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « العظيم » .

(٧) مليث : مختلط أمره . يقال : رأس مليث إذا اختلط شعره الأبيض والأسود .

(٨) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « لا عين » .

(٩) هذه الكلمة : « قد » ساقطة في ت ونفع الطيب .

(١٠) هذه العبارة « وأدركته مطلوباً » ساقطة في ت .

(١١) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « وقتلته » .

مفلوبا ؛ وأنه جَزِعَ من الموت وخاف ، إلى سِوَى^(١) ذلك مما يُناسب هذه الأقاويل السخاف ؛ فكيف يُرجى من هؤلاء الكفرة من الخير مثقال^(٢) الذرة ، أو يُطَمَع^(٣) منهم في جَلْبِ المنفعة أو دفع المضرة ؛ اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيلَ المهتدين . انتهى .

ومنه أيضاً ما نصه :

« كانت خزانة هذه الدار النصرية^(٤) ، مشتملة على كل نفيسة من الباقوت ، وبتيمة من الجوهر ، وفريدة من الزمرد ، وثمانية من الفيردُوزج ، وعلى كل وافي من الثروع ، وحامٍ من الشدة ، وماضٍ من الأسلحة ، وفاخر من الآلة ، ونادر من الأمتعة ، فمن عقود فذة^(٥) ، وسلوك حجة ، وأقراط تُفضل على قرطبي مارية^(٦) ، نفاسة فائقة ، وحُسناً رائعاً ، ومن سيوف شواذ في الإبداع ، غرائب في الإحجاب ، منسوبات^(٧) الصنائع في الطبع ، خالصة^(٨) الحلي من التبر ؛ ومن دُرُوع مُقدَّرة^(٩) المَرْد ، متلاحمة النسيج ، واقية للباس^(١٠) في يوم الحرب ، مشهورة النسبة إلى داود نبي الله ؛ ومن جواشن^(١١) سابغة اللبسة ، ذهبية الحلية ،

(١) في ت : « غير » .

(٢) في نفع الطيب : « مقدار » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « يطلب » . وهو تحريف .

(٤) النصرية : نسبة إلى بني نصر ، وهم بنو الأجر أصحاب غرناطة .

(٥) في هامش نفع الطيب : « عدة » .

(٦) هي مارية بنت ظالم بن وهب الكندية ، زوجة الحارث الأكبر الساساني ؛ وكان

في قرطيبها لؤلؤتان بجيتان شربت العرب بنفاستهما المثل .

(٧) مروفة بصانيتها .

(٨) في ت ونفع الطيب : « خالصات » .

(٩) في ط : « المقدودة » ، وهو تحريف .

(١٠) في ط ونفع الطيب : « للباس » .

(١١) الجواشن : الدروع .

هندية الصَّرب ، دِيْباجِيَّة الثوب ؛ ومن بَيَضَات عسجدية الطوق ^(١) ، جوهرية التنزيد ^(٢) ، زَرْجدية ^(٣) التقسيم ، ياقوتية المركز ؛ ومن مَنَاطِقُ لَجَبِيَّة الصوغ ، عَرِيضة ^(٤) الشكل ، مَرْجَجَة ^(٥) الصَّمْع ؛ ومن دَرَق لَمَطِيَّة ^(٦) ، مُصَمَّعة المسام ، لَيْثَنَة المَجَسَّة ، معروفة المَنعة ، صافية الأديم ؛ ومن قِسِي ناصعة الصبغة ، هلالية الخلفة ، منعطفة الجوانب ، زَارِيَّة بالحواجب ، إلى آلات فاخرة ، من أَتَوَار ^(٧) نُحَاسِيَّة ، ومَنَاور ^(٨) بَلُورِيَّة ، وطِيفِير ^(٩) دِمَشْقِيَّة ، وَسُبُحات ^(١٠) زُجَاجِيَّة ، وَصِيف صِيدِيَّة ، وَأَكواب عِرَاقِيَّة ، وَأَقْداح طِبَاشِيرِيَّة ^(١١) ، وَسِوَى

(١) في فتح الطيب طبع مصر : « الطرق » .

(٢) في ط : « التنفيض » وهو تحريف .

(٣) كذا في ت : وفتح الطيب . وفي ط « يجرديَّة » وهو تحريف .

(٤) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « عرضة » . وهو تحريف .

(٥) كذا في فتح الطيب . وفي ت : « فرجية » وفي ط « برمة » .

(٦) نسبة إلى لطة مدينة من المغرب الأعمى ينسب إليها الدرق ، لأنهم يتعمقون الجلود في الحليب سنة ، فيعملونها ، فينبو عنها السيف الفاطم .

(٧) كذا في ت . والأتوار : آنية يصرب فيها ، وأحدها تور . وفي فتح الطيب : « أوتار » . وفي ط : « أتواق » ولا معنى لهذه الأخيرة .

(٨) المناور : جم منارة ، وتجمع على منائر ومنارات . وهي ما يوضع عليه السراج . وقد ذكرها دوزي نقلا عن أبي إسحاق الشيرازي في عبارة نصها : « في آنية مختلفة الأعلی والأوسط والأسفل كالآباريق والأسطان الضيقة الرؤوس والمنارات (المنائر) » .

(٩) الطيفير : كلمة مولدة لم ترد في معاجم اللغة . وذكرها دوزي في كتابه تكملة المعاجم العربية : « وهي أطباق مستديرة صميقة ، طاعها مستو ، وحافتها مرتفعة نحو ثلاث بوصات أو أربع ؛ الواحد : طيفور ، ويقال فيه « تيفور » وتجمع أيضا على طيفاور وطوافير » . وقد وردت أيضا ضمن عبارة في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٢٠) هذا نصها : « فيمد لهم الساط ترائد في جفان حولها طوافير ، وهي الخافي ، فيها ألعمة ملونة منوعة » . وظاهر من عبارة صبح الأعشى أنها آنية ذوات أغطية .

(١٠) كذا في الأصلين وفتح الطيب . والسبحات : جم سبحة ، وهي خرزات تنظم في خيط للتنسيج ، وهي مولدة . وذكرها هنا بين أسماء آنية الطعام ووصفها بالزجاجية ، يشمر بأنها معرفة من لفظ آخر .

(١١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى في فتح الطيب : « طباشيرية » ، ولعل المراد بالطباشير هنا : مادة خزفية أو نحوها .

ذلك مما لا يحيط به الوصف ، ولا يستوفيه القد ؛ وكل ذلك ألهمه ^(١) شواظ ^(٢) الفتنة ، والقمعة تيار الخلاف والفرقة ؛ فرزمت الدار منه بما يتعذر إتيان الدهور بمثله ، وتقتصر ديار الملوك المؤنثة النعمة عن بعضه فضلا عن كله . انتهى .
وسنذكر من كلامه رحمه الله بعد هذا ، زيادة على ما جلبناه الآن ، والله المستعان .

وكانت غرناطة منتهى الآمال ، ووُسْطَى قِلادة الأمصار ، ولم تزل محاسنها
تجْلُو على منصّة الدهور والأعصار . وقد استولى ^(٣) وصفا لسان الدين الوزير
أبو عبد الله بن الخطيب في كتاب الإحاطة ، ويرحم الله القائل :

غَرْنَاطَةُ مَا لَهَا نَظِيرٌ مَا مِصْرُ مَا الشَّامُ مَا الْعِرَاقُ ؟
مَا يَحْيَ إِلَّا الْعُرُوسُ تُجَلَّى وَالْأَرْضُ مِنْ سُبُلَةِ الصَّدَاقِ ^(٤)

قال الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن [أحمد بن] الحدّاد الشهير
بالوادي آشى ، نزيل تِلْسان :

كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال ، الفاتنة الكمال ، من الإحاطة ، في
تاريخ غرناطة ، المتحسّنة على المدرسة اليوسُفيّة ، من الحضرة التليّة ^(٥) ، بخط
قاضى الجماعة ، ومنقذ الأحكام الشرعيّة الطاعه ، صدرّ البلاء ، وعلم العلماء ،
ووحيد الكبراء ، وأصيل الحُصَباء ، الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى بن عاصم ،
رحمة الله عليه ، ما نصّه :

(١) كذا في إحدى روايتي فتح الطيب . وفي الأصلين ورواية أخرى بنفع الطيب

« التبه » . ولم يرد هذا الفعل متديا في كتب القنة . ولعله محرف عن « التبه » .

(٢) الشواظ : لب النار .

(٣) يريد : « تولى » . ولم يرد في المعاجم « استولى » متديا إلا بالحرف .

(٤) رواية الشطر الثاني من البيت في فتح الطيب : « وتلك من جلة الصداق » .

(٥) زيادة عن الإحاطة .

(٦) في ط : « المالية » .

تقرئ
عاصم على كتاب
الإحاطة

« الحمد لله ، الاستدلالُ بالأثر على المؤثر مما سَلَّه الأعلام ، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام ؛ وهو الحُجَّةُ الْمُعْتَمَدَةُ حين تفاضل الألباب ، وتتقاصر الأفهام ، وبه الاستمسك إن طَرَقَت الشكوك ، أو عرضت الأوهام . وحسبك بما يَسَلَّمُ في هذا المقام المتعالى من الأدلة ، وما يُعْتَمَدُ في هذا المجال المتضايق من البراهين المستَقْلَةِ ؛ فحقيق أن يُتَلَقَّى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار إليه بالقبول ، ويُسْتَقْبَلُ المُهْتَدَى لاستنباطه لما فيه من التبادر إلى الأفهام والتسابق للعقول ؛ وإذا ثبت أن المستدل بهذه الأدلة سالك على سواء سبيل ، ومتمم من جهة النظر إلى أكرم قبيل ، فلا خفاء أن كتاب « الإحاطة » للشيخ الرئيس ذي الوزارتين^(١) أبي عبد الله بن الخطيب رحمه الله ، من أثر هذه الدولة النصيرية — أدامها الله — بكل اعتبار ، ومآثرها التي هي عبرة لأولى الألباب ، وذكري لأولى الأبصار .

أما الأول فلأن الأنبياء التي أظهرت صحتها^(٢) ، وأوضحت حقيقتها ، وشرّفت مقصدها ، وكرّمت مصعدها ، إنما هي مناقب ملوكها الكرام ، ومكارم خلفائها الأعلام ، وأخبار^(٣) من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور سحمة السيوف والأقلام ؛ وأفذاذ حفظة الدين والدنيا ، والشرف والعليا ، والملك والإسلام ؛ أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة الملك ، ويُنظَّم^(٤) نظم الجُمان^(٥) في ذلك السلك ، من حصانة قلعتها ، وأصالة^(٦) منعتها ؛

(١) في ط : « ذي الوزارة » . وهو تحريف .

(٢) في ت : « ظهرت بهجتها » .

(٣) في ت : « أو أخبار » .

(٤) في ت : « ينظم » .

(٥) في ت : « المجال » .

(٦) في ط : « وأصالة » . وهو تحريف .

وقَدِيم اختطاطها ، وكَرِيم جهادها ورباطها ؛ وحُسْن ترتيبها ووضْعها ، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهل رُبْعها ؛ وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فن قَبِيل القليل ، وبما يرجع إلى شرف الحضرة ، ممن انتابها .^(١) من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل .

وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة^(٢) ، ومُبدع محاسنها المجلوة ، وناقل صورتها من الفعل إلى القوة ، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة ، ونشأة^(٣) من نشآت جودها الشامل النعمه ، الهامل الديمه ؛ فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف ، على الإنصاف ، فأخلاف^(٤) هذه المكارم النصيرية أرضعتها ، وعنايتها الجميلة أتممته ، فوق الكواكب ورفعتة ؛ وإليها ينسب إحسانه إن انتسب ، ومن كريم تشريفها اكتسب ، من الفضل الظاهر ما اكتسب . والحضرة هي مشوّه الذى عظم فيه قدره ، بل أققه^(٥) الذى أشرق فيه بدره ؛ والتشريفات السلطانية هي التى فتنّت اللهى باللهى^(٦) ، وأحلت من مراقى العز فوق الشها^(٧) ؛ وأمكنت الأيدى^(٨) من الذخائر والأعلاق ، وطوقت اللين كالقلائد فى الأعناق ؛ وقلدت الرئاسة والأقلام أقلام ، وفنت الوزارة والأعلام أعلام ؛ فبهرت أنواع الحاسن ، وورد معين البلاغة غير التطروق ولا الآسن ؛ وبرعت التواليف ، فى الفنون المتعدده ، واشتهرت التصانيف ، ومنها هذا التصنيف المشار إليه ، لما له

(١) كذا فى ط . وانتابها : قصدتها . وفى ت : « انتهى بها » .

(٢) فى ط : « المتأخرة » . وهو تحريف .

(٣) النشأة : السحابة الناشئة .

(٤) الأخلاف : جمع خلف ، وهو من ذوات الحنف بمنزلة التدى للإنسان .

(٥) فى ط : « بالققه » وهو تحريف .

(٦) اللهى (بالفتح) : جمع لمة ، وهي اللحمة المفرقة على الحلق ، واللهى (بالضم) : جمع لمية ، وهي العظيمة .

(٧) السها : كوكب خفى من بنات نمش ، وضرب به المثل فى العلو والارتفاع .

(٨) فى ط : « الأيدى » .

من الأذمة المتأكدة . وإذا ^(١) ظهر هذا الاستدلال ، وأوضح البيان ما كتمه الإجمال ، فلنفسح ^(٢) الآن بما قصد ، ولنحقق من أنعم السعادة ما رصد ، وذلك أن لمولاي ^(٣) أمير المؤمنين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، الغالب بالله ، المؤيد بنصره أبي عبد الله ، محمد بن الخلفاء النصريين — أيداه الله ونصره ، وسقى له الفتح المبين ويسره — ما أثر لم يسبق إليها ، ومكارم لم يجر أحد ممن وُسم بالكرم عليها ، جلالة قدرها ، وضخامة أسرها ؛ من ذلك هذا القصد الذي آثر لها كالكتاب المذكور وسواه ، مما هو واحد وقد ^(٤) في معناه ؛ عقد في جميعها التحسيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العلية ^(٥) هنالك ، ليشمل به الإمتاع ، ويم به الانتفاع ؛ والله ينفع بهذا القصد الكريم ، ويتولى للثوبة على هذا العقد الجسيم .

وهذه النسخة في اثني عشر سِفرًا ، متفقة الخط والعمل ، اكتُتِبَ هذا على ظهر الأول منها بتاريخ ^(٦) رجب الفرد ، عام تسعة وعشرين وثمان مئة ، عرف الله بركته بمئه ، آمين ^(٧) . انتهى .

وقال الوزير أبو يحيى بن عاصم المذكور ، قدس الله روحه الطيبة ، وسقى ^(٨) مشواه غيث رحمة الصبّيه ، في كتابه المسمى بـ « الروض الأريض » ^(٩) ، في ترجمة شمس العصر ، من ملوك بني نصر ، في اسم الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل ابن فرج بن نصر الخزرجي ، بعد كلام ما نصه :

نبذة من كتاب
الروض لابن عاصم
عن ابن يوسف

- (١) في ط : « إذا » بدون واو .
- (٢) في ت : « فالنصح » .
- (٣) في ت : « لمولانا » .
- (٤) في ت : « ... واحد في فنه وفي مناه » .
- (٥) في ط : « العليا » .
- (٦) في ط : « وبارخ » .
- (٧) هذه الكلمة « آمين » ساقطة في ت .
- (٨) في ط : « وسقاء غيث » .
- (٩) بقية الإسم في فتح الطيب : « في تراجم ذوى السيوف والأقلام والفريش » .

« كان قد جرى عليه التحيص الذي أزعجه عن وطنه ، إلى البار البيضاء بالمغرب من إيالة بنى مرين ، فأفادته الحُنْكَةُ والتجربة هذه السيرة التي وقف شيوخنا على حقيقتها ، واتهجروا واضح طريقها ، وبلغتنا منقولة بالسنة صدقهم ، معبراً عنها في عرف التخاطب بالمادة ، فلم يكن الوزير الكيس ، والرئيس الجُهْدِ يجران من الاستقامة على قانون ، ولا يطرّدان من الصواب على أسلوب ، إلا بالمحافظة على ما رسم من القواعد ، والمطابقة لما بُتَّتْ ^(١) من العوائد ؛ وكان ذوو الثبل من هذه الطبقة ، وأولو الحذق من أرباب هذه المهن السياسية ، يتعجبون من صحة اختياره لما رسم ، وجودة تمييزه لما قُعد ، ويرون التفسدة بالخروج ^(٢) عنها ضربة لا زب ^(٣) ، وأن الاستمرار على مراسمها آكد ^(٤) واجب ؛ فيتحرونها بالالتزام كما تُتَحَرَّى الشن ، ويتوخونها بالإقامة كما تُتَوَخَّى ^(٥) القرائض ، وسواء تبادر لهم معناها فقهوه ، أو خفى عليهم وجه رسمها فجھلوه » .

مثل من حرص
ابن الخطيب على
الموائد

حدثني شيخنا القاضي أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحسني :
أن الرئيس أبا عبد الله بن زمرّك دخل على الشيخ ذى الوزارتين أبي
عبد الله بن الخطيب يستأذنه في جملة مسائل ، مما يتوقف ^(٦) عادة على إذن الوزير ،
وكان معظمها فيما يرجع إلى مصلحة الرئيس أبي عبد الله . قال الشريف : فأضاهها
كلّها له ^(٧) ، ما عدا واحدة منها تضمنت نقض عادة مستمرة ، فقال له ذوالوزارتين

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « أثبت » .

(٢) في ط : « في الخروج » .

(٣) في ط : « لازم » .

(٤) في ط : « واكد » .

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « تمام » .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « توقف » ،

(٧) هذه الكلمة : « له » ساقطة في ت .

[ابن الخطيب] ^(١) : لا والله يا رئيس أبا عبد الله ، لا آذن لك في هذا ، لأننا ما استقمنا في هذه الدار إلا بحفظ العوائد .

[ثم] ^(٢) قال صاحب الروض :

فلما تأذن الله [تعالى] ^(٣) للدولة بالاضطراب ، واستحكم الوهن بمكن الأسباب ؛ عدل عن هذه القواعد ^(٤) الراسخة ، واستخف بتلك القوانين ^(٥) الثابتة ؛ فنشأ من الفاسد ما أعوز رفعه ، وتعدّد وتره وشغفه ، واستحكم ضرره حتى لم يمكن دفعه ، وتعدّر فيه الدواء الذي يُرجى نفعه ؛ وكان قد صحّبه من الجلد ما سقى آماله ، وأنجح — بإذن الله — أقواله وأعماله ؛ فكان يجري الأمر على رسم من السياسة واضح ، ونظر من الآراء السديدة راجح ؛ ثم يحفه ^(٦) من الجلد سياج لا يفارقه ، إلى تمام الغاية المطلوبة من حصوله ، وتمكن مقتضى الإرادة السلطانية من فروعه وأصوله .

اتمى كلام ابن حاصم ، وإنما أتيت به لغرابته .

وقال أبو عبيد البكري رحمه الله :

« الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ، فيها آثار عظيمة لليونانيين » ^(٧) .

اضطراب
أمر الأندلس
بالخروج على
القواعد

وصف البكري
للأندلس

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) زيادة عن نفع الطيب .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : تلك « الموائد » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « القواعد » .

(٦) كذا في ت . وفي ط : « يحفه » .

(٧) لكلام أبي عبيد البكري بقية ذكرها المؤلف في نفع الطيب (ج ١ ص ٦٤ طبعة

الطبعة الأزهرية) .

وصف
ابن الخطيب
للأندلس

وقال ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب :

خص الله بلاد الأندلس من الربيع ، وغدق السقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراة
الحيوان ، ودُرور القواكه ، وكثرة المياه ، وتبَحُّر العمران ، وجودة اللباس ،
وشرف الآنية وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وابتضاض ألوان الإنسان^(١) ،
ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطبايع ، وتقوذا الإدراك ، وإحكام
التمدن والاعتبار ، بما حرمه^(٢) الكثير من الأقطار ، مما سواها .

ثم قال : وحديث الفتح ، وما فتح الله على الإسلام من التمتع ، وأخبار
ما أفاء الله من خير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ،
كمُلُول قُصَاص وأوراق ، وحديث أَقُول وإشراق ، وإرعاد وإبراق ؛ وعَظَم^(٣)
أمتشاش^(٤) ، وآلة مُعَلَّقة في دُكَّان قَشَّاش^(٥) . انتهى .

ولا خفاء بما كان للملك للسلمين بالأندلس والثدوة على النصارى — دهرم
الله — من الاستطالة والغلبة ، حتى وقع التخاذل والتدابير ، فانعكس الأمر . وقد
حكى غير واحد أن دُنْ جانجه^(٦) بن دُنْ أَلْفُشْ ، استنصر على أبيه بالسلطان
المجاهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق التبريني ، ولأذبه ، وزهن عنده
تاجه^(٧) ذخيرة النصارى ، ولقيه بصخرة عَبَّاد ، من أحواز رُنْدَه ، فسلم عليه ،

(١) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « الأسنان » .

(٢) في ت : « أحرمه » .

(٣) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « وأعظام » .

(٤) امتشاش العظم : مصه مضموعا لاستخراج ما فيه . يريد أن الحديث في هذا
مفروغ منه كالعظم الذي امتش ، فلم يبق فيه شيء .

(٥) القشاش : الذي يبيع القديم البالي من سقط المتاع . (عن دوزي)

(٦) كذا في ط . وفي الاستقصا للسلاوي (ج ٢ ص ٢٧ طبع مصر) : « شانجه »
وفي ت : « تجانجه » . ثم إن السلاوي ذكر أن المستنصر هو هبانه أبو شانجه .
على العكس مما ساق المؤلف هنا .

(٧) في ط : « تاج » .

أبو يوسف
البرقي ودن
جانجه ، وشمل
من من الإسلام

ويقال إن أمير المسلمين^(١) لما فرغ من ذلك ، طلب بلسان زَنَانَةَ^(٢) الماء ، ليفسل يده به من قُبْلَةِ الْفُئُش ، أو مصاخته^(٣) .

ابن الخطيب :

تعقيب لابن
الخطيب على
قصة أبي يوسف

« والشئ يذكر بالشئ » ، فَأُثْبِتُ حكاية اتفقت لى بسبب ذلك ، أَسْتَدْعِي بها الدعاء من يحسن عنده موقعها ، وهى أن اليهودى الحكيم ابن زَرْزَار ، على عهد مَلِكِ النصارى ، خفيد هذا الْفُئُش المذكور ، وصل إلينا بقرناطة فى بعض حوائجه ، ودخل إلى بدار سكتائى ، مجاوراً لقصر السلطان بجمراء غرناطة ، وعندى القاضى اليوم بقرناطة وغيره من أهل الدولة ، ويده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبى^(٤) عبد الرحمن بن السلطان الكبير المولى أبى الحسن ، وكان محمد هذا قد قرأ إلى صاحب قَشْتَالَةَ ، واسْتَدْعَى من قَبْلِهِ إلى الثَّلَك ، فَسَهَّلَ له ذلك ، وشرط عليه ما شاء ؛ وربما وصله خطابه بما لم يُقنعه فى إطارائه ، فقال [لى^(٥)] : مولاي السلطان دُنْ بطره يُسَلِّمُ عليك ، ويقول لك : أنظر مخاطبة هذا الشخص ، وكان بالأمس كلباً من كلاب بابه ، حتى ترى خسارة الكرامة فيه . فأخذت الكتاب من يده ، وقرأته وقلت له : أبلغه عني أن هذا الكلام ما جَرَّكَ إليه إِلَّا خُلُوْ بَابِكَ من الشيوخ ، الذين يُمرِّفونك بالكلاب والأسود ، وبين تُفْسَل الأيدي منهم إذا قَبَّلُوها ، فتعلم من الكُتُب الذى تُفْسَل اليد منه ، ومن لا ، وَأَنَّ جَدَّ هذا الولد هو الذى قَبَّلَ جَدُّكَ يده ،

(١) فى ط : « المؤمن » .

(٢) فى ط : « الزنانية » .

(٣) فى ت : « ومصاخته » .

(٤) كذا فى ت والاستقصا . وفى ط : « محمد بن عبد الرحمن » وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ت .

واستدعى الماء لنسل يده منه بمحضّر النصارى والمسلمين ؛ ونسبة الجلد إلى الجلد كنسبة الخفيد إلى الخفيد ؛ وكونه لجأ إلى بلادك ليس بعار عليه ، وأنت مُعرّض إلى اللجأ إليه ، فيكافئك بأضعاف ما عاملته ^(١) به . فقام ابن الحسن المستقصى يبيكي ، ويُقبّل يدي ، وَيَصِفُنِي بِوَلِيِّ اللَّهِ ، وكذلك مَنْ حضرني . وتوجّه إلى المغرب رسولا ، فقصّ على بنى عَرَيْنَ خبر ما شاهدته مني وسمعه ؛ وبالخضرة اليوم من تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه . انتهى .

ولما تقلص ظل ^(٢) الإسلام بالجزيرة ، أعادها الله للإسلام ، واسترد الكفار ، دمرهم الله ، أكثر أمصارها وقراها ، على وجه التوبة والصلح والاستسلام ، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حثّيات ^(٣) ذوى البصائر والأبصار ، ويستنهضون عزّماهم من كل الأمصار .

فمن ذلك ما كتب به الكاتب الرئيس أبو عبد الله بن زَمْرَك رحمه الله لما نزل المسلمون بآخر مَرَج غرناطة ، متوجهين لتجّ خير :

« اعلوا أنا نذّركم ما لا يفيب عن أديانكم وأحسابكم ؛ إن هذا الجهاد ولية دعا الله عباده إليها ، وخَصَّمهم عليها ؛ فالآيات في المصاحف مسطورة ، والأحاديث مشهورة ؛ لبيع النفوس فيها من الرّخمن ، وبذل المهج رغبة في حصول ثواب الملك الدّينان ، ينزل الله فيها الملائكة المسمّين . وتفرح الحُور العين ، وتَسِح الرحمة من رب العالمين ، ويباهى الله ملائكته ^(٤) بالمجاهدين ؛ وقد

(١) في ط : « ما عاملته » .

(٢) في ط : « ذيل » .

(٣) في ط : « حاة » .

(٤) في ف : « الملائكة » .

بعض ما كتب
في استنهاض
الهمم ضد
النصارى

لابن زمرك

تضافرت على ذلك النصوص ، وكفى شرفاً الفوز بمحبة الله في قوله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ؛ فينبغي فيه الاستغفار من سالف الذنوب ، وتطهير السرائر والقلوب ، واجتماع الأيدي [٣٢] والكلمة في مَرَضَاتِ عِلَامِ النِّيُوبِ .

وأبلغ منه ما كتب به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب في الحث على الجهاد ، والترغيب فيه ، وهو :

«أيها الناس ، رحمكم الله ، إخوانكم المسلمون قد دهم العدو — قصمه الله — سباحتهم ، ورام الكفر — قبضه الله — استباحتهم ؛ وزحفت أحزاب الطواغيت عليهم ^(١) ، ومد الصليب ذراعيه إليهم ؛ وأيديكم بعزة الله أقوى ، وأتم المؤمنين أهل البر والتقوى ؛ وهو دينكم فأنصروه ، وجواركم القريب فلا تخفروه ، وسبيل الرشد قد وضع فلتبصروه . الجهاد الجهاد ، فقد تعين الجار الجار ، فقد قرر الشرع حقه ويين ؛ الله الله في الإسلام ، الله الله في أمة محمد عليه السلام ؛ الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله ، الله [الله في ^(٢)] وطن الجهاد في سبيل الله ؛ قد استغاث بكم الدين فأغيثوه ، قد تأكد عهد الله وحاشاكم أن تنكثوه ؛ أعيونا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله لكم ^(٣) جميل العوائد ؛ صلوا رحم الكلمة ، وأسوا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المضلّة ؛ كتاب الله بين أيديكم ، وألسنة الآيات تنادىكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله يقول فيه : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارتكم تنجيكم) . ومما صح عنه قوله : « من اغترت قدماه في سبيل

(١) في ط : « إليهم » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ط : « إليكم » .

الله حَرَّمَهَا اللهُ عَلَى النَّارِ . « لَا يَجْتَمِعُ غِبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ » (١) .
« وَمَنْ جَهَّزَ غَازِيَاً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَنَا » . أَدْرِكُوا رَمَقَ الدِّينِ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ ،
بَادِرُوا عِلِيلَ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ؛ احْفَظُوا وَجُوهَكُمْ مَعَ اللهِ يَوْمَ يَسْأَلُكُمْ
عَنْ عِبَادِهِ ، جَاهِدُوا فِي اللهِ بِالْأَنْسِنِ وَالْأَمْوَالِ حَقَّ جِهَادِهِ :

مَاذَا يَكُونُ جَوَابُكُمْ لِنَبِيِّكُمْ وَطَرِيقُ هَذَا التَّنْذِيرِ غَيْرُ مُمَهَّدٍ
إِنْ قَالَ لِمَنْ فَرَّقْتُمْ فِي أُمَّتِي وَتَرَكْتُمُونِي لِلْمَعْدُوِّ الْمُعْتَدِي
ثَالِثًا لَوْ أَنَّ الْعُقُوبَةَ لَمْ تُخَفْ لَكُنِيَ الْحَيَا (٢) مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ السَّيِّدِ

[٣٣] اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بئس لنا الحَيمَةُ في البلاد ، اللهم دافع
عن الحريم الضعيف والأولاد ؛ اللهم انصرنا على أعدائك بأحبابك وأوليائك
يا خير الناسرين ، اللَّهُمَّ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصرنا على القوم
الكَافِرِينَ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا [وَمَوْلَانَا (٣)] مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَحَبِّبِهِ وَسَلَّمْ
تسليماً . انتهى .

واستمر الأمر بالجزيرة على هذه الحالة مدة ، والمسلمون لا يزدادون إلا ضعفا
والعدو تَكَالَبًا وَشِدَّةً ؛ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَى الْجَزِيرَةِ بِأَسْرَها ، وَشَرَحَ ذَلِكَ يَطُولُ .
وَكَانَ اسْتِيلَاؤُهُ عَلَى حِمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ ، وَدُخُولُ جَيْشِهِ [هَـا (٤)] ثَانِي ربيع النبوي ،
مِنْ عَامِ سَبْعَةٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ . هَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي تَأْلِيفِ لِبَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ ، ضَمَّنَهُ
الْقَضِيَّةَ ، وَأَلْفَهُ بِسَبَبِهَا ؛ عَلَى أَنِّي رَأَيْتُ بِحُطِّ الْقَفِيهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْوَادِي أَشَى
مَا يَخَالَفُ ذَلِكَ ، وَهُوَ (٥) أَنَّهُ أَوْرَدَ رِسَالَةَ لَابْنِ الْخَطِيبِ يَخَاطَبُ بِهَا السُّلْطَانَ أَبَا سَلَمَ

(١) تَمَّةُ الْحَدِيثِ كَمَا فِي سَنَنِ النَّسَائِي : « فِي مَنْعِهِ مُسْلِمٌ أَبَدًا » .

(٢) الْحَيَا : مَقْصُورٌ مِنَ الْحَيَاءِ .

(٣) زِيَادَةُ عَنْ ت .

(٤) فِي ت : « وَذَلِكَ » .

التعريف ، نَصْرٌ محل ^(١) الحاجة منها :

« ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت غروة تأميلكم ، أو أمرضتم عن ذلك الوطن ، استولت عليه يد عدوه » . انتهى .

فكتب بطرُقه أبو عبد الله الوادي آشي المذكور ^(٢) ما نصه :

« كذلك وقع آخر الأمر . وكان الاستيلاء على غَرْناطة آخر ما بقي من بلاد الأندلس للإسلام ، في محرم [عام] ^(٣) سبعة وتسعين وثمان مئة ، فرحم الله ابن الخطيب ، العاقل اللبيب ، وغفر له برحمته » . انتهى كلام الوادي آشي .
على أنه قد يظهر من كلام بعضهم أن الصلح كان في محرم ، ودخول الجيش القَصْبة الحمراء كان في ربيع ، فلا منافاة ، والله أعلم .

ورأيت بخط الإمام الوائشري ^(٤) سيدي عبد الواحد رحمه الله ما نصه :
« استولى المدو على جبل الفتح سنة ست وستين وثمان مئة ، وعلى الحمة ^(٥) تاسع المحرم يوم الخميس عام سبعة وثمانين وثمان مئة ؛ وفي عام خمسة وتسعين وثمان مئة استولى المدو على جميع [بلاد] ^(٦) الأندلس ماعدا غَرْناطة وبشرتها ^(٧) ، وكان قبله في عام اثنين وتسعين استولى على مالقة في رمضان منه ، وفي عام سبعة وتسعين استولى على غَرْناطة » . انتهى .

(١) هذه الكلمة « محل » ساقطة في ت :

(٢) هذه الكلمة : « المذكور » ساقطة في ت .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) كذا في نصح الطبيب طبعة أوربة . والوائشري : نسبة إلى والقرش (بالتون وشينين معجمتين وراء ثم ياء) : جبل بين مليانة وتلمسان من نواحي المغرب .

وفي الأصلين وهامش نصح الطبيب : « والوائشري » .

(٥) الحمة : من أعمال حرسية . (عن تكملة كتاب الصلاة) .

(٦) كذا في نصح الطبيب وفيها سيأتي في الأصلين . وظاهر من سياق نصح الطبيب أنها ضواح لغَرْناطة أو مواضع بها . وفي الأصلين هنا : « ويشارتها » .

خروج أمير
الحمراء ابن
أبي الحسن
إلى فاس

[٣٤] ولما دخل النصارى إلى الحمراء خرج أميرها أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن على التَّصَرُّى ، واشترط المسلمون على العدو الكافر شروطاً أظهر قبولها ، وبسط لهم جَنَاح العدل ، حتى بلغت بزعمهم نفوسهم مأمولها ؛ وكان من مجلتها أن من شاء البقاء عنده أقام في ظل الأمان ^(١) مُسَكَّرَماً ، ومن أراد الخروج إلى برّ الصُدُوة أنزل بأى بلاد شاء منها ، من غير أن يُعْطَى كِرَاء ولا مَقْرَماً ؛ وأظهر للمسلمين العناية والاحترام ، حتى كان النصارى يَحْسُدُونهم في ذلك ، ويقولون لهم : أأنتم عند ملكنا أغنى وأكرم منا ؛ ووضع عنهم القنارم ، حيلة منه وكيدا ، ليسفِّحهم بذلك ، ويُبْطِطهم عن الجواز . فوقع الطمع لكثير من الناس ، وظنوا أن ذلك البرق ليس بخُتْب ، فاشترى كثير من المقيمين الرِّبَاع العظيمة ، ممن أراد الذهاب للصدوة ، بأرخص الأثمان ، وأمر — لعنه الله — بانتقال سلطان غرناطة أبي عبد الله إلى قرية أندرش ^(٢) ، من قرى البشارة ، فارتحل أبو عبد الله ببعاله وحشمه ، وأقام بها ينتظر ما يؤمُّرُ به ، ثم ظهر للطاغية أن يُجْبِزَه إلى الصُدوة ، فأمره بالجواز ، وأعدَّ له التراكب العظيمة ، وركب معه كثير من المسلمين ، ممن أراد الجواز ، حتى نزلوا بمليلة ^(٣) من ريف المغرب ، ثم ارتحل السلطان أبو عبد الله إلى مدينة فاس — حرسها الله — وما زال أعقابه بها إلى الآن من جملة الضعفاء الشُّوَال ، بعد الملك الطويل العريض ، فسبحان المَرِّ المذلِّ ، للناجح المانع ، لا إله إلا هو .

(١) هذه البارة : « في ظل الأمان » ساقطة في ت .

(٢) كذا في ط ونجح الطيب وتقويم البلدان . وفي ت : « أندرس » بالهين المهملة وهو تصحيف .

(٣) مليلة (بوزن سفينة) : مدينة قديمة مسورة على بحر الزقاق (انظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) .

وفاته وشمى عنه
وعن عقبه

وكان خلع أبيه أبي الحسن يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة من عام تسعين
وثمان مئة ، خلمه أخوه^(١) ، ودخل أبو عبد الله المذكور ، ابن أبي الحسن^(٢) ، رُبَصَ
الْبَيْتَازِينَ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالَ عام واحد وتسعين ، وافتكَّ مَلِكُ أبيه من يد عمه ،
وَوُفِّيَ رحمه الله بفاس عام أربعة وعشرين وتسع مئة ، ودفن بإزاء المصلى ،
خارج باب الشريعة ، وخلف ولدين ، اسم أحدهما يوسف ، والآخر محمد^(٣) ،
وعقبه الآن بها كما ذكرناه ، والله وارث الأرض ومن عليها ، والله خير الوارثين .

حال المسلمين
بعده بالأندلس

وكان من قَدَرِ اللَّهِ تعالى أنهم لما وصلوا مدينة فاس أصاب الناس بها شدة
عظيمة ، من الجوع والقلاء والطاعون ، حتى فرَّ كثير منها بسبب ذلك ، ورجع
بعض أهل الأندلس إلى بلادهم ، فأخبروا بتلك الشدة ، فتفاحس من أراد الجَوَّازَ ،
وعزَّموا على الإقامة والدَّجْنَ^(٤) ، ولم يُجْزِ النصارى أحدا بعد ذلك إلا بالكِراءِ
والمُغْرَمِ وعُشْرِ المال ، فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجَوَّازَ وعزموا على
الاستيطان والمُقام في الوطن ، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أولَ
مرة ، ولم يزل ينقضها فصلا فصلا ، إلى أن نقض جميعها ، وزالت حُرمة المسلمين ،
وأدركهم التَّوَانُ والدَّالَّةُ ، واستطال عليهم النصارى ، وفُرِضَتْ عليهم المغارم الثقيلة ،
وقُطِعَ عنهم الأذان في الصوامع ، وأمرهم بالخروج من غرناطة إلى الأرباض
والقرى ، فخرجوا أَذِلَّةَ صاغرين ، ثم بعبد ذلك دعاهم إلى التنصُّر ، وأكرهمهم
عليه ، وذلك سنة أربع وتسع مئة ، فدخلوا فيه كَرَّها ، وصارت الأندلس كلها

(١) في ط : « وكان أبوه أبو الحسن خلع سنة تسعين وثمان مئة ، خلمه أخوه يوم

الأحد ثالث جمادى الآخرة من العام » .

(٢) هذه العبارة : « ابن أبي الحسن » : ساقطة في ت .

(٣) كذا في ت ونقيح الطيب . وفي ط : « أحمد » .

(٤) الدجن : الإقامة .

دار كُفر ، ولم يبق من يَجْهر بكلمة التوحيد والأذان ، وجُعِلت في المساجد والمآذن النواقيسُ والصلبان ، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لا راد لما قضاه الله الملك الدَيَّان .

وقد رأيت لبعضهم رسالة ببعض شرح ذلك ، ونصها :

رسالة في ذكر
ما جرى للمسلمين
في الأندلس

« وتعرّفنا من غير ما طريق ، وعلى لسان غير فريق ، أن قُطِر الأندلس — نظر الله إليه ، وعاد بنوره عليه — طَرَقَ أهله خَطْبٌ لم يَجِر في سالف الدهر ، وذلك أنهم أكرهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطق بما يقتضى في الظاهر الكفر ، ولم يُقبَل منهم الأشر ؛ وكان الابتداء في ذلك من أهل غرناطة — جدد الله رُسمها ، وأعاد إلى بلاد المسلمين ^(١) اسمها — وخصوصا أهل واسطتها ، لقلّة الناس ، وكونهم من الرعيّة الذمّاء ، مع عدم العصبيّة ، بسبب اختلاف الأجناس ؛ وعلم النصرى — دترّم الله — بأن من بقى بها ^(٢) من المسلمين إنما هم أسارى في أيديهم ، وعيال عليهم ؛ وبعد أن انتزعوا منهم ^(٣) الأسلحة والمعاقل ، وعَتَوْا فيهم بالخروج والجلّاء ، فلم يبق من المسلمين طائِل ؛ ونقض العين طاغية النصرى عهدده ، ونشر بمحض القدر بُنوده ؛ من غير معذرة لفقها ، ولا كذبة في مَرَض العُذر نمقها ، إلا أعجازا من الكفر ، وصدورا من النفيظ والمكر ، وخالص القدر ، جمعها وفرّقها ؛ وكان الطاغية إذ ذاك ياشيخية — جبرها الله ، وجعل بها قبره ، ووقى المسلمين والإسلام شرّه — وبعد أن كان [قبل ^(٤)] قد انسل إلى غرناطة انسلال

(١) في ت : « الإسلام » .

(٢) في ت « منها » .

(٣) في الأصلين : « لهم » .

(٤) زيادة عن ت .

القطا إلى الماء ، وطلع إليها طلوع الرقيب على خلوات الأحباء ؛ وأسر بإخلاء الأرباض ، وأذن في السفر في البحر للأباض ، ولم يحضر من الأجنان ^(١) إلا القليل ، وما كان قصده إلا التفريق والتهويل ؛ على ما عهد من غدر النصارى وطفيتانهم ، وفعلهم الذم مع المسلمين وتوّرأتهم ؛ والإعلان بمحتهم ؛ والحرص على ارتدادهم [٣٦] وفتنتهم ؛ وأقام بعد انصرافه عنها ، وخروجه منها ، بإشبيلية مديدة ، وعقار به لأشباعه من النصارى بقرنطة تدب وتسرى ، ونفسه الخبيثة بالماب ^(٢) تفرى ؛ ثم انتقل عن الواسطة للبيازين ، حيث الحميمية ، والنصرة الإيمانية ^(٣) ، مع السراجة والتحية ^(٤) ، والعقل الرصين ، والدين المتين ؛ فجعل صعبها ذلولا ، وأعاد للكفر كرها من كان بحضرتها ، وتمتع أحزاب الشيطان - قصمهم الله - بنصرتها ، نسأل الله تعالى أن يجعل تتمهم قليلا .

وزيادة ^(٥) الخبر :

تكيل طاغية
قشتالة وأرغون
بالمسلمين

« أن طاغية قشتالة وأرغون - قصمهم الله - صدم غرناطة صدمه ، وأكره على الكفر من بقي بها من الامة ؛ بعد أن هيض جناحهم ^(٦) ، وركدت رياحهم ؛ وجعل بعد جنده الخاسر على جميع جهات الأندلس ينثال ، والطاغية يزدهى في الكفر ويختال ؛ ودين الإسلام تنثر بالأندلس نجومه ، وتطلس معالمه ورؤسومه ؛ فلورأيت ما صنع الكفر بالإسلام بالأندلس وأهليه ، لكان

(١) الأجنان : كلمة أندلسية ، بمعنى السفن . ذكرها دوزي في معجمه .

(٢) كذا في ط . وفي ت : « بالماب » .

(٣) في ط : « الأمانية » .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « مع السداجة والحقبة » ولا معنى للروايتين .

(٥) في ت : « وزيدة » .

(٦) في ت : « جناهم » .

كل مسلم يندبه ويكيه ؛ فقد عَيْثُ البلاء برُسومه ، وعَنَى على أقداره ونجومه ؛ ولو حضرتم من جُبِرَ بالقتل على الإسلام ، وتَوَعَّدَ بالنكال والمهلك العظام ؛ ومن ^(١) كان يُعَذَّبُ في الله بأنواع العذاب ، ويدخل به من الشدة في باب ويخرج من باب ؛ لأنساكم مصرعه ، وساءكم مَقْطعه ؛ وسيوف النصارى إذ ذاك على رموس الشرذمة القليلة من المسلمين مَسْئوله ، وأفواه الذاهلين محوله ؛ وهم يقولون : ليس لأحد بالتنصر أن يُمَطَّلَ ، ولا يلبثُ حيناً ولا يُهْمَلُ ؛ وهم يكابدون تلك الأهوال ^(٢) ، ويطلبون لطف الله في كل حال . انتهى .

وكان جماعة من علماء الأندلس خرجوا إلى تِلِسْمان ، منهم القاضى الشهير أبو عبد الله بن الأزرق ، صاحب الشرح المجيب على مختصر خليل ، وكتاب السياسة للمفصّل من مقدّمة تاريخ ابن خلدون ، وفيه زيادات بديعات ^(٣) ، وكتاب روضة الإعلام ، بمنزلة العربية من علوم الإسلام ، وغير ذلك ، وارتحل من تِلِسْمان إلى المشرق ، وسنّم بِذِكْرِهِ . ومنهم بنو داود اللذكورون في قَهْرَسَقَ الشيخ ابن غازي ، وهؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غرناطة ^(٤) ؛ ولكن لما رأوا استطالة العدو عليها ، وأنه أخذها لا محالة ، قَوْضُوا رِحَالَهُمْ عنها ، فنزلوا بتِلِسْمان المحروسة ، وأخذت الحضرة الغرناطية ^(٥) بعد ارتحالهم بقرى ، رحمهم الله . ومنهم الفقيه الأديب ، حائز قَصَبِ السَّبْقِ في كثرة النسخ والكتابة ، أبو عبد الله محمد بن الحدّاد الشهير بالوادى آثى ، وسنذكره إن شاء الله ، رحم

[٣٧]

(١) في الأصلين : « وإن » .

(٢) في ط : « الأحوال » .

(٣) في ت : « زيادة بديعة » .

(٤) في ت : « أخذها » .

(٥) في ت : « وأخذت غرناطة » .

بعض من خرج
من علماء
الأندلس

الله الجميع^(١) . ومن خرج فاس من العلماء ، الفقيه أبو العباس البقعي^(٢) ، ثم رجع إلى غرناطة ، وقضيته معروفة .

كتاب ابن الأحمر
لصاحب فاس

ولا بأس أن نورد كتاب السلطان أبي عبد الله بن الأحمر الخلع المذكور ، الذي بحث به لصاحب فاس^(٣) في ذلك المهد ، تمهيداً لذكره ، وتوطئة لمقصده ؛ وتطارحاً على تلك الأبواب وتعلّقاً ، وتمشكاً بذلك الجناب وتعلّقاً ؛ وهو في الغاية^(٤) من الفصاحة والبلاغة ، من إنشاء الفقيه الأديب ، الشاعر الناطم ، النائر الكاتب ، المجيد البارع البليغ ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقبلي رحمه الله ، وسماه بالروض العاطر^(٥) الأنفاس ، في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس ؛ ونصّه بعد الافتتاح^(٦) :

« مَوْلَى الْمُلُوكِ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْمَجْمَعِ رَعِيًّا لِمَا^(٨) مِثْلُهُ يُرْعَى مِنْ الدَّمِ
بِكَ اسْتَجْرْنَا وَنِعْمَ الْجَارُ أَنْتَ لِمَنْ جَارُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ جَوْرٌ مُنْتَقِمٌ
حَتَّى غَدَا مُلْكُهُ بِالرَّغْمِ مُسْتَلَبًا وَأَفْطَحُ الْخَطْبَ مَا يَأْنِي عَلَى الرَّغْمِ
حُكْمٌ مِنْ اللَّهِ حَقٌّ لَا مَرَدَّ لَهُ وَهَلْ مَرَدٌّ لِحُكْمٍ مِنْهُ مُنْتَحِمٌ^(٩) »

(١) في ت : « جميعهم » .

(٢) في ط : « الفقاني » .

(٣) في ط : « أبا » وهو تحريف .

(٤) هو الشيخ الوطاسي سلطان فاس .

(٥) في ت : « وفي الغاية » .

(٦) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « العطر » .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب ، وفي ط : « افتتاح » .

(٨) في نفع الطيب : « لمن » .

(٩) كذا في الأصاين وإحدى روايتي نفع الطيب ، ولم ترد صيغة « انعم » في الماجم

التي بين أيدينا . وفي رواية أخرى لنفع الطيب : « منعم » .

وَنَحْيَ اللَّيَالِي وَقَالَ اللَّهُ صَوَّلَهَا
 كُنَّا مُلُوكًا لَنَا فِي أَرْضِنَا دُولٌ
 فَأَيُّقُظُنَا سِهَامَ لِرَدَى صَيْبٍ
 فَلَا تَمَّ نَحْتُ ظِلِّ الْمَلِكِ نَوْمَتَنَا
 يَبْكِي عَلَيْهِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ
 كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَمْ يَبْرَحْ كَا زَعَمُوا
 وَصِلْ أَوَاصِرَ قَدْ كَانَتْ لَنَا اشْتَبَكْتُ
 وَابْسُطْ لَنَا الْخُلُقَ الْمَرْجُوَّ بَاسِطُهُ
 لَا تَأْخُذْنَا^(١) بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ
 فَمَا أَطَقْنَا دِفَاعًا لِلْقَضَاءِ وَمَا^(٢)
 وَلَا رُكُوبًا بِإِزْعَاجِ لِسَابِحَةِ
 وَالْمَرءِ مَا لَمْ يُعْنِهِ اللَّهُ أَضْيَعُ مِنْ
 وَكُلِّ مَا^(٣) كَانَ غَيْرُ اللَّهِ يَحْرُسُهُ^(٤)
 تَصَوَّلُ حَتَّى طَلَى الْأَسَادَ فِي الْأَجَمِ
 نَعْمًا^(٥) بِهَا نَحْتُ أَفْئَانٍ مِنَ النَّعَمِ
 يُرْمَى بِأَفْجَعِ خُفِّهِ مَنْ بَيْنَ رُحَى
 وَأَيُّ مَلِكٍ بَظَلِ الْمَلِكِ لَمْ يَنْمِ
 بِأَدْمَعٍ مُرْجَتِ أُمُوهَا بِدَمِ
 يُشِمُّ بُوَّ الصَّخَارِ^(٦) الْأَنْفَ ذَا الشَّمِّ^(٧)
 فَالْمَلِكُ بَيْنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ كَالرَّحِمِ
 وَاعْطِفْ وَلَا تَنْحَرِفْ وَاعْزِزْ وَلَا تَلَمْ
 نَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ أَقْوَالُ ذِي الْوَحْمِ
 أَرَادَتْ أَنْفُسُنَا مَا حَلَّ مِنْ نِقَمِ
 فِي زَاخِرٍ بِأَكْفِ الْمَوْجِ مُلْتَعِمِ
 طِفْلٌ تَشْكِي بِفَقْدِ الْأُمِّ فِي الْيَتَمِ
 فَإِنَّ مَحْرُوسَهُ لَحَمٌّ عَلَى وَصَمِ^(٨)

[٣٨]

(١) ق ت « نأما » ، وهو تحريف .

(٢) البو : جلد الحوار يحصى تبنا ونحوه لتعطف عليه أمه فتدر . والصنار : الذل .

(٣) ق ط « ذو الشم » .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب طبعة أوربة . وفي ت ونفع الطيب طبعة المطبعة الأزهرية :

« لَا تَأْخُذُونَا » .

(٥) ق ت : « ولا » .

(٦) كذا في ط : ونفع الطيب . وفي ت : « من » .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « ما كان غير الله يحرسه فإن محروسه » .

وهو تحريف .

(٨) الوصم : خوان القصاب ، وهو ما يقطم عليه اللحم ويهيشه .

- كُنْ كالسمومِ إذ سار المهام له (١) في جَفَلِ كسواد اللَّيْلِ مَرَّتَيْكَ (١)
 فلم يُبَيِّحْ أَذْوَاعَ الْكِنْدِيِّ وَهُوَ يَرَى (٢) أن ابنه البرّ قد أَشْفَى عَلَى الرَّجْمِ (٢)
 أو كَالْمَعْلَى (٣) مع الضِّلِيلِ الْآرْوَعِ إذ أجاره من أَعَارِبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
 وصار يشكره شكرًا يكافى ما أسدَى إِلَيْهِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ
 ولا تعاتبُ على أشياء قد قُدِّرَتْ وَخُطَّ مسطورُها في اللوح بالقلم
 وعدَّ عما مضى إذ لا ارتجاع له وَعُدَّ أحرارنا في جُمْلَةِ النَّدَمِ
 إليه حنانيك يا ابن الأكرمين على ضيفِ أَلْمِ بفاسٍ غيرِ مَحْنَمٍ (٤)
 فانت أنت ولولا أنت ما نهضت بِنَا (٥) إِلَيْهَا خُطَا الْوَحْدَاةِ الرَّهْمِ (٥)
 رُحْمَاكَ يَا راحما يُنْتَمَى إِلَى رُحْمَا في النفس والأهل والأَتْبَاعِ وَالْحَسَمِ
 فكم مواقفِ صِدْقٍ في الجهاد لنا والخيْلُ عَالِكَةُ الْأَشْدَاقِ لِلْعُجْمِ
 والسيفُ يَخْضِبُ بِالْحَمَرِ مِنْ عَلَقٍ ما أبيض من سَبَلٍ واسودَّ من لَمٍ (٦)
 ولا ترى صَدْرَ عَصَبٍ غيرِ مُنْقَصِفٍ ولا ترى مَتْنٍ (٧) لَدُنْ غيرِ مُنْخَطِعٍ (٧)

(١) الجفَل : الجيش الجرار . ومرتكم : متراكم .

(٢) في ط : « فلا » .

(٣) الرجم : جمع رجة ، وهي الحجارة توضع على القبر ، ويريد القبر نفسه .

(٤) المعلى : هو أحد بني تيم ، وكان قد أجار اسرا الفيس من المنذر بن ماء السماء .

(٥) إليه : أى حسبك .

(٦) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « منا » .

(٧) الوحادة : السريعة السير . والرسم : جمع رسوم ، وهي النافذة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

(٨) يريد بالسبل : شعر الحية . واللمم : جمع لمة ، وهي شعر الرأس الذي يلم بالنتكبين .

(٩) في ت « مثل » .

حتى دُهينا يدهيا لا اقتدار بها^(١) سوى على الصون للأطفال والحرَم
 فقال من لم يشاهدها فرُبما يُحال جاعها يُقتاد بالخطم
 هيات لَوْ رُبَّنته الحرب كان بها أعيادها من يد جالت على رَم^(٢)
 تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا ولا طوت صيحة منها على سقم
 لكن طلبنا من الأمر الذي طلبت ولأننا^(٣) قبلنا في الأعصر الدُهم
 نغنا عنده الجذ الخئون ومن تَعُدُّ به نكبات الدهر لم يقم
 فاسود ما أخضر من عيش دَهنته عدا بالأسمر اللدن أو بالأبيض الخدم^(٤)
 وشئت البين شملا كان منتظا والبين أقطع للوصول من سَلَم^(٥)
 فرُب مَبْنى شديد قد أتاح به ركب البلاء فقرته أدمع الدِّيم^(٦)
 قنا لديه أصـيـلانا نسائله أعياء جوايا وما بالربع من أرم^(٧)
 وما ظننا بأن نبقى إلى زمن نرى به غُرر الأحاب كالنعم^(٨)
 لكن رِضا بالقضا الجارى وإن طويت منا الضلوع على بَرَح من الألم

[٣٩]

(١) فت . « بدى لا اقتدار بها » .

(٢) كذا في ت . والزم (بفتحين ، أو بضم ففتح) : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . وفي ط ونفع الطيب طيبة المطبعة الأزهرية : « رحم » . وفي نفع الطيب طيبة أوربة « رحم » . وما أئبناه أوضح ، فهو يريد أن يد هذا اللأم أضنف من يد تحيل قداح الليسر .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « ولاته » . وفي ط : « ولاية » .

(٤) الأسمر اللدن : الرمح . والأبيض الخدم : السيف الفاطم .

(٥) الجلم : المفراض .

(٦) الديم : جمع ديمة ، وهي السحابة يدوم مطرها أياما .

(٧) أصيلا : قرب الأصل . وما بالربع من لرم : أى من أحد .

(٨) الفرر : جمع فررة ، وهي يياض الجبين . والحلم النعم الأسود ، الواحدة حمة (بالضم) .

لَبَيْكَ يَا مَنْ دَعَانَا نَحْوَ حَضْرَتِهِ دَعَاءُ إِبْرَاهِيمَ الصَّجَّاجِ لِلْحَرَمِ
وَأَعْطِ الْأَمْنَ^(١) الَّذِي رُصِّتْ قَوَاعِدُهُ عَلَى أَسَاسِ وِفَاءٍ غَيْرِ مِنْهُمْ
خَلِيفَةُ اللَّهِ وَافَاكَ التَّبِيدُ فَكُنْ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَطَوَّلٍ عِنْدَ ظَنِّهِمْ
وَبَيْنَ أَسْلَافِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ بِهِ مِنْ إِعْتِقَادٍ بِحُكْمِ الْإِرْثِ مُقْتَسَمٍ
وَأَنْتَ مِنْهُمْ كَأَصْلِ مُطْلِعِ غُصْنًا أَوْ كَالشَّرَاكِ الَّذِي قَدْ قُدَّ مِنْ أَدَمِ
وَقَدْ خَطَوْتَ خُطَاهُمْ فِي مَا تَرَاهُمْ فَلَمْ يُدْثَمُوا إِذَنْ فِيهَا وَلَمْ تُدَمَّ^(٢)
وَصِيتَ مَوْلَى الْوَرَى الشَّيْخَ الْإِمَامَ غَدَا فِي النَّاسِ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عِلْمِ
سُلَالَةِ الْأَمْرَاءِ، الْجِلَّةِ الْكِبَرَا ءِ، الْعَلِيَّةِ الظُّهْرَاءِ، الْقَادَةِ الْبُهِمِ^(٣)
بَنُو عَمْرَيْنَ لِيُوثَّ فِي عَرَبَيْنِ أَبَوَا رُؤْيَا قَرِينٍ لَمْ فِي الْبَأْسِ وَالْكَرَمِ
النَّازِلِينَ مِنَ الْبَيْضَاءِ^(٤) وَسَطِحِي أَتَحْيَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّامِي وَمِنْ إِرَمِ
وَالْجَانِسِينَ بِذُهُمِ الْخَلِيلِ كُلِّ ذَرَى وَالذَّاعِسِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ كُلِّ كَيْمِ^(٥)
يَرِيكَ فَارُسُهُمْ إِنْ هَزَّ عَامِلُهُ^(٦) فِي مَا زَقِيَ^(٧) بِلَقَايِ الْهَيْجَاءِ مُضْطَرِمِ

(١) فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ : « وَاعْطِ الْأَمَانَ » .

(٢) فِي ت : « رَسَتْ » .

(٣) لَمْ تَقَم : لَمْ تَقِب . يُقَالُ : ذَامَهُ يَذْعُهُ : إِذَا هَاجَ .

(٤) الظُّهْرَاءُ : جَمْعُ ظَهِيرٍ ، وَهُوَ النَّصِيرُ . وَالْبُهِمِ : جَمْعُ بُهْمَةٍ (بِالضَّمِّ) وَهُوَ الْبَطْلُ الشَّجَاعُ .

(٥) الْبَيْضَاءُ : فَاسِ الْجَدِيدَةِ .

(٦) الْجَانِسِينَ : الْقَيْنِ يَتَرَدَّدُونَ خِلَالَ الْبُورِ وَالْبُيُوتِ فِي الْفَارَةِ . وَكُلُّ ذَرَى : كُلُّ نَاحِيَةٍ .

وَالذَّاعِسِينَ : الطَّاعِنِينَ . وَسُمْرِ الْخَطِّ : الرِّمَاحُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْخَطِّ ، وَهُوَ مَرْفَأُ الْبَحْرَيْنِ .

وَالْكَهْمَى : الْبَطْلُ الْمُنْتَسِرُ فِي سِلَاحِهِ .

(٧) عَامِلُ الرَّمَحِ : صِدْرُهُ .

(٨) فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفْعِ الطَّيِّبِ : « مَارَقَ » وَلَمْلَمَهَا عَرَفَةً عَمَّا أُبَيِّنَاهُ .

- لَيْثًا عَلَى أَجْدَلٍ عَارٍ مِنْ أَجْنَحِهِ يَسْطُو بِأَرْقَمَ لَدَاغٍ بَسِيرٍ فَمِ (١)
 فِي اللَّامِ يُدْغِمُ مِنْ عَسَالِهِ أَلْفًا وَلَمْ نَجِدْ أَلْفًا أَصْلًا بَدَغَمِ (٢)
 أَهْلُ الْخَفِيفَةِ يَوْمَ الرُّوعِ يَحْفَظُهُمْ مِنْ عَصْمَةِ اللَّهِ مَا يُرْبِي عَلَى الْعِصَمِ (٣)
 بَأْسٌ (٤) تَطِيرُ شَرَارُهُ مِنْهُ مَحْرَقَةٌ لِكُلِّ مَدْرَعٍ بِالْحَزْمِ مُحْتَزِمِ
 هُمْ (٥) بَطَائِفَةُ التَّثْلِيثِ قَدْ فَتَكُوا كَمَثَلِ مَا بَفَتِكَ السَّرْحَانِ بِالنَّصَمِ (٦)
 وَإِنْ يَلْتَمِسُهُمْ يَوْمَ الْوَغَى رَهَجٌ أَنْسَوْكَ مَا ذَكَرُوهُ عَنْ ذَوَى الْأَثَمِ (٧)
 تَضَى آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُعْضَلَةٍ إِضَاءَةُ الشَّرْجِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلُمِ
 هَذَا وَلَوْ مِنْ حَيَاءٍ ذَابَ مُحْتَشِمٌ لَذَابَ مِنْهُمْ حَيَاءٌ كُلُّ مُحْتَشِمِ
 طَابَتْ مَدَائِحُهُمْ إِذْ طَابَتْ أَنْفُسُهُمْ فَاشْتَقَّتِ النَّسَمَاتُ اسْمًا مِنَ النَّصَمِ
 لِلَّهِ دَرْهُمٌ وَالشُّعْبُ بِاخْلَةِ بَدَّرَهُنَّ عَلَى الْأَنْعَامِ وَالنَّعَمِ
 بِحَيْثُ الْأَفْقُ يَرَى مِنْ لَوْنٍ مُخَرَّتِهِ كَالشَّيْبِ يُخَضَّبُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَمِ (٨)

(١) الأجدل : الصقر ، شبه به الحصان في سرعة اقتضاضه . والأرقم : الثعبان ، شبه به الرمح .

(٢) اللام : مسهلة عن اللآثم ، جمع لأمة ، وهي الدرع . والعسال : الرمح اللدن ، وقد شبهه في استقامته بالألف . وفي البيت توريه .

(٣) العصم : ما يستصم به الناس في الحرب من ماقول وشبهها . يريد أنهم محوطون من عناية الله وحيالته بما لا تقي بمثله للمقاتل والحصون .

(٤) في ت ونفع الطيب : « يامن » .

(٥) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ت : « وهم » .

(٦) السرحان : القتب .

(٧) كذا في ت ونفع الطيب . والرمج : الثبار تثيرة الحرب . وفي ط : « وهج » . وذوو الأثم : يريد الملتصين ، قاتل من البربر مرفوا بالشجاعة .

(٨) الكم (كسب) : نبت يستعمل في خضاب الشعر . يصفهم في هذا البيت والذي قبله بالجلود في أزمان الصعط والشدّة .

- [٤٠] هناك تَهَلُّ أَيْدِيهِمْ بِصَوْبٍ حَيًّا . يُحْيِي بِالْأَجْدَاثِ مَا فِيهَا مِنَ الرِّمِّ ^(١)
 وَإِنَّ بَقِيَّ زِيَادٍ طَالَمَا ذُكِرَا . إِذَا أَلَمْتَ أَحَادِيثَ بَذِكْرِهِمْ ^(٢)
 « أَحْلَامٌ عَادَ وَأَجْسَادٌ مُطَهَّرَةٌ . مِنَ التَّمَقُّصِ وَالْآفَاتِ وَالْإِثْمِ » ^(٣)
 يَرَوْنَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حَفَظَ جَارِهِمْ . فَلَمْ يُضِرَّ نَازِلٌ فِيهِمْ وَلَمْ يُضْمِرْ
 فَرُوعُهُ ^(٤) بِالْدَّوَاهِي لَا يُرَاعِ وَلَا . يُغْمُّ مِنْهَا بِمَا يَعْرِو مِنَ النُّعْمِ ^(٥)
 هُمُ الْبَحَارُ سَمَاحًا غَيْرَ أَنْ بِهَا . مَا قَدْ أَنَافَ عَلَى الْأَطْوَادِ ^(٦) مِنْ هِمِّ
 وَلَيْسَ يَسْلَمُ مِنْ خُتْفِ مَحَارِبُهُمْ . حَتَّى يَكُونَ إِلَيْهِمْ مُلْقَى السَّلَمِ
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَمِيرٍ أَوْ حَدِيدٍ نَدَسٍ . يُقْرِطُ الْغَرَضَ الْمَقْصُودَ بِالْفَهْمِ ^(٧)
 وَلَا كَسِبَتْ أُنْبَى حَسَنُونَ مَنْ حَسَنَتْ . أُمْدَا حُسنٌ مَا فِيهِ مِنَ الشَّيْمِ ^(٨)
 هَذَا كُمْ ابْنُ أَبِي زَكْرَى الْهَامُ قُلٌّ ^(٩) . فِي أَصْلِهِ الْمُنْتَقَى مِنْ مَجْدِهِ الْعَمِّ ^(١٠)

(١) تَهَل : تقيض . وصوب الحيا : ماء للطر . والأجداث : القبور .

(٢) زياد : هو النابذة الذياني .

(٣) التمهقة : المقوق . والإثم : جمع إثم ، وهو الإثم . وهذا البيت من مقطوعة
 للناطقة أبياتها أربعة في مدح الفاسنة ، وقيل :

هَمُّ لِلْوَكِّ وَأَبْنَاءُ لِلْوَكِّ لَهْمُ . فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ فِي اللَّوَاءِ وَالنَّمِّ
 وَلَمَلِ النَّاطِلِ يَسَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ .

(٤) كذا في الأصلين . وفي فتح الطيب : « فروعه » .

(٥) الروع : موضع الفزع من القلب .

(٦) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « الأطراء » .

(٧) الدنس : كعصاة وكثف وسمم) : الفطن الفهم . ويقرطس الغرض : يصيبه .

(٨) أبو حسون : هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ بن أبي زكريا يحيى بن زيان
 الوطاسي ، يعرف بأبي حسون الباذسي ، يوبع بفاس أول مرة سنة اثنتين وثلاثين
 وتسع مئة . (انظر بقية أخباره في الاستقصا للسلوى) .

(٩) زكري : يريد زكرياء وفيه لغات ، منها زكري (كعري) بتشديد الباء وتخفيفها ،
 وبهذه الرواية الأخيرة جاء هنامك لإشكان السكاف ، ليستقيم الوزن .

(١٠) العمم : التام .

خليفة الله حقا في خليقته كَنَائِبُ نَابٍ فِي حَكْمِهِ عَنِ الْحَكَمِ
 مِمَّا تُنَزِّ قَسِمَاتٌ^(١) مِنْهُ نِيرَةٌ تُنِيلُ بَنَانٌ لَهُ مَا جَلَّ مِنْ نِيمٍ^(٢)
 فَوَجْهُهُ بِدَجِيٍّ وَكَفُّهُ بِجَدَا أَبْغَى مِنَ الزَّهْرِ أَوْ أُنْدَى مِنَ الدِّيمِ^(٣)
 وَفَضْلُهُ وَلَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ جَرَى كَجَرَى الْأَمْثَالِ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأُمِّ
 وَجُودُهُ الْمُسَوَالِي لِلْبَرِيَّةِ مَا وَجُودُهُ يَبْنِيهَا طُرًّا بِمَنْهَدِمِ
 إِذَا ابْتَضَتْ نِعْمًا مِنْهُ الْعَفَاةُ لَهُ لَمْ يَسْمَعُوا كَلِمَةً مِنْهُ سِوَى نَعَمِ
 وَإِنْ يُعْبَسُ زَمَانٌ فِي وُجُوهِهِمْ لَمْ يُبْصِرُوا غَيْرَ وَجْهِهِ مِنْهُ مُبْتَسِمِ
 وَجْهٌ تُبَيِّنُ مِمَاتُ الْمَكْرُمَاتِ بِهِ كَمَا تُبَيِّنُ سَمَاتُ الصَّدَقِ فِي الْكَلِمِ
 وَرَاحَةٌ لَمْ تَزَلْ فِي كُلِّ آوِنَةٍ فِي^(٤) نَيْلِهَا رَاحَةُ الشَّاكِي مِنَ الْعُدْمِ
 اللَّهُ مَا التَزَمْتُهُ مِنْ نَوَافِلِهِ أَيَّامٌ لَا فَرَضَ مَفْرُوضٌ بِمَلْتَزَمِ
 أَنْتَسَى الْخِلَافَ فِي حِلْمٍ وَفِي شَرَفٍ وَفِي سَخَاءٍ وَفِي عِلْمٍ وَفِي فَهْمِ
 فَجَازَ مَعْتَمِدًا مِنْهُمْ وَمُعْتَصِدًا وَامْتِازَ عَنْ قَائِمٍ مِنْهُمْ وَمَعْتَصِمِ
 وَنَاصِرَ الدِّينِ فِي الْإِقْبَالِ فَاقٍ وَفِي نَحْبَةِ الْعِلْمِ أَزْرَى بِابْنِهِ الْحَكَمِ
 أَنْفَالِ أَعْدَائِهِ مَعْتَلَةٌ أَبَدًا مَتَى^(٥) يَرُمُ جَزْمَهَا بِالْخُلْفِ تَنْجِزِمِ

(١) رواية هذا البيت في ط .

مِمَّا نَهَمَ نَسَبَاتُ مِنْهُ نِيرَةٌ تُنِيلُ بَنَانُهُ مَا جَلَّ مِنْ نِيمِ

(٢) قَسِمَاتُ الْوَجْهِ : مَا أَقْبَلَ مِنْهُ ، أَوْ مَحَاسِنُهُ .

(٣) الْجِدَا : الْعَطَاءُ . وَالْدِّيمِ : جَمْعُ دِيْعَةٍ ، وَهِيَ مَطَرٌ يَدُومُ أَيْلَامًا .

(٤) كُنَّا فِي ط وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « مِنْ » .

(٥) كُنَّا فِي ت وَنَفَحَ الطَّيْبُ . وَفِي ط : « حَتَّى » .

- فويل أهل الفلأمن حية ذكر^(١) [للملأئب^(٢)] اللهم المجر ملأئب^(٣) [٤١]
- رائوا عداوة من إن شاء غادرهم مثل الأحاديث عن عاد وعن إرم
- فسوف يأكلهم من جيشه ليجب بكل قرم إلى لحنائهم قرم^(٤)
- وإن الأعراب إذ ساروا لثابته لسائرون إلى لقم على لقم^(٥)
- وهم كما قاله ماض : أرى قديي بسعيه نحو حنفي قد أراق دمي^(٦)
- فقل إذن المناوي الناوي لأن الآذي ياغر^(٧) غرك ما أبصرت في العلم
- له صوارم لو ناجتلك ألسنها لبشرك بغير منك منقصرم
- وإن روك عن قرب سيقبضه قبض المسلم ما قد حاز من سلم^(٨)
- فهو الذي ما له نذ يشابهه من كل متصف بالدهي^(٩) متسم
- يدير الأمر تدبيراً يخلصه مما عسى أن يرى فيه من الوهم
- ويبصر الغيب لحظ الذهن منه إذا تعمى عن أدراكه ألحاظ كل عم

(١) حية ذكر : شهم .

(٢) كذا في فتح الطيب ، ويريد بالملأئب : الجيش الممتد . وفي ت : « الملأئب ، وهو تحريف . وسقطت هذه الكلمة من ط .

(٣) اللهم والمجر : مما يعني الجيش العظيم .

(٤) العجب الجيش الكبير ، والقرم : السيد . والعمان . جمع لحم . وقرم (ككسف) : شديد الموهة لأكل اللحم .

(٥) كذا في ت وفتح الطيب . والقلم : الأكل ، ويريد به الاقتراس ، والقلم (بالتحريك) وسط الطريق . وفي ط : « ... ثم على لقم » .

(٦) يشير إلى قول أبي الفتح البستي :

إلى حنفي سعى قدي أرى قدي أراق دمي

(٧) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « ياغر » .

(٨) المسلم : السلف ، الذي يسلى ذهاب أو فضا على سلعة معلومة إلى أجل معلوم . والسلم : البيع المبيع للمؤجل قبضه .

(٩) الدهي والدهاء : الفكر وجودة الرأي .

- وَيُنِمْ^(١) النظرَ الْمُفَضِّي بِنَاظِرِهِ لَصُوبِ وَجْهِ صَوَابٍ وَاضِحٍ اللَّقْمِ^(٢)
 ذُو مَنْطِقٍ لَمْ تَزَلْ تَجْلُو نَتَائِجَهُ عَنْ مُبْطِلٍ بِخَصَامِ الْمُبْطِلِ الْفَضِيمِ^(٣)
 وَمُسْتَعْرِ لَيْسَ يُصْنَى لِلْوَشَاةِ فَلَمْ يَتَفَقَّ لَدَيْهِ الَّذِي عَنْهُمْ إِلَيْهِ نَعْيُ^(٤)
 فَمَقْلَهُ لَا تَوَازِيهِ الْقَوْلُ وَهَلْ يَوَازِنُ الطُّودَ مَا قَدْ طَالَ مِنْ أَسْكَمٍ
 إِلَيْهِ جَمِيعُ الْوَرَى مِنْ بَدْوٍ أَوْ حَضَرٍ نِدَاءُ مُرْتَبِطٍ بِالنَّصْحِ مُرْتَسِمٍ
 شُدُّوا وَجِدُّوْا وَلَا تَفْنَوْا وَلَا تَهِنُوا قَدْ لَقَّاهُ اللَّيْلُ بِالسَّوَاقَةِ الْحُطَمِ^(٥)
 هَذَا الْأَمِيرُ^(٦) الْقَرِيبِيُّ السَّمِيدُ لَهُ سَعْدٌ يُؤَيِّدُهُ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ
 قَدْ أَقْسَمْتُ أَنَّهُ لِلنَّصُورِ أَلْسَنُ مِنْ نُخْبَةِ الْأَوَّلِيَا مَبْرُورَةُ الْقَسَمِ
 فَشَيْعُوهُ وَوَالُوهُ تَرَوْنَا عَجَبًا وَتَفَقَّرُوا مَعَهُ بِالْأَجْرِ وَالْفَنَمِ^(٧)
 وَالْحَدُّ لَهِ إِذْ أَبْقَى خِلَافَتَهُ كَهْفًا لَنَا مَنْ يُخَيِّمُ فِيهِ لَمْ يَرْمِ^(٨)
 حَرْزُ حَرِيرٍ وَعِزُّ قَائِمٍ وَنَدَى غَمْرٌ دِرَاكٌ بِلَا مَنْ وَلَا سَامَ^(٩)

(١) كذا في فتح الطيب . وإنما النظر : تدقيقه . وفي الأصلين : يمن . وهو يمدى بحرف الجر . يقال : أمن في الأمر ، أى أبعد فيه .

(٢) اللقم (كسب) : وسط الطريق .

(٣) الحضم (ككتف) : الجدل الشديد المحسومة . يريد أنه يبطل حجج خصمه بقوة يانه .

(٤) ينفق : يروج . ونعى إليه : وصل إليه .

(٥) لا تنهوا : لا تخضعوا وتلقوا . ولا تهنوا : لا تضعفوا . ولقاه : جمعا ، والغصير في الأصل للإبل ، والسوافة : السواق ، والتاء للبالغة . والحطم : الشديدة السوق ؛ وهذا مثل . يريد أن تتولى أمرهم ، وهو المدحج ، رجل قوى شديد .

(٦) في فتح الطيب : « الإمام » .

(٧) شيعوه : ناصروه . والنم (بالتحريك) : النعم ، كالنم (بالضم) .

(٨) لم يرم : أى يزع على من يطلبه .

(٩) غمر : كثير . ودراك : متتابع متلاحق .

- دامت ودام لما سَعَدَ سَاعِدُهَا في كل مُبْتَدَأٍ مِنْهُ ^(١) وَخَتَمَ
 فَالَهُ — عَزَّاسُهُ — قَدْ زَانَهَا بِحُلَى مِنْ غُرِّ أُنْدَادِهِ كَالْبَلَدِ فِي النُّظْمِ ^(٢)
 الرَّاهِبِ الْأَلْفَ بَعْدَ الْأَلْفِ مِنْ ذَهَبٍ كَالجَبَرِ يَلْعَقُ فِي مُسْتَوْفَدِ الضَّرَمِ ^(٣) [١٧]
 وَالْفَاعِلُ الْقَمَلُ لَمْ يَنْهَمُ بِهِ أَحَدٌ وَالْقَاتِلُ الْقَوْلَ فِيهِ حَكْمَةُ الْحَكَمِ
 ذَاكُمُ هُوَ الشَّيْخُ فَاعْجَبْ إِنَّهُ هَرَمٌ ^(٤) جُودًا وَحَاشَاهُ أَنْ يُغْزَى إِلَى هَرَمٍ ^(٥)
 وَحَسْبُنَا أَنْ أَبْدِينَا بِهِ اعْتَصَمَتْ مِنْ حَبْلِهِ بَوْتِيقٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ
 فَامُحَالَفُهُ يَوْمًا بِمُضْطَهَدٍ وَلَا مُوَالَفُهُ يَوْمًا بِمَهْتَمِ
 وَلَا مُوَافِيهِ فِي جَهْدٍ بِمَطْرَحٍ وَلَا مُصَافِيهِ فِي وَدٍّ بِمُتَمِّمِ
 وَلَا مُحْيَا مُحْيِيهِ بِمُكَسِّفٍ وَلَا رَجَاءَ مُرْجِيهِ بِمُنْخَرِمِ ^(٦)
 وَمَا ^(٧) تَكْرَهُهُ سِرًّا ^(٨) بِمُكَسِّفٍ وَلَا تَنْكُرُهُ جَهْرًا بِسُكْتَمِ
 وَلَيْسَ لَامِحٌ مَرَّآةً بِمُكَتَبٍ وَلَيْسَ رَاضِعٌ جَدَّوَاهُ بِمَنْفَعِمِ
 وَلَا مُقْبَلٌ يُمْنَاهُ الْكَرِيمَةِ فِي عِلٍّ مُتَمَتِّنٍ بَلْ دَسَتْ مُحَرَّمِ ^(٩)
 وَمَا وَسِيلَتُنَا الْمُظْلَى إِلَيْهِ سِوَى مَا لَيْسَ يُفَكِّرُ مَا فِيهَا مِنَ الْعِظَمِ
 وَإِنَّمَا هِيَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ مِنْ وَسِيلَةٍ رَدُّهَا أَذْهَى مِنَ الرِّضَمِ ^(١٠)

(١) في نفع الطيب طبعة أوربة : « منها » .

(٢) النظم : جمع نظام ، وهو الحيط ينظم فيه الخرز ونحوه .

(٣) في ط : « الظلم » .

(٤) يريد أن المبدوح مثل هرم بن سنان ، ممدوح زهير بن أبي سلمى ، الزنى .

(٥) في نفع الطيب طبعة أوربة : « الحرم » .

(٦) بمنخرم : أى ينقطع .

(٧) في نفع الطيب (طبق أوربة ومصر) : « ولا » .

(٨) في ط : « يوما » .

(٩) يريد بالدست : المكان الكريم ، مأخوذ من دست البيت ، وهو صدره .

(١٠) كذا في ط . والرضم : صغور عظام . وفي ت : « الوخم » .

نبينا المصطفى الهادي بخير هدى محمد خير خلق الله كلمهم
داعي الوري من أولي خيم وأهل قري إلى طريق رشاد لاجب أمم^(١)
عليه منا صلاة الله ما ذكرت «أمين تذكر جيران بذى سلم»^(٢)
وما تشفع فيها بالشفيع له دخيل حرمته القلياء في الحرم^(٣)
«ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» .
«أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين» . «ربنا عليك توكلنا
وإليك أنبنا وإليك المصير» . «ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين
لا مولى لهم» . «نم للولي ونم النصير» .

أما بعد حمد الله الذي لا يحمده على السراء والضراء سواه ؛ والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا محمد ، الذي طلع ظلوع الفجر بل البدر فلاح ، يدعو إلى سبيل
كل فلاح ، أولي قلوب غافلة ، ونفوس سواه ؛ والرضا عن آله وأصحابه ، وعقرته
الأكرمين وأحزابه ، الذين تلقوا بالقبول ما أوردته عليهم من أوامر ونواه ،
وعهده ونصروه في حال قربه ونواه . [٤٣]

فيا مولانا ، الذي أولانا من النعم ما أولانا ؛ لاحظ الله تعالى لكم من العزة
رؤاها^(٤) ، ولا أذرى لنوحة^(٥) دولتك أغصانا ولا أوراها ؛ ولا زالت مخضرة
العود ، [مبتسمة^(٦)] عن زهرات البشائر متخفة بثمرات السجود ، ممتورة

(١) أهل خيم : أى ساكني الخيام . واللاحب : الواضح . والأمم : البين . وقد ورد
النظر الأول من هذا البيت في طهكتنا :

«داعي الوري من أولي من أهل خيم قري»

(٢) هذا الشطر مطلع قصيدة البردة المشهورة لبوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) الدخيل : اللامح . والحرم : القمة .

(٤) الرواق : الحنية . يدعو له بدوام ارتفاع المنزلة .

(٥) النوحة : الشجرة الراسمة الظلال . وأذوى : أذبل وأضعف .

(٦) زيادة عن ت ونفع الطيب .

بسحائب البركات المتداركات دون بُرُوق^(١) ولا رعود :

هنا مقام المائد بمقامكم ، للتعلق بأسباب ذِمّامكم ، للترجى لعواطف قلوبكم ، وعوارف إنعامكم ، المقبل الأرض تحت أقدامكم ، المتلجلج^(٢) اللسان عند محاولة^(٣) مفاتحة كلامكم ؛ وماذا الذي يقول مَنْ وجهه خجل ، وفؤاده وجل ، وقضيته القضية عن التنصل والاعتذار تحل ؛ بيد أنى أقول لكم ما أقوله لربى ، واجترأى عليه أكثر ، واجترأى^(٤) إليه أكبر : اللهم لا برى ، فأعذر ، ولا قوى فأنتصر ، لكفى مُستقيل^(٥) مُستفيل^(٦) مستعجب^(٧) مستغفر ؛ « وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ، إِنْ النَفْسَ لَأَمَارَةً بِالشُّوءِ » . هذا على طريق التنزل والانتصاف ، بما تقتضيه الحال ممن يتحيز إلى حيز الإنصاف ؛ وأما على جهة التحقيق ، فأقول ما قالته الأمّ ابنة الصديق^(٨) : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أُنَى إِنْ أَقْرَدْتُ بِمَا يَقُولُهُ النَّاسُ ، وَاللَّهُ يُعْلِمُ أُنَى مِنْهُ بَرِيئَةٌ^(٩) ، لَأَقُولَنَّ^(١٠) مَا لَمْ يَكُنْ ، وَلَئِنْ أَنْكَرْتُ مَا يَقُولُونَ لَا تَصْدُقُونِي ، فَأَقُولُ مَا قَالَهُ أَبُو يَوْسُفَ^(١١) : صَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » .

على أنى لا أنكر عيوبى ، فأنا مَعْدِنُ العيوب ، ولا أَجْحَدُ ذُنُوبِي ، فَأَنَا

(١) فى ت ونفع الطيب : « برق » .

(٢) فى ط : « والمتلجلج » .

(٣) كذا فى ط ونفع الطيب . وفى ت : « عند مفاتحة » .

(٤) اجترأى : ذنبى .

(٥) مستفيل : طالب الإقالة من العثرة .

(٦) مستفيل : طالب النوال .

(٧) مستعجب : طالب التبي ، وهى الرضا .

(٨) يريد أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق .

(٩) كذا فى نفع الطيب وسيرة ابن هشام . وفى الأصلين : « برى » .

(١٠) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى نفع الطيب وط : « لأقول » . وفى ت : « ولا أقول » .

(١١) تريد سيدنا يعقوب عليه السلام .

جَبَلَ الذنوب ؛ إلى الله أَشْكُو عَجْرِي وَبُجْرِي ^(١) ، وَسَقَطَانِي وَعَلَطَانِي . نَمَّ ،
 كُلُّ شَيْءٍ وَلَا مَا يَقُولُهُ الْمُتَقَوِّلُ ، الْمَشْنَعُ الْمَهْوَلُ ، النَّاظِقُ بِفَمِ الشَّيْطَانِ الْمُسَوِّلِ .
 وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « سُبَّانِي وَاصْدُقْ » ، وَلَا تَقْتَرِ وَلَا تَخْلُقْ ؛ فَيُكَلِّلُكَ بِفِعْلِ أَمْثَالِهَا ،
 وَيَحْمِلُ ^(٢) مِنَ الْأَوْزَارِ الْمَضَاعِفَةِ أَجْمَالَهَا ، وَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَيُحْبِطُ أَعْمَالَهَا ؛ عِيَاذًا
 بِاللَّهِ مِنْ خُسْرَانِ الدِّينِ ، وَإِثَارِ الْجَاهِدِينَ وَالْمُعْتَدِينَ ، قَدْ ضَلَّاتِ إِذَنْ وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُهْتَدِينَ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ شُعْرَةً فِي فَوْدِي ^(٣) تَمِيلُ إِلَى تِلْكَ الْجَمْعَةِ لَقَلَعْتُهَا ، بَلْ
 لَقَطَعْتُ ^(٤) مَا تَحْتَ عِمَامَتِي مِنْ هَامَتِي وَقَطَعْتُهَا ؛ غَيْرَ أَنَّ الرَّعَاعَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانَ ،
 لِلْمَلِكِ أَعْدَاءُ وَعَلَيْهِ أَهْزَابٌ وَأَعْوَانٌ ، كَانَ أَحَقُّ وَأَجَلٌ مِنْ ابْنِ ثُرَوَانَ ^(٥) ،
 أَوْ أَغْلَلٌ وَأَعْلَمٌ مِنْ أَشْجِ بْنِ سِرْوَانَ ^(٦) ؛ وَرُبَّ مُتَّهَمٍ بَرٍّ ، وَمُسْرِبِلٍ بِسْرِبَالٍ [٤٤]
 وَهُوَ مِنْهُ عَرِي ^(٧) ؛ وَفِي الْأَحَادِيثِ صَحِيحٌ وَسَقِيمٌ ، وَمِنَ التَّرَاكِيِبِ اللَّطِيقَةِ مُنْتَجِعٌ
 وَعَقِيمٌ ، وَلَكِنْ تَمَّ مِيزَانُ عَقْلِ ، تُعْتَبَرُ بِهِ أَوْزَانُ النُّقْلِ ؛ وَعَلَى الرَّاجِحِ الْإِعْتَادُ ^(٨) ،
 ثُمَّ إِشَاعَةُ الْإِحْمَادِ ، الْمُتَّصِلُ الْمُنَادُ ؛ وَلِلْمَرْجُوحِ الْأَطْرَاحُ ، ثُمَّ الْذَمُّ الصُّرَاحُ ،
 بَعْدَ النَّفْضِ ^(٩) مِنَ الرَّاحِ ؛ وَأَكْثَرُ مَا تَسْمَعُهُ السَّكْذُبُ ، وَطَبِيعُ جَهْوَرِ الْخَلْقِ إِلَّا مِنَ

(١) العجر والبحر (هنا) : الصيوب والأحزان وما يسدى المرء وما يخفى . والعجر

(في الأصل) : العروق المتقدمة الثالثة . والبحر : ما تقدم منها على البطن خاصة .

(٢) في ط ونجح الطيب : « ويحتمل » .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : من « قَوَادِي » .

(٤) كذا في ط . والطف : القطع . وفي ت : « بل لقات » ، وهو تحريف .

(٥) كذا في أخبار الحمقى واللفظين لابن الجوزي ، والوصاف والنسوب الثمالي . وهو

هشقة القيسي يزيد بن ثروان ، للمروفي بنى الودعات ، وهو مثل في الحق والجهل .

وفي ط : « من أبي ثروان » . وفي ت : « من أبي ثروان » . وكلاهما تحريف .

(٦) أشج بن سروان : هو عمر بن عبد العزيز ، لأنه كانت به شجة .

(٧) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « ومسربل بسربال عار وهو منه عري » .

(٨) كذا في ت ونجح الطيب . وفي ط : « وعلى الراجح على الاعتدال » .

(٩) في ت : « النفاض » .

عصمه الله^(١) إليه منجذب ؛ ولقد قُدِّفْنَا من الأباطيل بأحجار ، ورُمِينَا بما لا يُرْتَمَى^(٢) به الكُفَّار ، فضلا عن الفُجَّار ؛ وجرى من الأمر المنقول على لسان زيد وعمره ، ما لكم منه حفظ الجُبَّار^(٣) ؛ وإذا عظم الإنكاء^(٤) ، فلي تُكَاة التجلُّد الأنكاء ؛ أَكْثَرَ المَكْثُورين ، وجهد^(٥) في تَعْيِيرِنَا للتعمرِّون ؛ وَرَمَوْنَا عن قوس واحدة ، ونظْمُونَا في سلك الملاحيده ؛ أَكْفَرَا أَيضَا كُفْرَا غَفْرَا اللَّهُمَّ غَفْرَا ؛ أَعْدُ نَظْرَا يَا عَبْدَ قَيْس ، فليس الأمر على ما خِيلَ^(٦) لك لَيْس ؛ وهل زِدْنَا على أَنْ طَلَبْنَا حَقَّنَا ، مِمَّنْ رَامَ تَحْفَه وَحَقَّنَا ؟ فطاردْنَا في سبيله عُدَاة كانوا لنا غَاظِينَ ؛ فانتفق علينا فَتَق ، لم يمكن له رَتَق ، وما كنا للنيب حَافِظِينَ .

وبعد ، فاسأل أهل الحل والعقد ، والتميز والنقد ؛ فعند مُجِيبَتِهِمْ تلقى الخبر يقينا ، وقد رَضِينَا بِحُكْمِهِمْ يُؤَثِّمُنَا فَيُؤَبِّقُنَا ، أَوْ يُبَيِّرُنَا فَيَقِينَا . إِيَّاهُ يَا مَنْ اِشْرَابٌ إِلَى مَلَامِنَا ، وَقَدْ حَقَّ فِي إِسْلَامِنَا ؛ زُوَيْدَا رُوَيْدَا ، فَقَدْ وَجَدْتَ قُوَّةَ وَأَيْدَا ؛ وَيَحْكُ ، إِنَّمَا طَالَ لِسَانُكَ عَلَيْنَا ، وَامْتَدَّ بِالسُّوءِ إِلَيْنَا ؛ لِأَنَّ الزَّمَانَ لَنَا مُصَغَّرٌ ، وَلَكَ مُكَبَّرٌ ، وَالْأَمْرُ عَلَيْكَ مُقْبِلٌ ، وَعِنَّا^(٧) مُذْبِرٌ ، كَمَا قَالَ كَاتِبُ الْحِجَابِ الْمُدَبِّرِ^(٨) .

(١) في ط : « إلا من عظم الله » .

(٢) في ت : « بما لم يرم » .

(٣) كذا في ت . ورواية هذه العبارة في ط : « وجرى ... وعمره ما يريكم منه حفظ الجار » . وفي فتح الطيب : « وجرى ... وعمره ما يريكم منه حفظ الجار » ، وظاهر أنها محرفتان عما أُميتاه .

(٤) كذا في ت وفتح الطيب . والإنكاء : شدة النيل من العدو . وفي ط : « وإذا علم الإنكار » .

(٥) في ط : « وجهر » .

(٦) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « ما خيل لك » .

(٧) في ت : « علينا » وهو تحريف .

(٨) كاتب الحجاب : هو يزيد بن أبي مسلم . يشير إلى رد يزيد على سليمان ابن =

وعلى الجملة ، ضهبنا صرنا إلى تسليم مقالك جدلاً ، وذهبنا فأقرزنا بالخطأ
في كل وزرٍ وصدر ، فله دُرُّ القائل :

إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأَ القدرُ^(١)

وكاننا^(٢) بمحسِف^(٣) إذا وصل إلى هنا ، وعدم إنصافه يملسه المنا^(٤) ؛
قد أزور متجانفاً^(٥) ، ثم افتر متهاجفاً^(٦) ، وجعل يمثّل بقولهم :
« إذا عيروا قالوا مقاديرُ قدّرت »

ويقولهم : « اللره يمجز لا محالة^(٧) » ؛ فيعارض الحق بالباطل ، والخالئ
بالعاطل ، وينزع بقول القائل : « رُبُّ^(٨) مُسْمِعٌ هائل ، وليس تحته من
طائل^(٩) » . وقد فرغنا أول أس^(١٠) من جوابه ، وتركنا الضغن يُلصق حرارة

== عبد الملك حين دخل عليه فتقمصه سليمان وسب الحجاج : « إنك رأيتني والأمير

عنى مدبر ، ولو رأيتني والأمير على مقبل استعظمت من أمرى ما استصغرت » .

(انظر البيان والتبيين ج ١ ص ٢١٠ — ٢١١ طبعة الفتح سنة ١٣٢٢ هـ) .

(١) هذا مجز بيت لأبي الناهية ، وصدره :

هي المقادير قلبي أو فذري

(٢) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وكان » .

(٣) في ت : « يحسف » .

(٤) يريد بالمنا : جمع هنة ، وهي العيب . والذى في كتب اللغة أنها تجمع على هنات
وهنوات .

(٥) أزور متجانفاً : مال متباعداً .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وافتر متهاجفاً : أى فتح فاه ضاحكاً مستهزئاً . وفي ت :

« متهاجفاً » وهو تصحيف .

(٧) في ط : « لا المحالة » .

(٨) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين « ذى » . وهو تحريف .

(٩) كذا في ط . وفي ت : « وليس من تحته من طائل » . وفي نفع الطيب :

« وليس تحته طائل » .

(١٠) أول أس : أى بكرته ومبتدأه . والمسموع من العرب عند إرادة اليوم السابق

لأمسك « أول من أس » .

الَجَوَى به ؛ وَسَنَلِمُ^(١) الْآنَ بِمَا يُوسِمُهُ تَسْكِينًا ، وَيَقْطَعُهُ تَبْكِينًا . فنقول له :
 ناشدناك الله تعالى ، هل اتفق لك قَطُّ وَعَرَضٌ ، خروج أمر ما على القصد منك
 فيه والفرض ؛ مع اجتهادك أثناءه في إصدارك وإيرادك ، في وقوعه على وَفْقٍ
 اقتراحك ومُرادك ؟ أو جميع ما تزاوله بإدارتك ، لا يقع إلا مطابقاً لإرادتك ؟ [٤٥]
 أو كل ما تنقصه وتنويه ، تُحْزِرُهُ كما تشاء وتحويه ؟ فلا بُدَّ أَنْ يُقَرَّرَ اضطراباً ،
 بأن مطلوبه يَشُدُّ عنه مِراراً ؛ بل كثيراً ما يُفْلِتُ صيده من أشرأكه ، ويطلبه
 فيمِجْز عن إدراكه ؛ فنقول : ومسألتنا من هذا القبيل : أيها النبيه النَّبِيلُ ؛ ثم
 نسرُدُ له من الأحاديث النبوية ما شِئنا ، مما يُسَايرُنَا في غرضنا منه ويماشينا ،
 كقوله صلى الله عليه وسلم : « كل شيء بقضاء وقدر حتى الصَّجَرُ وَالْكَيْسُ » .
 وقوله أيضاً : « لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرض على أن ينفعوك بشيء ،
 لم يَقْضِ اللهُ لك ، لم يَقْدِرُوا عليه ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضِ
 اللهُ عليك ، لم يَقْدِرُوا عليه^(٢) » ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . فَأَخْلَقَ به أَنْ
 يَلُودَ بأكناف الإحجام ، وَيَرْمُ على نَفْثَةٍ فيه كَأَنَّمَا أَلْجَمَ بِالْجَامِ ؛ حينئذ نقول
 له ، والحق قد أبان وجهه وجلَّاه ، وقهره بمجته وعَلَّاه : ليس لك من الأمر شيء
 قل إن الأمر كله لله . وفي محاجة آدم موسى^(٣) ما يقطع لسان الخصم ، وَيَرْحُضُ^(٤)
 عن أثواب أعراضنا ما عسى أن يعلق بها من دَرَنِ الوَصْمِ ؛ وكيفما كانت الحال ،
 وإن أساء الرأي والانتحال ، ووقعنا في أوجال وأحوال ؛ فثُلَّ حَرُّشُنَا ، وطويت
 قُرُشُنَا ، وَنَكَسَ لَوَاثِنَا ، وَمَلِكْ مَشُونَا ، فنحن مثلُ من سَوَانَا ؛ وفي الشر خيار ،

(١) كَذَا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « وسلم » ، وهو تحريف .

(٢) القى في الأربعين النووية : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء
 لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك
 إلا بشيء قد كتبه الله عليك » .

(٣) راجع صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى : « فلا يخرجكمنا من الجنة فتشقى » .

(٤) كَذَا في ط ونفع الطيب . ويرحض : يسل . وفي ت : « يدحض » ، وهو تحريف .

ويد اللطائف تكسر من صولة الأغيار^(١) ؛ فحقى الآن لم تنقد من اللطيف تعالى
لطفًا ، ولا عَدِمنا^(٢) أدوات أدعية تعطف بلا مهلة على مجملتنا المقطوعة جَمَلِ
النم الموصولة عطفًا ؛ وإلا فقلك بغداد دار السلام ، ومتبَوِّأ الإسلام ، المحفوفُ .
بفرسان السيوف والأقلام ؛ مثابة الخلافة العباسية ، ومقر العلماء والفضلاء أولى .
السير الاوَيْسِيَّة^(٣) ، والقول الإيَاسِيَّة^(٤) ؛ وقد نُوزِلت بالجيش ونُزِلت ،
وزُوِلت بالزُحُوف^(٥) ؛ ونَحِيْفُ^(٦) جوانبها الحثيف ، ودخلها كفار التتار .
[عَنوة^(٧) بالسيف ، ولا تسل إذ ذاك عن كيف ؛ أيام تجلَّت عروس اللنيه ،
كاشفة عن ساتها مُبْدِيَةٍ ، وجرت الدماء في الشوارع والطرق] كالأنهار^(٨) .
والأوديه ، وقيد الأئمة والقضاة تحت ظلال السيوف المنتضة بالعمائم في رقابهم .
والأرديه ؛ وللنجيع^(٩) سيول ، تفوضها الخيول ؛ فتخضبها إلى أرساغها ، وتَهْمُ
ظلمها بوزدها ، فتشكُل عن تجرُّعها ومَسَاغِها ؛ فطاح عاصمها ومستعصمها ،
وراح ولم يند ظالمها ومتفلقها ؛ وخرَّبَت مساجدها وديارها ، واضطَلِم^(١٠) بالحسام .
أشرارها وخيارها ؛ فلم يبق من جمهور أهلها عين تطرف ، حسبا عرفت أو حسبا
تعرف ؛ فلا تكن مُتَشَكِّكًا متوقفا ، فحديث تلك الواقعة الشنماء أشهر عند .

(١) يريد بالأغيار : ثقلات الدهر وأحداثه .

(٢) في ت : « ولعدِمنا » وهو تحريف .

(٣) الأويسية : نسبة إلى أويس بن عامر القرني ، وهو من سادات التابعين زهدا وعبادة ،
وقد قتل بصفين .

(٤) الإيَاسِيَّة : نسبة إلى إيَاس بن معاوية ، فاضى البصرة في عهد عمر بن العزيز ، وكان
معروفًا بشدة زكاته ، وحسن قضاءه ، وقوة جناته ، وفصاحة لسانه .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « بالزحاف » .

(٦) تحيفه : تنقصه .

(٧) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٨) النجيع : الدم الأحمر .

(٩) اصطلم : استؤصل .

المؤرخين من قفّا^(١)؛ فأين تلك الحجاقل، والآراء المُدَارَعة في الحجاقل؛ حين أراد الله تعالى بإدالة الكفر، لم تُجَد ولا قَلَامَةٌ ظُفِّر؛ إذَنْ فَمَنْ سَلِمَتْ لَهُ نَفْسُهُ الَّتِي هِيَ رَأْسُ مَالِهِ، وَعِيَالُهُ وَأَطْفَالُهُ، الَّذِينَ هَامَ مِنْ أَعْظَمِ أَمَالِهِ؛ وَكُلٌّ أَوْ جُلٌّ أَوْ أَقْلٌ رِيَاشُهُ، وَأَسْبَابُ مَعَاشِهِ، الْكَفِيلَةُ بِاتِّهَاضِهِ وَانْتِمَاشِهِ؛ ثُمَّ وَجَدَ مَعَ ذَلِكَ سَبِيلًا إِلَى الْخَلَاصِ، فِي حَالِ مُيَاسَرَةٍ وَمَسَاهَلَةٍ، دُونَ تَصَعُّبٍ وَاعْتِيَاصٍ^(٢)، بَعْدَ مَا ظَنَّ كُلَّ الظَّنِّ أَنَّ لَا تَحِيدَ وَلَا مَنَاصَ؛ فَمَا أَحَقُّهُ حِينَئِذٍ وَأَوْلَاهُ، أَنْ يَحْمَدَ خَالِقَهُ وَرَازِقَهُ وَمَوْلَاهُ؛ عَلَى مَا أَسَدَاهُ إِلَيْهِ مِنْ رِفْدِهِ وَخَيْرِهِ، وَمَعَا فَاتِهِ بِمَا ابْتُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ غَيْرِهِ؛ وَيَرْضَى بِكُلِّ إِيرَادٍ وَإِصْدَارٍ، تَتَصَرَّفُ فِيهِمَا الْأَحْكَامُ الْإِلَهِيَّةُ وَالْأَقْدَارُ، فَالْذَهْرُ غَدَارٌ، وَالْدُنْيَا دَارُ مَشْحُونَةٍ بِالْأَكْدَارِ؛ وَالْقَضَاءُ لَا يُرْذُ، وَلَا يُصَدِّ؛ وَلَا يَنَالِبُ، وَلَا يَطَالِبُ؛ وَالدَّائِرَاتُ تَدُورُ، وَلَا بَدَّ مِنْ نَقْصٍ وَكَامِلٍ لِلدُّورِ؛ وَالْعَبِيدُ مُطِيعٌ لَا مُطَاعٌ، وَلَيْسَ يُطَاعُ إِلَّا الْمُسْتَطَاعُ، وَالْخَالِقُ الْقَدِيرُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ فِي خَلِيقَتِهِ عِلْمُ غَيْبٍ، لِلْأَذْهَانِ عَنْ مَدَاهِ انْقِطَاعٍ؛ وَمَالِي وَالتَّكَافُفُ لِمَا لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، بَيْنَ يَدَيِ ذِي الْجَلَالَةِ وَالْمَجَادَةِ وَالْفَضْلِ وَالطُّوْلِ؛ فَلَهُ مِنَ الْعَقْلِ الْأَرْجَحِ، وَمِنَ الْخُلُقِ الْأَسْجَحِ، مَا لَا تَلْتَقِطُ^(٣) مَعَهُ تَهْمَتِي بِصَغَرِهِ^(٤)، وَلَا تَنْفُقُ عِنْدَهُ وَشَايَةِ الْوَاشِي، لَا عُدَّ مِنْ نَفَرِهِ، وَلَا فَاذَ قَدْحِهِ بِظَفَرِهِ؛ وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا تَلْبَسُ بِاللَّاعِبِ، وَتَجْرِبُ بِرَاحَتِهَا إِلَى التَّاعِبِ؛ وَقَدِيمَا لِلْأَكْيَاسِ مِنَ النَّاسِ خَدَعَتْ، وَانْحَرَفَتْ عَنْ وَصَالِهِمْ أَهْقَلُ مَا كَانُوا وَقَطَعَتْ،

(١) يشير إلى المثل المضروب : « أَمَرُ مِنْ قَفَا نَبِك » . وهي مطولة امرئ القيس المصهورة .

(٢) اعتصام الأمر عليه : اشتد والثبات ، فلم يهتد للصواب .

(٣) تلتقط : تلتصق .

(٤) الصغر (بالتحريك) : اللب والغل .

وفلت بهم ما فعلت ، يَسْتَارُ السَّكَّابُ التي جَبَّتْ وَجَدَعَتْ^(١) ، ولئن رَهَمَتْ وَهَصَرَتْ^(٢) ، قد نَهَتْ وَبَصَرَتْ ، ولئن قَرَعَتْ وَمَقَعَتْ^(٣) ، لقد أَرَشَدَتْ وَوَعَطَتْ ؛ ويا وَيْلَنَا مِنْ تَفَكَّرْهَا لنا بمره ، ورميها لنا في عَمْرَةٍ أَى عَمْرَةٍ ؛ أَيَّامَ^(٤) قَلَبَتْ لنا ظَهَرَ الْحِجْنِ ، وَغَمَّ أَفْهَمَ الْمُصْحَى وَأُدْجِنَ^(٥) ؛ فسرعان ما عَيْنًا حَبَالُهَا مُنْبَتَّةً ، ورأينا منها ما لم نَحْسَبْ كما تقوم الساعة بنته ؛ قَبْنِ اسْتِعَاذٍ مِنْ شَيْءٍ ، فليستعِذْ مما صِرْنَا^(٦) إِلَيْهِ ، مِنَ الْحَوَرِ بعد الْكُورِ^(٧) ، وَالْأَحْطَاطِ مِنَ النَّجْدِ إِلَى الْعَوَرِ :

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَسْرَ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوْقَةٌ تَنْصَفُ^(٨)
فَأَفَّ لَدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ
وَأَبْهَأُ لَقْدَ أَرْهَقْنَا إِرْهَاقًا ، وَجَرَّعْنَا مِنْ صَابِ^(٩) الْأَوْصَابِ كَأَسَا دِهَاقِ^(١٠) ؛
وَلَمْ تَفْزَعْ إِلَى غَيْرِ بَابِكِ الْمَنِيْعِ الْحَنَابِ ، الْمُنْفَتِحِ حِينَ سُدَّتِ الْأَبْوَابِ ، وَلَمْ نَلِمْ
غَيْرَ لِبَاسِ نَعْمَاكُمْ حِينَ خَلَعْنَا مَا أَلْبَسْنَا الْمُلُوكَ مِنَ الْأَنْوَابِ ؛ وَإِلَى أُمِّهِ يَلْجَأُ الْفَطْلُ
لِجَأِ الْهَيْئَانِ ، وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ تَمْتَازُ السِّيُوفُ مِنَ الْأَجْفَانِ^(١١) ، وَوَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى

(١) الجب والجدع : القطع . يغير بهذه العبارة إلى حادثة عبد يدعى يسارا راود بنت مولاه

عن نفسها ، لجبت هذا كبره (انظر كتاب المضاعف والمنسوب للشمالي) .

(٢) الرمس والمصر : المصير والأخذ الشديد .

(٣) مقعت : أغضبت .

(٤) في ط : « وإن قلبت » .

(٥) أدجن : أظلم .

(٦) في ت : « صرنا » .

(٧) الحور : التلصص . والكور : الزيادة .

(٨) تنصف : نطلب النصفه ، وهي الإنصاف .

(٩) كذا في ط ونفع الطيب . والصاب : عصارة شجر مر . وفي ت : « كاس » .

(١٠) دهاقاً : مملوءة .

(١١) في ط : « تمتاز السيوف في الأجوان من الأجفان » . ويريد بالأجوان : جمع جون ،

وهو الظلام .

يبقى ، وكلُّ من عليها فان ، وإلى هنا ينتهي القائل ثم يقول : حسبي هذا ^(١) وكفان ؛ ولا ريب من اشتغال العلم الكريم ، على ما تعارفته الملوك بينها في الحديث والتقديم ؛ من الأخذ باليد عند زلّة القدم ، وقرع الأسنان . وعرض البنان من الندم ؛ دينا به تدبّنت حتى مع اختلاف الأديان ، وعادة أطردت فيهم على تعاقب الأزمان والأحيان .

ولقد عرض علينا صاحب قشتالة مواضع معتبرة ، خير فيها وأعطى من أمانه ، المؤكّد فيه خطّه بأيمانه ؛ ما يقنع النفوس ويكفيها . فلم نر ، ونحن من سلالة الأحمر ، مجاورة الصفر ، ولا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهراني الكفر ؛ ما وجدنا على ذلك مندوحة ولو شاسعه ، وأمنّا من المطالب الشاغب حمّة شرّ لنا لاسمه ؛ وأذكرنا أيّ أذكّار ، قول الله تعالى للسكر لذلك غاية الإنكار : « ألم تكن أرض الله واسعة » ؛ وقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، المبالغ في ذلك بأبلغ الكلام : « أنا بريء من مؤمن مع كافر لا تتراوى نارهما ^(٢) » ؛ وقول الشاعر الحاث على حثّ اللطية ، المتثاقلة عن السير في طريق منجياتها البطيّة :

[٤٨]

وَمَا أَنَا وَالتَّلْدَدَ نَحْوُ نَجْدٍ وَقَدْ غُصَّتْ نِهَامَةٌ بِالرَّجَالِ ^(٣)

(١) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الله » .

(٢) نس هذا الحديث في النهاية لابن الأثير ولسان العربي (مادة رأى) : « أنا بريء من كل مسلم مع مشرك » ؛ قيل : لم يارسول الله ؟ قال : لا تراءى نارهما . أي لا يحلّ للسلم أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر ما يرى كل واحد منهم نار صاحبه .

(٣) التلد : التلفت . وفي الأصلين ونفع الطيب : « التلد » . وهو تعجيف .

ووصلت [أيضاً ^(١)] إلينا ، من الشرق ^(٢) كتب كريمة المقاصد لدينا ؛
تستدعى الانحياز إلى تلك الجنّات ^(٣) ، وتتضمن ما لا مزيد عليه من
الغرائب ؛ فلم نختَر إلا دارنا ، التي كانت دار آبائنا من قبلنا ، ولم نرض
الانضواء إلا لمن بحبله وُصِّلَ حَبْلُنَا ، وبريش نبه ريش نبْلُنَا ؛ إدلالا على محلّ
إخاء متوارث لا عن كلاله ، وامثالا لوصاة أجداد لأنظارهم وأقدارهم أصالة
وجلاله ؛ إذ قد رَوَيْنَا عن سلف من أسلافنا ، في الإيصال لمن يخلف بعدم
من أخلافنا ؛ ألا يبتغوا إذا دهمهم داهم بالخضرة العرينية بدلا ، ولا يجدوا
عن طريقها في التوجّه إلى فريقها مُعْدِلًا . فاخترقنا إلى الرياض الأريضة
الفجاج ، وركبنا إلى البحر الفُرات ظهر البحر الأجاج ؛ فلا غرو أن ترد منه
على ما يُقَرَّر العين ، ويشفى النفس الشاكية من ألم البّين ؛ ومن تَوَصَّل هذا
التوصّل ، وتوسل بمثل ذلك التوسّل ؛ تطارحوا على سُدّة أمير المؤمنين ، المحارب
للمحاربين ، والمؤمّن للمستأمنين ؛ فهو الخليق الحقيقي ، بأن يُسوِّغ أصفى
مشاربه ، ويُبلِّغ أوفى مآربه ؛ على توالى الأيام والشهور والسنين ، ويتخلّص
من الثُّبور إلى الصُّبور ، ويخرج من الظلمات إلى النور خروج الجنين ؛ ولعلّ
شعاع سعادته يفيض علينا ، ونفحة قبول إقباله تسرى إلينا ؛ فتخامرنا أريج حية
تحملنا على أن نبادر ، لإنشاد قول الشريف الرضى في الخليفة القادر :

عَطَفْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّا فِي دَوْحَةِ الْعِلْيَاءِ لَا نَتَفَرَّقُ

مَا بَيْنَنَا يَوْمَ الْفَخَارِ تَفَاوَتْ أَبَدًا كَلَانَا فِي الْمَالِ مُعْرِقُ

(١) زيادة عن ت وفتح الطيب .

(٢) في ط : « للمرق » .

(٣) في ط : « الجهات » .

إلا الخلافةَ مَيَّرْتِكَ فإني أنا عاقل منها وأنت مطوّق

لا ، بل الأخرى بنا والأخفى ، والأصح لسعينا والأرجى ؛ أن نعدل [٤٩]
عن هذا للنهاج ، ويقوم وافدنا بين يدي علاه مقام الخاضع للتواضع الضعيف
الاحتجاج ، وينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج^(١) :

الناس يَفِدُونكَ اضْطِرَّارًا منهم وأفديكَ باختيارِ
وَبَعْضُهُمْ في جوارِ بعض وأنتَ حتى أُمُوتَ جاري
فِعْشَ لُخْبَزِي وعش لِمَائِي وعش لِنَادِي وأهلِ دَارِي

ونستوهب من الثَّمانِ الوَهَّابِ تعالى وجلت أسماؤه ، وتعاظمت نعاؤه ؛ رحمة تجمل
في يد الهداية أَعِنَّنَا ، وعِصْمَةٌ تكون في مواقف المخاوف جُنُنَنَا ؛ وقبولا يُعْطَفُ
علينا نوافر القلوب ، وصُغْمًا يُسْتَقَى لنا كل سرغوب ومطلوب ؛ ونسأله ، وطالما
بلغ السائل سُؤلاً ومأمولا ، متابا صادقا على موضوع النَّدَمِ محمولا ، ثم عزاء حسنا
وصبرا جميلا ، عن أرض أورثها من شاء من عبادِه مُعَقِّبا لهم ومُدْبِلًا ، وسادِلا
عليهم من سُتُورِ الإِمْلاءِ^(٢) الطويلة سُدُولا ، « سُنَّةَ اللَّهِ التي قد خَلَّتْ من قَبْلُ
ولنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » . فليطِرْ طائرُ الوَسْواسِ المُرْفَرِفُ مَطِيرًا ،
كان ذلك في الكتابِ مسطورًا ، ولم نستطع عن مورده صُدُورًا ، وكان أمرُ اللَّهِ
قَدَرًا مَقْدُورًا .

(١) ابن حجاج : هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد الكاتب الناصري . وهذه الأبيات
من أبيات حجة قالها في أبي الفضل الشيرازي . (انظر بنية الدهر للشمالي ، ووفيات
الأميان لابن خلكان) .

(٢) الإِمْلاء : الإمهال .

ألا ، وإن لله سبحانه في مقامكم العلى الذى أبده وأعانه ، سرًا من النصر ، يترجم عنه لسان من النُّصْل ، وترجع فروع البشائر الصادقة ، بالفتوحات المتلاحقة ، من قاعدته المتأصلة إلى أصل ؛ فيمثله يحجب اللياذ والعياذ ؛ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ، ولأمر ما آثرناه واخترناه ، بعد أن استرشدنا الله تعالى واستخرناه ؛ ومنه جلَّ جلاله نرغب أن يَخِيرَ لنا ولجميع المسلمين ، ويُوَوِّينَا^(١) من رحمته ووقايته إلى مَقْعِلِ مَنْعٍ ، وجَنَابِ^(٢) [رفيع]^(٣) ، آمين ، آمين ، آمين .

[٥٠] نرجو أن يكون ربُّنا ، الذى هو فى جميع الأمور حَسْبُنَا ؛ قد خاز لنا حيثُ أَرشدنا وهَدَانَا ، وساقنا توفيقه وَحَدَانَا ؛ إلى الاستجارة بِمَلِكِ حَقِّى ، كريمٍ وَفِّى ؛ أعزَّ جارًا من أبى دُوَادِ^(٤) ، وأَحْمَى أَنفًا من الحارثِ بنِ عُبَادِ^(٥) ، يشهد بذلك الدانى والقاضى والحاضرُ والباد ؛ إن أغاثَ مَلهُوفاً فـما الأسود ابن قَتانَ^(٦) يذكرك ، وإن أنشَ حُشاشة هالك فـما كَتَبَ بن مَامةَ على رِفْله وَحَدَه^(٧) يُشْكرك ؛

(١) فى ط : « ووردنا » . وفى نفع الطيب : « ويثوب بنا » .

(٢) هذه الكلمة « وجناب » : ساقطة فى ت .

(٣) زيادة عن نفع الطيب .

(٤) أبو دواد : هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن العرقى الإيادى . كان بعض الملوك أخافه ، فعبار إلى بعض ملوك اليمن فاجاروه وأحسن إليه ، فغضب المثل بحسن هذا الجوار . وقيل غير ذلك . (انظر تفصيل ذلك فى الشعر والشعراء لابن قتيبة عند الكلام على ترجمة أبى دواد) .

(٥) يشير إلى حمية الحارث بن عباد البكرى فى الحرب بين بكر وتغلب حين بلغه قتل مهلهل بجيرا ابنه وقوله له : يؤ بشعم نمل كليب ، فنادى بالرحيل وقال قصيدته المروفة :

« قريبا مريبك التماسه متى شفت حرب وائل عن حبال »

(٦) لم نجد شيئاً عن الأسود بن قتان هذا فى المظان التى رجعنا إليها .

(٧) يشير إلى ما أثر عن كعب بن مامة الإيادى من أنه أثر بصبغيه من الماء رفيعه الثرى ، فأت عطفاً ، وضرب به المثل فى الإيتار . (انظر الشعر والشعراء ص ١٢٠ طبعة أوربة ، والمضائق والنسب للمصطفى) .

جَلِيسَه كَجَلِيسِ التَّقَعَّاعِ بْنِ شَوْرٍ^(١) ، وَمُذَاكَرَه كَذَاكَرَ سُفْيَانٍ^(٢) النَّتْسَبِ مِنَ الرَّبَابِ^(٣) إِلَى تَوْرٍ ؛ إِلَى التَّحَلِّيِّ بِأَهْمَاتِ الْفَضَائِلِ ، الَّتِي أَضْدَادُهَا أَهْمَاتُ الرِّذَائِلِ ؛ وَهِيَ الثَّلَاثُ : الْحِكْمَةُ ، وَالْعَدْلُ ، وَالْعِفَّةُ ، الَّتِي تَشْمَلُهَا الثَّلَاثُ : الْأَقْوَالُ ، وَالْأَفْعَالُ ، وَالسَّمَائِلُ ؛ وَيَنْشَأُ مِنْهَا مَا شُئْتُ^(٤) مِنْ عَزَمٍ وَحَزَمٍ ، وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ ، وَتَيْقِظٍ وَتَحْفِظٍ ، وَاتِقَاءٍ وَارْتِقَاءٍ ، وَصَوَلٍ وَطَوَلٍ ، وَسَمَاحٍ وَنَائِلٍ ؛ فَبِنُورِ حِلَاهِ الْمَشْرِقِ ، يَفْتَخِرُ الْمَغْرِبُ عَلَى الْمَشْرِقِ ؛ وَبِمُجْتَدِهِ^(٥) السَّامِيُّ خَطَرُهُ فِي الْأَخْطَارِ ، وَيَبْتَهِ الدُّنْيَا ذِكْرَهُ فِي النَّبَاهَةِ وَالنَّجَابَةِ قَدْ طَارَ ، يُبَاهِي جَمِيعَ مُلُوكِ الْجَاهِلِيَّاتِ وَالْأَقْفَارِ ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الرَّفِيعُ الْمُتَنَمِّيُّ وَالنَّجَّارُ ، الرَّاضِعُ مِنَ الطَّهَارَةِ صَفْوِ الْبَيَانِ^(٦) ، النَّاشِئُ مِنَ السَّرَاوَةِ وَسَطِّ الْأَحْجَارِ ؛ فِي ضَيْضِي^(٧) الْمَجْدِ ، وَجُبُوحِ الْكَرَمِ ، وَسَرَاوَةِ أُسْرَةِ الْمَلِكَةِ الَّتِي أَكْنَفَهَا حَرَمٌ ، وَذُوَابِرَةُ الشَّرَفِ الَّتِي تُجَاذِبُهَا لَمْ تُرَمَ ؛ مِنْ مَقْشَرِ أَيْ مَقْشَرٍ ، يَخْلَوُ إِنْ وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ ، وَجَبُنُوا إِنْ لَمْ يَحْمُوا سِوَى ذِمَارِهِمْ ، بَنُو^(٨) مَرَيْنَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا بَنُو مَرَيْنَ :

(١) الفقعاع بن شور : تابي يضرب به المثل في حسن المجاورة ؛ كان إذا جالسه واحد

بالفصد إليه جعل له نصيباً من ماله ، وأعانته على عدوه ، وشفع له في حوائجه .

(أنظر للمصنف والنسب ، وشرح القاموس مادة ققعع) .

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، تابي من كبار رجال الحديث .

(٣) الرباب (بالراء المشددة المكسورة) : الجماعات ، وتطلق على قبائل عوف وثور

وأشيب وضبة عنهم ، سموها بذلك لتفرقهم .

(٤) كذا في ت ونفع الطيب والاستقصا لسلاوي . وفي ط : « ناشئة » .

(٥) في نفع الطيب : « وبمجده » .

(٦) في ت : « البان » .

(٧) الضيضي : الأمل .

(٨) في ط : « فبنو » .

سَمُّ الْفَسَادَةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ^(١)

الْقَازِلُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ

لَهُمْ مِنَ الْهَوَاتِ انْتِفَاءً ، وَعَنْهُمْ مِنَ السَّيْرِ النَّبْوِيَّةِ اكْتِفَاءً ؛ انْتَسَبُوا إِلَى
بَرِّ بْنِ قَيْسٍ^(٢) ، نَفَرُوا فِي الْبَرِّ عَنِ الْقَيْسِ^(٣) ؛ مَا لَهُمْ الْقَدِيمُ الْمَعْرُوفُ ، قَدْ نَفَدَ
فِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ ، وَحَدِيثُهُمُ الَّذِي تَقَلَّتْهُ رِجَالُ الرُّخُوفِ^(٤) ، مِنْ طُرُقِ الْقَنَا
وَالسُّيُوفِ ، عَلَى الْحَسَنِ مِنَ الْمَقَاصِدِ مَوْقُوفٌ^(٥) ؛ تَحَمَّدَ مِنْ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ ،
ذَابِلَهُمْ وَلَنْسَهُمْ ، فَلَهُ أَبَاءُ أَنْجَبِهِمْ ، وَأُمَّهَاتٌ وَلَدْنَهُمْ :

سُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ^(٦)

إِلَيْهِمْ فِي الشَّدَائِدِ الْاسْتِنَادُ ، وَعَلَيْهِمْ فِي الْأَزِمَاتِ الْمُعَوَّلُ ، وَلَهُمْ فِي الْوَفَاءِ
وَالصَّفَاءِ وَالِاحْتِفَاءِ ، وَالْعَنَاءِ^(٧) وَالْحَمَاةِ وَالرَّعَايَةِ ، الْخَطُّ الْوَاسِعُ ، وَالْبَاعُ الْأَطْوَلُ ،
كَأَنَّمَا عَنَامٌ يَقُولُهُ جَرُولٌ^(٨) :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

(١) هذا عجز بيت ، وصدره : « لا يبعدن قومي الذين هم » . وهذا البيت والذي يليه من

قصيدة لخرنق بنت هفان ترى زوجها وابنها علفمة وأخويه . (راجع الأمالي ج ٢

ص ١٥٨ طبعة دار الكتب) .

(٢) هو بر بن قيس عيلان ، وإليه ينتسب الزبير . (انظر شرح القاموس مادة بر) .

(٣) القيس : القياس والتقدير .

(٤) الزخوف : جمع زحف ، وهم الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة .

(٥) في ط : « موصوف » .

(٦) هذا عجز بيت لسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها الفلاسنة ، وصدره :

بيض الوجه كريمة أحسابهم

(٧) هذه الكلمة : « الناية » ساقطة في ت . . .

(٨) جرول : اسم الحظيطة الفاحش المخضرم المعروف .

وإن كانت النمل عليهم جزوا بها^(١) وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وتعدلي أبناء^(٢) سعد عليهم^(٣) وما قلت إلا بالتي علمت سعد
وبقوله الوثيق مبناه ، البليغ معناه :
قوم إذا عقدوا عقداً جارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا^(٤)
يرمبون عن النزول كل نازح قاصم ، وليس له منهم عائب ولا واصم ، فهم^(٥)
أحق بما قاله في منقر قيس بن عاصم^(٦) :
لا يفتنون لسب جارهم وهم لحفظ جواره فطن^(٧)
حلام هذه الفريزة التي ليست باستكراه ولا جعل ، أمير المؤمنين ، دام
نصره ، قسيمهم فيها حذو^(٨) النمل بالنمل ، ثم هو عليهم وعلى من سواهم
بالأوصاف الملوكية مستعمل ؛ ارفض مزئهم منه عن غيث ملث يحو أثار
اللزبه^(٩) ، وانشق عليهم منه عن لث صار منقبض على برائه للوثبة^(١٠) ، فقل

(١) رواية هذا الشطر في مختارات ابن السجري : « وإن كانت النمل عليهم جزوا بها » .

(٢) في مختارات ابن السجري : « أبناء » . والأبناء : الأخلاط .

(٣) يروي : « وقد لامني أبناء سعد عليهم » .

(٤) العناج : عروة في أسفل الغرب من باطن ، تشد يوثاق إلى أعلى الكرب ، وهو

الجبل الذي تعلق فيه اللؤلؤ من مرقوبتها ، فإذا انقطع الكرب أمسك العناج اللؤلؤ

أن تقع في البئر . يريد أنهم إذا عقدوا عقداً جارهم أحكموه .

(٥) كذا في ط . وفي ث ونفع الطيب والاستعصا للسلوى : « فهو » .

(٦) بنو منقر : من تميم ، منهم قيس بن عاصم هذا .

(٧) هذا البيت من أبيات لقيس مظلما :

إني امرؤ لا يستري حسبي دلس يفتنه ولا أفن

(٨) كذا في ث ونفع الطيب : وفي ط : « حذوك » .

(٩) اللزبة : الضيق والشدة .

(١٠) يشير إلى قول النابغة :

وقلت يا قوم إن أليت منقبض على برائه للوثبة الضاري

لِسَكَّانِ الْقَلَا : لَا تَقْرَبُنَّكُمْ أَعْدَادُكُمْ وَأَمْدَادُكُمْ ، فَلَا يُبَالِي السَّرْحَانِ التَّوَاشِي ،
سِوَا مَنْ مَشَى إِلَيْهَا التَّقَرَّى أَوْ الْجَفَلَى ^(١) ؛ بَلْ يَصْدِمُهُمْ صَدْمَةٌ تَحْطِمُ مِنْهُمْ كُلَّ
عِرْنِينَ ، ثُمَّ يَنْتَلِعُ بِمَدِّ أَشْلَاهُمْ الْمُعْقَرَةُ ابْتِلَاعُ التَّنِينِ ^(٢) ؛ فَهُوَ هُوَ كَمَا عَرَفُوهُ ،
وَعَهْدُوهُ وَالْقَوَى ؛ أَخُو ^(٣) الْمَنَايَا ، وَابْنُ جَلَا ^(٤) وَطَلَاغُ التَّنَايَا ^(٥) ، مَجْتَمِعُ أَشْدُّهُ ،
قَدْ احْتَنَكْتَ سَنَتَهُ ^(٦) وَبَانَ رُشْدُهُ ؛ جَادَ مَجْدُهُ ؛ مَحْتَزَمٌ بِحِزَامٍ مِنَ الْعَزَمِ ، مُشَمَّرٌ
مِنْ سَاعِدِ الْحَدِّ :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دَمٍ وَلَا يَبْتَئِ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ ^(٧)
[٥٢] أَمَدِيُّ الْقَلْبِ آدِيٌّ الرُّوَاءِ ، لَا بَسَ جِلْدَ الثَّمَرِ لَذَوِي الْعِنَادِ وَالنُّوَاءِ ^(٨) :

وَلَيْسَ بِشَاوِيٍّ عَلَيْهِ دَمَامَةٌ إِذَا مَا سَعَى يَسْعَى بِقَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ^(٩)
وَلَكِنَّهُ يَسْعَى عَلَيْهِ مُفَاضَةٌ ^(١٠) دِلَاصٌ كَأَعْيَانِ الْجِرَادِ النَّظْمِ ^(١١)

(١) معنى إليها التقرى أو الجفلى ، أى دهمها وحده أو مع غيره .

(٢) التنين (بكسر أوله) : الحية العظيمة .

(٣) فى ط : « وأخو » .

(٤) يقال : هو ابن جلا : للسيد العريف الذى لا يفتنى مكانه .

(٥) التنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ؛ وطلاغ التنايا : من يسمو لمعال الأمور .

(٦) احتنكت سنة : قويت تجاربه .

(٧) القلب : البئر . وهذا البيت من قصيدة لأبى سعيد الخزرى . (انظر الأملال ج ١)

ص ٢٥٩ طبعة دار الكتب المصرية .

(٨) النواء : للتناوأة ، وهى المعادة .

(٩) شاوى : صاحب شاء ، وهى الغنم . ورواية هنا البيت فى اللسان مادة (شوه) :

ولست بشاوى عليه دمامة إذا ما غدا يفتدو بقوس وأسهم

وهو الذى بعده ليزيد بن عبد اللذان .

(١٠) رواية هذا الشطر فى اللسان مادة (عين) : « ولكننى أغدو على مفاضة » .

(١١) للمفازة : الدرع . والدلاص : اللينة البراقة اللساء .

فالنجاء النجاء سامعين له طائسين ، والوحاء الوحاء^(١) لاحقين به خاضعين ؛
 قبل أن تساقوا إليه مفرّنين في الأصفاذ ، ويعيا الفداء بنفائس النفوس والأموال
 على القاد^(٢) ؛ حينئذ يعص ذو الجمل والقدامة^(٣) ، على يديه حسرة وندامة ؛ إذا
 رأى أبطال الجنود ، تحت خوافق الرايات والبُنود ، قد لفّحتهم نار ليست بذات
 سُمود ، وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم : عادٍ وعمود ؛ زَعَقَات
 سَبَطَانَات^(٤) تَوْز^(٥) . النكتائب أَرَا ، وهزاً محققاً للخيال بعد المدّ المشبع للأعنة
 همزاً ، وسللاً للهندية سللاً وهزاً للخطية هزاً ، حتى يقول النّسر للذئب : هل
 تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرَا^(٦) . رثى خليفة الله بذاك ، في كل
 من رام أذى رعيته أو أذاك^(٧) ، فتلك عادة الله سبحانه وتعالى في ذوى الشقاق
 والفتاق ، الذين يشقّون عصا المسلمين ، ويقطعون طريق الوفاق^(٨) ؛ وينصبون
 حَبَائِلَ البُتْنِ والفساد في جميع النّواحي والآفاق ؛ فلن يجعلهم الله عزّ وجلّ من
 الآمنين ، أنى وكيف وقد أفسدوا وخانوا ؟ وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ،
 ولا يهدى كيد الخائنين .

وهانحن قد وجهنا إلى كعبة مجدكم وُجوه صلواتِ التقديس والتعظيم ،
 بعد ما زينا معاطفكم باستعطافكم بذُرْ ثناء أبهى من دُرِّ العقْدِ النظيم ؛ منتظمين

(١) كذا في الأصلين . والوحاء : السرعة . وفي فتح الطيب : « والوجل الوجل » .

(٢) القاد : ففادى ، وهو من يفديهم بالمال .

(٣) القدامة : التي عن الحجة مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٤) سبطانات : جمع سبطانة ، وهي آلة يرمى بها في الحرب ، (مولدة) .

(٥) تَوْزَم : تحركهم بقفدة .

(٦) ركرأ : صوتاً خفياً .

(٧) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « وأذاك » .

(٨) في ت وفتح الطيب : « الرفاق » .

في سلك أوليائكم ^(١) ، متشرفين بخدمة عليائكم ؛ ولا قَدَّ عزه ولا علمها ،
 مَنْ قصد مثابَّتكم العزيزة وخَدَمها ؛ وإن التَّراعى على سنائنكم ، لجدير بمحرمكم
 واعتنائكم ؛ وكل ملهوف تبوأ من كنفكم حصننا حصينا ، عاش بقية عمره محروسا
 من الضيم مصبونا ؛ وقد قيل في بعض الكلام : من قعدت به زكَاية الأيام ، [٥٣]
 أقامت إغاثة الكرام ؛ ومولانا أيداه الله تعالى ولي ما يَرْفُقه إلينا من مكرمة يكر ،
 ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد في صحائف ^(٢) حسن الذكر ، ويَرْوِي مُعْنَنَ
 حديث حمده وشكره طُرُسٌ عن قَلَمٍ عن بَنَانٍ عن لسان عن فكر ؛ وغيره
 من ينال عن ذلك فيؤَقَط ، ويسترسل مع الغفلة حتى يذْكَر ويُوَعَّظ ؛ وما عُهِد مُنْذُ
 وجد إلَّا سريعا إلى داعي الندى والتَّكْرُم ، بريئا من الضَّجَر بالمطالبة والتَّهَرُّم ؛
 حافظا للجار الذي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بحفظه ، مستغرنا وسعه في
 رَغِيهِ المستمر ولحظه ، آخذنا من حسن الثناء في جميع الأوقات والآناء بحفظه :

فهو من دُرُوحَةِ السَّنا فرعٌ عَزَّ ليس يحتاج مُجْتَنِيهِ لهُرَّ
 كَفُّهُ في الإِحْمالِ أَغْنَى وَبَلْ وَذَرَاهُ في الخوفِ : أَمْنَعُ حِرْزِ ^(٣)
 حِلْمِهِ يُسْفِرُ اسْمَهُ لَكَ عَنْهُ فَتَفْهَمُ يَا مَدْعَى الْفَهْمِ لُفْزِي ^(٤)
 لَا تَسْلُهُ شَيْثًا وَلَا تَسْتَنْلُهُ نَظْرَةٌ مِنْهُ فَيْكَ تُفْنِي وَتُجْزِي
 فَتَدَاهُ هُوَ الْقُرَاتِ الَّذِي قَدْ عَامَ فِيهِ الْأَنَامُ عَوْمَ الْإِوَرِّ
 وَحِمَاهُ هُوَ اللَّيْنِيعُ الَّذِي تَرَجَّعَ عَنْهُ الْخَطُوبُ مَرْجِعَ عَجْزِ

(١) في ط : « ومتنظمين في سلك أولائكم » .

(٢) في ت : « الصحائف » .

(٣) ذراه : كنفه .

(٤) لعله يريد أن الحلم يلحظ في اسمه (الشيخ) ، لأن مع الفيخوخة الرزاة والمهدوء .

فَدَعُوا ذَهَبَهُ يَزُولُ قَوْلِي فهو أدرى بما تضمن رمزي
دام يُخَيِّ بِكَلِّ صُنْعٍ وَمَنْ ويعاني من كل بؤس ورجز

وكأننا به قد عمل على شاكلة جلاله ، من مدّ ظلاله ، وتمهيد خلاله ، وتلقى ورودنا بحسن تهله واستهلالة ، وتأنيسنا بحمّل قبوله وإقباله ، وإيرادنا على حوض كونه المُنْقَرع بزلاله . والله [سبحانه] ^(١) يُسَمِّدُ مَقَامَهُ الْعَلِيِّ ، وَيُسَعِّدُنَا بِهِ فِي حَلِّهِ وَارْتِحَالِهِ ، وَمَالِهِ وَحَالِهِ ؛ وَيُوَيِّدُ جَنْدَهُ الْمَظْفَرِ ، وَيُوَيِّدُنَا بِتَأْيِيدِهِ عَلَى نِزَالِ عُدُوِّهِ وَاسْتِنْزَالِهِ ، وَهَزِّ الدُّوَابِلِ ^(٢) لِإِطْفَاءِ ذُبَالِهِ ؛ وَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُسْتَوَلُ أَنْ يُرِيَهُ قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخُدَّامِهِ وَأَمْوَالِهِ ، وَأَنْظَارَهُ ^(٣) وَأَعْمَالَهُ ، وَكَافَّةَ شَتُونِهِ وَأَحْوَالِهِ . وَأَحَقُّ مَا نَصَلَ بِالسَّلَامِ وَأَوْلَى ، عَلَى الْمَقَامِ الْجَلِيلِ مَقَامَ الْخَلِيفَةِ الْمُؤْتَى : أَزَكَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَاتَمَةِ ^(٤) أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَرْسَالِهِ ^(٥) ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَآلِهِ ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ أَبَدًا ، مُوَصُولِينَ بِدَوَامِ الْأَبَدِ وَاتِّصَالِهِ ، ضَامِنِينَ لِمُجَدِّدِيهَا وَمُردِّدِيهَا صَلَاحَ فَاسِدِ أَعْمَالِهِ ، وَبُلُوغَ غَايَةِ آمَالِهِ ، وَذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِذْنِهِ وَفَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ .

اتمى الكتاب ؛ وأوردته بطوله لما فيه من ذكرى واعتبار ، بما فعلته الدنيا مع الملوك الأعظم الكبار ، ولأن الكلام جر إليه ، والله تعالى الكفيل بخلاص من توكل عليه .

(١) زيادة من فتح الطيب .

(٢) الدوابل : الرماح ، جمع ذابل .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . والأنظار : جمع نظر ، وهو مصدر ، يراد به ما ينظر النظر عليه من الأعمال . وفي ت : « أقطاره » .

(٤) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « خاتم » .

(٥) يريد رسله ، والأرسال : غير مسموع في هذا المعنى .

أبو عبد الله
المريني ونحوه
من نظم

وصاحب هذا الإنشاء وصفه الإمام ابن داود بقوله : « الفقيه الخطيب
الفاضل ، خاتمة الأدباء بالأندلس ^(١) ، أبو عبد الله محمد بن الفقيه الصالح أبي محمد
عبد الله العقيلي المعروف بالمريني .

ومن بديع نظم هذه الأبيات ^(٢) :

جَزُ بِالْبَسَاتِينِ وَالرِّيَاضِ فَمَا أَبْهَجَ مَرَّتِيهَا ^(٣) وَأَجْلَاهُ ^(٤)
وَأَعْجَبَ بِهَا لِلنَّبَاتِ وَلِتَكُنْ فِي أَسْفَلِهِ نَاضِرًا وَأَعْلَاهُ
وَقَدَّسَ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَقُلْ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

ورأيت بخط ابن داود المذكور أنه وقع بينه ، أعني ابن داود ، وبين الفقيه
المدرس أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل بن إبراهيم البسطي ، نزاع في مسألة نحوية ،
قال : وطال فيها الكلام ^(٥) بما تَقَيَّدَ عني في غير هذا ، فقال الفقيه الخطيب
الأديب العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي يُوزَى بالقضية ، ويشير إلى
قصة نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام :

نَدَّدَ الْبَسْطِيُّ فِي مَسْأَلَةٍ لِابْنِ دَاوُدَ وَقَدْ أَحْكَمَهَا
وَقَدِيمًا وَقَمْتُ مُغْضَلَةً وَابْنُ دَاوُدَ الَّذِي فَهَمَهَا ^(٦)

[٥٥] انتهى .

قصيدة الدولون
في ثوب الجزيرة

ومن نظم الشيخ الفقيه ، الأستاذ القرني الخطيب ، ألفذ الأوحى ، سيدى

(١) في ت : « أدباء الأندلس » .

(٢) في ت : « ومن بديع نظم قوله » .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « مرآها » .

(٤) في فتح الطيب : « وأحلاه » .

(٥) في ت : « القيام » .

(٦) يشير إلى قوله تعالى في قصة النمل والحملث : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا
حكمًا وعلمًا » .

أبي العباس أحمد الدقون^(١) رحمه الله ، قصيدة في نَدْب^(٢) الجزيرة ، تذكر النفوس بشجوها ، فترسل العيون دموعها الغزيرة ، افتتحها بنثر نصه :

الحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل .
أما بعد فيقول خديم^(٣) أهل الله تعالى ، عُبِيد الله أحمد بن محمد الأندلسي ، الشهير بالدقون ، لطف الله به بمنه وكرمه :

إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء ، بأخذ الحراء ؛ فَرَعَتْ^(٤) باب النَّدْبِ ، لما تقدم من الصبحة ؛ فقلت أبياتا صَدَرَتْ من قلب كثيب ، مُبَكِّية كل^(٥) ليبب أريب ؛ وسميتها بالموعظة الغراء ، بأخذ الحراء ، مبيحا لمن رغب فيها ، ولم يرغب عنها ، أو استحسن شيئا منها ، أن يحدث بها عني ؛ وذلك بسد إتيان لفظها وحفظها ، وفهم وعظها ولفظها ؛ وإن كنت لأحسن أن أقول ، وربما أَعَزَى بها إلى المُضُول ؛ لكنتى لأعَدَم اللثيل ، وفي مثل هذا قيل :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى المرءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ معايبه
والله حسبي وعُدَّتِي ، وهو مُقِيلُ عَثَرَتِي . وهذا مطلع صباحها ، ومنبع افتتاحها :
أَمِنْتُ من عَكْسِ آمال وأحوال وعَشْتُ ما بين أعمام وأحوال
ولا ابْتَلَيْتَ بما في القلب من نكدي فالجسمُ مشغول من غير أشغال
وكيف لا وبيع الدين خالية من أرض أندلس من أجل أهوال

(١) . هو أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي المصهور بالدقون ، توفي مستهل شعبان سنة إحدى وعشرين وتسع مئة . (انظر كتاب نيل الابتهاج ، بطريرك الديباج ، لأحمد بابا التنبكي) .

(٢) في ت : « ندية » .

(٣) انظر حاشية رقم ٣ صفحة ٣٩ من هذا الجزء .

(٤) في ت : « لكل » .

عَتَّ فَعَتَّتْ قُلُوبَ السَّلَمِينَ فَيَا لَسَلَمِينَ مِنْ أَعْدَاءِ وَأَنْكَالِ
جَاشَتْ بِهِامِنْ جِيُوشِ الْكَفَرِ مَا دَرَسَتْ بِهِمْ مَعَالِمُ أَخْيَارِ وَأَقْبَالِ^(١)
أَهْلُ الشَّجَاعَةِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَهْلُ تَقَى أَهْلُ النِّفَاسَةِ فِي قَوْلِ وَأَفْصَالِ
عَنْهُمْ وَفِيهِمْ أَحَادِيثُ النَّبِيِّ بَدَتْ وَهُمْ مَسَاقِلُ قَوْلِ اللَّهِ لِلتَّالِي
رُهْبَانِ لَيْلٍ وَفُرْسَانِ النَّهَارِ قَمَنْ يُلَمُّ بِسَاحَتِهِمْ يَظْفَرُ بِأَمَالِ
لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ لِلزَّافِ لَمْ يَسْلُو عَنْ أَهْلِ وَأَوْطَانِ وَأَمْوَالِ
فَهَلْ تَرَى بَدَ هَذَا النَّفْسِ سَائِلَةً وَكَيْفَ تَسْأَلُ عَنْ وَصْفِ وَعَنْ حَالِ
تَأَلَّهَ لَا زَالَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ أَسْفٍ وَلَوْ أَكُونَ حَلِيفَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي
أَوْ يَفْتَحَ اللَّهُ فِي نَصْرِ يَمُنْ بِهِ فَاللَّهُ بَاقٍ يَبْقَى مِنْ كُلِّ مُحْتَاحِ
قَدْ رَامَ إِطْفَاءَ نَوْرِ اللَّهِ مَجْتَهِدَا وَبِإِذْلَا كُلِّ مَا قَدْ حَازَ مِنْ مَالِ
سَطَا بِجِيْشِ كَوَجِ الْبَحْرِ فِي عُدَدٍ نَمَ ، وَفِي حَدَدٍ مِنْ رَهْطِ أَبْطَالِ
مُؤَيَّدَا بِاجْتِمَاعِ الْمَصْرِ يَتَبِعُهُ شَرِ الْخِلَاقِ مَسْرُورَا بِإِقْبَالِ
يَسْتَبِي الْمَسَامَحَ بِالْإِنْقَاضِ^(٢) وَقَعَ الصَّوَاقِعُ فِي هَيْدٍ وَزَلْزَالَ
يَبْنَى لِيَهْدِمَ مَا الْإِسْلَامَ شَيْدَهُ وَالْوَصْفَ يُفَجِّزُ مَنْ يُدْمَى بِقُلُقَالِ^(٣)
فَهُوَ الْقَاتِلُ فِي الْأَبْرَاجِ مُنْقَلِ إِلْفَ التَّحُوسِ وَتَغْيِيرِ^(٤) وَرَمَحَالِ
فَاسْتَوْظَنَ الْمَرْجَ لَا بِنُؤَى الرَّحِيلِ وَلَا يَخْشَى الْمُنَيْبَ بِسَهْلٍ أَوْ بِأَجْبَالِ
وَالْمُسْلِمُونَ مِنَ الْأَضْغَانِ قَدْ مِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَأَبْوَا تَسْيِدِ أَخْلَالِ^(٥)

[٥٦]

(١) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك دون الملك الأعظم .

(٢) كَذَا فِي الْأَسْلِينَ : وَلَهَا مَعْرِفَةٌ عَنِ الْأَنْطَاطِ (بِالطَّاءِ) ، يَرِيدُ بِهَا الْآلَاتِ النَّقِ .
تَرَى بِهَا الْحَصُونِ وَالْأَسْوَارَ كَالْمَدَائِعِ . (انْظُرْ تَكْمِلَةَ الْمَلَامِ الْعَرَبِيَّةِ لِنُوزِي) .

(٣) يَرِيدُ بِالْقُلُقَالِ (هُنَا) : الْفَصِيحِ الْهَسَنِ ، كَمَا هُوَ شَائِعٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمَغَارِبَةِ حَتَّى الْيَوْمِ ..

(٤) فِي ط : « النَّجُوسِ » .

(٥) الْأَخْلَالُ : جَمْعُ خَلٍّ ، وَهِيَ الثَّغْرَةُ فِي الصَّفُوفِ وَنَحْوِهَا .

والحقَّ مختلفٌ والحقُّ مؤتلفٌ
 وهم لديه كطير وهو ينفقه
 إذا تجرَّد^(١) من ريش يطير به
 سدّوا مسالكَ أرزاقٍ ومنفعة
 ثم استغاثوا : ألا فرسانٌ عاديةٌ
 والصيفُ ضيعتَ ما أمّلتَ من أبْنٍ
 وازحَلْ بنبلك^(٢) نحو القرب في كرم
 فاستمكنَ الرُّعبُ في الأكبَادِ وانفقت
 واحتلَّ غِرَاطَةُ النَّزَاءِ قد^(٣) حُدِمت
 كأنها الشمسُ في أفقِ الثُّلَى كُسِفَتْ
 وهل تعود لِيَالٍ قد سَلَقْنَ بها
 وهل يعود لها الدين الذي أنِستَ
 فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكنهم
 قد فرَّقُوا كَسَبًا في كلِّ منزلة
 والكلُّ منصرفٌ عن نصرٍ أبطلٍ
 والطير يرجو البقا مع كَيْدِ قَتَالٍ
 أنحى يدافع عن رُوحٍ بأوصال^(٤)
 كدودة القز في نَسْجٍ لسِرْبَالٍ
 قال الصدى : لستَ ذارِمعَ ونَبَالٍ
 ففارقِ الجَبَّحَ من تدخينِ نَحَالٍ^(٥)
 من قبل وضعك في قَيْدٍ وأغلالٍ
 بعد اختلافٍ على تأمينِ أرذالٍ
 حَبَّ الحصيد ونصرَ الله والآل
 فهل على طَلَلٍ ترمى بأبطال؟^(٦)
 ونحن لا نشعكى تنكيدَ ضَلَالٍ؟
 به وقد أيسَتْ من فتحِ أبدالٍ؟^(٧)
 كمثل عايٍ وما عادُ بأشكالٍ
 وقد سبا عدّه من أيدٍ أو عالٍ^(٨)

(١) كذا في ط . وفي ت : « تجدد » وهو تحريف .

(٢) الأوصال : مجتمع النظام . يريد الأطراف .

(٣) الجبج : خلية النحل . والنحال : القائم على خلايا النحل .

(٤) في ت : « بنبلك » .

(٥) في ت : « واستمكن » .

(٦) في ط : « مذ » .

(٧) كذا في ط . وفي ت : « توى بأطلال » ولا معنى له .

(٨) يشير إلى ما هو معروف في الغرب من الاستنصار بالأولياء ، وهم الأبدال ، عند اشتداد الأزمات والخطوب .

(٩) كذا ورد هذا الشطر في الأصلين .

فلا المساجد بالتوحيد عامرة
ولا للنابر للوعاظ بارزة
ولا للكاتب بالصبيان آتسة
آه على الدين والدنيا وما نعمت
إننا إلى الله والرجى له وبه
وكان ما كان والألطف شاملة
فلنكرم^(٢) الآن من ينزل بمنزلنا
وإذ ولا قدرة تدنى للمنى فلهم
نلقاهم ولنا بشر ومعدرة
ولا نذعن ورود الحوض وارده
إخوانكم رفعوا أيدي الضراعة مع
وقل لوال تلتفت في مضاربهم
هذا التذير جهارا جاء يُنذِرنا
ونحن في غفلة عنا يراد بنا
يأهل فاسن أما في الغير موعظة
فقل تعالوا إلى نصيح وتذكرة
كيف الحية إذ الحيات قد نَفَعَتْ
ولا سبيل إلى الترياق غير نُقَى
والأخذ بالجد في جمع القلوب على

إذ عَمَّروها بناقوس وتينثال
للأمر والتهى أو تذكير آجال
تتلو القرآن بأسحار وآصال
أو إذا صدرت من قلب بَطَّال^(١)
تعلق القلب في تصحيح إعلال
لاحت بنقلة نِسوان وأطفال
فالدهر ذو دُول فاسمع لأمثال
حق الجوار ولا توصف^(٣) بإمال
ورحمة يا ضحاة التم والخال
ولا ندع قول ذى نُصَح وإجمال
كسر القلوب فلا يُلْقُوا بإخمال
يلتفت بك الله إذ تدعى لأحمال
والاذن في صم عن قيل أو قال
نمشى على مَهلة من طول إمال
إنب السعيد لموعوظ بأمثال
فالأمر جد فلا تصعب ليكسال
على السواحل أو هممت بإرسال
والحزم في سَمَة من قبل إجمال
بذل النصيحة أو إبراء أذخال

[٥٧]

(١) في ط : « أما على الدين ... » إلا إذا صدرت ... الخ .

(٢) في ت : « فنكرم » .

(٣) في ت : « فلا يوصف » .

والزُّهْد في هذه الدنيا وزُخْرُفِها
ولا تَرُمُ في أمان الروم منزلةً
فمن يَبْتَ في أمان الكلب منتصبا
وارباً بنفسك عن أرض تهان بها
فالوت عندئذٍ خير من حياة فتي
والهجرة الآن قد عادت كما سبقتُ
واحْتَلْ بذهْنك ولتسمع نصائح مَنْ
في صدر سبع على التسمين زائدة
وبُلِّغْ الكلب ما قد شاء من أَرْبٍ
ليَقْضَى الله أسرا كان قَدَره
وقد وعظمتُ ولو أسمعْتُ لا تَنَشُرْتُ
فليشْتَغِلْ كل مسكين بمهجته
ثم الصلاة على المختار سيدنا

والأمر بالعرف مع تحسين مقوال
خوفا على الدين أو بعدا مِنْ أَنْذال
لسخط مَوْتِي ولا عَصْرُ بَأَثقال
خفيتا كنت لا تخشى مِنْ أَقْلال
قد اكتسى بعد عز ثوبَ إِذْلال
فافهم تفاصيل أقوالٍ وإجمال
قد طَلَبَ مَنْ حَبَّ^(١) لَمْ يُوصَفْ بِمُحْتال
شمسُ الجزيرة غابت بعد إِكمال
إِذْ لَمْ يَجِدْ ذائِداً عن ديننا العالِ
والأمرُ اللهُ في قول وأفعال
سحاب الدمع لم تَقْلَعْ عَنِ انْزال
والله يحفظنا من كل مِهْوال
محمد والرضا عن آلٍ أَوْ تَأَلَّى [٥٨]

ومما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان
أبي يزيد^(٢) خان التُّمَانِي ، رحمه الله ، ما نصه بعد سطر الافتتاح :

مما كتبه بعض
أهل الجزيرة
لأبي يزيد

الحضرة العلية ، وصل الله سعادتها ، وأعلى كَلْبِها ؛ ومهد أقطارها ، وأعز
أنصارها ، وأذل عُداتها ، حضرة مولانا ، وعمدة ديننا ودنيانا ، السلطان الملك
الناصر ؛ ناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، قانع أعداء الله

(١) من أمثال العرب في التنوق في الحاجة وتحسينها : اصنعه صنعة من طب لمن
حب . . . أي صنعة حاذق لمن يحبه .

(٢) في ط : « بايزيد » .

الكافرين ؛ كُفِّ الإسلام ، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام ؛ بحمي العدل ،
ومنصف المظلوم ممن ظلم^(١) ، ملك العرب والعجم ، والترك والدَّيْلَم ؛ ظِلَّ الله في
أرضه ، القائم بسنته وفرضه ؛ ملك البرِّين ، وسُلطان البحرين ؛ حامِي الدِّمار ،
وقامع الكُفَّار ؛ مولانا ومُعدتنا ، وكهفنا وغياثنا^(٢) ، مولانا أبوزيد ، لا زال
ملكه موفور الأنصار ، مقرونًا بالانتصار ، مُخلِّد المآثر والآثار ، مشهور المعالي
والفخار ؛ مستأثرًا من الحسنات بما يضاعف الله به الأجر الجزيل ، في الدار الآخرة
والثناء الجليل ، والنصر في هذه الدار . ولا يَرِحَ عزَماته العلية مختصة بفضائل
الجهاد ، مُجَرِّدةً على أعداء الدين من بأسها ، ما يُروى صدور الشمر والصفاح^(٣) ،
وَأُسِنَّةُ السِّلَاح ، باذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الأخابر مفارقة
الأرواح للأجساد^(٤) ، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم
يقوم الأشهاد :

سلام كريم دائم متجدد أخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذى المجد والثلا ومن ألبس الكفار ثوب التذلة
سلام على من وسع الله ملكه وأيده بالنصر في كل وجهة
سلام على مولاي من دار ملكه قَسَطَ عَلَيْهِ أكرم بها من مدينة
سلام على من زين الله ملكه بجند وأتراك من أهل الرعاية
سلام عليكم شَرَّفَ الله قدركم وزادكم ملكا على كل ملة^(٥)

(١) في ط : « من الظالم » .

(٢) في ط : « غوثنا » .

(٣) الصفاح : جوانب السيوف ، الواحد : صفح .

(٤) هذه العبارة ، من قوله : « باذلة نفائس » إلى قوله : « للأجساد » : ساقطة في ت .

(٥) رواية هذا الشطر في ط : « وزادكم ملكا في كل ملة » وهو محرف .

سلام على القاضى وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ
سلام على أهل الدِّيَانَةِ وَالتَّقَى
سلام عليكم من عَبِيدِ تَخَلُّفُوا
أحاط بهم بحر من الرُّومِ زَاخِرٌ
سلام عليكم من عَبِيدِ أَصَابِهِمْ
سلام عليكم من شُيُوخِ تَمَزَقَتْ
سلام عليكم من وجوه تَكشَفَتْ
سلام عليكم من بناتِ عَوَاتِقِ
سلام عليكم من عَجَائِزٍ أُكْرِهَتْ
تقبل نحن الكلُّ أَرْضِ بَسَاطِكُمْ
أدام الإلهُ (٢) مُلْكَكُمْ وَحَيَاتَكُمْ
وَأَيَّدَكُمْ بالنصر والظفر بِالْعِدَا
شكونا لكم مولاى ما قد أَصَابَنَا
عُدُونَا وَنُصِّرْنَا وَبُدِّلَ دِينُنَا
وَكُنَّا على دينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَنَلْقَى أُمُورًا فى الجهادِ عَظِيمَةً
فَجَاءَتْ عَلَيْنَا الرُّومُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

مِنْ الْعُلَمَاءِ الْأَكْرَمِينَ الْأَجَلَةِ
ومن كان ذارأى مِنْ أَهْلِ اللُّشُورَةِ
بَأَنْدَلُسِ بِالْفَرْبِ (١) فى أَرْضِ غُرْبَةٍ
وبحر حقيقٌ ذو ظلامٍ وَلُجَّةٍ
مُصَابٍ عَظِيمٍ يَا هَا مِنْ مُصِيبَةٍ
شُيُوبِهِمْ بِاللَّتْفِ مِنْ بَعْدِ عِزَّةٍ
على جِلَّةِ الْأَعْلَاجِ مِنْ بَعْدِ سِتْرَةٍ
يسوقهم اللَّبَّاسُ قَهْرًا لَخَلْوَةٍ (٣)

على أَكْلِ خِزِيرٍ وَلَحْمٍ لِحِيْفَةٍ
وَنَدْعُو لَكُمْ بِالْخَيْرِ فى كُلِّ سَاعَةٍ
وعافاكم مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمُغْنَةً
وَأَسْكَنْكُمْ دارَ الرِّضَا وَالْكَرَامَةِ
مِنْ الضَّرِّ وَالتَّهْلُوى وَعَظْمِ الرِّزْيَةِ
ظَلَمْنَا وَعَوَمَلْنَا بِكُلِّ قَبِيحَةٍ
تَقَاتِلُ عُثْمَالِ (٤) الصَّليبِ بَنِيَّةٍ
بِقَتْلِ وَأَمْرِ ثُمَّ جُمُوعٍ وَقَلَّةٍ
بَسِيلِ عَظِيمٍ جِلَّةٍ بَعْدَ مُجَلَّةٍ

(١) فى ط : « فى الغرب » .

(٢) القباط : من رجال الدين بالكنيسة ، كما فى معجم دوزى . يشير إلى ما فعله نصارى الأسبان من إكراه المسلمين على ترك دينهم .

(٣) فى ط : « إلهى » .

(٤) كذا فى ت . وفى ط : « أعمال » . وفى رواية : « عباد » .

ومالوا علينا كالجراد بجميعهم
فكنا بطول الدهر نلتقى بجمعهم
وفرسانهم تزداد في كل ساعة
فلمّا ضغفنا خيموا في بلادنا
وجاءوا بأفراط^(١) عظام كثيرة
وشدوا عليها في الحصار بقوة
فلمّا تفانت خيلنا ورجالنا
وقلّت لنا الأقوات واشتدّ حالنا
وخوفنا على أبنائنا وبناتنا
على أن نكون مثل من كان قبلنا
وثبّقي على آذاننا وصلاتنا
ومن شاء منا البحر جاز مؤمنّا
إلى غير ذلك من شروط كثيرة
فقال لنا سُلطانهم وكبيرهم
وأبدي لنا كتباً بعهد وموثق
فكونوا على أموالكم ودياركم
فلما دخلنا تحت حَقْد ذِمّاهم
وخان عهوداً كان قد غرّنا بها

بجد وعزم من خيول وعُدّة
فنفقّلُ فيها فرقةً بسد فرقة
وفرساننا في حال^(٢) تقصير وقلة
ومالوا علينا بِلدة بعد بلدة
تهدم أسوار البلاد للتيعة
شهوراً وأياماً بجد وعزّة
ولم نر من إخواننا من إغاثة
أعطناهم بالكراهة خوف الفضيحة
من أن يؤسروا أو يقتلوا شرقتلة
من الدّجن من أهل البلاد القديمة
ولا تتركن شيئاً من أمر الشريعة
بما شاء من مال إلى أرض عُدوة
تزيد على الخمسين شرطاً بخمسة
لكم ما شرطتم كاملاً بالزيادة
وقال لنا هذا أمانى وذمّقى
كما كنتم من قبل دون أذية
بدا عذرهم فينا بنقض الزّيمة
وتفصّرنا كرها^(٣) بنفّ وسطوة

(١) في ط : « في كل » .

(٢) كفا في ط . ويريد بالأفراط : الآلات التي ترمى بها الحصون والأسوار كالمدافع . وفق

ت : « بأغاض » وهو تحريف . (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ١٠٥ من هذا الجزء) .

(٣) في ط : « قهراً » .

وأحرق ما كانت لنا من مصاحف
 وكل كتاب كان في أمر ديننا
 ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم
 ومن صام أو صلى ويعلم حاله
 ومن لم يجئ منا لموضع كفرهم
 ويعلم خديته ويأخذ ماله
 وفي رمضان يُفسدون صيامنا
 وقد أسرونا أن نُسب نبينا
 وقد سمعوا قوماً يُفتنون باسمه
 وعاقبتهم حُكّامهم قولاتهم
 ومن جاءه الموت ولم يُخْضِر النسي
 ويُترك في زبلٍ طريقاً مُجدّلاً
 إلى غير هذا من أمور كثيرة
 وقد بُدلت أَسْماؤنا وتحوّلت
 قَلاباً على تبديل دين محمد
 وآهّا على أَسْماؤنا حين بُدلت
 وآهّا على أبنائنا وبناتنا
 يُعلمهم كفرًا وزورًا وفريّة
 وآهّا على تلك المساجد سُورَت
 وآهّا على تلك الصوامع عُلقَت
 وآهّا على تلك البلاد وحُشِنَا

وخلطوا بالزبل أو بالنجاسة
 في النار ألقوه بهزء وحفرة
 ولا مُصْحَفًا يُخَلَى به للقراءة
 في النار يُلقوه على كل حالة
 يعاقبه اللبّاط شرّ العقوبة
 ويجعله في السجن في سوء حالة
 يأكل وشرب مرة بعد مرة
 ولا نذكرنه في رخاء وشدة
 فأدركم منهم أليم الضرّة
 بضرب وتغريم وسجن وذلة
 يدكّرهم لم يذنبوه بحيلة
 كمثل حمار ميت أو بهيمة
 قباح وأفعال غزار زديّة
 بغير رضا منا وعير إرادة
 بدين كلاب الروم شرّ البرية
 بأسماء أعلام من أهل النباوة
 يروحون للباط في كل غدوة
 ولا يقدرُوا أن ينعوم بحيلة
 مرابّل للكفار بعد الطهارة
 نواقيسهم فيها نظير الشهادة
 لقد أظلمت بالكفر أعظم ظلمة

وصارت لِعَبَادِ الصَّلَيبِ مَعَاوِلًا
وَصِرْنَا عَبِيدًا لَا أَسَارَى فَنُفْتَدَى
فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا صَارَ حَالُنَا
فِيَا وَيْلُنَا ، يَا بُؤْسَ مَا قَدْ أَصَابَنَا
سَأَلْنَاكَ يَا مَوْلَايَ بِاللَّهِ رَبَّنَا
وَبِالسَّادَةِ الْأَخْيَارِ آلِ مُحَمَّدٍ
وَبِالسَّيِّدِ الْعَبَّاسِ عَمَّ نَبِينَا
وَبِالصَّالِحِينَ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ
عَسَى تَنْظُرُوا فِيْنَا وَفِيَا أَصَابَنَا
فَقُولْكَ مَسْمُوعٌ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ
وَدِينُ النَّصَارَى أَصْلُهُ تَحْتَ حَكْمِكَ
فَبِاللَّهِ يَا مَوْلَايَ مُتَوًّا بِفَضْلِكَ
فَأَنْتُمْ أُولُو الْإِنْفَالِ وَالْجِدِّ وَالْمَلَا
فَسَلِّ بِأَبْنِهِمْ ^(١) أَعْنَى الْمُقِيمِ بِرُومَةٍ
وَمَا لَهُمْ مَالُوا عَلَيْنَا بِفُسْطَاتِهِمْ
وَجَنَسُهُمُ الْمَغْلُوبُ فِي حِفْظِ دِينِنَا
وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَدِيَارِهِمْ
وَمَنْ يُعْطِ عَهْدًا نَحْنُ نَقْدِرُ بِهِدِهِ ^(٢)
وَلَا سِيَّامًا عِنْدَ الْمُلُوكِ فَإِنَّهُ

وقد أَمِنُوا فِيهَا وَقُوعَ الْإِغَارَةِ
وَلَا مُسْلِمِينَ نَقْطُهُمْ بِالشَّهَادَةِ
إِلَيْهِ لَجَادَتْ بِالْذُّمِّ الْغَزِيرَةِ
مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلْوَى وَثُوبٍ لِلذَّلَّةِ
وَبِالمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ صَحَابَةِ
وَشَيْئَتِهِ الْبَيْضَاءُ أَفْضَلُ شَيْئَةٍ
وَكُلٌّ وَلِي فَاضِلٌ ذِي كَرَامَةٍ
لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَأْتِي بِرَحْمَةٍ
وَمَا قُلْتُ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ بِسُرْعَةٍ
وَمَنْ تَمَّ يَأْتِيهِمْ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ
عَلَيْنَا بِرَأْيٍ أَوْ كَلَامٍ بِحُجَّةٍ
وَعُوْثُ عِبَادِ اللَّهِ فِي كُلِّ آفَةٍ
بِمَاذَا أَجَازُوا الْفَدْرَ بَعْدَ الْأَمَانَةِ ؟
يَغْيِرُ أَذَى مَنْ أَوْغَرَ جَرِيمَةً
وَأَمِنْ مُلُوكُ ذِي وَفَاءٍ أَجَلَةً
وَلَا نَالَهُمْ غَدْرٌ وَلَا هُنَّاكَ حُرْمَةٌ
فَذَاكَ حَرَامُ الْفِعْلِ فِي كُلِّ مِلَّةٍ
قَبِيحٌ شَنِيعٌ لَا يَجُوزُ بِرُوحَةٍ

(١) يريد البابا رئيس الدين المسيحي .

(٢) في ط : « ثم يقدر بعده » .

وقد بَلَغَ المكتوب منكم^(١) إليهم وما زأدم إلا اعتداءً وجُرْأَةً وَقَدْ بَلَغَتْ أَرْسَالُ^(٢) مَعْرِ إِلَيْهِمْ وَقَالُوا لَتِلْكَ الرَّسُلُ عَنَا بَأْنُنَا وَسَاقُوا عَقُودَ الزُّورِ مِنْ أَطَاعِهِمْ لَقَدْ كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ وَكَلَامِهِمْ وَلَكِنْ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْحَرْقِ رَدَّنَا وَدَيْنُ رَسُولِ اللَّهِ مَا زَالِ عِنْدَنَا وَوَاللَّهِ مَا نَرْضَى بِتَبْدِيلِ دِينِنَا وَإِنْ زَعَمُوا أَنَا رَضِينَا بِدِينِهِمْ فَسَلِّ وَحَرَّاعِنَ أَهْلَهَا كَيْفَ أَصْبَحُوا وَسَلِّ بَلْفِيْقَا عَنْ قَضِيَةِ أَمْرَهَا وَمَنْيَافَةً^(٣) بِالسِّيفِ مَزَقَ أَهْلَهَا وَأَنْدَرَشَ^(٤) بِالنَّارِ أَحْرَقَ أَهْلَهَا فَهَانَحْنُ يَا مَوْلَايَ نَشْكُو إِلَيْكَ عَسَى دِينُنَا يَبْقَى لَنَا وَصَلَاتُنَا وَإِلَّا فَيُجْلُونَا جَمِيعًا مِنْ أَرْضِهِمْ فَاجْلَاؤُنَا خَيْرَ لَنَا مِنْ مُقَامِنَا فَهَذَا الَّذِي نَرْجُوهُ مِنْ عِزِّ جَاهِكُمْ

فَلَمْ يَعْمَلُوا مِنْهُ جَمِيعًا بِكَلِمَةٍ عَلَيْنَا وَإِقْدَامًا بِكُلِّ مَسَاءَةٍ وَمَا نَأْلَمُ غَدْرَ وَلَا هَتَكَ حُرْمَةَ رَضِينَا بِدِينِ الْكَفَرِ مِنْ غَيْرِ قَهْرَةٍ وَوَاللَّهِ مَا تَرْضَى بِتِلْكَ الشَّهَادَةِ عَلَيْنَا بِهَذَا الْقَوْلِ أَكْبَرُ فِرْيَةٍ نَقُولُ كَمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ وَتَوْحِيدُنَا لِلَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلَا بِالَّذِي قَالُوا مِنْ أَمْرِ الثَّلَاثَةِ بِغَيْرِ أَذَى مِنْهُمْ لَنَا وَمَسَاءَةٍ أَسَازَى وَقَتْلَى تَحْتَ ذُلٍّ وَمَهْنَةٍ لَقَدْ مَرَّقُوا بِالسِّيفِ مِنْ بَعْدِ حَسْرَةٍ كَذَا فَضَلُوا أَيْضًا بِأَهْلِ الْبُشَيْرَةِ^(٥) بِجَامِعِهِمْ صَارُوا جَمِيعًا كَفْحَمَةٍ فَهَذَا الَّذِي نَلْنَاهُ مِنْ شَرِّ فِرْقَةٍ كَمَا عَاهَدُونَا قَبْلَ تَقْضِ الْمِزْمَةِ بِأَمْوَالِنَا لِلْفَرَبِ دَارَ الْأَحْبَةِ عَلَى الْكَفَرِ فِي عِزٍّ عَلَى غَيْرِ مَلَّةٍ وَمِنْ عِنْدِكُمْ تُقْضَى لَنَا كُلُّ حَاجَةٍ

[٦٢].

(١) يريد بالأرسال (هنا) : جمع الرسول .
(٢) وحرا ، ومنيافة : اسماء بلدن ، ولم نثر عليهما في المايج .
(٣) البصرة : جهة تنظم قرى كثيرة نزعة قرب خرماطة .
(٤) أندرش (أندراش) : بلدة بالأندلس من كورة ألبيرة .

وَمِنْ عِنْدِكُمْ نَرْجُو زَوَالَ كُرُوبِنَا وَمَا نَالْنَا مِنْ سُوءِ حَالٍ وَذِلَّةٍ
فَأَتَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ خَيْرَ مُلُوكِنَا وَعَزَّتْكُمْ تَعْلُو عَلَى كُلِّ عِزَّةٍ
فَنَسَّالَ مَوْلَانَا دَوَامَ حَيَاتِكُمْ بِمُلْكٍ وَعِزٍّ فِي سُرُورٍ وَنَعْمَةٍ
وَتَهْدِينَ^(١) أَوْطَانٍ وَنَصَرَ عَلَى الْعِدَا وَكَثْرَةَ أَجْنَادٍ وَمَالَ وَثَرَةٍ
وَتُمِّ سَلَامٍ اللَّهُ تَعْلُوهُ رَحْمَةً عَلَيْكُمْ مَدَى الْأَيَّامِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
اتَّهَتْ الرِّسَالَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ ، وَكُتِبَتْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَلْفَاظُهَا غَيْرَ بَلِيغَةٍ ، تَكْلِيلاً
لِلْقَائِدَةِ ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ .

بلاغه
أهل الأندلس

وَكَانَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي عُنْفُوَانِ أَمْرِهِمْ فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ ، حَتَّى قَالَ الرَّيْسُ
ابْنُ الْجِيَّابِ يَفْتَخِرُ^(٢) بِذَلِكَ :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْيَدُ الْعُلْيَا لِأَنْدَلُسٍ مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا تُفْيَا^(٣)
وَإِنْ هِيَ عَصَتْهَا نِيُوبُ نَوَائِبِ فَصَيَّرَتْ الشَّهْدَ الْمَشُورَ بِهَا شَرِيًّا^(٤)
فَاعَدَمَتْ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْحِجَا يَقِيمُونَ فِيهَا الرِّسْمَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا
إِذَا خَطَبُوا قَامُوا بِكُلِّ بَلِيغَةٍ تَحِلِّي الْقُلُوبِ الْغُلْفُ وَالْأَعْيُنِ الْعُمْيَا^(٥)
وَإِنْ شَعَرُوا جَاءُوا بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَخَالِ التَّجُجُومَ النَّيِّرَاتِ لَهَا حَلْيَا
فَنَسَّالُ فِي الدُّنْيَا مِنْ اللَّهِ سِتْرَةً عَلَيْنَا ، وَفِي الْأُخْرَى إِذَا حَانَتِ اللَّقْيَا

[٦٣]

وَلَعَمْرِي ، لَقَدْ صَدَقَ قَائِلُ هَذِهِ الْآيَاتِ ، فَإِنَّ الْبَلَاغَةَ لَمْ تَزَلْ شَمْسُهَا
بِالْأَنْدَلُسِ بَاهِرَةً الْإِيَّاهُ^(٦) ، ظَاهِرَةُ الْآيَاتِ ، إِلَى أَنْ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْعَدُو ، وَعَطَّلَ

(١) كُنَّا فِي ت . وَالتَّهْدِينَ : التَّكْوِينُ وَفِي ط : « وَتَهْدِيْب » .

(٢) ق ط : « مُفْتَخِرًا » .

(٣) وَلَا تُفْيَا : وَلَا اسْتِثْنَاء .

(٤) الْفَرَى : الْخُفْظَلُ .

(٥) ق ت : « تَحِلِّي قُلُوبِ الْغُلْبِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) إِيَّاهُ الشَّمْسُ : ضَوْؤُهَا .

من أهل الإسلام الزواح إليها والتُدْوَرُ ، وفي أهلها بقية لسان وبراعة^(١) ،
وتصرف في فنون الإجابة وبراعة ، وقد قصصنا عليك آثاف الرسالة التي كتبها
الملك^(٢) المخلوع لصاحب المغرب فيما سردناه ، واطلعت منها على ما يؤيد
ما [قلناه^(٣)] ، من الغرض الذي انتحينا وأوردناه : وقد كان ذلك الكاتب
وطبقته تلقفوا كُرَّةَ البلاغة من يد طبقة أخرى حازت^(٤) مُتْلَى القِداح ، وتبرجت
لها من الفصاحة كل خَوْدَر داح^(٥) ، كالفقيه الكاتب أبي عبد الله الشَّران ، المبرز
في أدواته على الأنداد والأقران ، وكالأديب الشهير [الفقيه عمر ، الذي لم تزل
أخباره إلى الآن مَكَمَر ، وكفارص تلك الحلبة ، الكاتب القاضي الرئيس ،
الوزير^(٦)] الفقيه ، أبي يحيى بن عاصم ، الذي حَلَّيْتُ بعلومه اللَّبَّات والمعاصم ،
وغيرهم من الجهابذة الثُّقَاد ، والأعلام الذين تخضع لهم الحاسن وتنقاد ، إن جَدُّوا
وصلوا مقطوع الأسباب ، وإن هَزَلُوا ، على عادة الأفاضل في مثل هذا الباب ،
ملكوا النفوس ، وسحروا الألباب ؛ وقد سبق من كلام ابن عاصم ما يصحِّح
ما ادعينا ، ولنورد زيادةً إذا أبصرها المنصف المستفيد تَقَرَّ عيناه ، فنقول :

أما الفقيه عمر فهو أشهر من نار على عِلْم ، وأزجاله ومنظوماته ومقاماته عند
العامَّة محفوفة ، وعند الخاصَّة مرفوضة ، إلا القليل الذي يُسَمَّح في مثله لصاحب
القلم ، كقامته^(٧) التي سهاها بتسريح النَّصَال ، إلى مقاتل النَّصَّال ، ونصها :

نقابة الفقيه
عمر : تسريح
النصال إلى مقاتل
النصال

- (١) البراعة : قصبة القلم . والمراد أنهم أهل فصاحة إذا تكلموا أو كتبوا .
- (٢) في ط : « كتب ملكها » .
- (٣) زيادة عن ت .
- (٤) في ط : « جازت » .
- (٥) الحدود : الحمنة الخلق الشابة أو الناعمة ؛ والرداح : النعيلة الأوراك والمآكم .
- (٦) زيادة عن ت .
- (٧) في ط : « مقاماته » .

ياعامد السالكين ، ومحط رحال^(١) للمستفيدين والمتبركين ، ونِمال الضعفاء
والسالكين والمتروكين ، في طريقتك يتنافس التنافس ، وعلى أعطافك تُزْهِى
العباءات وتروق الدلافس^(٢) ؛ وبكتابتك تحيا جوامد الأفهام ، وبمِدْبَتِكَ تُشَرِّدُ
ذُباب الأوهام ؛ وفي زِينيلك^(٣) يَدَسُّ التالذ والطارف ، وبمصاك يَهْسُّ على
بدائع المعارف ، الله الله في سالك ، ضاقت عليه المسالك ؛ وشاد ، رُمي بالعباد^(٤) ،
أدركته متاعب الحِرْفة^(٥) ، وأقيم من صَفِّ أهل الضَّغْنَةِ^(٦) ؛ فلا يجد نشاطاً
على ما يتعاطى ، ولا يَلْقَى اغتباطاً ، وإن حل زاوية أو نَزَلَ رِباطاً ؛ أَقْصَى
عن أهل القرب والتخصيص ، وابتلي بمثل حالة برصيص^(٧) ؛ فأحيل عليك ،
وتوقفت إقائته على توبة بين يديك ؛ فكاتبك استدعاء ، واستوهب منك
هداية ودعاء ؛ ليسير على ما سَوَّيت ، ويحمل عنك أشتات ما زَوَّيت ؛ فيلقى
الأكناف الظرفاء عزيزاً ، ويباهى بك كل من خاطبك مستجيراً ، فاصرف إلى
مُحْيَا الرِّضا ، وأَعِذْ من إيناسك العهد الذى مَضَى ، ولا تلقى مُعْرِضاً ولا مُعْرِضاً ،
وأصغ إلى سمعك كما قدر الله وقضى :

تمالْ نَجْدَها طريقة ساسان^(٨) وعَضْ عليها ماتوالى الجديدان

- (١) هذه الكلمة « رحال » : ساقطة في ت .
- (٢) الدلافس : جمع دلفاس (ويقال فيه دلفس أيضاً) : نوع من اللباس خشن كالعباءة
إلا أنه قصير ، يلبسه الصوفية والفقراء (انظر تكملة المعاجم العربية لدوزى) .
- (٣) في ط : « زِينيلك » وهي لغة في الزينيل .
- (٤) في ت : « بإياد » .
- (٥) الحرفة (بالفهم والكسر) : الحرمان .
- (٦) أهل الصفة : فقراء صحابة رسول الله كانوا يبيتون في صفة مسجده صلى الله عليه
وسلم ، وهي موضع مظلل منه .
- (٧) برصيص ، ويقال فيه برصيصا : كان من عباد بنى إسرائيل ، ثم فتنه الشيطان ، وقصته
معمورة تذكر عند تفسير قوله تعالى : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) .
- (٨) يريد بطريقة ساسان علم الحيل الساسانية . قال حاسي خليفة في كشف الظنون : =

ونصرف إليها من مثار عزائهم ونعقد على حكم الوفاء هوانا ونقسم على ألا نصدق وأشيأ يطوف حوالينا ليفسد بيننا على أننا من عالم كلسا بدا وحاشاك أن تلقى عن الصلح معرضا وإني أهتمني شئون كثيرة فأنت إمامي إن كلفت يتذهب سأرعاك في أهل المباءات كلها^(١) ويا لابسى تلك العباءات إنها تفرقت الألوان منها إشارة ويا بأبى الفصائل شيخ طريقة إذا جاء في الثوب الحبر خلته فا تأمن الأبدان أفة لسمها ونحلف عليها من مؤكد أيمان لنأمن من أقوال زور وبهتان يروح ويندوين إثمهم وندوان بمنطق إنسان وخدعة شيطان تعوذ منه عالم الإنس والجنان إلى الصلح آلت حرب عبس وذبيان وصلحك أولى ما أقدم من شأني وأنت دليلي إن صدعت برهان رأيك في أهل الطيالس ترعاني لباس إمام في الطريقة دهمان بأنك^(٢) تأتي من حلاك بألوان خلوب لألباب لعوب بأذهان زنبيرة^(٣) قد مد منها جناحان وإن أقبلت في سابقات وأبدان^(٤)

[٦٥]

== « ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال : علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب النافع وتحصيل الأموال ، والذي يشرها يتزيا في كل بلدة بزي يناسب تلك البلدة ، بأن يستعد أهلها في أصحاب ذلك الزي ، فتارة يختارون زي الفقهاء ، وتارة يختارون زي الرعايا ، وتارة يختارون زي الأشراف ، إلى غير ذلك . ثم إنهم يختالون في خداع العوام بأمور تميز القول عن ضبطها . »

(١) كذا في ط . وفي ت : « على النصيح » .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « كلها » .

(٣) كذا في ت وفتح الطيب . وفي ط : « فالك » .

(٤) زنبيرة : تصغير زنبورة ، وأصله زنبيرة ، وهي من الثياب الساع .

(٥) السابقات والأبدان : الدروع .

سأجوعك في حالات كيدى وكديتى^(١) بشيخى ساسان وعى هامان
 وإن كان في الأنساب متايبين فما تنكر الآداب أنا نسيان
 ألا فادع لى في جنح ليك دعوة لتنبج آمالى ويرجع ميزانى
 لك الطائر الليمون في كل وجهة سريت إليها غير نكس ولا وانى^(٢)
 فكّم من فقير باتس قد^(٣) عرفته فرفت عليه نعمة ذات أفنان
 وكّم من رفيع الجاه واليت أنسه فاعش قرر العين مرتفع الشان
 فلو كنت للفتح بن خاقان صاحب لما خاته للقدار في ليلة الخان^(٤)
 ولو كنت للصابي صديقاً ملاطفاً لما قبلت فيه مقالة بهتان^(٥)
 ولو كنت من عبد الحميد مفرّباً لما هزم السفاح أشيع مزوان^(٦)
 ولو كنت قد أرسلتها دعوة على أبى مسلم ما حاز أرض خراسان
 ولو كنت في يوم الغبيط مراسلا ليسطام لم تهزم به آل شيبان^(٧)

(١) كذا في نسخ الطيب . والكدية : شدة الدهر . وفي ت : « كيد وكيدة » .

وفي ط : « كيدى وكيدتى » .

(٢) التكنس : الضيق الجبان . والوانى : للتصر .

(٣) في ت : « مذ » .

(٤) يشير إلى مقتل الفتح بن خاقان القيسى الأندلسى صاحب ثلاث العيان ومطبخ

الأفنى في الفندق الذى نزل به بمدينة مراکش سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة (انظر

وفيات الأعيان) .

(٥) الصابى : هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال كاتب ديوان الإنشاء في دولة بنى بويه .

ويشير الشاعر إلى مآل الصابى من اضطهاد وإبعاد من عضد الدولة بن بويه ، لمقالة

تعلت إليه عنه فأغضبته . (انظر وفيات الأعيان) .

(٦) يشير إلى مآل مروان بن محمد وعبد الحميد بن يحيى كاتبه من الهزعة على يد السفاح

(٧) الضبط : مكان بين الكوفة وفيد ، وبه كان يوم بنى تميم وشيخان ، غلبت فيه تميم

شيخان ، وفيه أسر عتبية بن الحارث بن شهاب بسطام بن قيس ، ففدى نفسه

بأربع مئة ناقة . (انظر المقد البريد وشرح القاموس) . ومراسلا (هنا) :

معاونا ، من المراسلة بمعنى المتابعة .

- ولو كنت في حرب الأمين لطاهر
ولو كنت في مغزى أبي يوسف لما
ولو أن كسرى يزدرجده عرفته
ولو أن لدريقا وطئت بساطه
وفيما مضى في فاس أوضح شاهد
ولما اغتفى منك السعيد بكاتب
فلا تنسى من أهل ودك إنني
ولا خير أن تجعل كفاء قصيدتي
فجود بدنانير ولا تكن التي
- لما هان في يوم اللقاء ابن ماهان^(١)
رماه بغدر عبده في تلمسان^(٢)
لما طاح مقتولا على يد طحان^(٣)
لما أثرت فيه مكيدة أليان^(٤)
غفرت لدينا عن بئان وتبينان
رأى ما ابتغى من عز ملك وسلطان
أخاف الليالي أن تطول فتتساقى
كفاء ابن دراج على مدح خيران^(٥)
ألم بها الكندي في شعب بوان^(٦)

(١) يشير إلى الواقعة التي كانت بين طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، وعلى بن عيسى ابن ماهان قائد جيش الأمين ، وقد انتهت بانتصار طاهر وقتل ابن ماهان .

(٢) لعله يريد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق الريني في غزوه تلمسان ، وإفاته على حصارها مئة شهر . وقد قتله عبده « سمادة » في أثناء ذلك الحصار المهور ، في حديث فصله السلاوي في كتاب « الاستقصا ج ٢ ص ٤١ » .

(٣) يشير إلى هرب يزدرجده آخر ملوك الفرس من أعدائه ، والتجأه إلى طاحونة لم يحسن الطحان ستره فيها ، حتى أدركه طالبوه وقتلوه (انظر فهر أخبار ملوك الفرس الثاني صفحتي ٧٤٦ — ٧٤٧) .

(٤) يشير إلى تمكين أليان : (بليان ، جليان ، أمير المغرب من قبل لدريق ملك القوط بالأندلس) العرب من دخول الأندلس انتقاما لعرفه من لدريق ، في حديث مفصل في كتب التاريخ (انظر فتح الطيب وغيره) .

(٥) هو خيران الصقلي أمير الرية ، وهو من موالى التصور بن أبي عامر ، وقد مدحه ابن دراج القصطلقي بقصيدة ثوية مطلعها :

« لك الخير قد أوفى بهدك خيران » ولعل خيران لم يحسن جائزة الشاعر كما يفهم من السياق هنا .

(٦) الكندي : هو أحمد بن الحسين اللثني الشافعي المعروف ، ونسب إلى محلة كنده بالكوفة . وشعب بوان : متنزه بفارس . يشير الشاعر إلى قول المتنبي في القصيدة التي مدح فيها عضد الدولة ووصف شعب بوان :

والتي الفرق منها في تباي دنائرا تفر من البنان =

- [٦٦]
- جودك فينا النيث في رَمَلٍ عالٍ وفضلك فينا الخبزُ في دار عُثان^(١)
وما زلتَ من قبل السؤالِ مقايلاً مُرادى بإحسابٍ وقصدى بإحسان^(٢)
ولا تنسَ أياماً تَقُضتْ كريمةً بزَاوية الحروقِ أو دار همدان^(٣)
وتألفنا فيها لقبضِ إناوة وإغرامِ مسنونٍ وقِسمَةِ حُلوان
وقد جلسَ الطرُقونَ بالبعدِ مُطْرِقاً يقولُ نصيبى أو أبوحَ بَكْمان^(٤)
عَرِيفى يَلْحَاقنى إذا ما أتيتُهُ ولم أنصرفِ عنكم بواجبِ الحُنان
وقد جمعتُ تلكَ الطريقةَ عندنا أثمةَ حُساب^(٥) وأعلامَ كُهان
إذا استنزلوا الأرواحَ باسمِ تبادرت طوائفِ ميمونٍ وأشياحِ بَرقان^(٦)
وإنْ بَجَرُوا عندَ الحُلُولِ تَأرجت مجارمُ عن زَعفرانٍ ولُوبان^(٧)
وإنْ فُتِحُوا الداراتِ في ردِّ آقبى ثنتِ عزمه أوهامِ خوفٍ وخِذْلان^(٨)

== يصف ضوء الشمس النافذ إليه من بين أوراق الأشجار ، فيرم على ثيابه أشباه
الذاتير صفرة واستدارة ، إلا أن اليد لا تهدر عليها .

(١) عالٍ : موضع بالبادية يصل إلى الدهناء ، والدهناء فيها بين البياضة والبصرة . يقول :
نحن متمطشون إلى جودك كتمطش رمال عالٍ إلى النيث ، محتاجون إلى فضلك احتياج
المحصورين في دار عُثان بن عفان إلى الطعام والشراب وقد حرموا .

(٢) بإحساب : أى بما يكتفى ورضي .

(٣) زاوية الحروق : متبذد بغاس . ودار همدان بغاس أيضاً .

(٤) الطرُقون (كلمة مغربية مولدة) : من يسده قبالة اللهو وقبض ضرائب الأهراس
ونحوها ، مما تتمثل فيه الدفوف وآلات الملاهي (انظر تكملة المعجم لنورى) .

(٥) كذا في فت وفتح الطب . ويريد بالحساب : المشتغلين بحساب الطوائع للناس .
وفي ط : « أحساب » .

(٦) ميمون وبرانق : من أسماء ملوك الجن التي تدور على ألسنة المشعذين . (انظر
كتاب الجواهر اللامعة) ، في استحضر ملوك الجن في الوقت والساعة) .

(٧) لوبان : لفظة مغربية معروفة عن «البان» وهو الكندر المعروف . (عن دوزى)

(٨) البارات : حلقات يعقدها شيوخ المشعذين ومريدوم عند استطلاع أمر خفي .
كإظهار مسروق ، وإرجاع آقبى ، ونحو ذلك ، يقولون إذا سرق شيء : هلم .
فتتح الهارة .

فيحسب أن الأرض حيث ارتمت به ركبته سرعان رجل وركبان
وقد عاشرتنا أسرة كيموية^(١) أقامت لدينا في مكان وإمكان
فله من أعيان قوم تألقوا على عقد سحر أو على قلب أعيان
ونحن على ما يفر الله إنما نروح ونغدو من رباط إلى خان^(٢)
مع الصبح نضفيها عباءة صفة وبالليل نذليها زناير زهيان^(٣)
أندكر في سفح العقاب مبيتكم ثمانين شخصاً من إناث وذكران^(٤)
لديكم من الألوان ما لم يحى به طهور ابن ذنون ولا عرس بوران^(٥)
ثم ذكر خمسة أبيات أقذع فيها ، فلذا تركتها^(٦) ، ثم قال :

فأقسم بالأيمن لولا تغفى عن السوء لانبحت عقيدة إيماني
فعد للذي كنا عليه فإن لي على الغير إن صاحبتة حقد غيران
فن يوم إذ صيرت ودى جانباً وأعرضت عني ما تناطح عزران
ولا روت الكتائب بعد نفارنا محاورة من ثلبان ليرحان

(١) كذا في فتح الطيب : وفي ط : « كوية » وكلاهما يراد به النسب إلى السكيمياء ، وفي ت : « كهوية » ، وهو تحريف .

(٢) كذا في ت . وفي ط ونفع الطيب : « خان » .

(٣) كذا في ت عباءة صفة : يريد بها زى الفقراء النساء . انظر الحاشية رقم ٦ صفحة ١١٧ من هذا الجزء . والزناير جمع زنار ، وهو ما يشد به الزاهب وسطه ؛ يريد أنه يعمل في الليل ما لا يعمل في النهار . وفي ط : « نلويها زناير ... الخ »

(٤) العقاب : موضع بالأندلس ، كانت به وقعة مشهورة محس الله فيها المسلمين .

(٥) ابن ذنون (ابن ذنون) : هو المأمون أحد ملوك الطوائف في طليطلة ، من بني ذى النون ، وقد بلغوا في البذخ والترف إلى الغاية ، ولهم الإغفار المشهور الذي يقال له : « الإغفار الذنوني » ، وبه يضرب المثل عند أهل المغرب ، وهو عندم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق ، والمأمون هو صاحب ذلك . وبوران هي بنت الحسن بن سهل ، وقد زفت إلى الخليفة المأمون بن هارون الرشيد في إمراس مشهور في كتب التاريخ .

(٦) ذكر المؤلف القصيدة كاملة من غير حذف في فتح الطيب (ج ٣ ص ٢٣ طبعة الأزهرية بمصر) .

وما هو قصدي منك إلا إجازة
 وإنك إن سخرت لي وأجزتني
 ولم لا ترويني وأنت أجل من
 ألا فأجزني يا إمامي بكل ما
 ولا تنس للدبّاع نظماً عرفته
 ومزدوجات ينسبون نظامها
 وألم بشيء من خرافات عنتر
 وإن كنت طالعت القيمة واسني
 أجزني بكشف الذك^(١) أرضى وسيلة
 وناولني المصباح^(٢) فهو لفريقي
 وألحق به شمس المعارف^(٣) إنني
 وقد كنت قبل اليوم عرفتني به
 تخولني التفضيل ما بين خلاني
 لنم وإلياً صان ودي وجازاني
 سقاني من قبل الرحيق فرواني
 رويت لمدغليس أو لابن قزمان^(٤)
 فإنكما في ذلك النظم سيان
 إلى ابن شجاع في مديح ابن بطان
 وألمع ببعض من حكايات سوسان
 بلامية في الفحش من نظم واساني^(٥)
 وخير جليس في بساط ودكان
 مُيسر أغراضى ورائد سلواني
 أسائل عن إسناده كل إنسان
 ولكنني أنسيته بعد عرفان

[٦٧]

- (١) أبو بكر بن قزمان ومدغليس من أوائل الزجاليين بالأندلس .
- (٢) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسان بن عبد المعروف بالواساني . ويشير الشاعر إلى قصيدته اللامية التي هجا بها أبا الفضل يوسف بن علي ، وعرض فيه بابن الفزاز ، ومظلمها :
- يا أهل جيرون هل لساحركم إذا استقلت كواكب الحمل
 (انظر بتيمة الفهرج ص ٢٦١ — ٢٧٤ طبعة دمشق) .
- (٣) كذا في فتح الطيب . يريد كتاب : « كشف الذك » ، وليضاحك الشك « لأبي عامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي ، وهو كتاب مشهور في الحيل والشعبذة . وفي الأصولين : « بكشف الديك » وهو تحريف .
- (٤) في الفهارس كتب كثيرة في علوم مختلفة كل منها اسمه « المصباح » ، ولا ندري أيها يريد . ولعله في الروايات ، كما يفهم من السياق .
- (٥) يريد كتاب : « شمس المعارف » ، ولطائف المعارف ، لشيخ أحمد بن علي البوني ، الخوفي سنة ٦٢٢ ، وهو كتاب مشهور في التماويل ونحوها من الروايات .

ولا بدّ يا أستاذُ من أن تُجيبَني بيدّه ابن سبعين وفصل ابن رضوان^(١)
وكُتب ابن أخى كيف كانت فإنها لوزن رقيق القول^(٢) أكرم ميزان
ولا تنس ديوان الصّبا^(٣) والصفا لإخوان صدق في الصفاخير إخوان
وزهر رياض^(٤) في صنوف أضاحك وجبذ كساء في مكاييد نسوان
كذلك فناولني كتاب حُبّاحب وزدني تعريفاً بها ويبرجان
ولى أمل في أن أروى رسالة مضمنة أخبار حى بن يقظان^(٥)
وحبس على الكاس والكوز والعصا فإنك مثر من عصي وكيزان
وصير لى الدلفاس^(٦) أرفع لبسة فقد جلّ قدرى عن حرير وكتان
وقد رقّ طبعى واعتزنتى خشية يكاد بها روى يفارق جبانى
وخلّ مفاتيح الطريقة فى يدى وسوغ لهم فيها^(٧) مزيدى وتقصى
فانى لم أخدمك إلا بنية وإنى لم أتبعك إلا بإحسان
فكن لى بالأسرار أفصح مُعلن فانى قد أخلصت سرى وإعلاني
اتهمت المقامة . وأثبتها لأنها أخف مارأيت من هزليات الفقيه عمر المالقي ،
رحمه الله وسامحه ، ومثل هذا الهزل قد وقع لكثير من الأئمة على سبيل

(١) يريد بيده ابن سبعين كتاب «بده العارف» لأبي عماد عبد الحق بن إبراهيم الصهير
باب سبعين المرسى الأندلسي . وابن رضوان : هو عبد الله بن يوسف بن رضوان
النبجاري من أهل مائة .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : «دقيق القوم» .

(٣) يريد ديوان الصباية لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى التلساني الحنفي التنوفي
سنة ٧٧٦ هـ .

(٤) في الفهارس كتب كثيرة بهذا الاسم .

(٥) يريد كتاب : «أسرار الحكمة المصترية» لأبي بكر عماد بن عبد الملك بن الطفيل ،
وهو قصة خيالية فلسفية ، جمع فيها بين الفلسفة والتمزيق .

(٦) الدلفاس (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء) .

(٧) في فتح الطيب : «حكى» .

الإحاض^(١)، ولم يَمْنُوا بها غالباً إلا إظهارَ البلاغة والاعتدال، كما فعل الحريري وغير واحد، والأعمال بالثبات .

شيء من نظمه

ومن نظم الفقيه عمر المذكور قوله عفا الله عنه :
إلى الله ربي أشتكى سوء حالتي عسى فرجٌ يأتي بأفضل حال
وما أسنى إلا للمال أبيعهُ وخائنٌ مالي يشتره بمالي

مقامة
في أمر الوباء

ومن أبدع ما صدر عنه رحمه الله مقامة في أمر الوباء ، رأيت أن أثبتها
لغاية منزِعها ، وإن كان بعض فصولها لا يجري على المشهور من مذاهب
العلماء ، ونصها :

[٦٨]

إلى حمراء الملك وقلعتي ، ومقرّ المز ومنعته ، ومطلع كل قر نصرٍ يُجبل
الأقار بطلعتي ، أبقاها الله على تعاقب الزمان ، منزل أمان ودار إيمان ، وأمتعا
بحياة الملك الخُرَجي الإيمان ، من مُوجبة إجلالها كما يجب ، العترة بفضلها
وشرفها وأنوار الشمس لا تحتجب ، والواقعة عند إشارتها وطاعتها ، فإن تأمرُ
أمتثلُ وإن تدعُ أستجب ، مألقة ، المستمسكة بذمتها الوثيقة ، المتشوفة إلى
أخبارها تشوف المُحبّة الشفيعَة ، إلى ربحانة قلبها في الحقيقة ، وإلى هذا ياسيدي
ويا عُدتِي ، ويا ذخيرتي ويا عُدتِي ، أمتعنا الله وإياك بحياة من استنقذنا من
الوَرطات ، وردّنا إلى الصواب مما كان منا من الغَلطات ، مولانا الغالب
بالله^(٢) وحده ، للوعود بعزيز النصر وقريب الفتح والله ميسر وعده .
سلام عليك يتعطر بذكر مولانا أمير المسلمين قُوْهُ^(٣) ، وينشق

(١) الإحاض : الانتقال من حال إلى حال ؟ مأخوذ من إحاض الإبل ، وهو هلهل
من رمي الحلة إذا سُميت إلى رمي الحنّ والحنّ : ما ملغ وأمر من النبات ، وهي
كفاحة الإبل ، والحلة : ما حلا ، وهي تكبّرها . (عن القاموس) .

(٢) في ت : « الغالب بأمر الله » .

(٣) في ط : « بوجه » .

كالمسك^(١) القيت روحه ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد ، فإنني أحمد إليك الله الذي إذا استُكفي بعزته كفي ، وإذا استُشفي بكلمته شفي ، وإذا سئل بواسع رحمته عفا ؛ وأصلي على رسوله محمد الكريم المصطفى ، وعلى آله وأصحابه ، أكرم من نصح له وأخلص ووفى .

كتبته إليك يا سيدتي عن نفس قلقة ، ساهرة أرقه ، حاذرة مشفقة ، مُلهبة بل محترقة ؛ وإني أقسم عليك بالرب الذي كرمك بالعرز وشرfk ، وعرفك من لطائف الترج بعد الشدة ما عرفك ، أن تسعديني على تسكين لوعتي ، وتأمين روعتي ، وتراجع رقادي | بعد شهادي ، وقضاء حاجة جلّت في فؤادي ، وتفهمي مراد إشارتي وإشارة سرادي^(٢) ، وتتركي هوى النفس الذي هو للحق معاند وللرشد معادي .

ومبنى هذه الرسالة إليك على قولهم : « الشفيق مولع بسوء الظن » ، ومن منن الله على عبده الوقاية من المتألف جل الله العظيم المن ؛ وعلى قول المتنبي :

ربما ضر عاشق معشوقا ومن البر ما يكون عقوقا^(٣)

والثل الأول لي ، والآخر لك . والله يُيسّر في حفظ مولانا أُملي وأملك . [٦٩]

وإني أنعجب من مساعدتك على إقامة مولانا بمنزل ، هذا المرض به فاش ، وهذا الهواء القاسد بين دياره جاء وماش ، وسمعت أن حديث السفر لمائة أثقل عليك من حديث رقيب وعاذل وواش ؛ وأن الآراء في ذلك اختلفت ، ولم يُرْجع فيها إلى سُنن تقدمت وعوائد سلفت ؛ والأوائل من المؤمنين رحمهم الله متركوا شيئا سدى ، بل نصبوا على كل طريق إلى النجاة علم هدى ؛ وسمعت

(١) في ت : « وينتقى المسك » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) لم نجد هنا البيت في نسخ ديوان المتنبي .

ياسيدتي أن القضية عَوَّلَ فيها على الثَّمام والاستسلام ، وخولف فيها رأى الخليفة الرشيد لما تحول في مثلها عن سكني دار السلام ، بمحضر أركان الدين وأعلام الإسلام ؛ وقد سمعتُ في الأجوبة الظرفية ، ما صدر من قوله : أخشى أن أكون أول خليفة ؛ وقد كنتُ ياسيدتي أرتجى أن يكون لهذا المرض ارتفاع ، أو يحصل بدخول فصل^(١) البرد انتفاع ؛ فتركت الكتُب منتظرة لذلك ، إلى أن تزايدت الحال وأنت على حالك ، لا ير الترحال بخاطرِكَ ولا بيبالك ؛ وأنا أقول : أما واجب التسليم ، لتقدير العزيز العليم ؛ فتأكد شرعاً ، لا يضيق به المؤمن ذرعاً ؛ لكن ما فعل المستسلم بالروح والجسد ، إذا قيل له امهرب من الأسد ؛ وقد أبصره مقبلاً إليه ، أو مُنقِضاً عليه ؛ يأخذ في تحفظه واحتراسه ، أم يصبر لافتراضه ؟ ومن قيل له في ظلم الليل : ارتفع عن هذا المكان تنج من السيل ؛ أينام في مكانه ، أم يبادر إلى السلامة بمجد إمكانه ؟ ومن نودي : هذه الخيل قد طلعت مغيرة ، والرعاة بالجبال مستجيبة ؛ فارفع غنمك قبل الاكتساح ، فالوقت في انفساح ؛ أيتركها تسرح ، ولا يبرح ؛ أم يرفعهما لتسلم ، ممّا تدرب وتعلم^(٢) ؟ وكذلك إذا قامت الرماة صفوفاً ، وأصابت سهامهم^(٣) من الخلق ألوفاً ؛ أيرجع الحقُّ تباعداً أم وقوفاً ؟ وكذلك أيضاً النازل ، التي تدوم بها الزلازل ؛ فأرضها . [٧٠]

في كل يوم تميد ، ودَهَشَ القلوب بها حاضر عتيد ، وألخسف بها في يوم ينقص وفي يوم يزيد ؛ لا تسمع فيها إلا سقوط جدار ، على ركن دار ؛ وانفكك الأركان ، على السكان ؛ وإخراج ميت ، من تحت بيت ؛ وسقوط سارية ، على جارية ؛ يُعزَم على السكنى والاستيطان ، تحت هذه المحيطان ؛ أم يؤخذ في الاحتيال ،

(١) في ت : « وقت » .

(٢) في ت : « مما تدري وتعلم » .

(٣) في ت : « بسهامهم » .

بالخروج بالأطفال والعيال ؟ يا سيدتي الحراء ، سألتك فأخبريني ، وإن تحيّر فهمي فاعذريني ، ووصل إليّ الكتاب الشريف ، من جنان^(١) العريف ؛ يذكر أن السلامة كانت [به]^(٢) مستصحبة لمولانا ولناسه ، وأن العافية كانت بهم منشفة مع أنفاس رنده وآسه ، ما عرضت به إلى طيب حاجه ، ولا استدعى فيه المأور^(٣) للنظر في زجاجة ؛ ولا تقول ولا عمل ، ولا بلغ من الجساة والتساوة أقل أمل ؛ ولم ينتقص من الساكنين بهذا البستان ، من عبيد مولانا السلطان ، غير فتى من الخُصيان ، لا يساوى عشرة دراهم في سوق الفتیان ، والجميع بحمد الله استمرت عافيتهم على استقامه ، بطول أيام الإقامة ؛ وعرفني أيضاً جنان العريف في وافد كتابه ، ووارد خطابه ، أن رغبته كانت في انتقال مولانا نصره الله من صحیح هوائه ، وسلسيل مأه ؛ ونقحة جنباه ، وتلاعب النسيم العاطر بين قبابه . إلى مائة حيث الجو الصقيل ، والروض الذي يطيب به المقيّل ، والراحة التي تمتزج بالأرواح كما قيل ؛ حيث القرف الأريج ، والوادي المنعرج ، والساحل الذي ينشرح به الصدر الحرج ، حيث البنفسج يدير كتوس البهار ، والياسمين نجوم طالمة بالنهار ؛ حيث يتازج طيب الزهر ، بعرف الأريج ونفحات السحر ، حيث يشبه أنين السواني ، حنين المتعشقات من الغواني ، إذا حمّد الصباح ، وانطلق الإصباح ؛ وعمرت صفار القوارب ، ونادت بحرية الشباك :

(١) جنان العريف ، أو جنة العريف : بستان في خارج غرناطة ، ذكره لسان الدين

في الإحاطة ، صفحة ٢٥ ج ١ .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) كذا في ط . ولله يريد بالمأور ، كما يظهر من السياق الذي يفهم عن قوارير

بول المرضى ليقدر وزنه ونوعه ، وهو من طاور التي . إذا قدره ، كما يؤخذ من

اللسان مادة « عير » . وفي ت « المأور » .

[٧١]

إلى المضارب^(١)، وسالت أنوار المشرق على جوانب المغرب، ونادى بحرك الجيش :
 ظهور الخيل ، وصباح الخير ، واستقبلوا الوادي الكبير لمصيد الأرنب والحوت
 والطير ؛ شكر الله جنان العريف على ما قصد ونوى ، وعلى ما أظهر من اتباع حق
 ومخالفة هوى ، اعتماداً من أخبار الدول القديمة على ما حفظ ورؤى . وقال لى
 يا سيدنى إنك وقتت مع الحديث النصوص^(٢) ، الوارد فى مثل هذا المرض على
 الخصوص ؛ وفيه النهى عن الخروج من منازل هذا المرض ومواضعه ، وعن
 القدوم على معتركه ومصارعه ؛ والحديث صحيح ، والرشد فيه قول صريح ؛
 ولكن للعلماء فيه أقوال طويلة التفصيل ، وقد لخصها وبينها الإمام ابن رشد
 فى كتابه الجامع من البيان والتحصيل^(٣) ؛ والاتفاق من الجميع أن النهى فى هذا
 الحديث ليس بنهى تحريم ، وإنما هو على سبيل إرشاد وأدب وتعليم ؛ فلا إثم
 ولا حرج ، على من أقام ولا على من خرج . وقال عمرو بن العاص : الأفضل
 الخروج لأهل الفطنة ، اتقاء من اعتقاد يؤدى إلى فتنه ؛ وكفى بعمر بن العاص
 حجة لمن أراد انتصارا ، والكلام كثير ، ولكنى اختصرته اختصارا ؛ وإن
 نظراً قدمه كثير من الصحابة ورجحه ، فخلق بأن يقال فيه ما أسعده وما أنجحه !
 ياليت تقمى كله يكون من هذا القبيل ، وجاريا على هذا السبيل ، مستنداً إلى قول
 صحابي جليل ، ومستدلاً بأرشد علم ودليل ، ولو كان على خلاف للشهور من قول

(١) المضارب (هنا) : الحيام تضرب على ساحل البحار ، لبيع فيها ما يصاد من السمك .

(٢) ورد الحديث المشار إليه فى صحيح مسلم ، ونسبه فى رواية أسامة : « الطاعون
 رجز أو عذاب أرسل على بنى إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا صمتم به
 بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » .
 وفيه روايات أخر تختلف ألفاظها ، وتتفق معانيها ؛ وقد علق عليه التروى ،
 ونقل كلام القاضى عياض وغيره ، فليُنظر ثمة (ج ١٤ ص ٢٠٤) .

(٣) اسم الكتاب : جامع البيان والتحصيل ، لما فى المستخرجة من الترجمة والتعليل .

خليل^(١) . وهنا يقال : ما في هذه القلة غير هذا الإغريض^(٢) . يا سيدتي الحمراء ؛ أراك في هذه القضية تقهت وتوقفت فيما بينه عالم وذو علم ، ومنعت مما ليس فيه حرج ولا إثم ؛ ولو كنت حاضرة لكان لي معك حديث طويل ، واحتجاج ينصره نص وتأويل . وسمعت أنك أشفت من عظيم النفع ، وليس هذا موضع الشفقة ؛ فالأمن ليس ببال ، ولو يشتري بكل ذخيرة وكل مال ؛ والأولى باللامه ، من^(٣) يفضل شيئاً على السلامة . القمح يأكله الشوس ، والذهب تنفى عنه القلوب^(٤) ، فكيف يستعظمان فيما تؤمن به النفوس . وبلغني أنك [٧٢] قلت : مائة ليس بها زرع ، وبقليل الثقام يضيق لها صذر وذرع^(٥) ، وفلاحتها وحرثها ليس لها أصل ولا فرع ؛ وعز على هذا الكلام ، ولكنني سلمت والسلام^(٦) ؛ فإن سعى عن سر^(٧) غرناطة منحط ، وفي لحة بصر يضيق منى بالطعام في كثير من الأيام ساحل وشط ، ولا يعلم أنه دامت لي شدة قط . لي في الاعتصام بالتوكل على الله ما يزيد على سبع مئة العام^(٨) ، ما أشغلت فيها فكراً ولا قلباً بادخار قوت ولا باحتكار طعام ؛ أثق في اليوم والنوم ، بالرزق الرغد ؛ تأتي به الرياح على الأعناق ، ويفيض سيله على جوانب الدواوين وأكناف الأسواق ، وتجلبه الأحباب والأعداء بإذن اللطيف الخبير الوهاب الرزاق .

(١) هو خليل بن إسحاق المالكي ، صاحب المختصر في فقه المالكية .

(٢) كذا وردت هذه العبارة في ط . وفي ت : « ما في هذه القلة . . الخ » .

والعبارة على الروايتين ظاهرة التحريف .

(٣) في ت : « نس » . وهو تحريف .

(٤) في ط : « النفوس » .

(٥) في ت : « وضرع » .

(٦) في ت : « والإسلام » .

(٧) في ت : « أسعار » .

(٨) في الأصلين : « السبع مئة عام » .

قالت النملة : افتخارى ، بادخارى ؛ قالت العصفورة : توسلى ، بتوكلى ؛
قالت النملة : أعتمد على الصَّب ؛ قالت العصفورة : أَتَوَكَّل على الرَّب . فلما جَنَّ
الليل ، أقبل السيل ؛ ففرجت النملة بالقوم ، وبقيت الحبوب بين الدَّوم ؛ فنزلت
العصفورة وسجدت ، [والتقطت] ^(١) من مدَّخر النملة كل ما وجدت ؛ وقالت :
خسر المحترِك ، وريح طالب الرزق للبتكر ، الكريم لا يفتخر بما يدَّخر .

وصح عندي أن الوزير أعنه الله ليس عنده في هذا كله كلام ولا قول ، وأن
الأمر عنده مفوض إلى الرب الذى له القوة والحول . وسمعتُ يا سيدى أن هذا
السقم ، أعظمُ تأثيره إنمًا هو في قطع الأكباد ، من صغار الأولاد ؛ الذين من فوق
السمع ودون العشر ، وهم في هذه السنين رياحين القلوب العاطرة النَّشر ؛ وهذا
إلى كُتبت لك أعظم داع ، فإن الأولاد سوائهم والوالد راع ؛ والراعى لا يترك
غنمه في طريق سَبُع ضار ، ولا قريبًا من حريق نار ؛ ونحن نشاهد الطير ينقل
أفراخه من وكر إلى وكر ، ويسترها بملثف الشجر إذا خاف عليها عادية جارح ^(٢)
أو صاحب مكر ؛ فكيف لا تقتدى في تأمين روعتنا بمن تقدَّم من الأكابر ، [٧٣]

وتقف في حامل السيل ^(٣) بأولادنا الأصاغر ؛ فما عندك في هذا كله من القول ومن
الجواب ؟ وما يظهر لك من وجه الرأى والصواب ؟ اكتبى بذلك كتابًا أعتمد
عليه ، وأستند إليه ؛ وقبلى عني يدَ مولانا تقيلا ، وا ليتنى وجدت إلى ذلك
سبيلا ؛ وأخبريه أنى [فى] ^(٤) خدمته على نيتى الأولى ، عاكفة على شكر
مِنَّته الطولى ؛ أدام الله حيطة البلاد والنفوس بحفظه وحياطته ، وأمعنى البشارة

(١) زيادة من ت .

(٢) فى ت : « جالس » .

(٣) حامل السيل : السيل الجارف .

بقدمه على مُحَدَّث مَالَّة من حمراء غَرَنَاتِه ؛ ويحفظه في النفس والأولاد ،
والملك والبلاد ، بمَنه وفضله .

وكتب بتاريخ ربيع الآخر عام أربعة وأربعين وثمان مئة . انتهت المقامة .
وكلام المذكور كثير ، ومحلّه من عذوبة المنطق أثير ؛ ونظمه أعلى طبقة
من نثره طريقة مَعْرِية ، حسبما يظهر ذلك بالتأمل لنفوس بالإنصاف حرية ؛
وله [عدة] ^(١) تآليف أكثرها هزليّة ، ولذلك لم أجلب شيئاً منها سوى
ما تقدم ، مما يقتضى ما أصُلناه من اللزى ، والفضيلة للبلاد الأندلسية ^(٢) .

ومن أحسن مقطوعاته ^(٣) التي تَطَارَح بها على باب الكريم ، وتطفّل بها
تطفّل من لا يرح عن باب سيده ولا يَريم ؛ ويرجى له بها كل جميل ، والله
لا يَحْتِيب ما أمَله من تأميل ؛ قوله رحمه الله :

عقيدة دين الحق أن محمداً له الفضل إطلاقاً ^(٤) على كل مخلوق
وإن سبقت رُسُلٌ بكتبٍ وبمئة فما هو في مجد وفضل بمسبوق
فهذا إذا ما عشتُ أولى عقيدتي وهذا إذا ما متُّ آخر منطوق
[وقوله :

جشك يا رب ولا عذر لي وهل لعبد السوء من معذرة ؟
أرجوك فيما أنت أهلُّ له فأنت أهلُّ التقو والتفكره
وقوله في مرضه :

يا سامعين الكلام مُختلطاً نظماً ونثراً قلانداً ودُرُز
صَلُّوا على المصطفى وسَيِّدِنَا محمدٍ وارحوا الفقيه عُمر ^(٥)

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « من اللزى للبلاد الأندلسية والفضلية » .

(٣) في ط : « منظوماته » .

(٤) في ط : « إجماعاً » .

(٥) ما بين القوسين المرعيين زيادة عن ت .

وأما الكاتب الرئيس أبو عبد الله الشَّران^(١)، فهو الشيخ الفقيه الرئيس الصدر، العلامة العماد، الذخر الأرفع، العلم الأوحى، الأجد الأسرى، الذى لا يجارى فى الإنشاء والاختراع كلاماً جزلاً، وقولاً فصلاً، رئيس الكتبة بالحضرة العلمية، أبو عبد الله، ابن الشيخ الفاضل الماجد الأعز الأرفع الأوجه أبى إسحاق، كان حتى سنة سبع وثلاثين وثمان مئة. هذا كلام بعض الأندلسيين فيه. [٧٤]

وقال القلصادى فى حقه: هو الفقيه الوجيه اللبيب اليقظ الأدرى، الأديب الأحظى، الرئيس النبيل الأرقى؛ وحيد عصره وأوانه، وفريد دهره وأفرانه، أبو عبد الله محمد الشران الفرناطى، تتمده الله برحمته. وذكر هذا الشيخ القلصادى فى طالعمة شرحه لأرجوزة أبى عبد الله الشران شئ من نظمه للذكور، التى أولها:

بمحمد خير الوارثين أبتدى وبالسراج النبوى أهدى
وهى أرجوزة عذبة النظم، سهلة المأخذ مختصرة فى علم القرائض.
ومن بديع نظم الكاتب أبى عبد الله الشران رحمه الله تعالى قوله:
[فلا تمنع العين انهماكاً فإنه غرام شجى إسنادُه غير مُهمل
أحاديث تروىها الجفون عن الحشا ويثبت منها مُرسَلٌ بمُسَلْسَل
وقوله يخاطب الفقيه الصالح سيدى أحمد بن حرشون، وقد أهدى له
قُرص زعفران:

أهلاً بقُرصة زعفران أطلعت من حسنها للقلب باعث أنسه
حَيَا الصُّلوصَ به وغير عجيبة للبدر أن حَيَا بقُرصة شمس
يا نيراً للمجد أهدى نيراً كل امرئ إهداؤه من جنسه
وقوله^(٢):

(١) هو محمد بن إبراهيم. (انظر نيل الابتهاج بطررز الهياج).

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت.

لما اخضت شمسك عن ناظري أرسلتُ منه مطر الدمع
وأقبلت ظلمة ليل النوى فا ترى في رخصة الجمع

وحكى الحافظ أبو عبد الله التَّنْسي رحمه الله ، أنه لما صُرِفَ الفقيه أبو الفضل
ابن جماعة عن رئاسة الكتابة بمرئطاة ، إلى قضاء الجماعة ، وولى مكانه صاحب
الترجمة أبو عبد الله الشَّران ، لقي بعض رؤساء الدولة ابن جماعة يوماً ، فقال له :
يا سيدي ، إن السر الذي عهدناه في الحضرة غاب عنها بنيتك . فقال له :
وكيف لا وقد تركتم الفضل المجموع ^(١) وأخذتم الشر المكرر ^(٢) !

ثم إن ابن جماعة كان عنده إعذار ^(٣) ، فدعا أعيان البلد إليه ولم يدع
الشَّران ، فكتب إليه الشَّران :

ماذا أعد المجد من أعذاره في ترك دعوتنا إلى إعذاره ^(٣)
إن كان رسم دون محضرنا اكتفى لا بد أن يبقى على إعذاره ^(٤)
ثم قال الشيخ التَّنْسي : والشَّران هذا ممن له باع مديد في الشعر ، ونصرف

حسن . انتهى .

ومن بديع نظم الشَّران المذكور قوله رحمه الله :

دوام حال من قضايا الحال واللفظ موجود على كل حال
والنصر بالصبر مُحَلَّى الظُّي والجِدِّ بالجدِّ مَرِيش التَّبال
وعادة الأيام مَهْودَة حرب وسلم والليالي سِجَال
وما على الدهر انتقاد على حال فإب لحال ذات انتقال

طريقة لابن
جماعة وقد تولى
المران مكانه

شعر للمران
يصائب ابن جماعة
على إهمال دعوته
إلى إعذار

قصيدته اللامية .

[٧٥]

(١) يشير إلى اسمه : « أبي الفضل بن جماعة » .

(٢) يشير إلى لقب أبي عبد الله : « المران » . فكأنه ثنية : « شر » .

(٣) الإعذار : طعام الختان .

(٤) الإعذار (هنا) : التخصير .

مَنْ لِيَالِي بِاتِّلَافٍ وَكَمْ
أَخَذَ عَطَاءً ، مَحْنَةً مِّنْهُ
حَالٌ ^(١) انْتِظَامٍ وَانْتِثَارٍ مِمَّا
وَهَلْ سَنَى الصَّبْرَ وَجُنَحُ الشَّجَى
وَالْقَلَمُ الْخَلْقُ عَلَى نَوْرِهَا
وَالسِّيفُ قَدْ يَصْدَأُ فِي غِمْدِهِ
وَالشَّمْسُ بَعْدَ النِّعَمِ تُعْجَلُ كَمَا
وَالْفَرَجُ لِلوُحُوبِ يُجْرَى ^(٢) بِهِ
فَصَابِرِ الدَّهْرِ بِمَحَالِيهِ مِنْ
فَا لَهُ صَبْرٌ عَلَى حَالِهِ
وَلَا يَضِقُ صَدْرُكَ مِنْ أَرْزَمَةٍ
إِلَى هُنَا تَوْجِدُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِأَيْدِي النَّاسِ ؛ وَرَأَيْتُ بِخَطِّ بَعْضِ الْأَخْيَارِ
بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ زِيَادَةً كَثِيرَةً عَلَى ذَلِكَ ، مَنْسُوبَةً لِمُصَاحِبِ الْقَصِيدَةِ ، وَهِيَ لَا تَبْعُدُ
مِنْ نَفْسِهِ ، عَلَى أَنَّ فِيهَا إِطْغَاءً ^(٣) . وَهِيَ أَنَا أَيْضًا أَثْبَتْتُهَا بِجَمَلَتِهَا لِنَرَايَتِهَا وَجَزَائَتِهَا ،
وَلَا شَتَاهَا عَلَى مَدِيحِ الْمُصْطَفَى الْجَمْعِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَصَهَا بَعْدَ قَوْلِهِ :
« رَحِبَ الْجَالِ » :

وَانْظُرْ بِلُطْفِ الْعَقْلِ كَمْ كُرْبَةٍ فَرَجَهَا لُطْفُ كَحَلٍ ^(٤) الْعِفَالِ
وَكِلْ إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ فَا [لَنِي] ^(٥) حِجَابًا إِلَّا عَلَيْهِ اتِّكَالِ

(١) فِي نَيْلِ الْإِتِّهَاجِ : « فِي اخْتِلَافٍ » .

(٢) فِي ت : « حَلِي » .

(٣) زَيْدٌ فِي ط فَوْقَ هَذِهِ السَّكَّةِ : « تَأَنَّى بِهِ » .

(٤) كَذَائِي ط . وَالْإِطْغَاءُ : تَكَرُّرُ الْفَائِدَةِ لِقَطَاوَسِي . وَفِي ت : « عَلَى أَنَّهُ فِيهَا وَهِيَ أَنَا » .

(٥) فِي ط : « حَلَّ » .

(٦) زِيَادَةٌ عَنْ ت .

وكل بدء فله غاية
وكل عود فله آية
وفي مال الصبر عُنُقِي الرِّضَا
عجبت للعبد الضعيف القوي
يهوي مع الآمال مسترسلاً
تخدعه النفس بتخييلها
يخال أن الأمر جارٍ على
الخلق والأمر لمن لم يزل
والفعل والترك دليل على
يعطى فلا منع ويقضى فلا
يُدَبَّر الأمر فمن أمره
يُصِل يَهْدِي حكمة أنفذت
وحكمة الباري في حكمه
والرب لا يسأل عن فعله
فيا أبا الفكر اشتتالاً بما
سلم في التسليم من كل ما
وارض بما فاتك أو نلته
وفوض الأمر إلى الحق لا
فدو الحجا فيما اتقى وارنجي
يرضى بقسم الرب كل الرضا

وإغاية الخطب الشديد انحلال
وآية العقل اعتبار المال
من فرج يُدني وأجر يُنال
يُفَرِّق^(١) بالرب الشديد الحال
طوع الهوى حيث أمالته مال
وهل خيال النفس إلا خيال
تديره هيات مما يخال
في ملكه التلك وما إن يزال
مراده والكل طوعُ انفعال
دفع ويحصى حكمه لا يُبَال
تقدير ما في الكون سُقْلٍ وعال
فضلاً وعدلاً في هدى أو ضلال
ما لمجال العقل فيها مجال
قد قُصِيَ الأمر قِيم السؤال
في غيره للفكر حق اشتغال
ينفذ تسليم وتنعيم بال
فكسه ما لك فيه مجال
تركن من الدنيا لحال مجال
بالتدل حال ومن القدل خال
في كل حال ما عن الهد حال

[٧٦]

(١) ذكرت هذه البارة أمام هذا البيت في هامش ط: « يقتضى الرب بدل يفر » .

يرى خلال الشكر والصبر في
 فهو على الحائنين قد نال من
 ما أقصر الدنيا على مرّها
 فافطن لها حزمًا ففى ظلها
 ما يَفْقَطُ العيش إلا كَرَمَى
 ياليت شعرى ولتكن عِبرة^(١)
 هل يستحيل العهد من صَبَوَى
 والشيب هل يوقظنى صبحه
 وكسرتى من عُسْرَتى هل تقى
 هذا زمانى فى تولّى وفى
 حالٍ من احتل بدار البِلا
 يا رَبِّ ما المخلص من زَلَى
 يا رَبِّ ما يلقاك مثلى به
 يا رَبِّ لا أحلُّ حَرَّ الصِّبا
 أم كيف عذرى وقد أعذرتلى^(٢)
 رحمتك اللهم فهمى التى
 ولا تماثلنا بأعمالنا
 ما سر أو ساء أبرّ الخلال
 مُناه فى الدارين أقصى منال
 كالظل ما أقصر مدّ الظلال
 ما قال يوما حازم حيث قال
 ولا مرأتى العين إلا خيال^(٣)
 والشعر قول قد ينافى الفِعال
 قد مضى عهد الصِّبا واستحال
 فالنوم فى ليل من^(٤) اللهو طال
 وعترتى من^(٥) عِبرتى هل تُقال
 عنى توائى والموى فى توال
 ولم يحدث نفسه بارتحال
 لا عمل لا خجّة لا احتيال
 من طاعة لم ألقها بامثال
 فكيف بالنار لضعفى احتمال
 بأخذ حِزْرِى من دواى الكمال
 لها على العاصين مثلى انثيال
 لكن رَجَا آمالنا صِلَ ووَال

[٧٧]

(١) يشير إلى قول أبي الحسن التهاى فى مرثيته ابنه :
 فالعيش نوم والنيبة يقظة والمرء بينهما خيال سارى

(٢) فى ت : « عدة » .

(٣) فى ط : « دوفى » .

(٤) فى ت : « دوفى » .

(٥) فى ت : « دوفى » .

وبامتداح المصطفى هَبْ لَنَا
فَا سَوَى حَيٍّ لِلْمُصْطَفَى
ذَلِكَ تَجَرَّى (٢) وَعَلَى فَضْلِهِ
فَإِنْ يُقَرِّقُ قِدْحِي بِمَدْحِي لَهُ
وَرَأَيْتُ الْفَرَّ الْفَوَالِي (٣) عَلَى
أَعْظَمَ بِأَمْدَاحِ نَبِيِّ الْمَدَى
خَيْرَ الْوَرَى مِنْ يَادٍ أَوْ حَاضِرٍ
فَادِيهِمْ مِنْ فَتَكَاتِ الرَّدَى
حَامِيَهُمْ بِالضُّبِّ إِذْ لَا حَمِيَّ
مُنِيلِهِمْ إِذْ لَا جَدَى يُرْتَجَى
قَرِيعِهِمْ فِي طَبَقَاتِ الثَّلَا
مُؤْوِيهِمْ مِنْ حَوْضِهِ مِنْ صَدَى
أَطْوَلَ مِنْ سَالٍ بِسَيْبِ النَّدَى
مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِخَصْلِ التَّدَى
مَنْ بَاهَرَ الْحَسَنَ وَفَضْلِ التَّقَى
حَالٍ مِنَ الْعِلْمِ بِأَسْنَى حِلَى
نُورٍ مَبِينٍ صَادِقٍ فَارِقٍ
أَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْحَيَا بِاسْمِهِ

مَا تَمَّ الْفِعْلُ لِرِيٍّ الْقَالِ (١)
وَسِيلَةً لِي بِعَرَاهَا اتِّصَالُ
طَمَعْتُ فِي الْفَضْلِ بِلَا رَأْسِ مَالٍ
فَقَدْ يُجَلِّ النُّورُ قَدَّرَ الذُّبَالُ
مَوْثِقَةً مِمَّا نَوَى مِنْ نَوَالٍ
حَبْلَ اعْتِلَاقٍ أَوْ شَفَاءِ اعْتِلَالٍ
أَكْرَمَهُمْ مِنْ حَافٍ أَوْ ذَى انْتِمَالٍ
هَادِيَهُمْ فِي هَلَكَاتِ الضَّلَالِ
كَالِهِمْ (٤) فِي الْخَطْبِ إِذْ لَيْسَ كَالِ
مُقِيلِهِمْ إِذْ لَا عِثَارٌ يُقَالُ
شَفِيعِهِمْ فِي عَرَصَاتِ السُّؤَالِ
مُؤْوِيَهُمْ مِنْ جَاهِهِ فِي ظِلَالِ
أَصُولٍ مِنْ فِي الْحَقِّ بِالسَّيْفِ صَالٍ
فِي كُلِّ مَا عَمَّ الْمَدَى مِنْ خِصَالِ (٥)
وَحِكْمَةِ النُّطْقِ وَمَجْدِ الْفِعَالِ
وَأَفٍّ مِنَ الْحِلْمِ بِأَرْكَى خِلَالِ
مُبَشِّرٍ هَادٍ خَتَامِ كَمَالِ
كَتَفِ الْآيَاتِي ، لِلْيَتَامَى ثِمَالِ

(١) في ط : « الفصال » .

(٢) تجرى : تجارتي .

(٣) في ت : « الفوادى » .

(٤) كالهم : كالهم ، أى حافظهم .

(٥) خصل المدي : إصابة الغاية .

الرحمة المهداة ضِمن احتفًا
 كم آية جَلِيَّ لَنَا أَوْ تَلَا
 ذو العرش أَسْتَى قَدْرَهُ فَاسْمُهُ
 وذكره رَفَعَ فِي ذِكْرِهِ
 أعطاه دون الرُّسُلِ خَسَا كَفَتْ
 لم يبعث الرُّسُلَ اشْتِئَالًا وَفِي
 وقسمة الأُنْفَالِ جَلًّا وَمَا
 والأَرْضَ طَهْرًا وَمَصْلَى لِأَن
 والنَصْرَ بِالرَّعْبِ لَشَهْرٍ مَدَى
 والنَّعْمَةُ الْكُبْرَى الَّتِي نَالَهَا
 وَلَيْلَةَ الْمَرَاكِجِ أَسْرَى فَمَا
 جَلَّ وَجْهٌ بَرِيلٍ أَنْيَسَ لَهُ
 حَتَّى انْتَهَى مِنْ سِدْرَةِ النَّتْهِى
 قَالَ لَهُ الرُّوحُ مَقَامِي هُنَا
 فَقَالَ : يَا أَنْسَى أَفَرَدْتَنِي
 فَقَالَ : كَلَّا إِنَّمَا الْأَنْسُ مَا
 طَأَّ حَضْرَةَ الْقُدُّوسِ اتِّصَالًا فَا
 فَرَجَّهْ فِي الثُّورِ زَجًّا رَأَى
 شَاهِدًا مَا شَاهَدَ مِمَّا ارْتَقَى
 فَقَالَ قَوْمٌ بِنُؤَادٍ رَأَى

والنَّعْمَةُ السُّدْدَةُ خَلْفَ احْتِفَالٍ
 وَغَايَةِ جَلِيٍّ بِهَا دُونَ تَالٍ^(١)
 فِي الْعَرْشِ مَقْرُونٌ مَعَ اسْمِ الْجَلَالِ
 حَذًّا لِيَتَلَوْ مَدْحَهُ كُلُّ تَالٍ
 يَدَ امْتِنَانٍ فِي الْعَطَايَا الْجِزَالِ
 بَعَثْتَهُ لِلثَّقَلَيْنِ اشْتِئَالِ
 مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لِنَبِيِّ حَلَالِ
 كَانَ لَهُ كَوْنٌ بِهَا وَاحْتِلَالِ
 يُنَازِلُ الْأَعْدَاءَ قَبْلَ النِّزَالِ
 شِفَاعَةَ الْأُخْرَى وَنَهْمَ الْمُنَالِ
 أَسْرَى وَأُسْتَى شَرْفًا فِي اللَّيَالِ
 مِنَ السَّمَاوَاتِ الثَّقَلَى حَيْثُ جَالِ
 إِلَى مَقَامٍ لَمْ يَنْلَهُ مَقَالِ
 وَأَنْتَ فَاصْصِدْ لِمَقَامِ الْوِصَالِ
 حَيْثُ دَهْتَنِي^(٢) مُدْهَشَاتِ الْجَلَالِ
 أَنْتَ مُوَالٍ وَلَكَ اللَّهُ وَالِ
 أُبَيِّحُ مِنْهَا لِسَوَاكَ اتِّصَالِ
 وَرَاءَهُ لِلْحَقِّ نَوْرَ الْجَمَالِ
 عَنْ مَبْلَغِ الْعَقْلِ وَوَهْمِ الْخِيَالِ
 وَعَالِمٌ بِالْعَيْنِ وَالْقَلْبِ قَالَ

[٧٨]

(١) جلي بها : آتى فيها ساجدا .

(٢) في ط : « دهنني » .

وليس ذا وهو مُحال على حيث تدلَّى قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ
وبعد ما في النجم يُتَلَّى عَلَاً
وباحتمال الجسم والروح في
وبانشقاق الصدر طِفْلاً قَيسَ
لنسبة بينهما في الهدى
فنور هذا كَمَ جَلا من دُجَى
كلا بل الأنوار حيثُ انجَلَتْ
ولانشقاق البدر من نوره
شَقَّ هلالين على صفحتي
والشطر منه لاستلام الثرى
بل أَخَجَلَ البدرَ لنقصانه
هم سألوها آيةَ أَعْرَضُوا
قالوا وقد جالوا ^(١) بسحرٍ أتى
بل عجبوا من نُكْتَةِ الْكَوْنِ أَنْ
وهجرة بل وَضَلَّةَ الرضا
ضفا لُحْجَبِ السَّتْرِ دُونَ العدا
إذ غار بالحكمة نورُ الهدى
وما اختفى من خيفة بل لأن

حَال مَقَامِ الْحَبِّ مِمَّا يُحَالُ
أَذْنَى نَجِيًّا فِي ظِلَالِ الدَّلَالِ
ثُمَّ أَتَى وَالنَّجْمُ فِي الْأَفْقِ عَالِ
مَسْرَاهُ صَحَّ الْقَوْلُ دُونَ احْتِمَالِ
لَهُ انْشِقَاقَ الْبَدْرِ عِنْدَ اكْتِمَالِ
وَالْحَسَنِ وَالْقَرَبِ وَبَعْدَ النِّتَالِ
وَنُورُ هَذَا كَمَ هَدَى مِنْ ضَلَالِ
حَسًّا وَمَعْنَى مِنْهُ كُلًّا تُنَالِ
أَبْدَى انْشِقَاقًا وَهُوَ تَغْيِيرُ حَالِ
ظُلُمَانِهِ فِي كُلِّ شِقِّ هَلَالِ
يَبِينُ يَدِيهِ بِالسَّلَامِ اسْتِمَالِ
فَانْحَطَّ مُنْشَقًا لِبَدْرِ الْكَمَالِ
عَنْهَا وَقَدْ جَاءَتْ وَفَاقَ السُّؤَالِ
فَقُلْتُ هَذَا السَّحَرُ سِحْرُ حَلَالِ
أَعْطَاهُ رَبُّ الْكَوْنِ مَا مِنْهُ سَأَلِ
وَرَبِّمَا نِيلَ ^(٢) بِهِجْرِ وَصَالِ
فِي الدَّارِ وَالْفَارِ عَلَيْهِ اسْتِدَالِ
فِي النَّارِ مِنْ غَارَةِ حَزْبِ الضَّلَالِ
تَظْهَرُ أَسْرَارُ مَعَانِي الْمَالِ ^(٣)

[٧٩]

(١) كَذَا فِي تَوْقِي ط « حَالُوا » . وَلَمَّا كَلِمَتُهُمَا مَصْبُوحٌ عَنْ : « خَالُوا » .

(٢) فِي تَوْ : « بَيْلَى » .

(٣) الْمَالُ : أَيْ الْمَالِ .

حيث ثنى بعدُ عنانَ الردى
هبلَ كتيبُ الطرفِ خَسْفًا به
أهوى كما أهوت بميلاده
نسبة حالٍ كان من سرِّها
هناك هامت بالحلِّم البدا
فأطرد الكسرى على جمعهم
والمنكسوت اعتمدوا حُجَّةً
فأعجب لهم بالواهن استوتفوا
ما أصدق الصديق في قوله
أشفق لا حرصاً على نفسه
بأيها الصديق بشارك لا
فككة العِصمة إحرأها
لله ما أشرفها عزَّة
نبوَّة لاحت براهينها
سُرَّاقَةُ عما سرى واستقال^(١)
عن كُتِّب والصنع للطرف هال^(٢)
من قصر كسرى الشرفات القوال^(٣)
أن يسواريَه غدا وهو حال^(٤)
فحام حويله حَمَام فَحَال^(٥)
وأطرد الفتح له صدق قال
خالوا بها الثيل من الليث خال
فلنَّا وللبرهاف م في جدال
عدل لنا في حُجج الصديق قال
بل غار من علق نفيس يُذال
تَحزن^(٦) وشم للنصر أمضى النصال
ما بين أظفار الطي والموال
ليس لغير الله منها ابتغال
قطيعة تُزغم أنف الجدال

- (١) سُرَّاقَةُ : هو سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكِ الْكِنَانِيِّ الَّذِي تَبَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ الْهَجْرَةِ ، لِيُرِدَهُ إِلَى قُرَيْشٍ . (انظر خبره في كتب السيرة) .
(٢) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما روى في كتب السير من أن سُرَّاقَةَ لما أرادَ الْهَاقَ بِالرَّسُولِ ، وَكَادَ يَدْرِكُهُ ، فَاصْتَفَتْ قَوَامَ فَرَسِهِ فِي الرِّمَالِ ، وَأَنْزَعَهُ مَا رَأَى مِنْ عِجْزِهِ عَنِ إِدْرَاكِ النَّبِيِّ أَوْ لِمَا جَاحَهُ بِسُوءِهِ ، حَتَّى اضْطُرَّ أَنْ يَبْهُدَ مِنْ حَيْثُ أَقْبَلَ .
(٣) يريد أن فرس سُرَّاقَةَ خَرَّ عَلَى الْأَرْضِ كَمَا سَقَطَتْ شُرَفَاتُ قَصْرِ كَسْرَى عِنْدَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ لِإِزْهَامِهَا لِنُبُوَّتِهِ .
(٤) يشير إلى ليس سُرَّاقَةُ لِسَوَارِي كَسْرَى أَيْلَمَ عَمَرٍ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ لِسُرَّاقَةَ لَمَّا خَرَجَ فِي طَلَبِهِ فِي الْهَجْرَةِ : « كَيْفَ بِكَ إِذَا لَيْسَتْ سَوَارِي كَسْرَى » . (انظر شرح اللوَاهِبِ الدِّينِيَّةِ ج ١ ص ٣٤٨) .
(٥) يريد : أَنْ أَعْدَاءَ النَّبِيِّ يَوْمَ النَّارِ أَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَخَالَ الْحَمَامُ دُونَ غَرَضِهِمْ بِتَشْيِيشِهِ فَوْقَهُ .
(٦) في ت : « تَحْزَنُ » .

وهل جدال في عُلَى أَوْجَبَتْ وآدم في طِينِهِ ذُو انْجِدَالٍ
 وإذا بدت في وجهه غُرَّة خرت له الأملأك طَوْع امْتِثَالٍ
 ونوحٌ أذْ نُجِّيَ في فُلْكَه كان على أنوار هذا اِشْتِمَالٍ
 كذا خليل الله في ناره من يوره أَهْدَى مَدَى الخِلَالِ
 إذ قال جبريل له سَلْ تَنَلْ فقال علمُ الحال حَسْبَ السُّوَالِ
 ونال إسماعيلُ منه الفِدا بالذَّبْحِ أو إِسْحاقُ إنْ صَحَّ نَالِ
 وهوذْ أُسْتَجْلَى لَدَيْهِ الْهُدَى ويوسفُ مِنْهَا تَحَلَّى الْجَمَالِ
 وخِلْعَةُ الإِشْرَاقِ مِنْهَا اكْتَسَى بالطُّورِ مُوسَى عِنْدَ خَلْعِ النِّعَالِ
 والرُّوحُ رُوحُ اللَّهِ لَاقَى بِهَا بِشَرَى تَلَقَّتْهَا صُدُورُ الرِّجَالِ
 فِيمَا لَهُ نَوْرٌ انْتَقَاءَ بَدَا في غَرْرِ الْآبَاءِ مِنْهُ انْتِقَالِ
 والشمسُ والبدرُ معاً والضُّحَى والشَّهْبُ مِنْهُ أَشْرَقَتْ وَالْهِلَالِ
 ونوره أَجْلَى ، وبرهانه أَعْلَى ، وَكَمْ مِنْ دُونِهَا مِنْ مَعَالِ
 تفجرتْ أَنْمُلُهُ بِالنَّهْدَى معْنَى وَبِالْحَسَنِ جَرَتْ بِالزُّلَالِ (١)
 وَأَنْطَقَ الطَّيْرُ بِتَصْدِيقِهِ وَأَفْصَحَ الذَّنْبُ بِهِ وَالْفِرَالِ
 وسُبُحَتْ في راحتيه الْحَصَى وَانْهَزَمَ الْجَمْعُ لِحُشْوِ الرِّمَالِ
 والجِدْعُ إِذْ عَوَّضَ مِنْ وَصْلِهِ بفصله حَنٌّ حَنِيفِ الْفِصَالِ
 وهل إِلَى آيَاتِهِ مُنْتَهَى وعن عُلَى غَايَاتِهِ النِّجْمُ آلِ (٢)
 فما بَلِغَ بِالنَّاقِ وَصْفِهِ يَقْصُرُ عَنْ ذَلِكَ لِلْقَامِ الْمَقَالِ
 وبعد مبدا (نُونٍ) أو منتهى (براءة) ماذا عسى أَنْ يُقَالِ (٣)

(١) في ط : « لاعال » . بدل : « بالزال » .

(٢) آل : رجع عاجزا .

(٣) يشير إلى ثناء الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم في مفتتح سورة (نون) ونحتم سورة (براءة) .

ياسيدَ الكونين فضلا به
 ياسابقَ الرسل اصطفاء ويا
 ياملجأ الخلق ومنجىهم
 يامن به نال الحب الرضا
 رُحماك فينا يانبي الهدى
 رُحماك في أوطاننا راعيا
 رُحماك في سلطاننا واليه
 رُحماك في غربتنا كن لها
 رُحماك في كُربتنا حلها
 رُحماك في عيبتنا أغنها
 رُحماك في قِلتنا زكها
 صالت علينا بالوفور العدا
 صالت بقدرك واعتداد معاً
 خالت بآنا لا غياث لنا
 وبالنفق اختالت وما إن لنا
 فانت للخلق ملاذ الوزي
 صلى عليك الله نور الهدى
 اتهمت القصيدة . ومن ذلك قوله رحمه الله :

قد ساد في الأولى ويومَ الآن
 خاتمهم جماعاً لمعى الكمال
 إذا بهم ضاق انقشاعُ المجال
 ويشفيعاً في الذنوب التتال
 فلم تزل رحماك ذات انهمال
 من لحظك الأحمى بعين ابتغال
 من نصرك الأمضى بأرضى نوال
 أنسا فإن العهد بالأنس طال
 منك بسرٍ فهي زهنُ اعتقال
 إنا على رفدك طرّاً عيال
 زكاة تكثير لجاه ومال
 وهل على راجيك غوثاً يُصال
 وما على ذاك الحمى يُستطال
 حاشى غياث الخلق مما يُخال
 في غير أفياء غنياك اختيال
 والوزرُ الأسمى لدى ذى الجلال
 أركى صلاة قرنت^(١) باتصال

[٨١]

بعض شعره

لك يا فقيه وُصِفَتْ خَدَي في الثرى
 فأجاب ذلك لا يجوز لأنه
 طمعاً بوصلي منك غير مؤجل
 عندي ربك من باب ضَع وتَجَل

وقوله :

لِي سَيِّدُ زَارٍ وَمَا زَرْتُهُ فَنِيَ النِّقْصُ وَمِنْهُ التَّامُ
إِنْ يَحْتَمِلُ سَهْوَى فَقَعُهُ مُضَى لَأَنْفَى لِلْأَمُومِ وَهُوَ الْإِمَامُ
[وَطَالَمَا زَارَ الْغَائِمُ الثَّرَى وَلَمْ يَزُرْ قَطُّ الثَّرَى لِلْغَنَامِ ^(١)]

وقوله رحمه الله ، وهو غاية في بابه :

بَعَثْتُ بِهَا ذِكْرِي عَلَى ثِقَةٍ إِلَى مُؤَمِّلٍ وَعَدٍ مِنْ لِقَائِكَ ^(٢) مَرْقُوبٍ
فَمَا زِلْتُ قَدْأً فِي رِءُوسِ ذَوِي الثَّلَى وَمَا وَعَدَ رَأْسٌ مِثْلَ مَوْعِدِ عُرْقُوبٍ
[وقوله :

عَابَ مِنِّي الْفُدَاةَ شِعْرًا وَثِقْرًا رُمِيَا فِي الصَّبَا بِشَيْبٍ وَشَيْنٍ
قُلْتُ : لَا عَيْبَ فِيَّ مَا دَامَ فَضْلُ فِي الثَّهْيِ وَاللَّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ ^(٣)]
وقوله :

قُلْتُ لِمَا جَبَرْتُ بِالْعَاجِ ثِقْرًا ^(٤) وَلَقَدْ رُمْتُ بِالْحِمَالِ احْتِجَاجًا
صَاحٍ لَا بَأْسَ أَنْ يَمُوجَ شَبَابِي بِالتَّلَاقِ ^(٥) أَمَّا تَرَى الثَّغْرَ عَاجًا
وقوله :

رَأَيْتُنِي أَحْوَطُ الثَّغْرَ رِبْطًا فَأُخْخِكَتْ وَتَاهَتْ بِثَغْرِ الْجَفُونِ يُحَاطُ
فَقُلْتُ لَخُوفِ الْحَلِّ مِنْهُ ^(٦) رِبْطُهُ أَيْتَنَكَّرَ فِي الثَّغْرِ الْمَخُوفِ رِبَاطُ
وقوله :

إِلَهِي لَكَ الشُّكْوَى وَحَسْبِي رَحْمَةٌ نَدَاؤُكَ فِي شُكْوَى الْخَطَاوِبِ إِلَهِي

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « وَفَائِكَ » .

(٣) في ط : « تَغْرِي » .

(٤) في ط : « بِالتَّلَاقِ » .

(٥) في ت : « مِنْكَ » .

وَحَقَّكَ مَا لَلَّهُو أَبْدَعْتَ خَلَقْتَنِي وَهِيَ أَنَا فِي غَيِّ الْبَطَالَةِ ^(١) لَاهِي
 بِنَفْسِي وَشَيْطَانِي وَدُنْيَايَ وَالْمَوْتِ قُتِنْتُ وَلَكِنْ أَنْتَ حَسْبِي لَاهِي ^(٢)
 وَلِنَحْتَمَّ مَا أَرَدْنَا جَلْبَهُ مِنْ نَظْمِهِ الَّذِي هُوَ بِحَرْ لَاحِلٍ لَهُ بِقَوْلِهِ :
 يَا رَبِّ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الَّذِي أَحْكَمْتَ : إِنَّكَ تَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَا
 فَاخْتَمْ لِعِبْدِكَ بِالرَّضَا وَاحْكَمْ لَهُ بِالسَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ مَعَا

[٨٢]

وأما الرئيس أبو يحيى بن عاصم فهو الإمام العلامة، الوزير الرئيس، الكاتب
 البليغ الجليل الخطيب الجامع الكامل، الشاعر الملقب النائر، الحجة، خاتمة
 رؤساء الأندلس بالاستحقاق، القاضي محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن
 عاصم القيسبي الأندلسي القرناطي، قاضي الجماعة بها، كان رحمه الله تعالى من
 أكابر ^(٣) قضاة وعلماؤها، أخذ عن الإمام المحقق أبي الحسن بن سمعة ^(٤)،
 والإمام القاضي أبي القاسم بن سراج، والشيخ الراوية أبي عبد الله التنتوري،
 والإمام أبي عبد الله التبيان وغيرهم، وذكر في شرحه تحفة والده أنه وُلِّيَ القضاء
 عام ثمان وثمانين وثمان مئة، وله عدة تأليف منها شرحه العجيب على تحفة والده
 في الأحكام، وهو كتاب نافع، فيه فقه متين، ونقل صحيح، وكانت يده
 وبين عصره الإمام مفتي غرناطة أبي عبد الله السَّرْقَسْطِيُّ، مراجعات
 ومنازعات في مسائل فقهية. ومن تأليفه رحمه الله: كتاب جنة الرضى، في التسليم
 لمآقد الله وقصص؛ وكتاب الرّوض الأريض، كأنه ذيل به إحاطة ابن الخطيب،

(١) في ت: « البلاغة » .

(٢) لاهي: أى يا إلهي .

(٣) في ط: « أكارم » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين: « سمعت » وهو تحريف .

وله غير ذلك ، وسند كرشيتاً من كلامه بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ومن أغرب ما صدر عنه ، رضى الله عنه ، قصيدة ، تنفك منها قصيدتان
أخريان بديعتان ، إحداهما من المكتوب بالأحر ، والأخرى من المكتوب
بالأخضر ، وكل واحدة من هاتين البتتين تلد موشحة ، كما ستره ، وقد ألفتها
بخط بعض أعلام سبته ، وهو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج ،
وجده محمد بن فرج هو الذى نأتى بجملة من نظمته في النعل النبوية ، عند
ما نتعرض لذلك إن شاء الله تعالى ، في محل هو أنسب من هذا الموضع ، وقد
سقط من هذه القصيدة نحو ثلاثة أبيات ، فموضتها بنيرها على ذلك السنن^(١) ،
على أن بعض كلماتها لم تسقط إلى طرف^(٢) .

قصيدة له تلد
بتين فوشحتين
في مدح السلطان
أبي الحجاج

ونص ما كتبه السبكي المذكور من نظم السيد الأستاذ العلم الصدر الملقى
القاضى رئيس الكتاب ، ومعدن السباحة ، ومنبع الآداب ، سيدى أبي يحيى
ابن عاصم رحمه الله ، ورضى عنه ، يمدح السلطان المادل المقدس المنعم المرحوم
المجاهد ، أبا الحجاج يوسف بن نصر ، قدس الله روحه ، ونضر ضريحه ، قال :
ونقلتها من خط ناظمها رحمه الله . انتهى . وهذه هي القصيدة^(٣) :

أما والهموى « ما كنت » مذ بان عهدُهُ أ هم بلقياس من (تثاثر)^(٤) وُدُهُ
رعى الله من « لو أنصف » الصب في الهوى لما فاض منه (الدمع) مُدَّ^(٥) بان صدّه

(١) في ط : « النسخ » .

(٢) يريد أن الأبيات الثلاثة الساقطة قد ظهر منها بعض كلمات .

(٣) وضمنا ما كتب بالمداد الأحمر في الأصل بين هذين القوسين « ، وما كتب
بالأخضر بين هذين الحلالين () اختداء بما في نسخة ت .

(٤) في ت : « إمام الهدى » .

(٥) في ط : « تأثري » .

(٦) في ط : « إذ » .

ولو جاد من « بعد المطال » برورة
 كما خان صبرى يوم أصبح و « اصل
 لذلك أسأل اللمع » كالنذر مدعى
 حتى لؤلؤا (من سلكه) متناثرا
 ذخرت (التمين) القدر منه بمقلتي
 ولا عجب (مذاعوز) القرب أن غدا
 أيلحق باللقيا أو (الوصل) من يفو
 وصير جسمي للصباية (والثلا
 أقطع أنفاسي « عليه ك » آبة
 فن شمره « الليل البهيم » ومن سقى
 (ب) حكم « الدلال » الجور حكم جزره
 له مغطف « مستحسن القذ » ناعم
 رمى في فؤادي جمرأ « ذكى » لهيبه
 فيمبق من نار الحيا عاطر « الشذا
 ويسدو بأقار ال (جمال ه) لاله
 كأن الظلي في (مرتفع) الطرف لحظه
 يروق (العيون) العطف منه فشبهت
 ويأينه « م » ورد أخذ « لوجاز »^(١) قطفه

لما شب أشواقى وقلبي زنده
 لظي « زادما » (من جفوني) وقده
 من « الوجد » فاستولى على الجفن سنده
 و « إلا ليم » قد تسابع مذه
 ومازلت من خوف « النكال » أعذه
 و « كالتمر الزاهي » سناه وبذه
 ر « في نوره » بدر الساء وجذه
 في « يقيم قلبي إذ تمكّن وجذه »^(٢)
 والله (من بدر) لغيري^(٣) سنده
 مقبله له (حسنى) نور يذه
 ومن شأنه أ (لا قرين) يرذه
 به (علق في الحب) بالرحم أسده
 به (ظي أنس) قد تلهب خذه
 ك « أأني بذلك الخال قد نمت نذه
 له « الليل فرعاو » الكواكب عقد
 كأن « القنا في » اللين والفعل قد
 به قصب البان « اعتدال » ماؤله
 وطيب رحيق الثمر ل (وحل) وزده

(١) كذا في ط . والشرط الثاني من هذا البيت غير مستقيم وزناً . وروايته في ت :

وصير جسمي للصباية وابتلى
 ولا تنفق ألفاظ هذه الرواية مع ألفاظ اللوحة التي تخرج من هذه القصيدة .

(٢) في ت : « لمرى » .

(٣) في ت : « حان » .

يجول به ريق « شهي » يحيلني
 ويحبي المحييا و « اللهي » بلوا حظ
 فله من ريم ضلوعي (كناسه)
 ويمنع منه المستهام (فإله)
 وبالحسن منه (يستبيح) حتى النهي
 ويؤلى : (دني) في الهوى وهو موير
 أفي المدل أن (يحكم) بتحريم ريقه
 تخيلته لو نيل (بالنهب) في الكري
 فأجنى كما شاء الوصال « رضابه »
 ويشفي بذلك اللبس « القذب » ريقه
 وحلو « الجني » مثر الجفا باهر الس
 بدا « في المثال » كالغزال محاسنا
 وللعبد يد « ولحظه الأوطف » الوري
 تملك رقي طرفه « مع سقمه »
 وأظهر مكنون الهوى منذ جار (في أ)
 وقد كان تحت الكتم (عذري) ووجدته
 ويحسبه في (الحكم) بالجور « ك » الوري
 إذا (بالظنون) الكاذبات يناله

إليه لظي (في القلب) قد شب وقده
 (عن) الدنف المغيري به ^(١) فتصدده
 وروض يسقيه من الدمع عهدده
 و « في لثمه » لو جاد بالثم قصده ^[٨٤]
 و « كل النقي » واليمن يحويه برده
 له دُر ثغر « لو ينال » وعقدده
 لأن « كان للشهد » الملل وزده
 « وما ذفته » يشفي من السقم شهدده
 ويحني على قلبي هواه وصده
 (فوادى إذ) يشفي بلثمي خده
 (في له نهب) هذا القلب قسرا ^(٢) ورده
 وتخشا أبطال (العرين) وأسده ^(٣)
 (أ) لا (هكذا) قلب المشوق أقده
 و : (الشرع) في حكم الغرام يرده
 ممتي (أ) ذى قد طال في الحب جهده ^(٤)
 « أسهر منه » ما اختفى قبل صده
 وهل يا « لسلم » القلب يحسب ضده
 ينام فكم عم « الليال » ي سهدده

(١) في ط : « بها » .

(٢) في ت : « سرا » .

(٣) هذا البيت ساقط في ت .

(٤) في ط : « ججده » .

يلد «وح سنه» ١ «ه» لَشَوْقٍ وقربه
 وفي مجتلاه «الباهر» الحُسن والرؤا
 وأنش بالإنصاف «مهابدا» وإن
 ويبديه نور الحسن وَهَنًا «لمقلتي»
 يميل على المشتاق (بالمجر) حكمة
 فيا هاجري (والصد) للصب قاتل
 أما (والفتون) البابل وسحره
 ويا مقلتي (مالي سوا) لك مؤازر
 فصغ لؤلؤا من (مدحى ابن) ملوكنا
 مَنْ أورهه الملك المؤصل (نصر) ه
 لبابُ العلى «قطب المالى و» تاجها
 به قد غدا ثمر «الملى» وهو باسم
 «و» أخفى «الكجال طود» ه فإن اعتدى
 ومها عفا عاد «الحجا» وهو قاتل
 وبالشَّم يُرَى عقله «الأرجح» الذى
 فعنى الحلى تهديه للقلب ذاته
 ومن كفه (غيث الندى) وغمامه
 إذا انهل منه (الواكف ال) ثمر للورى

عليه حرام إذ (يحلل) بُعْده
 حياتى، وشبه (القتل) للنفس فقد
 أرى (منه ظلمًا) عاود القلب وَجْده
 ويخفيه فرغ فاحم الوصف جَعْده
 ه «منه» استعار الميل عنى قَدْه
 وروض «نعيه» فى رضاك وخُلْده
 كيقتنعى هزل «الوصال» وجْده
 ه «خل الهوى وامدح» لمن حق حمد
 «إمام الورى» الباهى على الخلق رَفْده^(١)
 وأكسبه المجد المؤئل سعده
 (وبدر الملى) الوضاح فى الدهر^(٢) سعده
 منير سناه (مشرق) الأفق سعده
 على البدر نقص ه (الجبين) بُعْده
 كذا الحلم والصفح) الذى أستعده
 لنه^(٣) و «للمالى» والمجادة قصده
 و «نسر العلى» يديه للعين مجده
 و «معنى السباح» المستاحِر ورَعْده
 فصه «و الندى» الجود قد لذودده^(٤)

[٨٥]

(١) فى ط : «الباهى على الخلق قنه» .

(٢) فى ت : «فى البحر» .

(٣) فى ت : «له والمالى» .

(٤) هذا البيت ساقط فى ط .

تُخَال (هُتُون). البذل منهم زائلا وكل « نوال هـ » امل من بناته وفيض نداء « يشرح » الحال إنه (و) في غيثه التَّجَاج « للمعتقى » النفي وللفضل والإحسان والبأس (سبة) هـ وأفعاله عند استباق (اللداء) شأت له مشرفى (دائم الـ) قطع للطلا وبين (سكون) في الندى من الحجا وزينه من (قصده الجمع) للعلا وحزم وعزم (بين يكر) وثيب فيوم الندى الإسلام يسعد دهره ومن بأسه « أغشى الحماة » تمتعاً وتُتسى عداه « كالجم » شرابهم ويندو « الوالد » في « سرور وغبطة قد اعتاد » ترك الكافر « ين وشأنهم فأبطالم » رهن القنا هـ « و » ما لم ولم يبق إلا من حمى الحسن (للعلا) وأصبح في العلياء (كالبحر) كفه فضوب الحيا (في جوده) برقه الطَّبِي

يُكَيِّفُه برق « الجلال » ورعده^(١) فأقصى صفات الجود (قد جاز) جوده يمد الحيا (في السماح) إذ يستعده إذا ب (الأيادي) منه يبدأ رفته ولملك والإسلام والعلم عَضْدُهُ و « فعل ظُبا با » لكلمة وجُرْدُهُ فكل كمي ل « لعدا في » هـ قصده (و) بين مضاء : « القتال » يُدْه كازين ا « لسيف » الصقيل فِرْنْدِه : « الرهف » الماضي يُقَلِّلُ حُدْه « يوم الوغى » الإشرار يتعس جَدْه و (للفخر) منه صارم يستعده وما شيدوا (في دهره) فيهد^(٢) من البشر أبكار (وعون) تَوْدْه لهيب (وشأن هـ) امل الدمع وِرْدِه إلى (البذل) عقباه وبالسيف رُدْه وشفع في أ هـ (يا) نه^(٣) منه خدْه كما « قد غدا مثل الـ » جواهر رفته يريك « هشيم » الكفر مما يقدْه

(١) هنا البيت ساقط في ط .

(٢) في ت : « لم يهد » .

(٣) في ط : « أحياه » .

نَدَاهُ (الْمَعِين) الثَّرَقْدَنِمُ الْهَدْيُ
وَأَحْكَمُ «مَرْفَعُ» الْمَلِكِ إِذْ نَصَبَ الْعِدَا
أَيَا سَامِي «الْقَدَرِ» الَّذِي جَلَّ ذِكْرُهُ
صِفَاتُكَ فِي الْعُلِيَاءِ «عَزِيزُ» مَنَالُهَا
فَاشْتَقْتُهُ مِنْ عِزَّةِ الْجَارِ وَ«الْحَمَى»
وَأَبْعَدْتُ فِي (وَصْفِ الْعُلَى) عَنْ مَسَابِقِ
وَجُودِكَ (فِيهِ ذُو) الرِّجَا مَغْرَمُ فَإِنْ
وَكَمْ مِنْ (فَنُونٍ) يَسْتَعِدُّ بِهَا الضَّحَى
وَكَمْ بَاتَ يَتَلَا (وَسُورَةَ) الْفَتْحِ عِزْمَةً
وَأَصْبَحَ بِاسْتِحْقَاقِهِ (الْحَمْدُ مِنْ) أَوَّلِيهَا
بِعَدْلٍ وَإِحْسَانٍ قَدْ اخْتَلَطَتْ كُلِيهَا
وَبَأْسٍ وَبَطْشٍ يَحْمِيَانِ «حَمَى الْهَدْيِ»
وَحِلْمٍ «وَجُودِهَا» تَنْ «وَمَكَارِمِ»
وَكَيْفَ «يُنَالُ» لِلدَّحِ أَوْصَافُ مَا جَدَّ
يَمُ بَعْدُ «وَخَصَّ بِالْ» ذَنْبِ نَقْطَةٍ
وَلِلْسَيْفِ نَصْرِيَا بِنِ «نَصْرَ عَلِيٍّ» الْعِدَا
وَلِلْمَلِكِ عِزٌّ أَوْ كَسْبُ الذِّلِّ «مَنْ بَغَى»
فَقِي ذِمَّةَ الْعُلِيَاءِ (تِلْكَ الْحَلَالَةُ) الثَّلَاثُ
أَنْتَرْتُ بِهَا مِنْ (فَاحِشِ) ظَلَمٍ مَا دَجَا
فَزَالَتْ (دَجُونُ) الْجَوْرِ عَنْ مَطْلَعِ الْهَدْيِ
هُوَ «التَّلَكُّ» لَمْ تَنْقُطْهُ إِلَّا نِزَارُهُ

ويشقي به حزب «الضلال» وجنده
على حال ذل (نال من) ضل^(١) جهده
ويا محرز (المجد) الذي عز نده
لها (كل طبع) أحرز الفضل فوده
«وقد» رسما فوق السماكين مجده
لها و «تداني» من نواك رعد
حسى «جوده» ذم الملأب أزد
إذا ما تنادى «للمنال» بمد
ويحك «ممثل الأمور» الهى وجده
مدالة فى «الأحكام قد» بان رشده
(حلاه) كما آخى للمهند غده
لحقى (لقد ت) لطفى مع السرح أشده
«لاهن كل» الوصف عنها وجهده
يود العلاء (حين) أوحينا تود
و (تهدى إلى الرشد) للبين ألد
فساعة (إذ يحلى) جلى الكفر حده
خاقت به من مؤلم القهر نكده
و «لما بدت» للدين أنجز وعد
فجلت «سعود» ن الملك عضده
فنور سنه «فى اقتبال» وسعد
بما ليس فى إه (كانها) ومعد

[٨٦]

وفي منتهاك «الأشرف» الأصل للورى
 ويميناك يوم الجود «ترتب الحيا» اغتدت
 لك للرهف السفاح بالفتح (مُنْتَى)
 وجمعت شتى الجود (في وتر) راحة
 فكم كامل (الأوصاف والذات ماجد
 على (يمين قل) نها غير حاث
 فقد عز في الدنيا (له المثل) في العلى
 وأين التماسى (والمضاهى) مجادة
 كريم التماسى حافظ الدين و«الهدى
 في الفخر أنحى» الفضل والمجد طبعه
 ومعتده السامى «الكريم» نجاحه
 فشتى «الخلال» الفرّ جُفْنَ عنده
 ودونك يا مولاي حسناء غادة
 مرّنة الأعطاف تلعب بالثهى
 هدية عبد مخلص لك قلبه
 فالفاظها تحكى عُجان دُمُوعه

دليل يَحُوز (الشفع) في الجد فردّه
 ألا (فهي) أقسام السباح وحده
 مع السلم للوعود بالنصر جُندّه
 ف«غيث الندى» منها قد انهل عهدّه
 إلى ذلك «الهامى العميم» مرّده
 لجودك تنظيم «النوال» ونضده
 ف«يوسف» لا الحيا طاب ورّده
 «لناصر دين» الله والمجد مجده
 ذو «الأنعام والفضل المبجل عقده
 و(في الدهر) أمسى ليس يُوجد نده
 بمائله (في رفعة) القدر بنده
 بما حاز من علم (ودين) يُمدّه
 مهذبة كالدر نفلم حَقْدَه
 قَسَى الحجا طورا وطورا ترّده

{٨٧}

قال جامع هذا التصنيف : أشار الرئيس أبو يحيى بهذا الشطر الأخير إلى
 الكاغد الأصفر الذى كانت فيه هذه القصيدة مكتوبة ، ثم قال :

وأنقاسها من كل لون غريبها وترتيبها من ذاته يستعده
 فأكلها من مقلتي أستميعه وأحمرها من آدمى أستمده

وأخضرها من طيب عيشى الذى مضى لديك وأرجو بالرضا تسترده^(١)
 وأعجب شيء أنها بكر فكرتى وما بلغت معشار شهر نعه
 وقد ولدت بنتين بنتين مثلها يروقك من معنهما ما تودّه
 وكلتاها قد جردت من نظامها موشحة كالسيف راق فرنده
 فغذاها فيها للتواظر مسرح ومن مدحك^(٢) الحسن الذى تستمده
 بقيت كما تهواه ما هبت الصبا فالت بها بان العذيب ورنده
 انتهت القصيدة الفريدة ؛ وهأنا أذكر البنيتين اللتين ولدت ، ثم أذكر
 ما ولدت كل واحدة منهما بحول الله وقوته .

فأما القصيدة الخارجة من المكتوب بالأخضر [فهذا نصها ، وتوشيحها البنت الأولى
 ينتظم من المكتوب فيها بالأخضر]^(٣) وهى هذه :

(تنأثر الدمع) من جفونى (كالدر) من سلكه الثمين
 (مذ أوز الوصل) والتلاقي (من بدر) حسن بلا قرين
 (علقت فى الحب) ظبي أنس (جماله) صرّح العيون
 (وحل فى القلب) عن كناس (فاله) يستريح دینی
 (يحكم بالثوب) فى فؤادى (إذ ناله) نهيه العرين
 (أهكذا الشرع) فى الثمى (المذرى) والحكم بالظنون
 (يحلل القتل) منه ظلما (بالمجر) والصد والتون
 (مالى سوى مدحى) ابن نصر (بدر الهدى) للشرق الجبين
 (ذا الحلم والصفح) والعالى (غيث الندى) الواكف الهتون

(١) فى ت : « نسمده » .

(٢) فى ط : « مدحها » .

(٣) زيادة عن ت .

[٨٨]

(قد جاز في السمع) وَالْأَيَادِي (سبق المدى) دَائِمُ السَّكُونِ
(وقصده الجمع) بَيْنَ بَيْكِر (للفخر) فِي دَهْرِهِ وَعُؤُنْ
(وشأنه البذل) لِلْعَطَايَا (كالبخر) فِي جُودِهِ الْعَيْنِ
(نال من المجد) كُلَّ طَبِيعِ (وصف الملا) فِيهِ ذُو فَنُونِ
(وسور الحد) مِنْ حِلَاةِ (لقد نلا) هُنَّ كُلُّ حِينِ
(تهدى إلى الرشد) إِذْ تُجَلَّى (تلك الحلي) فَاحَمَ الدُّجُونِ
(كأنها الشفع) فَهِيَ تَمُتُّنِي (في وتر) الْأَوْصَافِ وَالْيَمِينِ
(قل لها للثل) وَالْمَصَاهِي (في الدهر) فِي رِفْعَةِ وَدِينِ

انتهت البنت الخضراء ، وهذا نص بقتها الموشحة ، المستخرجة من الأخضر :

الموشحة الأولى

تَنَاسَرَ الدَّمْعُ ، كَالدَّرِّ مُذْ أَعْوَزَ الْوَصْلُ ، مِنْ بَذْرِ
عَلِقْتُ فِي الْحُبِّ جَمَّالَهُ
وَحَلَّ فِي الْقَلْبِ فَمَّالَهُ
يَحْكُمُ بِالنَّهْبِ إِذْ نَمَّالَهُ
أَهَكَذَا الشَّرْعُ ، الْمُذَرِّي يُحَلِّلُ الْقَتْلَ ، بِالْهَجْرِ
مَا لِي سِوَى مَذْحِي بَذَرِ الْهُدَى
ذَا الْحِلْمِ وَالصَّفْعِ غَيْثَ النَّدَى
قَدْ جَازَ فِي السَّمْعِ مَبِيقَ الْمَدَى
وَقَصْدِهِ الْجَمْعُ ، لِلْفَخْرِ وَشَأْنُهُ الْبَذْلُ ، كَالْبَحْرِ
نَالَ مِنَ الْمَجْدِ وَصَفَ الْمَلَا
وَسُورَ الْحَدِّ لَقَدْ تَلَا
تَهْدَى إِلَى الرُّشْدِ تِلْكَ الْحَلَى
كَأَنَّهَا الشَّفْعُ ، فِي وَتْرِ قَلِّ لَهَا لِثْلُ ، فِي الدَّهْرِ

[انتهت .

ويمكن أن تستخرج باختصار هكذا] ^(١):

تنثر الدمعُ ، مُذَّ أعوزَ الوصلُ
 عِلِّقْتُ في الحبِّ ، وَحَلَّ بالقلبِ ، يحكم بالتهبِ
 أهكذا الشرعُ ، يُسَلِّلُ القتلُ ؟
 مالى سوى مدحى ، ذا الحلم والصنعِ ، قد حاز فى السمعِ
 وقصده الجمعُ ، وشأنه البذلُ
 له من الجحدِ ، وسُورِ الجحدِ ، تهدي إلى الرشيدِ
 كأنها الشفعُ ، قَلَّ لها الليلُ

[٨٩]

انتهت .

وأما البنت الحمراء فهي الخارجة من المكتوب بالأحمر ، وتوشيحها ينقسم من البنت الثانية المكتوب فيها بالأحمر ، وهذا نصها :

« ما كنتُ لو أنصف » بعد المطالُ
 « كلقمير الزاهى » فى نُوره
 « مستحسن القد » ذكى الشذا
 « مؤردُ الخلد » شفى اللى
 « كأن للشهد » وما ذفته
 « ولحظه الأوطى » مع سقمه
 « وحسنه الباهر » هما بدا
 « خلَّ الهوى وامدح » إمام الورى
 « أصلى لظى الوجد الأليم » النكالُ
 « عليه كالليل البهيم » الدلال
 « كالليل قرعنا والقنا » فى اعتدال
 « فى لثمة كل النى » لو ينال
 « رضابه المذبذبى » فى المثال
 « أشهرُ منه كالسليم » الليال
 « لمقتى منه نعيمُ » الوصال
 « قطب المالى والهدى » والسكال

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت .

« طَوَدَ الْحِجَا الْأَرْجَحَ » سَرَّ الْعَلَى
 « نَوَالُهُ يَشْرَحُ » لِمَعْتَفِي
 « لَسِيْفُهُ الْمَرْهَفِ » يَوْمَ الْوَعَى
 « فَيَتَرَكُ الْكَافِرَ » زَهْنُ الْقَنَا
 « مُرْفَعُ التَّلْدِ » غَرِيزُ الْحِصَى
 « مُمَثِّلُ الْأَمْرِ » وَالْأَحْكَامُ قَدْ
 « وَخَصَّ بِالنَّصْرِ » عَلَى مَنْ بَنَى
 « الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ » تَرَبُّبُ الْحَيَا
 « يَوْسُفُ النَّاصِرُ » دِينَ الْهُدَى
 « مَعْنَى السَّيَّاحِ وَالنَّدَى » وَالْبَجَلَانِ
 « فَعَلَ ظُبَاهُ بِالْعِدَا » فِي الْقِتَالِ
 « أَخْصَى الْحِمَامَ كَالْحَمِيمِ » الْعُوَالِ
 « وَقَدْ غَدَا مِثْلَ الْهَشِيمِ » الضَّلَالِ
 « وَقَدْ تَدَانَى جُودُهُ » لِلْعَنَالِ
 « حَمَى الْهُدَى وَجُودُهُ » أَنْ يُنَالِ
 « لَمَّا بَدَتْ سُعُودُهُ » فِي اقْتِبَالِ
 « غَيْبُ النَّدَى الْهَامِ الْعَمِيمِ » النَّوَالِ
 « ذَوَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ الْكَرِيمِ » الْخِلَالِ

انتهت البنت الحمراء .

وهذا نص مؤسَّسها ، وهى بنتها ، الخارجة منها من المكتوب بالأحمر :

الموشعة الثانية

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفُ أَصْلَى لَطَى الْوَجْدِ الْأَلِيمِ
 كَالْقَمَرِ الزَّاهِي عَلَيْهِ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ

مُسْتَحْصَنُ الْقَدِّ كَاللَّيْلِ فَرَعْنَا وَالْقَنَا
 مُورَّدُ الْخَسَدِ فِي لُتْمِهِ كُلِّ الْمُنَى
 كَانَ لِلشَّهِيدِ رِضَابُهُ الْمَنْدَبُ الْجَنَى

وَحَفَظَهُ الْأَوْطَفُ أَمْتَرُ مِنْهُ كَالسَّلِيمِ
 وَحَسَنُهُ الْبَاهِرُ لِمَقَاتِلَى مِنْهُ نَعِيمِ

خَلَّ الهوى وَاَمْدَحَ قطب العالى والمهْدَى
طَوَّدَ الحِجَا الأَرْجَحَ معنَى السَّاحِرِ والنَّدَى
نَوَّالُهُ يَشْرِحُ فَعَلَ ظُبَاهُ بِالْعَدَا

لَسِيْفُهُ الرِّهْفُ أَنْحَى الحِمَامِ كَالْحَمِيمِ
فِيَتْرَكَ الكَافِرُ وَقَدْ غَدَا مِثْلَ المَهِيمِ

مُرْفَعُ القَدْرِ وَقَدْ تَدَانَى جُودُهُ
مُمَثِّلُ الأَمْرِ حَمَى الهُدَى وَجُودُهُ
وَحُصْنُ بالنَّصْرِ لَمَّا بَدَتْ مَعُودُهُ

الْمَلِكُ الأَشْرَفُ غِيثُ النَّدَى الهَامِي العَمِيمِ
يُوسُفُ النَّاصِرُ ذُو القُضْلِ والمَجْدِ الكَرِيمِ

ويمكن اختصارها أيضاً هكذا :

مَا كُنْتُ لَوْ أَنْصَفُ ، كَالْقَمَرِ الزَّاهِرِ
مُسْتَحْسَنُ القَدِّ ، مُورِدُ الخُذِّ ، كَأَنَّ الشَّهَدِ
وَلَحَظَهُ الأَوْطَفُ ، وَحُسْنُهُ البَاهِرُ
خَلَّ الهَوَى وَامْدَحَ ، طَوَّدَ الحِجَا الأَرْجَحَ ، نَوَّالُهُ يَشْرِحُ
لَسِيْفُهُ الرِّهْفُ ، فَيَتْرَكَ الكَافِرُ
مُرْفَعُ القَدْرِ ، مُمَثِّلُ الأَمْرِ ، وَحُصْنُ بالنَّصْرِ
الْمَلِكُ الأَشْرَفُ ، يُوسُفُ النَّاصِرُ

قلت : وإنما لم أجزم بهذه المختصرة لأجل أن الناظم صرح بأن كل واحدة من البنيتين الحمراء والخضراء لم تلد إلا موشحة واحدة من البنيتين ، ولو ولدت موشحتين لصرح بذلك ، ولا شك أن الموشحة غير المختصرة أتم معنى ، وأكمل مساقاً ، فالأصوب الاختصار عليها ، وإن كان يمكن استخراج أكثر منها لمن تأمل حق التأمل ، والله تعالى أعلم .

موازنة بين ابن
عاصم وصاحب
عنوان الشرف
الشامى

[٩١] وعلى كل حال قد أبدع هذا الرئيس في هذه القصيدة ، وإن كان فيها بعض تكلف ، وقصده أبدع من قصد صاحب عنوان الشرف الشامى^(١) ، لأن هذا أخرج من الخارج شيئين^(٢) على ما لا يخفى ، غير أن صاحب عنوان الشرف أطال ، واستخرج أربعة علوم متباينة ، من أول وهلة ، وكلاهما قد أبدع رحمهما الله ؛ ولم أتحقق : هل وقف ابن عاصم على كتاب عنوان الشرف ، فاهتدى بأضوائه أم لا ؟ والله تعالى أعلم .

ومن كتاب جنة الرضى له رحمه الله ما نصه^(٣) :

غنيار من كتابه
جنة الرضى

« الحمد لله الذى عوّض من الخلاف وفاقاً ، وأعقب من الافتراق اجتماعاً واتفاقاً ، وهياً لأسواق الائتلاف برفع الخلاف^(٤) نقاقاً ، ويسر لوطن الجهاد^(٥) من توثير للمهاد أرفاقاً ، وزين بأنجم المسعود من النصر للموعود آفاقاً ، وعقد على جمع الكلمة من الأمة المسلمة إجماعاً وإصفاقاً . نحمده سبحانه وهو الحمود بجميع اللغات ،

(١) كذا في الأصلين . واسم الكتاب : « عنوان الشرف الواقى ، في الفقه والنحو والتاريخ والبروز والفرواق » ، وهو لصفى الدين بن القرى لإسماعيل بن أبي بكر الميمني ، التوفى سنة ٨٣٧ هـ . (انظر كشف الظنون) .

(٢) في ط : « أشياء آخر » .

(٣) العبارة « له رحمه الله ما نصه » : ساقطة في ت .

(٤) في ت : « الاختلاف » .

(٥) في ت : « الاجتهاد » .

ونشكره على ماسى من آمال على وفقِ الأمنية مُبلّغات ، ونُثني عليه بما أسدى من عوارفِ نَحْوَلات ، ومواهبِ مَسَوَّغات ؛ حمدا نستكثر من دُرره النفيسة إنفاقاً ، وأمانته العظيمة فلا نأبى من حُلّها إشفاقاً ؛ ونشهد أنه الله ^(١) لا إله إلا هو الواحد الأحد ، الفرد الصّمد ، الذى لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كُفْواً أحد ؛ شهادة نرفع لواءها المرتج ^(٢) القذّبات خفّاقاً ، فلا لاقى بعد هذه الشهادة لمقاصد السعادة إخفاقاً ^(٣) ؛ ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، ونبيه المصطفى وخليله ؛ نبي الرحمة ، ونور الظلمة ، وشفيع الأُمّة ، والمبعوث بالكتاب والحكمة ، والمجموع له بين مزية السبق ومزية التّمّة ؛ شهادة تستحفظ بقاء الأرض أرفاقاً ، فلا تخشى معها القلوب ، وقد حصل منها الغرض المطلوب ، [٩٢] شكاً ولا نفاقاً ؛ ونصلى على النبي الكريم ، المبعوث بالخلق العظيم ؛ صلاة نحل بها من عُقَلَة الذكر وثاقاً ، ونؤكد بها القبول إذا عارض العمل القبول ميثاقاً ؛ ونرضى عن آل محمد وصحبه ، وعشيرته وحزبه ، المختصين بقربه ، الفائزين بالرضا من ربه ؛ أكرم الناس أعرافاً ، وأعظمهم من خشية الله إطرافاً ، وأبهرهم في مقامات الهداية إشراقاً ؛ ونستوهب منه التأييد والنصر ، والفتح الذى تقوت عجائبه الحصر ، والتمنح الذى لا تعرف صلاةُ صلاته القصر ؛ لهذه الخلافة النالبية ، التى أطبقت على الإغضاء أحداقاً ، وأظهرت من الحلم لما كان من مكنون العلم صداقاً ؛ ونبتل إلى الله فى دوام أياها ، وإعلاء أعلامها ، وإمضاء ذابلها المرهوب وحُسامها ؛ حتى يتنفس الإسلام خناقاً ، وتسير بها الرّفاق ، وقد تهادتها الآفاق ، وتُخدأ وإعناقاً ، وتخضع لها الجبابرة ، والملوك القياصرة ، رقاباً وأعناقاً ؛ ونغد إليه

(١) فى ط : « الذى » .

(٢) فى ط : « للترج » .

(٣) هذه العبارة ، من قوله : « فلا لاقى » إلى قوله : « إخفاقاً » ساقطة فى ت .

يَدَّ الْإِفْتِقَارَ ، وَنَبْطُ كَفِ الضَّرَاعَةِ وَالْإِضْطِرَارِ ؛ فِي كَفِّ الْفَتَنِ ، عَنْ هَذَا الْوَطَنِ ؛
وَكَفِّ الْكُفَّارِ ، عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ ؛ وَتَسْيِيرِ الْفَرَجِ الْقَرِيبِ ، لِهَذَا الْقَطْرِ الْقَرِيبِ ؛
وَتَسْهِيلِ الصَّعْبِ الْعَسِيرِ ، لِهَذَا الصَّقْعِ النَّائِي عَنْ الْوَلِيِّ وَالنَّصِيرِ ؛ فَيَجْمَعُ بَيْنَ^(١)
الْقُلُوبِ النَّافِرَةِ ، وَالنَّفُوسِ الْمُتَنَافِرَةِ ، افْتِرَاقًا ؛ وَيَجْعَلُ دَمَ الْمُدَّةِ بِسَيُوفِ الْحَيَاةِ
الْكَيِّمَةِ مُرَاقًا ؛ وَيُتَحَفُّ بِأَنْبَاءِهِ الْمَعْجِيهِ ، وَأَخْبَارِهِ الْمَغْرِبَةِ الْمَطْرِبَةِ ، شَامًا وَعِمَاقًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَإِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَلِيلٌ بَصِيرٌ ، وَهُوَ لِمَنْ
أَهْلٌ نَيْتُهُ ، وَأَخْلَصٌ طَوَيْتُهُ ، نَمُّ الْمَوْلَى وَنَمُّ النَّصِيرِ ؛ بِيَدِهِ الرُّفْعُ وَالْخَفْضُ ،
وَالْبَسْطُ وَالْقَبْضُ ؛ وَالرُّشْدُ وَالنَّيْ ، وَالنُّشْرُ وَالطُّيْ ؛ وَالْمَنْحُ وَالْمَنْعُ ، وَالضَّرُّ وَالنَّفْعُ ؛
وَالْبَطْءُ وَالْعَجَلُ ، وَالرِّزْقُ وَالْأَجَلُ ؛ وَالْعَسْرَةُ وَالْمَسَاءُ ، وَالْإِحْسَانُ وَالْإِمَاءُ ؛
وَالْإِدْرَاكُ وَالْقُوَّةُ ، وَالْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ ؛ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ،
فَهُوَ الْفَاعِلُ فِي^(٢) الْحَقِيقَةِ ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْآفِكُونَ ، وَهُوَ الْكَفِيلُ بِأَنْ
يُظْهِرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ؛ وَإِنْ فِي أَحْوَالِ الْوَقْتِ النَّاهِيَةِ ،
لِذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَعِبْرَةٌ لِمَنْ تَقَهَّمُ قَوْلَهُ تَعَالَى :
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ؛ فَبَيْنَا الثُّسُوتُ عَامِرَةٌ ، وَالْوَلَاةُ
آمِرَةٌ ؛ وَالثَّلَاةُ مَجْمُوعَةٌ ، وَالِدَعْوَةُ مَسْمُوعَةٌ ؛ وَالْإِمْرَةُ مُطَاعَةٌ ، وَالْأَجْوِبَةُ مَسْمُوعَةٌ .
وَإِذَا بِالنِّعْمَةِ قَدْ كُفِّرَتْ ، وَالذِّمَّةُ قَدْ خُفِّرَتْ .

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

« وَالسَّعِيدُ مَنْ اتَّعَظَ بِغَيْرِهِ ، وَلَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عَمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ
قَضَى بَخِيرِهِ ؛ وَبَيْنَا الثَّرْفَةُ حَاصِلَةٌ ، وَالْقَطِيعَةُ فَاصِلَةٌ ، وَالْمَضْرَّةُ أَصْلَةٌ ؛ وَالْحَبْلُ

(١) فِي ت : « مِنْ » .

(٢) فِي ط : « عَلَى » .

في انتبات ، والوطن في شتات ، والخلاف يمنع رعى مَنَات ^(١) ، والقلوب شقى
من قوم أشتات ؛ والطاغية يطمى لقمم الوطن وقصمه ، ويلحظه لحظ الخائف
على هضمه والأخذ بكظمه ، ويتوقع الحسرة ^(٢) إن يأذن الله بجمع شمله ونظمه ،
على رغم الشيطان ورغبه ؛ إذا بالقلوب قد ائتلفت ، والمتنافرة قد اجتمعت
بعدها اختلفت ، والأفئدة بالألفة قد اقتربت إلى الله وازدلفت ، والمتضرعة إلى
الله قد ابتهلت ، في إصلاح الحالة التي سلفت ؛ فألقت الحرب أوزارها ، وأدنت
الفرقة النافرة مزارها ، وجلبت الألفة الدينية أنوارها ، وأوضحت العصمة الشرعية
آثارها ، ورقت الوحشة الناشئة أظفارها أعذارها ، وأرست الخلافة الفلانية ^(٣)
أنصارها ، وغضت الفئة المتعرضة ^(٤) أبصارها ، وأصلح الله أسرارها ؛ فتجمعت
الأوطان بالطاعة ، والتزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعة ، وتماقت إلى
زوم السنة والجماعة ، وألقت إلى الإمامة ^(٥) الفلانية يد التسليم والضراعة ؛ فتجملت
فئاتهم ، وأحمدت جثثاتهم ؛ وأسعدت آمالهم ، وارتضيت أعمالهم ؛ وكملت ^(٦)
مطالبهم ، ونمت مآربهم ؛ وقضيت حاجاتهم ، واستمعت مناجاتهم ؛ وألستهم
بالدعاء قد انطلقت ، ووجهتهم في الخلوص قد صدقت ، وقلوبهم على جمع الكلمة
قد اتفقت ، وأكفهم بهذه الإمامة الفلانية قد اعتلقت ، وكانت الإدالة
في الوقت على عدو الدين قد ظهرت وبرقت .

(١) الثبات (يفتح الميم) : ما يوصل به من حرمة أو قرابة أو نحو ذلك .

(٢) في ت : « السرة » .

(٣) يريد خلافة الغالب بالله صاحب فرمانة ، وقد سبق التصريح بذلك .

(٤) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « للمتعرضة » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأمامة » .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « وقلت » .

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

[وَكُنْتُ^(١)] ، بقدرته ربه ، القدرة القاهرة^(٢) ، والعزة الباهرة ، من عدوان الطاغية غوائل ، بإعزاز دين الله الموعود بظهوره على الدين كله فواتح وأوائل .
ومعلوم بالضرورة أن الله لطيف بمباده حسبا شهد بذلك برهان الوجود ، وإن تُعدّوا نعمة الله لا تحصى دليلا على ما سَوَّغَ الكرم والجود ؛ وإن من أعظم نعمه التي يُعْجِزُ عن أداء شكرها ، وإن طالت آماد الأعمار ، ويُتناغى في الثناء عليه في أمرها ، فلا يبلغون من ذلك معشار العشار ، وتتجارى الألسنة والأقلام في تقرير وصفها ، فلا تصل من ذلك إلى حد يُقْنَع ولا إلى مقدار ؛ وفي مثلها قال الله تعالى [٣] : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثفَّ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار » . وما ذلك إلا مِنَّةٌ قدرها عظيم ، وخطرُها جسيم ، وصراط الدل بها مستقيم ، وبها أمنت الله في قوله : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » إلى : « حكيم » .
فهل يُستطاع شكر النعمة التي لا يكون إتيان الأرض جميعا لها قيمة ، أو يختلف اثنين بوجه أو حال في كون هذه النعمة عظيمة ، أو يتارى أحد في كون جمع الكلمة في هذا الوطن الغريب مِنَّةً كبيرة ومنحة كريمة !

ومن استقرأ التواريخ المنصوصه ، وأخبار الملوك المنصوصه ؛ علم أن النصارى دمرهم الله لم يدركوا في المسلمين ثارا ، ولم يرفعوا^(٤) عن أنفسهم عارا .

(١) كُتِبَ : صرفت ومنعت .

(٢) في فتح الطيب : « وكُتِبَ القدرة القاهرة » .

(٣) ما بين القوسين زيادة من ت .

(٤) فإيا من هذا الجزء (من ٥٠) : « ولم يرفعوا » .

قال جامع الموضوع وفقه الله :

قد قدمتُ هذا من كلام الرئيس ابن عاصم ، وهو قوله : « ومن استقرأ التواريخ للنصوصة » فراجعه فيما سبق ، إلى قوله هناك : « وروية واريجال » .

ثم قال هنا بإثره ما نصه :

« إلى أن استقلتُ هذه الدولة الفلانية على قواعدها ، واستقرت بأحلامها الراجحة ، وأعلامها الشاغحة ؛ واستمرت على قوانين من السياسة كانت ضابطةً تنشر للملكة عن الافتراق ، واستظهرت أبنائها الفر من الوفاء بشيمٍ اعتلت بها أتم الاعتلاق ؛ حفظ الله الدولة الفلانية إلا في التذره ، ووقاها من ذلك الأمر [٩٠] الصعب بوقاية من الاكتساب ووقاية من القدره ؛ وتناولت الأيام ما بين مهادة ومقاطعة . »

وقال جامع الموضوع وفقه الله : راجع تمام هذا الكلام فيما قدمناه إلى قوله هنالك : « اللهم احفظ علينا العقل والدين ، واسلك بنا سبيل المهتدين » .

وقال هنا بإثره ما نصه :

« وإنا النعمة التي لا يُقدر قدرُها ، ولا يُوفى شكرها ؛ هي التي تكفلت بتبيينها تكييفات [الأقدار ، وانجلت عن بيناتها تديرات الفاعل المختار ؛ فجمع الله بها القلوب ، وهبنا^(١) الغرض المطلوب ؛ وتناجت بيعات البلاد ، وتواقت أهواء العباد ؛ وانتظم الملك جسمًا واحدًا له روح طاهر ، واستقل الإسلام رسمًا ثابتًا حكمه نصٌ وعدله ظاهر ؛ وهدى الله للسلمين مع جمع الكلمة إلى القصد الشرعي ، ووقفهم إلى القيام بحكمه المحتوم وحقه للرعي ؛ فاتخاذ السلطان في [مثل]^(١) »

هذه الأوطان واجب قياسا وسماحا ، وتمذُّرُ الخلافة في مثل هذه المسافة غير جائز إجماعا .
أيها اللأ للمشتعل على الشرفاء الذين بتقديمهم [يُسْتَنْجَز من البركة
موعودُها ، والعلما الذين هم حَفَظَةُ الشريعة الحنيفية^(١) أَنْ تُتَعَدَّى حدودُها ؛
والأشياخ الذين بجهادهم استقرَّ واجبها^(٢) ، واستقام واجبها ، واستند عمودها ،
والقواد الذين بمجايتهم^(٣) تقام أحكامها ، ونُحَاط أعلامُها ، وتُوَفَّى عهودُها ؛
والفرسان الذين هم مُحَامَتُها وأنجاذُها ، وأنصارُها وجنودُها ؛ والخاصة الذين بهم
يرجع علمها ، وينتجح أَمَلُها ، ويتم مقصودُها :

تعلمون حقاً أن هذا الوطن الفلاني كان قد تَعَيَّنَ للهلاك ، بسبب هذا الخلاف ،
وتوقعت القلوب المُسْتَفِقة حدوثَ الفارقة بسبب هذا الاختلاف ؛ وأن الشارع
صلواتُ الله وسلامه عليه يتنعم من كل ما يؤدِّي إلى الفُرقة بأنَّهم الوجه ، ويؤكد
الترغيب والترهيب بكل ما يخافُه المؤمن ويرجوُه ؛ وأن الفقه^(٤) للذهبي ، إذا [١٦]
حصلت البيعة في الأعناق ، وتحلت بها تَحَلَّى التَّحَمُّم بالأطواق ، معروف ومعلوم ؛
وأن اشتداده في سدِّ باب الافتراق ، على العموم والإطلاق ، لازم محتوم ؛
والأقدار الإلهية قد هيأت قصد الألفه ، بلا كُلفه ؛ ويسرت سبب الاتفاق ،
بحكم الوفاق ؛ فأقبلوها نعمة مُسَدَّاه ، ونُحْفَة مُهْدَاه ؛ وشُدُّوا عليها أيدي الضَّئِة ،
واعلموا ما فيها لله عليكم من المنَّة ؛ وتعاقدوا على ألاَّ تُبْقُوا من الخلاف أثرا ،
واتقوا على القصد الذي يَخْلُصُكم عند الله سَمَماً ونظراً ؛ وفي هذا التيسير الذي
ساعدت به الأبطالُ الخفِيَّة ، وساعدت به من قبل الربِّ الصنائعُ الخفية ؛ ما يتأكَّد

(١) في ت : « حفظ العريسة الحنيفة » . وظاهره أنه عرف عما أُنْبِئناه .

(٢) استقر واجبها : سكن روعها بعد اضطراب .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) تبين ، أي تهلل وتمزق ؛ مأخوذ من تبين السقاء ، وذلك إذا لم يبق ورق منه مواضع .

(٥) في ط : « النقد » .

به الاعتبار ، ويرشد إلى أنه أراد الله تفوذه ^(١) ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .
ومما يستكمل هذا القصد الذي أشرنا إليه ويستوفيه ، قول تاج الدين رحمه الله
عليه : ما ترك من الجهل شيئاً ممن أراد أن يظهر في الوجود غير ما أراد الله أن
يظهر فيه .

وفرض على كل إنسان في نفسه ما طلبه [به] ^(٢) الشارع ، وعدّبت فيه
بالتفويض لحكم الله ^(٣) الشارع . فالواجب علينا أن نجتمع ونألف ، وننطق ولا
نختلف ؛ ونعتمد صريح الفقه أخذاً وتركاً ، وتبّع صحيح النقل الذي لا يدع ربياً
ولا شكاً ؛ ونسأل من الله الهداية إلى سبيل السلف الذين سبقوا ، ونزعم العزم على
أمر الله في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

وإن أولى الناس في ذلك بإرهاق الزئيمه ، وتوخى السبل المستقيمة ؛
والقيام بضمون هذا الرسم للمستقل ، والوفاء بتكميل قصد الكاتب فيه والمُمل ؛
لخواص الدولة الفلانية الذين لحقهم التخصيص والاختبار ، وتخولتهم بأبلغ الموعظة [١٧]
الأقضية والأقدار ؛ وهم الذين رجحت منهم في هذه السوق التجارة ، والمقصودون
بالخطاب من باب إياك أعنى واسمى يا جاره ؛ وهم الممنون عليهم باسترجاع
المقصوب المُستحق ، والواقفون من انكسار القلوب ، والتفصل من الذنوب ،
موقف الأولى به والأحق ؛ والتشيتون بقوله : « ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » . ويختص منهم عماد الدولة ، وعيد الجُملة ،
بالحظ الأوفر ، مما يتضمنه هذا التأنيب ؛ ويستمنع من الله عقب التذكرة ، بهذه
الموعظة : « وما يتذكر إلا من يَنْب » .

(١) في ت : « إفاذ تفوذه » .

(٢) زيادة عن ت .

(٣) في ت : « لحكمه » .

فإنا إذا نظرنا إلى ما كان قد طرّق من الابتلاء ، وشاهدنا ما كان مُرَّضاً للوقوع من البلاء ؛ وراجعنا البصيرة في النعم التي كُنا عنها مَسْلُوبِينَ ^(١) ، والثَّربَة ^(٢) التي كُنا عليها مفلُوبِينَ ، والأبواب التي كُنا عنها مَحْجُوبِينَ ، والنَّشْرُذمة التي كُنا بها مَرْبُوبِينَ ، [والأنفال] ^(٣) التي كُنا في عَدَدٍ مِنْ يُحْيِي رُسُومَهَا مَحْسُوبِينَ ؛ وقد سَلَطَ اللهُ علينا كثيرا من الظَّلمة الذين أعْناهم ، فمَسَدَ ذلك لَعْنَاهُمْ ، وأهاننا الذين كُنا أكرمناهم ، جزاء لما احترمناهم ؛ فَنَسُونَا ، أخرج ما كُنا إلى أن يذكرُونَا ، وخَذَلُونَا ، أَفْقَرَ ما كُنا إلى أن ينصرونا ، وأَسْلَمُونَا ، أَشَدَّ ما كُنا فاقَة إلى أن يُنْجِدُونَا ، وَتَرْكُونَا ، أعْظَمَ ما كُنا حاجةً إلى أن يُسْعِدُونَا ؛ وخَانُونَا ، أَظْهَرَ ما كُنا اضطرارا إلى وفائهم ، وظَاهَرُوا عَلَيْنَا ، أَثَمَ ما كُنا افتقارا إلى غنائهم ؛ فلا شك أن المُواخِذَة كانت بسبب تلك الذنوب ، وأن الجناية هي التي أوجبت ما طَرَقْنَا من الخطوب ؛ فَأَزَفَ العذابُ ، وعاد من أَعْدَى الأَعَادَى الأَحْبَابُ ، وتَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا من الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ؛ وكادت العقوبة [١٨] العظيمة أن تُلْحَقَ ، والأخذة الربانية أن تَحَقَّقَ ؛ لولا أن الله تدارَكْنَا بالعفو ، وتجاوز عن التَّهْمِ ؛ وَأَنَالَكُمْ من الإدالة ما كنتم تَوَمِّلُونَ ، واستخلفكم في الأرض لينظر كيف تعملون . فلنَجْصِلْ ما وعظنا الله به من تلك الأَزَمَاتِ نُصَبُ الأَعْيُنَ ، ولنتخذ حِمْدَه على ما منحنا من الإنالة ^(٤) هَجِيرِ الأَلْسُنِ ^(٥) ؛ ولنعلم أن ذلك التمهيص إنما كان تلبِيهاً من الله على ما عَطَلْنَا من حُدُودِهِ ، وإيقاناً من الغفلة عن القيام بحقوقه ، والوفاء بعهوده ؛ ولنتحقق أن ما مَنَّ اللهُ به من جَبَرِ الأحوالِ ، وخَلَفَ

(١) في ط : « مَسْلُوبِينَ » .

(٢) في ط : « الرتبة » .

(٣) زيادة عن ت :

(٤) في ط : « الإقالة » .

(٥) هجير الألسن ، أى دأبها وشأنها .

الأموال ؛ واستقبال المزعزعة جديدا ، وصرف الهون وقد كان عذابا شديدا ؛ إنما هو إبلاغ في الحجة علينا ، وإعذار بالموعظة إلينا ؛ وربما عاهدنا الله لنن أمانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، ولننزعن عما ارتكبناه من جرائم العاصين وجرائم الطالحين ؛ فالوفاء الوفاء حتما [إن أردنا] ^(١) أن نكون من المفلحين . وقلنا ^(٢) أرف العذاب فرغ إلا عن كان من المصلحين ، « فلولا كانت قرية آمنت » إلى قوله : « إلى حين » ؛ فلنقدر [قدر] ^(٣) هذا التدارك ، الذي أخذ بأيدينا من مهاوى الانتقام ، ولنتأمل موقع هذا البلاء الذي أحلنا من تجديد النعمة بأسنى مقام ؛ ولنحذر نسيان ما ذكرنا به ، فلم نذكر تلك الشدائد بل نسيناها ، ولا نفرح بما أوتينا [فرح] ^(٤) المبرور الذي لا يتراجع ولا يتناهى ؛ فإن في ذلك أمل الشيطان وسؤله ، ولعن الله ومقتته ، قال الله تعالى : « فلما نسا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء » إلى قوله : « بنته » .

اللهم هل بلغت ، وبلغت في النصيح وأبلغت ، اللهم فاشهد ، اللهم فاشهد .
[٩٩] و « يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت » ، وإليه أبرأ من حولى وتقصيري عما فيه قصرت ، وعما عنه نكلت .
ثم قال رحمه الله :

« وإن مولانا السلطان الملك الفاضل التالى الذكر ، المصطفى الطاهر ، المسترجع الصابر ، المجاهد المصابر ، للرباط المشاعر ^(١) ؛ أمير المسلمين ابن نصر الخرجي نسبنا ، السعدى ^(٢) منشأ ، النصري جدا وأبا ؛ أيده الله على أعداء الدين ، وجعله

(١) زيادة عن ت .

(٢) في ط : « وربما » .

(٣) المشاعر ، من الشعار ، وهو (هنا) : المأوى في الحرب .

(٤) السعدى : نسبة إلى سعد بن عبادة سيد الخرج ، وإليه انتهى نسب بني الأحرار ملوك غرناطة .

من الأئمة المهتدين ؛ من إذا جُنِيَ عليه غفر ، لعلنا به أنه حلیم والله أخذ بيده كلما غتر ؛ فأرشدنا بذلك إلى أنه كريم ؛ ومَن تطرّقه الخطوب ، وهو بالأطاف مصحوب ، وتُحَدِّق إليه النواثب وهو من نظرها الشرّز محبوب ؛ ومَن جمع له الناس على أن يخشاهم فزاده إيماناً ، وقال : حسبي الله ونعم الوكيل ، فانقلب بفضل من الله ونعمه ، وممن صبر واسترجع في نقص الأموال والأنفس والثمرات ، [فبُشِّرَ] ^(١) بصلوات من ربه ورحمه ؛ فمَالَتْ على أذيته أصناف من الناس في مرّات متعدده ، وآناء من الدهر متجدده ؛ فأتس الله جدودهم ، وأضرع إليه خدودهم ، وأرغم بحوله وقوته أنوفهم ، وردّ عنه بسيف ^(٢) من الأقدار رماحهم وسيوفهم ، وأدنى لهم بأسباب مختلفة الأنواع حُتُوفهم : فَبِنَ آمِنٍ أَخَذَ مِنْ تَأْمَنِهِ الَّذِي كَانَ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ ، وَمِنْ خَائِفٍ قَدْ أَدْهَشَهُ الرَّوْعُ فَهُوَ يَحْسِبُ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِ ؛ فَكَأَنَّ أَلْسِنَةَ الْأَقْدَارِ تَنَاهَمُ عَنْ مَنَازِعَةِ الْإِرَادَةِ ، وَكَأَنَّ وَاغِظَ الْأَهْتِبَارِ يَحْذَرُهُمْ مِنْ شَقَائِهِمُ الْكَفِيلَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ ؛ وَكَأَنَّ شَاهِدَ الْحَالِ يَقُولُ هَذِهِ إِرَادَةُ اللَّهِ قَضَاها ، وَسَمَتَهُ السَّابِقَةَ أَنْفَذَهَا وَأَمْضَاهَا ؛ فَبِنَ الْمَنَازِعِ فِيمَا حَكَّمَ اللَّهُ بِهِ وَقَضَى ، [١٠٠]

وَمِنْ السَّاحِطِ فِي الْحُلِّ الَّذِي يَطْلُبُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ الرِّضَا ؟ وَلَوْ كَانَ اسْتِثْلَاؤُهُ عَلَى الْمُلْكِ بِقُوَّةِ عَصَبِيَّتِهِ ، وَإِهْلَاكِ مَنَاقِبِهِ عَنْ طَبِيعَةِ غَضَبِيَّتِهِ ؛ لَارْتَابَ فِي ذَلِكَ النَّازِرُ ، وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى الْاِحْتِجَاجِ الْمُنَازِرِ ؛ وَلَكِنَّهُ طَالَمَا عُرِضَ فِي الْمُلْكِ فَكَبَّ مَعَارِضَهُ رَفِيعِهِ ، وَأَتَيْتْ لَهُ التَّنَصُّرَةُ مِنْ مَحَلٍّ لَمْ يَحْسِبْهَا فِيهِ ؛ وَشَدَّ مَا احْتَالَ عَلَى نَصْرَتِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ ، فَانْعَكَسَتْ عَلَيْهِ حِيلَتُهُ ؛ وَتَوَسَّلَ إِلَى مَكْرُوهِهِ ، فَطَاحَتْ فِي قَلْبِهِ الْاِقْتِلَابُ عَلَيْهِ وَسِيلَتُهُ ؛ وَبُغِيَ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا مَرَّةً فَنَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ بَنَى عَلَيْهِ ،

(١) زيادة من ت .

(٢) ق ط : « بضع » .

(١) واجتنبى بالسوء فردّه الله على من سعى به إليه ؛ ولعل ذلك لنبيب عن العيان مكتوم ، وحُكْم من الحكيم العليم محتوم ؛ أو لأثر من الاختصاص قد علمه الله وليس لنا بمعلوم ، أو لأمر قد تقاصرت عنه مدارك العقول ، وكَلَّتْ دونه رواجح الطُّوم ؛ ولهذا المعاني المقرّرة ، والمقاصد المحرّرة ، والمذاهب المفسّرة ، والقوائد السطّرة ، وغرائب أحاديثها المشتهرة ، خصّ اللأ المقصود فيه بالذكر ، للمعتمد منه بالإيقاظ والتبصرة ؛ من أعضاد الدولة ، وسيوف الصّولة ؛ وأولياء الخُلوص الزكي الشيعه ، وموالى النعمة القلأنية ، وهم الذين خولتهم موعظته الحسنه ، وأعجبهم أغراضه للتعده ، ومقاصده المستحسنه ؛ وعلموا أنه الحق ، فسألوا من الله التوفيق إليه ، والإرشاد إلى الاتصاف به والعمل عليه ، والمداية إلى التماس رضا الله لديه ؛ ووقفوا على ما هو لهم في هذا الكتاب منصوص ، وأن سلطانهم بمزية الدفاع عنه مخصوص ، وأنه قد تطابقت على إشاره نصوص ، واستوى (٢) في تسليم الطاعة له عموم وخُصوص ؛ فجَدّدوا له البيعة الوثيقة ، على ما أوجب في ذلك الحكم المشروع ، وأعطوه على ذلك العهد الأكيد حسبا اتفقت عليه أصول وفروع ؛ وعقدوا له مضمونها عقدا صحيحا ، وعُهدوا (٣) على ما تقتضيه الشئنة صريحا ؛ وشهدوا له فيه على أنفسهم أنهم بالوفاء بها قائمون ، ولشروطها المرصية حافظون ، وعلى أحكامها الشرعية محافظون ؛ وعلى ما بُوع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، وإحماض النصيحة جُهد الاستطاعة ؛ فأيديهم في السّلم والحرب مصروفة (٤) في مرضاته ، ونيّتهم صادقة في مسنونات الوفاء ومفترضاته ؛ ولقد شاهدوا الفرقه وما جَنَّتْه ، والفتنة وما فتنته ، والألفة وما سنَّته ، والمهذنة

(١) ق ت : « وسمى » .

(٢) ق ت : « واستولى في تسليم » . وفي ط : « واستوى في تسليم » . وظاهر أن

كليهما محرف مما أثبتاه .

(٣) ق ت : « وعهدا » .

(٤) ق ت : « مصروفة » .

وما قرَّبْت من إصلاح وأدبته ؛ فليتبتطوا بها عهدا كريما ، وعقدا قد تضمّن فضلا [عظيما بل] ^(١) عَمِيّا ، واستأنزِم إنعاما جسيما ، وليوفوا بها الوفاء الذي يُؤلِّجهم بها نعيما مقيما ، ويدفع عنهم عذابا أليما ، فإنه عز وجل يقول : « فمن نكث » إلى قوله : « عظيما » . وقد بسطوا أكَفَّهُم إلى الله ضارعين ، وفي رحمته طامعين ، ولعظمته خاضعين ، ومن هيئته خاشعين ، وخليفته طائعين ، وفي الخيرات مسارعين ؛ يَدْعُونَهُ رَغْبًا وَرَهْبًا مستنزلين لرحمته بالإخلاص والإجابة ، واقفين على قدم الرجا ، بباب الذي أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ؛ ويسألونه خير ما قدّره وقضاه ، والسلوك على ما فيه رضا .

اللهم بآبِكَ قَصَدْنَا ، وَقَبُولَكَ أَرَدْنَا ، وَعَلَى فَضْلِكَ اعْتَمَدْنَا ، وَإِلَى عِزَّتِكَ اسْتَدْنَا ، وَفِي مَرَضَاتِكَ اجْتَهَدْنَا ، وَبِهَدَايَتِكَ اسْتَرْشَدْنَا ؛ فَلَا تَسْكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا حَارَافَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلَحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ ؛ اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَ مُسْتَنْصِرُونَ ، وَبِعِزَّتِكَ مُسْتَظْهِرُونَ ، وَلِفِنَاكَ مُفْتَقِرُونَ ، وَمِنْ تَقْصِيرِنَا مُسْتَعِيزُونَ ، وَمِنْ ذُنُوبِنَا مُسْتَغْفِرُونَ ، وَلشَامِلٌ ^(٢) [١٠٢] عَفْوُكَ مُنْتَظَرُونَ ، وَفِي خَفَى الطَّافِكَ مُسْتَبْصِرُونَ ، وَلِعَظِيمِ انْتِقَامِكَ مُسْتَحْضِرُونَ ، وَلِعَظِيمِ صَفْحِكَ مُسْتَشْعِرُونَ ؛ فَأَتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .
اللهم انصر من بايعناه سلطانا ، ومهد به بلاداً وأوطانا ، وأرغب بتوحيه للحق طاغيةً وشيطاناً ، وآتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رَشْدًا . اللهم أعمر بالمسرة ناديه ، وكاف ^(٣) عَمَّا أَيَّادِيهِ ، وَاكْبِتْ اللَّهُمَّ أَعَادِيهِ ؛ وَكُنْ لَنَا وَلِيًّا وَنَصِيرًا ، فَأَنْتَ نَمُ الْمَوْلَى وَنَمُ النَّصِيرِ . وصلّ اللهم على سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي ، القرشي الهاشمي ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، فأنت اللطيف وأنت الخبير .

(١) زيادة عن ت .

(٢) ق ت : « لشمول » .

(٣) الأصل : كافى . سهل المنزة ، ثم عامل الفعل معاملة الناقص .

فيه من كلام
ابن عاصم عن
ابن قنوح

اتمى ما أردت نقله من جنة الرِّحَا للرئيس أبي يحيى بن عاصم رحمة الله عليه .
ورأيت بخط الوادى آتى ناقلا من كتابه المسمى «بالروض الأريض» مانصه :
ابن فتوح إبراهيم بن أحمد بن فتوح العقيلي ، يكنى أبا إسحاق ، العالم
المتفنن ، صاحبنا ، محقق نظار ، وأستاذ فوائد تدرسه لجنين ونصار ؛ كلا بل
جواهر ويواقيت ، ومتناسك هدى لها من السعادة مواقيت ؛ فحسب الطالب
الوثوق بهمه ، المصروف للتحصيل مطالع مواقع مهمه ^(١) ، أن يلزم حلقة تعليمه ،
وأن يشد يد الضنة بما يلقى من محصول تهيمه ؛ فأكسر الإفادة ، إنما حصله
الوافدون ، من جابر ^(٢) صنعته ؛ وكيمياء السعادة ، إنما يلقاها ^(٣) الظافرون في نصرة
روضة المفضل ونبتته ؛ وقرض الشعر بما يمكن دخوله تحت فرعه ، ويندرج
تحت قدرة تصرفه بمنسه ونوعه ؛ إلا أنه لما يصدُر منه عن قريحته كاتم ، وسالك
من البخل به على طرف النقيض مما سلكه حاتم .

فما علق بحفظى منه خطبة أرجوزة صنفها في النجوم :

سبحان رافع السماء سقفا ناصبها دلالة لا تحصى
مُبدعها فلا ترى فروجا مُودعها الأفلاك والبروجا

[١٠٣]

اتمى . وإنما ذكرته لتعلم اصطلاحه في كتاب الروض الأريض . وقد
نقلت كلاماً آخر منه فيما سبق فراجعه ؛ ولو تتبعته ما حصل لدى من نظمه
ونثره لطال الكتاب جدا .

(١) كذا وردت هذه البارة في ط . وفي ت : « المصروف للتحصيل مطالع... الخ » .
وكلناهما غامضة .

(٢) يورى باسم جابر بن حيان الصوفى من كبار الكيمائيين وتلميذ خالد بن يزيد بن
معاوية بن أبى سفيان .

(٣) في ط : « يلقونها » .

منشور سلطاني
جولي ابن حاتم
القضاء

وقد وقفت بتلمسان المحروسة^(١) على ظهور منشور سلطاني أصدر للرئيس أبي يحيى بن عاصم المذكور ، بتقديمه للنظر في أمور القضاء وغيره ، ونصه :
هذا ظهور كريم إليهِ أنهيت^(٢) الظواهر ، شرفاً عليّاً ؛ وبه تقررت المآثر ،
برهاناً جليّاً ؛ وراقت للفاخر ، قلانده وحليّاً ؛ وتميّزت الأكابر ، الذين افتخرت
بهم الأقلام والخطاب ، اختصاصاً مولولياً^(٣) . فهو وإن تكاثرت الرسومات
وتعددت ، وتوالت المنشورات وتجددت ، أكبرُ مرسوم تتم في الاعتقاد نظراً
خطيراً ، وأحكم في التفويض أمراً كبيراً ، وأبرم في الاستخلاص^(٤) عزماً
أبياً ؛ اعتمد بمسطوره العزيز ، واختص بمنشوره الذي تلقاه اليمين بالتعزيز ، مَنْ
لم يزل بالتعظيم حقيقاً ، وبالإكبار خليقاً ، وبالإجلال حريّاً ؛ فهو شهير لم يزل
في الشهرة سابقاً ، هادٍ لم يزل بالهدى ناطقاً ، بليغ لم يزل بالبلاغة دريّاً ؛ عظيم
لم يزل في النفوس معظماً ، علم^(٥) لم يزل في الأعلام مقدماً ، كريم لم يزل في
الكرام سنياً ؛ اشتملت منه محافل الملوك على [المقد]^(٦) الثمين ، وحلت به
المشورة في الكنف المحوط والحرم الأمين ، فكان في مشكاة الأمور هادياً ،
وفي ميدان المآثر^(٧) جريّاً ؛ فإلى مقاماته تبلغ مقامات الإخلاص ، وإلى مرتبته
تنتهي مراتب الاختصاص ؛ فيمن حاز فضلاً ، وزين فعلاً^(٨) ، وشرف ندباً ؛
واستكملهما ، واستعمل قلماً ، واستخدم مشرفياً ؛ فله ما أعلى قدر هذا
الشرف ، الجامع بين المتّله والمُطَرَّف ، السابق في الفضل أمداً قصيماً ؛ الحال من [١٠٤]

(١) الكلام من ابتداء هذه الكلمة إلى آخر نس الظهور ساقط من ت .

(٢) في فتح الطيب (ج ٣ من ٤٨٩ طبعة الأزهرية) : « انتهت » .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « قولياً » .

(٤) في فتح الطيب : « الاختصاص » .

(٥) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « عالم » .

(٦) زيادة عن فتح الطيب .

(٧) في فتح الطيب : « المرشد » .

(٨) في فتح الطيب : « حاز خلاصاً ، وزين خلاصاً » .

الاصطفاء مظهرًا ، الفارع من القلاء منبرًا ، الصاعد من العز كرسيًا ؛ حاز
الفضل إرثًا وتعصيبًا ، واستوفى السكال حظًا ونصيبًا ؛ ثناء أَرْجُهُ كالروض لو لم
يكن الروض ذابلًا ، وهديًا نوره كالبدر لو لم يكن البدر آفلا ، ومجدًا علوه
كالشها لو لم يكن الشها خفيًا ؛ فما أشرف الملك الذي اصطفاه ، وكمل له حق
التقريب ووفاه ، وأحلّه قرارة التمكين ، ومنّ باختصاصه بالمكان المكين ،
فسبق في ميدان التفويض وسمًا ، ورأى من الأنظار الحيدة ما رأى ، صاعدًا
بالحق إمامًا علمًا ، موضحًا من الدين نهجًا أمّيًا ، هاديًا من الواجب صراطًا سويًا ؛
بانيًا للجد صرحًا مُشِيدًا ، مشيرًا للعدل قولًا مؤيدًا ، مُبرمًا للخير سببًا قويًا ؛
فأله تعالى يصل لمقام هذا ^(١) الملك الذي أطلع في سمائه بدرًا دونه البدر ، وصدرًا
تلوذ به الصدور ، سعدًا لا تحاطله ^(٢) الأيام في تقاضيه ، ونصرًا يمتنع به نضل
الجهاد فلا يزال ماضيه ، على الفتح مَبْتَنِيًا ؛ ويؤالي له عزًا يذود عن حرم الدين ،
ويمنحه تأييدًا يُصْبِحُ في أعناق الكفر حديث سيفه قَطْعِيًّا ؛ أمر به مرسومًا
عزيرًا لا تبلغ الرسومات إلى مداه ، ولا تُبدى بآثار الاختصاص مثل ما أبداه ،
عبدُ الله أمير المسلمين محمد الطالب بالله ، ابن الأمير المقدس فلان أيد الله تعالى
مقامه ، ونصر أعلامه ، وشكر إنعامه ، ويسر مرامه ؛ لإمام الأئمة ، وعلم
الأعلام ، وعماد ذوى العقول والأحلام ، وبركة حملة السيوف والأفلام ، وقُدوة
رجال الدين وعلماء الإسلام ؛ الشيخ الفقيه أبى يحيى ابن كبير العلماء ، شهير
العظماء ؛ حجة الأكابر والأعيان ، مصباح البلاغة والبيان ؛ قاضى القضاة
وإمامهم ، وأحد الحجة وطوّذ شمامهم ، الشيخ الفقيه أبى بكر بن عاصم ، أبقاه الله
تعالى ؛ ومناطق الشكر له فضيحة اللسان ، ومواهب الملك به معهودة الإحسان ،

(١) كُنّا في فتح الطيب . وفى ط : « يصل لهذا » .

(٢) فى فتح الطيب : « لا تحاطله » .

وقلائد الأيادي منه مُقلَّدة^(١) بجيد كل إنسان ؛ قد تقرر والفاخر لا تنسب إلا
لبنيها ، والفضائل لا تعتبر إلا بمن يشيد أركانها ويبنها ؛ والكمال لا يصق [١٠٠]
شربه ، إلا لمن يؤمن سرِّه ؛ وإن هذا العلم الكبير ، الذي لا يفي بوصفه
التعبير ؛ علم بآثاره يقتدى ، وبأنظاره يهتدى ؛ وبإشارته يستشهد ، وبإرادته
يسترشد ؛ إذ لا أمد علو إلا وقد تخطاه ، ولا مرَّ كب فضل إلا وقد تخطاه ؛
ولا شارقة هذى إلا وقد جَلَّاه ، ولا لَبَّة غفر إلا وقد حَلَّاه ؛ ولا نعمة إلا
وقد أسداها ، ولا سُومة^(٢) إلا وقد أبدأها ؛ لما له في دار الملك من الخصوصية
العظمى ، والمكانة التي تسوخ النعمى ؛ والرتب التي تسمو العيون إلى مرتقاتها ،
وتستقبلها النفوس بالتعظيم وتتلقاها ؛ حيث سر الملك مكتوم ، وقرطاسه مختم ،
وأمره محتوم ؛ والأقلام قد رَوَّضت الطروس وهى ذابيه ، وقسمت الأرزاق
وهى طارويه ؛ شُقت ألسنتها فَنَطَقَتْ ، وقُطِّت أرجلها فَنَبِطَتْ ؛ ويدست فأُغْمِرت
إنعاما ، ونُكِّست فأُظْهِرت قواما ؛ وَخَطَّت فأعطت ، وكتبت فوهبت ، ومُشِّقَتْ
فَدَقَّقَتْ^(٣) ، وأُزِمَّت فأُنعمت ؛ فكم يَسُرُّ الجبر ، وعقرت الهزبر ؛ وشُغِّت
المسامع ، وكَيِّفَتْ للمطامع ؛ وأَقْلَّتْ فيما ارتفع من المواضع ، وأَحَلَّتْ لما امتنع
من اللراضع ؛ فهى تنجز النعم ، وتحجز النعم ؛ وتبث المذاهب ، وتحث المواهب ؛
وتروض المراد ، وتُهَضِّضُ المواد^(٤) ؛ وتحرس الأكناف ، وتغرس الأشراف ؛
مُصَيِّخة لنداء هذا الماد الأعلى ، طامحة لمكانه الذى سما واستعلى ؛ فيما على عليها
من البيان ، الذى يقر له بالتفضيل ، الملك الضليل^(٥) ؛ ويشهد له بالإحسان ،

(١) في فتح الطيب : « متقلدة » .

(٢) كذا في فتح الطيب . والسومة (في الأصل) : العلامة . وفي الأصلين : « حرفة » .

(٣) في فتح الطيب : « فرقت » .

(٤) في ط وفتح الطيب : « المراد » . ولعلها محرفة عما أئبتاه .

(٥) الملك الضليل : لقب امرئ القيس بن حجر الكندي . الشاعر المعروف .

لسان حستان ؛ ويحكم له يترى القوس ، حبيب بن أوس ؛ ويهيم بما من الأساليب
عنده ، شاعر كنده ^(١) ؛ ويستمطر سحبه الثَّره ، فصيح المعره ^(٢) ؛ إلى منشور
تزيل الفقر فقره ، وتبدل الرزق درره ؛ لو انتهى إلى قس إياك لشكر في الصنعة
أياديته ، واستمطر سحبه وغواذيه ؛ أو بلغ إلى سحبان لسعره ، وما فارقه عشيقته
ولا سحره ؛ ولو رآه الصابي لأبدى إليه من صتبوته ما أبدى ؛ أو سمعه ابن عباد ، [١٠٦]
لكان له عبدا ؛ أو بلغ بديع الزمان لهجر بدائمه ، واستنزر بضائه ؛ أو أتخف
به البسقي لأتخذة بستانا ، أو عرض على عبد الحميد لأحمد من صوبه هتانا ؛ فأعظم
به من عال لا ترقى ثنيتته ، ولا تحاز مزيتته ؛ ولا يترجم أفعه ، ولا يكتم حقه ؛
ولا ينالم له عن ^(٣) اكتساب الحمد ناظر ، ولا ينقاس به في الفضل مناظر ؛ وهل
تقاس الأجادل بالثغاث ، أو الحقائق بالأضغاث ؛ ألا وإن بيتته هو البيت الذي
طلع في أفعه كل كوكب وقاد ، بمن رسخ ^(٤) به للعلوم انتقاء وانتقاد ، وترادى ^(٥)
به للمدارك ذكاه وانتقاد ؛ فأعظم بهم أعلاما وصدورا ، وأهله وبدورا ؛ خلدت
ذكرهم الدواوين للمسطره ، وسرت في محامدهم الأنفاس المعطره ، إلى أن نشأ
في سملهم هذا الأوحد ، الذي شهرة فضله لا تجعد ؛ فكان قرم الأزهر ، ويترجم
الأظهر ؛ ووسيلة عقدم الأنفس ، ونتيجة تجدهم الأفسس ؛ فأبعد في المناقب
أمامه ، ورفع القنر وأقام حماده ؛ وبني ^(٦) على تلك الأساس الشديدة ، وجرى
لإدراك تلك الغايات البعيدة ؛ فسبق وجلى ، وشنف بذكره المسامع وحلى ؛ ورفع

(١) شاعر كنده : أبو الطيب أحمد بن الحسين النخعي لأه ولد بمحله كنده بالسكوفة .

(٢) فصيح المعره : أبو الملاء المرعي .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « على » .

(٤) في نفع الطيب : « وشج » .

(٥) في نفع الطيب : « وترادى » .

(٦) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وبناه » .

المشكل ببيانه ، وحرّر الملتبس ببرهانه ؛ إلى أن أحله قضاء الجماعة ذروة أفعه
الأصعد ، وبوأه عزيز ذلك المقعد ؛ فشرّف الخطّة ، وأخذ على الأيدي المشتطه ؛
لا يراقب إلا ربه ، ولا يضر إلا العدل وحيه ؛ والمجلس السلطاني أعلاه ^(١) الله
تعالى يختصه بنفسه ، ويفرغ عليه من حُلل الاصطفاء ولبسه ؛ ويستمطر فوائده ،
ويجري ^(٢) بأنظاره حقوق الملك وعوائده ؛ فكان بين يديه حكماً مقسّطاً ، ومقسماً
لحظوظ الإنعام مقسّطاً ، إلى أن خصّه بالكتابة التوَلّويه ، ورأى له في ذلك حق
الأوَلويه ؛ إذ كان والده المقدّس تَمَّ الله تَراه ، ومنحه السعادة في أخراه ؛
مُشرّف ذلك الديوان ، ومُعَلّي ذلك الإيوان ؛ يُحجّر رفاع ^(٣) تلك فتروق ،
وتلوح كالشمس عند الشروق ؛ فخلّ أبنته هذا الكبير شرفاً ، الشهير سلفاً ؛

حمرته التي سَمّت ، وافترّت به عن السعد وابتمت ؛ فسحبت به للشرف مطارف ، ^[١٠٧]
وأحرزت به من القهر التالد والطارف ؛ فهو اليوم في وجهها غرّه ، وفي عينيها
غرّه ؛ والله هو في ملاحظة الحقائق ورعها ، وسمع الحجج ورعها ؛ فلقد فضل
بذلك أهل الاختصاص ، وسبقهم في تبين ما يُشكل منه وما يعتاض ؛ إذ المشكلة
معه جليّة الأغراض ، والآراء لديه آمنة من مأخذ الاعتراض ؛ فكم رتبة عمرها
بدويها ، فأكسبها تشرّفاً وتنويهاً ^(٤) ؛ وعلى ذلك فأعلام قضاة الوطن ، ومن
عبر منهم وقطن ؛ مع أقدارهم السامية ، ومعاليهم التي هي للزهر مُساميه ؛ إنما
رقّتهم ^(٥) وساطته التي أحسنت ، وزينت بهم المجالس وجسّنت ؛ فبه أمضوا

(١) في فتح الطيب : « أسماء » .

(٢) في فتح الطيب : « يجرب » .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « وفاق » .

(٤) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « تنزيها » .

(٥) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « راقهم » .

أَحْكَامُهُمْ ، وَأَعْلَوْا فِي الْأَبَاطِيلِ احْتِكَامَهُمْ ؛ وَكَتَبُوا الرُّسُومَ ، وَكَبَتُوا الْخُصُومَ ؛ وَحَلَّوْا دَسْتِ الْقَضَاءِ ، وَسَلَّوْا سَيْفَ التَّمْضَاءِ ؛ وَفِي زَمَانِهِ تَخَرَّجُوا ، وَفِي بُسْتَانِهِ تَأَرَّجُوا ؛ وَمَنْ خُلِقَ إِكْتِسَبُوا ، وَإِلَى طَرَفِهِ انْتَسَبُوا ؛ وَعَلَى مَوَارِدِهِ حَامُوا ، وَحَوْلَ فِرَائِدِهِ ^(١) قَامُوا ؛ وَبِتَعْرِيفِهِ عُرِفُوا ، وَبِتَشْرِيفِهِ شُرِفُوا ^(٢) ؛ وَبِصِفَاتِهِ كَلِفُوا ، وَبِعِرْفَانِهِ وَقَفُوا ؛ فَأَمِنُوا مَعَ انْسِكَابِ سُحُبِ إِفَادَتِهِ مِنَ الْجَدْبِ ، وَقَامُوا بِذَلِكَ الْغَرَضِ بِسَبَبِ ذَلِكَ النَّدْبِ ؛ وَهَلِ الْعُلَمَاءُ وَإِنْ عَمَّتْ فَوَائِدُهُمْ ، وَانْتَضَمَتْ بِجِيَادِ الْأَذْهَانِ فِرَائِدُهُمْ ؛ إِلَّا مِنْ أَنْوَارِهِ مُسْتَمِدُّونَ ، وَإِلَى الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ أَنْظَارِهِ مِمْتَدُّونَ ، وَبِإِرْكَانِهِ مَعْتَدُّونَ ، وَبِأَسْبَابِهِ مُسْتَعِدُّونَ ؛ فِيهِ اجْتُنِيتْ مِنْ أَفْنَانِ الْمُنَابِرِ ثِمَرَاتُهُمْ ، وَتَأَرَّجَتْ فِي رُوضَاتِ الْمَعَارِفِ زَهْرَاتُهُمْ ؛ وَبِهِ عَمَّرُوا الْحَلَقَ ، وَائْتَلَقَ مِنْ أَنْوَارِهِ مَا ائْتَلَقَ ؛ إِذْ كُلٌّ مِنْ اصْطِنَاعِهِ مُحْسُوبٌ ، وَإِلَى بَرَكَتِهِ مَنْسُوبٌ ؛ فَهُوَ بِذَرَمِ الْأَهْدَى ، وَغَيْشِهِمِ الْأَجْدَى ؛ وَعَقْدُهُمِ الثَّمَنِيُّ ، وَرُوضُهُمِ الْمُجْتَنِيُّ ؛ وَبِذَرِ مَنْازِلِهِمْ ، وَصَدْرِ مَحَافِلِهِمْ ؛ وَعَلَى مَا أَعْلَى الْمَقَامِ الْمَوْلُوءِ مِنْ مَكَانِهِ ، وَقَضَى بِهِ مِنْ امْتِسْكَانِهِ ؛ وَاعْتَمَدَ مِنْ إِبْرَامِهِ ، وَأُثْرَمَ مِنْ اعْتِمَادِهِ ، وَهَدَّ مِنْ إِكْرَامِهِ ، وَأَكْرَمَ مِنْ مَهَادِهِ ؛ وَاخْتَصَّ مِنْ عُلَاهِ ، وَأَعْلَى مِنْ اخْتِصَاصِهِ ، وَاسْتَخْلَصَ مِنْ خُلَاهِ ، وَحَلَّى مِنْ اسْتِخْلَاصِهِ ؛ وَوَقَّى مِنْ تَكَرُّمِهِ ، وَكَرَّمَ مِنْ وَقَانِهِ ، وَاصْطَفَى مِنْ تَجَدُّدِهِ ، وَنَجَّدَ مِنْ اصْطِفَائِهِ ؛ وَقَدَّمَ مِنْ بَرَاعَتِهِ ، وَحَكَّمَ مِنْ رِيعَاتِهِ ^(٣) ؛ وَشَقَّقَ ^(٤) مِنْ كِتَابَتِهِ ، وَأَنْطَلَقَ مِنْ خَطَابَتِهِ ؛ وَسَجَّلَ مِنْ أَنْظَارِهِ ، وَعَدَّلَ ^(٥) مِنْ اخْتِيَارِهِ ؛ فَذَكَازْ كُرُهُ ،

(١) فِي شِعْرِ الطَّيِّبِ : « فَوَائِدُهُ » .

(٢) فِي ط : « أَلْفُوا » .

(٣) فِي ط : « بَرَاعَتِهِ » .

(٤) شَقَّقَ ، يَرِيدُ : اقْتَنَ . مَاخُذْ مِنْ شَقِيقِ الرَّجُلِ الْكَلَامَ ، وَذَلِكَ إِذَا أَخْرَجَهُ

أَحْسَنَ مَخْرَجٍ .

(٥) فِي ط : « عَجَّلَ » .

وسطا سطره ؛ وأمن مَنه ، وأغنى مَنه . أشار إليه الله تعالى باستئناف
 خصوصيته وتجديدها ، وإثبات مقاماته وتجديدها ؛ لتُعرف تلك الحدود فلا
 تُتخطى ، وتُكبر تلك التراتب فلا تُستعصى ؛ فأصدره — شكر الله تعالى إصداره ،
 وعمر بالنصر داره — هذا المنشور الذى تأرجح بحامده نشره ، وتضمن من مناقبه
 البديع فراق طيه ونشره ؛ وغدا وفرائد المآثر لديه مُوجدة مكوّنه ، وأصبح
 للفاخر مالكا لما أتى به مدوّنه ؛ وخصه فيه بالنظر المطلق الشروط ، للالزام
 للتفويض ملازمة الشرط للشروط ؛ المستكمل الفروع والأصول ، المُستوفى
 الأجناس والفصول ؛ فى الأمور التى تختص بأعلام القضاة الأكابر ، وكتاب
 القضاة ذوى الأقاليم والخبار ، وشيوخ العلم وخطباء المنابر ، وسائر أرباب الأقاليم
 القاطن منهم والغابر ؛ بالحضرة العلية ، وجميع البلاد النصرية ؛ تولى الله جميع
 ذلك بمهود ستره ، ووصل له ^(١) ما تود من شفع اللطف ووتره ؛ يحيط مراتبهم
 التى قُطعت من روضاتها ثمرات الحكم وجُنيت ، ويُراعى أمورهم التى أُقيمت
 على القواعد ^(٢) ، وُبُنيت ، وحقوقهم التى حُفظت لهم فى المجالس السلطانية
 ورُعيّت ؛ ويحل كل واحد منهم فى منزله التى تليق ، ومُرتبته التى هو بها خليف ؛
 على مُقتضى ما يعلم من أدواتهم ، ويختار من تباين ذواتهم ؛ ويرشّح كل واحد
 إلى ما استحقّه ، ويؤتى كل ذى حق حقه ، اعتمادا على أغراضه التى عدلت ،
 وصَدَحَتْ على أفنانها من الأفواه طيورُ الشكر وهَدَلَتْ ؛ واستنادا فى ذلك إلى
 آرائه ، وتقويضا له فى هذا الشأن بين خلّصاء الملك وظُهرائه ؛ وذلك لمُقتضى
 ما كان عليه أعلامُ الرئاسة الذين سبقوا ، واتهضوا بهمهم واستبقوا ؛ كالشيخ

(١) فى فتح الطبيب : « وله » .

(٢) فى فتح الطبيب : « الموايد » .

الرئيس الصالح أبي الحسن بن الجيّاب ، والشيخ ذى الوزارتين أبي عبد الله بن الخطيب ، رحمهما الله تعالى .

[١٠٩] فليقم — أبقاه الله تعالى — بهذه الأعمال التي سمّت واعتزّت ، ومالت بها أعطاف العدل واهتزت ؛ وسار بها الخبر حيث سرى ^(١) ، وصار بها الحقّ مشدودَ الرّعى ؛ وعلى جميع القضاة الأصفياء ، والمُلماء الأُضيّاء ، والخطباء الأولياء ، والمُقرّنين الأذكياء ، وحلّة الأَقلام الأخطياء ؛ أن يمتدوا على هذا الوليّ العِماد في كل ما يرجع إلى عوائدهم ، ويختصّ في دار الملك من مَرتباتهم وفوائدهم ؛ وما يعلّق بولايتهم [وأمنياتهم] ^(٢) ، ويليق بمقاصدهم وتيّاتهم ^(٣) ؛ فهو الذي يُسوّغهم المشارب ، ويُبلّغهم المآرب ؛ ويستقبل العليّ بالقيّ ، والعاقل بالحقّيّ ، والشّكّل بالجلّيّ ؛ والمُفرّق بالنّاج ، والمُقدّمة بالإنتاج ؛ وعلى ذلك فهذا المنشور الكريم قد أقرّم على ولايتهم ^(٤) وأبقاهم ، ولقّاهم من حفظ للراتب ما رقّاهم ؛ فليجروا على ما هم بسبيله ، وليهتدوا برُشد ^(٥) هذا الاعتناء ودليله .

وكتب في صفر عام سبعة وخمسين وثمان مئة . انتهى .

وإنما كتبته برُمته لتعلم به مصادق ما قدمناه من تمكّن ابن عاصم المذكور من مراتب الاصطفاء والاحتفاء ^(٦) .

ولنختم ترجمته ، رحمه الله ، بتخميس عجيب من نظمه :

سُبْحانَ مَنْ أظْهرَ الأنوارَ واحتجَبَها وَكَلَّ حَمْدَ وَتَمجِيدَ لَه وَجَبَها

(١) في تلح الطيب : « ... الخبر حيث السرى » .

(٢) زيادة عن تلح الطيب .

(٣) كذا في تلح الطيب . وفي ط : « وأفضيائهم » .

(٤) في تلح الطيب : « ولايتهم » .

(٥) في تلح الطيب : « برشد » .

(٦) إلى هنا ينهي الساقط من نسخة ت .

إذا ابتغى العقلُ في إدراكه سبباً جاء الحجابُ فألقى دونه الضُّببُ
حتى إذا ما تَلَّاقَى عندها ظهراً

سُبْحَانَ مَنْ كَانَ وَالْأَكْوَانُ لَمْ تَكُنْ فِي غَيْرِ أَيْنٍ وَلَا وَقْتُ وَلَا زَمَنٌ^(٢)
حتى أتى الجودُ بالإيجادِ وَلِلَّسَنِ وَكَانَ مَا^(١) قَدْ رَسَمْنَاهُ بِمَا وَمَنْ^(٣)

وأظهر الشمسَ ذاتَ النُّورِ والقَمَرَ

سُبْحَانَ مَنْ حَجَبَ الْأَبْصَارَ فَاحْتَجَبَتْ وَكَمْ أَرَادَ مُرِيدٌ نَيْلَهَا فَأَبَتْ
مَنْ حَدَّثَتْهُ أَمَانِيهِ فَقَدْ كَذَبَتْ حَقِيقَةُ ذَاتِهَا عَنْ ذَاتِهَا وَجَبَتْ

لَا يُدْرِكُ الْعَقْلُ مِنْ أَخْبَارِهَا خَبَرًا

سُبْحَانَ مَنْ شَأْنُهُ فِي شَأْنِهِ عَجْبٌ يَخْفَى فَيُظْهِرُ أَوْ يَبْدُو فَيُخْتَجِبُ [١١٠]
يَأْيِهَا الْعَاكِفُونَ السَّادَةُ النَّجَبُ هَلْ فَيْكُمْ مَنْ سَعَى سَعْيًا كَمَا يَجِبُ
فَسَازَ بِالْفَرَضِ الْمَطْلُوبِ أَوْ ظَفِرًا

سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِالْعِلْمِ مُتَفَرِّدًا وَمَنْ تَعَالَى عَنِ الْأَشْبَاهِ فَاتَّحَدًا
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاحِدًا صَمَدًا تَبَارَكَ اللَّهُ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدْ^(٤)
تَنَزَّهَ اللَّهُ عَمَّا يَلْحَقُ الْبَشَرًا

سُبْحَانَ مَنْ أَخْرَجَ لِلْوُجُودِ مِنْ عَدَمٍ رَسْمًا بَرَى كَوْنَهُ فِي غَيْرِ مَرْتَسِمٍ
فَلَا تَحُلْ سِوَى كُنْهِهِ مِنَ الْكَلِمِ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ فِي دَيْمُومَةِ الْقِدَمِ
مُؤَثِّرًا يَخْلُقُ التَّأْوِيلَ وَالْأَثَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ أَجْمَعَهَا فَمَنْ رَأَاهَا رَأَى أَفْصَالَهَا مَعَهَا

(١) الْأَيْنُ : الإعياء .

(٢) فِي ط : « مَنْ » .

(٣) بِمَا وَمَنْ : يَرِيدُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مَا لَا يَقْتُلُ وَمَنْ يَقْتُلُ .

(٤) فِي ط : « وَمَا وَلَدَا » .

وكان ألقاها صنما وأبدعها نفس إلى العالم الأول رفعتها
وخصها من معاليه بما بهمرا

سبحان من عمم بالإينام ما خلقا وشفع العدل بالإحسان فائقا
وزاد بالذكر في قلب التقي تقى فاستكمل الدين والإيمان والخلقا
وكان مدركه الصديق أو عمرا

سبحان من سبخته كل سابعة وكل عاتمة في اللاء سائحة
وكل غادية تغدو ورائحة وسبخته خفايا كل جانحة
لم تعرف السر حتى جاورت صورا

سبحان من حمدته ألسن البشر في السر والنجهر والأصل والذكر
وفي دجى تشدو نصف الليل والسحر بالشكر والذكر والآيات والصور
تؤليه حمدا وتلو بسده سورا

سبحان من ترهته ألسن عزفت عن كل ما يؤم التشبيه إذ وصفت
صفا لما مورد التحقيق حين صفت فلم تقارقه حتى أثبتت ونفت
ولم تدع شبهة تؤذى ولا ضررا

سبحان من شكره في الدين مقترض وليس يشبهه جسم ولا عرض
ينهى ويأمر ما في ذا وذا عرض فذكر لنفعه ذكر كرا ليس ينقض
فن تحدث بالثمنى قد شكرا

سبحان من خضع السبع الطباقي له وأعظمته قلوب حشوها وله
تريد أن تعلم الأبقى وتقله طوبى لمن أمل الأبقى وأم له^(١)
واستكثر الزاد لنا آسن السفرا

(١) ورد هذا البيت محرفا هكذا في ت :

تريد تعلم ما تقي وتعلمه طوبى لمن أمل الأتقا وأم له

سُبْحَانَ مَنْ زَيْنَ الْأَفْلاكَ بِالشُّهُبِ وَيَزِينُ الدِّينَ بِالْآيَاتِ ^(١) وَالْكِتَابِ
وَلَمْ يَدْعُنَا لَدَى لَهْوٍ فِي لَعِبٍ ^(٢) لَكِنْ نَهَانَا وَأَتَانَا عَلَى الرِّتَبِ
حَتَّى اتَّهَيْنَا وَأَذَعَّنَا لِمَا أَمَرَا
سُبْحَانَ مَنْ جَمَلَ الْأَشْيَاءَ بِتَخَلُّفِ فَتَارَةٍ تَتَنَاسَى ثُمَّ تَأْتِلُفُ
هَذَا الظُّلَامَ بِنُورِ ^(٣) الصُّبْحِ يَنْصَرِفُ كَمَا الضَّلالُ لِنُورِ الْعِلْمِ لَا يَنْقِفُ
فَسَلَّهُ نُورًا يُبَيِّرُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْأَخْلَاقَ وَالْخَلْقَ وَالشَّمْسَ وَالتَّبَدَّرَ وَالظُّلُمَاءَ وَالنَّعْسَاءَ
يَرْوِقُ الْكُلَّ مَجْمُوعًا وَمُفْتَرَقًا وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاسْلُكْ نَحْوَهُ طَرَفًا
فَأَسْمُدُ النَّاسَ مَنْ فِي نَفْسِهِ نَفَرًا
سُبْحَانَ مَنْزِلِ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الطَّيْرِ بِرُيُوسِ النَّبَاتِ وَيَسْقِي بِارْنَعِ الشَّعْرِ
كَأَنَّ الزَّهْرَ تُهْدِيهِ إِلَى الزَّهْرِ إِذَا رَأَيْتَ تَلَاقِيهَا عَلَى قَدَرٍ
رَأَيْتَ ضَمَنَ قَدِيرٍ أَحْكَمَ الْقَدَرَا
سُبْحَانَ مَنْ قَدَّرَ الْأَقْوَاتَ وَالْأَجَلَا وَتَابَعَ الرِّيحَ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ الرُّسُلَا
فَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ الْقَوِّ قِيلَ غَلَا وَمَنْ تَجَوَّزَ مُنْهَضًا فَقَدْ سَفَلَا
وَمَنْ تَخَطَّى خُطُوطَ الْمُتَنَهِّي كَفَرَا
سُبْحَانَ مَنْ فَجَّرَ الْأَنْهَارَ فَانْتَجَرَتْ وَقَدَّرَ الْخَيْرَ فِي إِجْرَائِهَا فَجَرَتْ
فَزِينَةُ الْأَرْضِ بِالْأَزْهَارِ قَدْ ظَهَرَتْ وَلِلْبَصِيرَةِ عَيْنٌ كُلَّمَا نَظَرَتْ ^(٤)
رَأَتْ جَمَالًا وَإِجْهَالًا وَمُعْتَبَرًا

(١) في ط : « في الآيات » .

(٢) في ت : « ولا لعب » .

(٣) في ت : « بضوء » .

(٤) في ت : « بصرت » .

سبحان من خلق الإنسان من عَلَقٍ^(١) وأعقب اليلة البلاء بالنفس
بابهجة الشمس دوني عُدَّتْ^(٢) من فَلَقي ويا منّا البدر عارض ثمرة الشفقي

حتى تُعيد لنا من ليلنا سَحَرًا

سُبْحان من علّم الإنسان بالقلم وسلّط الممّ والتلوى على الممّ
فقاومتها جُنود الصبر والكرم ثم ابتلى قلب غير العارف النهم
فاأطاق ولا أوفى ولا صبرا

[١١٢] سبحان من خلق الإنسان من عَجَلٍ فليس يمشي إلى شيء على مهلٍ
ولا يقول سيوى هذا وذلك لي مُقَسِّم الحال بين الحرص والحيل
فليس تلقاه إلا ضارعا حذرا

سبحان من زانه بالعلم والأدب وبالفضائل والإيمان والطلب
فلا يزال حليف الفكر والتعب رام الكمال فلم يبتلغ ولم يجب
ولم يرد بد في ربي ولا صدرا

سبحان من شأنه بالكبر والأشرف يُسمى ويصبح في غنى وفي بقر
مردد العزم بين الجبن والخور لا يستغنى من الشكوى إلى البشر
ولا يرحح عن ظلم إذا قدر

سبحان مُحَرِّقه في وقلة الحسد فلا يزال أبا غيظ وفي نكد
كالبحر يرمى إلى العينين بالزبد إذا رأى أثر الثمنى على أحد
يود لو كان أهمي لا يرى ضجرا

(١) في ت : « النفس » .

(٢) في ت : « عدت » بالفتح للهمة .

سُبْحَانَ مَنْ أَمَرَ الْأَرْوَاحَ فَأَتَمَّرَتْ نَمِ اسْتُدِّمَتْ فَلَمْ تَتَهَيَّضْ بِمَا أُمِرَتْ
وَكُلُّ نَفْسٍ إِذَا سَامِعَتْهَا جَرَتْ فَلَا تَصِلُهَا إِذَا خَانَتْكَ أَوْ غَدَرَتْ
وَاقْطَعْ عِلَاقَتِي مَنْ قَدْ خَانَ أَوْ غَدَرَ

سُبْحَانَ مَنْ بَسَطَ التَّعْلِيمَ ثُمَّ طَوَى فَأَغْطَى الْقَلْبَ وَجَدًّا دَائِمًا وَهَوَى
وَذَابَ^(١) فِي مُلْتَظَى أَشْوَاقِهِ وَذَوَى وَكَانَ أَرْزَعُ وَاسْتَوْفَى الْمُنَى وَنَوَى
حَجًّا فَلَا أُنِي مِيقَاتِهِ حُصِرَا

سُبْحَانَ مَنْ فِي سِاطِ الدَّلِّ أَجْلَسَنَا وَبِاغْتِفَارِ عَظِيمِ الذَّنْبِ آتَسَنَا
وَزَانَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا فَكَانَ أَعْظَمُنَا قَدْرًا وَأُنْقَسَنَا
مَنْ أَتَمَّى أَوْ نَهَى أَوْ خَافَ فَازْدَجَرَا

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ بِالْإِيمَانِ أَنْفُسَنَا وَخَافَهُ مِنَ عَذَابِ النَّارِ أَنْفُسَنَا
لَوْلَاهُ لَمْ نَعْرِفَ لِلْمَعْرُوفِ^(٢) وَالْحَسَنَا وَلَا اسْتَفْدَنَا لِسَانًا نَاطِقًا لِسِنَا
وَلَا دَرَيْنَا : أَبَاحَ الشَّرْعُ أَوْ حَظَرَا

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ وَالْحُسْرَ وَالنَّشْرَ مَنَاجَاةً مِنَ الضَّرَرِ
فَلَا خُلُودَ مَعَ الْإِيمَانِ فِي سَقَرٍ وَلَا وُصُولَ إِلَى أَمْنٍ بِلَا حَذَرٍ
حَتَّى تَكُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَبِرَا

سُبْحَانَ مَنْ إِنْ يَشَأْ أَعْطَاكَ أَوْ مَنَعَا وَمَنْ إِذَا شَاءَ أَمَرَا حَادِثًا وَقَعَا [١١٣]
وَتَارَةً يَخْفِضُ الْأَمْرَ الَّذِي رَفَعَا يَوْمًا يَفَرِّقُ لِلْإِنْسَانِ مَا جَمَعَا
وَلَا يُبَالِي بِمَنْ أَتَى وَمَنْ خَسِرَا

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ يَوْمَ الْفَصْلِ يَجْمَعُنَا وَلِلنَّعِيمِ يُفْضِلُ مِنْهُ يَرْفَعُنَا

(١) في ط : « وزاد » .

(٢) في ت : « للسنون » .

مِنْ بَعْدِ رُؤْيَا أَهْوَالٍ تَرَوُّعَنَا يُرَى لَهَا وَالْهَامَّ هَيَّانَ أَوْرَعُنَا
 حَيْرَانَ عُرْيَانَ يُبْدِي كُلَّ مَا سُرَّهَا
 سُبْحَانَ مَنْ شَاءَ فِي الدُّنْيَا سَعَادَتَنَا بِطَاعَةٍ أَحْسَنَتْ مِنَّا إِرَادَتَنَا
 وَيَبْتَلِينَا وَيَسْتَحِلِّي عِبَادَتَنَا حَتَّى إِذَا شَاءَ فِي الْآخِرَةِ إِعَادَتَنَا
 أَعَادَنَا مِثْلَ مَا كُنَّا كَمَا ذَكَرْنَا
 سُبْحَانَ مَنْ يَحْشُرُ الْإِنْسَانَ مُكْتَتِبًا خَوْفَ الْجَزَاءِ وَيَجْزِيهِ بِمَا كَسَبَا
 وَيَحْكُمُ الْحُكْمَ يُضَيِّعُهُ كَمَا وَجَبَا فَالْقَاسِطُونَ إِلَى زِيْرَانِهِ عُصْبَا^(١)
 وَالْمُقْسِطُونَ إِلَى جَنَانِهِ زُمْرَا
 سُبْحَانَ مَنْ فَضَّلَ الْإِسْلَامَ فِي الْأُمَمِ بِالطَّيِّبِ الطَّاهِرِ التَّبَعُوثِ فِي الْحَرَمِ
 مُحَمَّدٍ خَيْرٍ مَنْ يَمْشَى عَلَى قَدَمِهِ إِذَا عَدَدَتْ بَيُوتَ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ
 فَهوَ حَقٌّ إِلَى عَذَنَانٍ أَوْ مُقَرَّرَا
 سُبْحَانَ مَنْ خَتَمَ الْأَدْيَانَ فِي الْأَزَلِ بِاللَّيْلَةِ السَّخْمَةِ الْبَيْضَاءِ فِي اللَّيْلِ
 أَتَى بِهَا خَيْرُ مَأْمُورٍ وَمُمْتَنِلٍ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ السَّادَاتِ وَالرُّسُلِ
 وَخَيْرُ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ
 إِذَا وَصَفْنَا بِالتَّقْصِيرِ تَعَرَّفُ فَكُلُّ لَفْظٍ بَلِيغٍ دُونَهُ يَنْقُفُ
 هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي فِي ذِكْرِهِ شَرَفُ فَإِنْ طَلَبْتَ رِضَاءَهُ بِالنَّبِيِّ نَصِيفُ
 فَكُنْ عَلَى وَصْفِهِ فِي الذِّكْرِ مُقْتَصِرَا
 صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ مَا بَدَأَ قَرُ وَمَا مَرَّتْ فِي الدِّيَاجِي أُنْجَمُ زُهْرُ
 وَمَا تَبَايَنْتِ الْأَشْكَالُ وَالْأَشْوَْرُ وَمَا تُدَوِّرُ الْآيَاتُ وَالشُّوْرُ
 وَمَا قَضَى مُؤْمِنٌ مِنْ حَاجَةٍ وَطَرَا

وبالجملة فإنَّ عاصمَ أبو يحيى كان يَسْتَبِيه أَهْلُ زمانه ابنَ الخطيب الثاني ،
حَسْبًا قاله الوادي آخى وغيره .

تعريف
بإبن الخطيب

ولا بد أن نلِمَ ببَيْذَة من أخبار ابن الخطيب [السَّلْمَانِي الوزير] ^(١) : إذ هو [١١٤]
لسان الدين ، ونُفَر الإسلام بالأندلس في عصره ، فنقول : هو محمد بن عبد الله
ابن سعيد [بن عبد الله بن سعيد] ^(٢) بن علي بن أحمد السَّلْمَانِي ، قُرْطُبِي الأصل ،
ثم لَوْشِيَّة ^(٣) ، يُكْنَى أبا عبد الله ، ويلقَّب من الألقاب المشرفة بلسان الدين ،
الوزير الشهير ، الطائر الصيت ، التمثل التضرُّوب في الكتابة والشعر والعرفة
بالعلوم على اختلاف أنواعها ، رحمه الله .

أوليه ونسبه أوليته :

قال ابن الأحرر ^(٤) في نثير فرائد الجُحَان في حقِّه ما نصه : « ذو الوزارتين الفقيه
الكاتب ، أبو عبد الله محمد ، ابن الرئيس الفقيه الكاتب المُتْقَن ^(٥) ببلدة لَوْشَة ،
عبد الله ، ابن الفقيه القائد الكاتب سعيد بن عبد الله ، ابن الفقيه الصالح
ولي الله الخطيب سَعِيد السَّلْمَانِي اللُّوْشِيّ ، المعروف بإبن الخطيب » . انتهى .
وقال غيره : إنَّ يَتَمِّهم يُعرَف في القديم بيني الوزير ^(٥) ، ثم في الحديث

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) لَوْشِيَّة : نسبة إلى لَوْشَة (بفتح فسكون) : مدينة بالأندلس غربي ألبيرة قبل قرطبة ،
منحرفة يسيرا ، بينها وبين قرطبة عمرون فرسخا ، وبينها وبين غرناطة عمرة
فراسخ . (عن معجم البلدان) .

(٣) ابن الأحرر : هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن السلطان القائم بأمر الله محمد
ابن الأحرر .

(٤) كذا في ط . وفي ت : « المتقن » . يريد للنسب إلى بلدة لَوْشَة . إلا أن هذا

الفعل يصح في ط . وفي نفع الطيب المطبوع والمخطوط : « للنتى » :

(٥) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « وزير » . وفي ت : « وزير » .

يبنى الخطيب . وسعيدٌ جدُّه الأعلى أول من تلقَّب بالخطيب ، وكان من أهل العلم والدين والخير ، وكذلك سعيد جدُّه الأقرب كان على خلال حميدة ، من حَظٍّ ، وتلاوة ، وفقه ، وحساب ، وأدب ، خَيْرًا ، صَدْرًا ، تُوَفِّيَ عام ثلاثة وثمانين وست مِئَةً ؛ وأبوه عبدُ الله كان من أهل العلم بالأدب والطب ، وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي جعفر بن الوزير^(١) ، وغيرهما^(٢) ، وأجازه طائفة من أهل المشرق ، وتُوَفِّيَ بطريق عام واحد وأربعين وسبع مئة شهيداً يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى من العام مَقْهُوداً^(٣) ثابت الجأش ، شكر الله فعله .

قال ابنه لسان الدين صاحب الترجمة : أنشدتُ والذي أبيتاً من شعري ،

فُسِّرَ وتَهَلَّلَ ، وارتجَل رحمة الله تعالى :

الطُّبُّ والشُّعْرُ والكِتَابُ يَمَانُنَا فِي بَيْتِ النَّجَابِ
هِيَ^(٤) ثَلَاثٌ مُتَلَفَّاتٌ مَرَاتِباً بَعْضُهَا الْحِجَابِ

[١١٠]

اتمى .

نَسَأَمَ :

نشأته وشيوخه

ونشأ لسان الدين على حالة حسنة سالكا سنن أسلافه ، فقرأ القرآن على المَلَكْتَبِ ، الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولى العواد ، تَكْتَبًا ، ثم حفظاً ، ثم تجويداً ؛ ثم قرأ القرآن أيضاً على أستاذ الجماعة أبي الحسن التيجاني ، وقرأ عليه العربية ، وهو أول من انتفع به ؛ وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جَزَى ؛

(١) كُفَا فِي نَعْرِ الطَّيْبِ . وفي الأصلين : « زير » .

(٢) كُفَا فِي تَوْضِيعِ الطَّيْبِ . والْبَيْتُ فِي ط : « وقرأ على أبي الحسن البلوطي ، وأبي

إسحاق بن زروال ، وغيرهما » .

(٣) كُفَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَعْرِ الطَّيْبِ .

(٤) فِي نَعْرِ الطَّيْبِ : « هُنَّ » .

ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخَّار
 البَيْرِي ، شيخ النحويين لعهده ؛ وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر ؛
 وتأدب بالرئيس أبي الحسن بن الجَيَّاب ؛ وروى عن كثير من الأعيان ، كالحَدَّث
 شمس الدين بن جابر ، وأخيه أبي جعفر ، والقاضي أبي البركات بن الحاج ،
 والشيخ أبي محمد بن سَلْمُون ، وأخيه أبي القاسم بن سَلْمُون ، وأبي عمرو بن
 الأستاذ أبي جعفر بن الزَّيَّير ، وله رواية عالية ، والأستاذ النَوَوي أبي عبد الله بن
 بيش^(١) ؛ والحَدَّث الكاتب أبي الحسن التِّلْسانِي المُسَيِّن ، والقائد الكاتب
 أبي بكر بن ذِي الوزارَتَيْن أبي عبد الله بن الحكيم ، والقاضي الحَدَّث أبي بكر
 ابن شيرين^(٢) ، والشيخ أبي عبد الله ابن الفقيه القاضي أبي عبد الله بن عبد الملك ،
 والخطيب أبي جعفر الطَّنْجَالِي ، والقاضي أبي بكر بن مَنظُور ، والراوية أبي
 عبد الله بن حزب الله ، وعن أشهر أسلافنا للتأخرين القاضي أبي عبد الله محمد
 المقرئ القرشي ، التِّلْسانِي المولد والمنشأ والمقر ، قاضي الجماعة بفاس ، وعن [١١٦]
 الشريف أبي علي حسن بن يوسف ، وعن الخطيب الرئيس الراوية أبي عبد الله
 ابن مرزوق ، وعن الحَدَّث الفاضل الحسيب أبي العباس بن يَرْبُوع السَّبْتي ،
 والرئيس الكاتب أبي محمد بن عبد المهيمن الحَضْرِي السَّبْتي ، والشيخ المقرئ
 أبي محمد بن أيوب اللَّاتِي ، آخر الرواة عن^(٣) ابن أبي الأحوص ، وعن أبي عثمان
 ابن ليون من أهل المَرِيَّة ، وعن القاضي أبي الحجاج المُنْشَاوِي^(٤) ، من
 أهل رُنْدَة ، إلى غيرهم ممن يطول ذكره من أهل الأندلس ، والعُدَّة الغريبة ،

(١) كُتِبَ في ط وفتح الطيب . وفي ت : « يس » .

(٢) كُتِبَ في ط وفتح الطيب . وفي ت : « بشرين » .

(٣) في ت : « علي » .

(٤) كُتِبَ في فتح الطيب (ج ٣ ص ٣٢٣ ، ٣٩٥ طبعة بلاط) . وفي ط : « المنشاوي » .

وفي ت : « المنشاوي » .

والمشرق وإفريقية بالإجازة ؛ وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هذيل ، ولازمه .

تأليفه :

مؤلفاته

قال ابن الأحرار رحمه الله : « [لابن الخطيب ^(١)] الأوضاع المصنفات ، التي آذَنُ إحسانها هي المُقرَّطات للشِّفَات ، منها في التصوف الذي أكثر أهل الحقائق إليه نظر التشوُّف : روضة التعريف بالحب الشريف . انتهى .

ثم سرد غيرها من كتبه ، ومنها : الإحاطة ، في تاريخ غرناطة ، في خمسة عشر سِفرًا ؛ واللَّمحة البدرية في الدولة النَّصْرية ؛ والحُللُ التَّروُمَةُ ؛ ومُثُلُ الطريقة ، في ذم الوثيقة ؛ والسحر والشعر ^(٢) ؛ وريحانة الكتاب ، ونجعة للنتاب ، في أسفار ؛ والصَّيْبُ والجَهم ، والماضي والكُهم ، في مجموع شعره ؛ ومِيعَار الاختيار ^(٣) ؛ ومفاضلة مائة وسلا ؛ ورسالة الطاعون ؛ والمسائل الطبية ، في سِفر ؛ والرَّجَزُ في عمل التَّرياق ؛ واليُوسُفُ في الطب ، في سَفرين ؛ والتَّاجُ الحَلِّيُّ في مساجلة التِّدْجِ المَمَلِّيِّ ؛ والكتيبة الكامنة ، في أدباء ^(٤) المئة الثامنة ؛ ونُفاضة الجِرَابِ ، في أربعة أسفار ، وهي من أحسن تأليفه ، ولم أزل أكثر البحث في هذا التاريخ عنها ، فلم أقف منها على عين ولا أثر ، إلا عدة أوراق متفرقة ، وقد كنت قبل هذا التاريخ رأيت بعضها . والبيْزرة ، في سِفر ؛ والبيْظرة ، في سفر جامع ، لما يرجع إليه من محاسن الخليل وغيره ؛ ورسالة تَكُونُ الجنين ، والوُصُولُ لحفظ الصحة في الفصول ؛ ورجز الطب ؛ ورجز الأغذية ؛ ورجز السياسة ؛

(١) زيادة عن نفع الطيب (ج ٤ ص ١٥٢) .

(٢) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٤ ص ٦٥٤) . وفي ت : « والشعر » .

(٣) في نفع الطيب : « الأخبار » .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي ت : « في شعراء » . وفي ط : « في آداب » .

وكتاب الوزارة ؛ ومقامة السياسة ؛ والتيرة على أهل الحيرة ؛ وحمل الجمهور على [١١٧] السَّخَنَ المشهور ؛ والزَّيْدة للمخوضة ؛ والد على أهل الإباحة ؛ وسد الذريعة ؛ في تفضيل الشريعة ؛ وخطرة الطيف ؛ ورحلة الشتاء والصيف ؛ وطرفة العصور في دولة بني نصر ، في ثلاثة أسفار ؛ وتقرير السَّيْب ؛ وتحرير السَّيْب ؛ واستنزال اللطف الموجود في سر الوجود ؛ وبستان الدول ، وهو غريب في معناه ، في فنون السياسة ، في ثلاثين جزءاً ، ولم يكمل ؛ وأبيات الأبيات ، فيما اختاره رحمه الله من مطالع ماله من الشعر ؛ ورثم الحُلُل في نظم الدول ، في غاية من الحلاوة والذوبة والجزالة ؛ وفُتَات الخِوان ، ولَقَط الصَّوان ، في سفر يتضمن المقطوعات ؛ وعائد^(١) الصَّلَة ، في سفرين ، وصل به صلاة الأستاذ أبي جعفر بن الزبير ؛ وتخليص^(٢) الذهب في اختيار عيون الكتب الأدبيات ؛ وجيش التوشيح ؛ ورجز في أصول الققه ، شرحه ولي الدين بن خلدون ، صاحب التاريخ المشهور ؛ والإكليل الزاهر^(٣) ؛ وكُنَاسَة الدُّكَّان بعد انتقال السُّكَّان ؛ وعمل مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ ؛ والدرر^(٤) الفاخرة ، والألحاج الزاخرة ، جمع فيه نظم بن صفوان ؛ والمباخر الطيبية في الفاخر الخطيبية ؛ وخلع الرِّسَن في أمر القاضي ابن الحسن ؛ وأعمال الأعلام ، فيمن^(٥) بومع من ملوك الإسلام ، قبل الاحتلام^(٦) . وألف أيضاً في الموسيقى ، ومصنفاته زادت على الحسين ، وقد ذكرنا نحو الحسين^(٧) .

(١) في ط : « غاية » .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « تلخيص الذهب ... الخ » .

(٣) اسم الكتاب كاملاً كما في فتح الطيب : « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم الحاج من الجواهر » .

(٤) كذا في فتح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٥) . وفي الأصلين : « والجرة » .

(٥) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « بمن » .

(٦) اسم الكتاب كما في فتح الطيب : « أعمال الأعلام فيمن بومع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، وما يمر ذلك من شجون الكلام » .

(٧) تختلف مؤلفات ابن الخطيب للذكورة في فتح الطيب (ج ٤ ص ٦٥٣ — ٦٥٥) عنها ما هنا زيادة وتقصانا .

رأى ابن الأحر
فه

حاله :

قال ابن الأحر :

« هو شاعر الدنيا ، وعلم المفرد والثنيا ؛ وكاتب الأرض ، إلى يوم
العرض ؛ لا يدافع مدحه في الكتب ، ولا يُجَنِّحُ فيه إلى القتب ؛ آخر من
تقدّم في الماضي ، وسيف مقولة ليس بالكهام إذ هو الماضي ؛ وإلا فانظر [١١٨]
كلام الكتاب الأول من القُصبة ، كيف كان فيهم بالإفادة صاحب القُصبة ؛
للبراعة ، بالبراعة ؛ وبه أسكت صائلهم ، وما مُحلت بكرم وأصائلهم ؛
المشوبة ^(١) بالخلاوة ، المُمكنة من مفاصل الطلّاء ؛ وهو قيس الشدوتين ،
ورئيس الدولتين ؛ بالاطلاع على العلوم العقلية ، والإمتاع بالفهم النقلي ؛ لَكِنَّ
صِلَ لِسَانَهُ فِي الْمَجَاءِ لَسَعٌ ، وَنَجَادَ نِظَاقَهُ فِي ذَلِكَ أَسْعٌ ؛ حَتَّى صَدَمَنِي ، وَعَلَى
الْقَوْلِ فِيهِ أَقْدَمَنِي ؛ بِسَبَبِ جُوهٍ فِي ابْنِ عَمِي مَلِكِ الصَّقْعِ الْأَنْدَلُسِيِّ ، سُلْطَانِ
ذَلِكَ الْوِطَنِ فِي النِّفَرِ الْجَنَسِيِّ ، الْعَظَمِ فِي الْمُلُوكِ بِالْقَوْلِ الْجَنِّيِّ وَالْإِنْسِيِّ ؛ ثُمَّ صَفَحَتْ
عَنْهُ صَفْحَةُ الْقَادِرِ ، الْوَارِدِ مِنْ مِيَاهِ الظُّفْرِ غَيْرِ الْوَارِدِ ؛ لِأَنَّهُ مِثْلِي لَا يَلِيْقُ بِهِ إِظْهَارُ
الْعُورَاتِ ، وَلَا يَجْمَلُ بِهِ تَتَبُّعُ الْمَثَرَاتِ ؛ اتِّبَاعًا لِلشَّرْعِ فِي تَحْرِيمِ الْفِيْهِ ، وَضَرْبًا
عَنِ الْكِرِيْهِ ، وَإِثْبَاتًا لِحُظُوظِ النِّقِيْبَةِ الرَّغِيْبَةِ ؛ فَمَا ضَرَّهُ لَوْ اشْتَغَلَ بِذَنُوبِهِ ،
وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا شَرَبَ مِنْ مَاءِ الْمَجْجِ بِذَنُوبِهِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ : مَنْ تَعَرَّضَ
لِلْأَعْرَاضِ ، أَرْمَى عِرْضَهُ هَدَفًا لِسَهَامِ الْأَعْرَاضِ » . أَتَهَيَّ كَلَامُ ابْنِ الْأَحْمَرِ .

وقال غيره :

توليه الكتابة

تقلد ^(٢) الكتابة أيام السلطان أبي الحجاج ، في أخريات دولته ، بعد

(١) في ت : « للقرية » .

(٢) أبو الحجاج : هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الأنصاري
الخرزجي ، من أمهات السليين بالأندلس .

شيخه ابن الجيّاب .

قال ابن الصباغ العقيلي : « كان أبو الحسن بن الجيَّاب رئيسَ كتاب الأندلس ، ومم رؤساء غيرهم ، واختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب اختصاصاً تاماً ، وأورثه رتبته من بعده ، وعهد بها إليه ، مشيراً بذلك على من استشاره من أعلام الجيَّاب عند حضور^(١) عمره . وتدرَّب بذكائه ، حتى استحقَّ أزمته ، فأُنسى بحسن سياسته شيخه المذكور ، ونال التي لا فوقها من الخطوة ، وبُعد الصيت ، وسعادة البخت .

كلام لابن الصباغ
عنه وعن قوة
بديته

اتفق له يوماً بعد ما عنم النصراني على ورود البلاد^(٢) ، وضاعت به الصدور ، [١١٩] فأنشد ابن الجيَّاب بديهاً بمحضر الكتاب :

هذا العدو قد طنى وقد تصدَّى وبغى
[وقال لابن الخطيب : أجزأنا عبد الله ، فأنشده بديهاً]^(٣) :
وأظهر السلم وقد أسرَّ حسواً في أرتقا
فبلغنَّ الرحمنُ سيفَ النصر فيه ما ابتغى^(٤)
ورده ردَّ ثمودَ والفصيلُ قد رغا
حتى يرى وليمةً لكلِّ مَرَّهوب الثَّغا^(٥)

(١) في ت : « ظهور » .

(٢) في ت : « البلد » .

(٣) زيادة عن ت .

(٤) رواية هذا البيت في ت :

فأبلغنَّ الرمحُ سيفَ النصر فيه ما اجتفى

(٥) الثناء (ممدوداً وقصر للشمس) : صوت الثاء والميم وما شاكلها ، ويريد به صوت

الفترس من الحيوان ، أو صوت الرماح والسيوف .

قال ابن الجيّاب : هكذا وإلا فلا ، وعجب الحاضرون من هذه البديهة .
اتمى كلام ابن الصباغ .

ولما توفى أبو الحجاج ازدادت ^(١) منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبد الله ، إلى أن كانت عليه الدائرة ، فقبض على ابن الخطيب وعلى أملاكه ، ثم تخلص منها نكبة مصحفية ^(٢) بشفاعة السلطان المستعين بالله أبي سالم إبراهيم ابن السلطان الشهير الكبير أبي الحسن التريفي ، صاحب المغرب ، وكان ^(٣) تحريك عزائم السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية الطالب على دولته الحاجب الرئيس الخطيب الرّجال أبي عبد الله بن مرزوق . ولما تخلص ابن الخطيب من هذه الأنشطة لحق بسلطانه أبي عبد الله ، كما نذكره قريبا ، وورد صُحْبَتُهُ المغرب ، واستقرّ أبو عبد الله بن الخطيب بسلاّ تحت الصّراية التامة ، متكفّلا خدمة ضريح الملوك من بني مرّين ، ليُمَتَّ بذلك إلى صاحب الملُك من بينهم ، كما يقضى له ما بقى من مآربه ^(٤) بالأندلس ، بشفاعة غير مردودة ؛ وفي أثناء هذه المدة كان يتطوف ببلاد المغرب مثل مراكش وأنظارها ^(٥) . ثم لما رجع مخدومه لفرناطة عاد هو في حُبة أولاده ، فالتقى إليه مقاليد رياسته ، وأزمة سياسته ، ورفاه إلى الثروة

(١) في ت : « زادت » .

(٢) مصحفية : نسبة إلى المصحف جعفر بن عثمان الحاجب . ويشير إلى نكته على يد ابن أبي عامر التي انتهت بسجنه في الطبق ثم موته . وإلى هذه النكبة يشير ابن الخطيب بيته :

تخلصت منها نكبة مصحفية لفقداني للصور من آل عامر

(انظر فتح الطيب ج ٢ ص ٥٩ — ٦٤ طيبة أوربا ، ج ٣ ص ٤٢ طبعة بلاط)

(٣) نس هذه العبارة في ت : « وكان من تحريك السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعاية الطالب على دولة أبي سالم الحاجب .. الخ » .

(٤) في ط : « أمراهه » .

(٥) هذه العبارة من قوله « وفي أثناء » إلى قوله « وأنظارها » ساقطة في ت .

أيام ابن الخطيب
مع السلطان
أبي عبد الله

التي لا فوقها ؛ ثم سَمَّ الخُدْمة ، وتسَخَط النِّعمة ، وأَضْمَرَ الفرار عند ما سمع بأن
الملك استوفى للسلطان أبي فارس بن أبي الحسن التبريقي ، وأنه ملك تِلْسان ،
فأظهر الذهاب إلى تَقْدَد أحوال بعض الثَّغور ، فكان آخرَ عهد الأندلس به ،
وخرج تِلْسان ، واهتزت دولة السلطان أبي فارس لِقُدومه ، ثم كان من أمره
ما سنذكره .

ولنُورد بعض تفصيل لما سبق الإلمام به ، وما لم يسبق ، فنقول :
قال في كتابه للمسي باللمحة البدرية ، في الدولة النصرية ، عند ذكره
خلع السلطان أبي عبد الله ، وقيام الأمير إسماعيل عليه ، وذلك في شهر رمضان
المعظم من عام ستين وسبع مئة ، ما نصه :

تفصيل لنكبة
السلطان أبي عبد
الله وذهابه إلى
فارس

« وكان السلطان أبو عبد الله عند تصيُّر الأمر إليه قد أُلْزم أخاه إسماعيلَ
قصرًا من قصور أبيه بجوار داره ، رُفْعًا ^(١) عليه ، متممةً وظائفه له ، وأسكن
معه أمه وأخواته منها ، وقد أستاذت يومَ وفاة والده بمالٍ جَمٍّ من خزانته
الكائنة في بيتها ، فوجدت السبيلَ إلى السعي لولدها ، فجعلت تُواصل زيارة
ابنتها التي عقد لها الوالد مع ابن عمه الرئيس أبي عبد الله ابن الرئيس أبي ^(٢)
الوليد ، ابن الرئيس أبي عبد الله للبايع له بأندرش ، ابن الرئيس أبي السعيد
جَدِّهم الذي تجميعهم جُرثومتهم ، وشتر الصَّهر المذكور عن ساعد عَزَمه وجَدِّه ،
وهو [على] ^(٣) ما هو من الإقدام ومُداخلة ذُؤبان الرجال ، وأستعان بمن
آسفته ^(٤) الدولة ، وهَمَّت به الأطماع ، فتألف منهم زُهاء مئة قَصَدُوا جهة

(١) كذا في ط وفتح الطيب (ج ٣ ص ٤٥) . وفي ت : « صرفها » .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « ابن » .

(٣) زيادة عن فتح الطيب .

(٤) آسفته : أغضبه .

من جهات القلعة مُسْتَمِينَ شَفَا صَعَبَ المُرْتَقى ، واتخذوا آلة تُدْرِك ذروتها لصود^(١) [بِنْيَة]^(٢) كانت به عن التمام ، وكبسوا حَرَسِيًّا بأعلاه بما اقتضى صِيَامُهُ^(٣) ، فاستَوَوْا به ، ونزلوا إلى القلعة سَحَر^(٤) الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبع مئة ، فاستظهروا بالمساعل والصُّرَاخ ، وعالجوا دار الحاجب رضوان ، فَفَضُوا أَغْلَاقَهَا ودخلوها ، فقتلوه بين أهله وولده ، واتهبوا ما اشتملت عليه داره ، وأسرعت طائفة مع الرئيس ، فاستخرجت الأمير المقتل إسماعيل وأركبته ، وقُرِعَت الطبول ، ونُودِيَ بدعوته ، وقد كان أخوه السلطان مُحْتَوًّا بولده إلى سُكْنَى الجَنَّةِ النسوبة للكريف ، لَصِقَ داره ، وهى القتل المضروب فى الظل الممدود ، ولما للسكراب ، والنسيم البليل ، يفصل بينها وبين مَقْل الملك الشُّور للنتيع ، والخندق المصنوع ؛ فإراعه إلا النداء والمجيج ، وأصوات الطبول ، وهَبَ^(٥) إلى الدخول إلى القلعة ، فألقاها قد أخذت دونه شِعَابُهَا كُلَّهَا ونقابها ، وقدنفته الحِرَاب ، ورشقتة السَّهَام ، فرجَع أدراجَه ، وسدَّه الله فى محل الحَيِّرة ، ودمن له عِرْقُ الفحول من قومه ، فامتطى صهوة فرس كان مرتبطاً عنده ، وصار لوجهه فأعيا للنتيع ، وصيَّح مدينة وادى آش ، ولم يشعر حافظ قصبته إلا به ، وقد تَوَلَّجَ عليها ، فالتفت به أهلها ، وأعطوه صَبَقَتَهُم بالنَّبِّ عنه ، فكان أملكَ بها ؛ وتجهَّزَت الحشود إلى منازلته ، وقد جَدَّدَ

(١) كذا فى النسخة الخطية من فتح الطيب (المخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣١٠ تاريخ).

وفى ط والنسخة المطبوعة فى بلاق من فتح الطيب : « لقصود » . وفى

ت : « لقصود » .

(٢) زيادة عن ت وفتح الطيب .

(٣) الصامت (بالضم) : الصمت والسكراب . ولعله يريد : موته .

(٤) فى الأصلين وفتح الطيب : « سحور » .

(٥) كذا فى ط وفتح الطيب . وفى ت : « وذهب » .

أخوه التغلب على ملكه عقد السلم مع طاغية قشتالة ، باحتياجه إلى سلم السليبين ،
لجراً فنة بينه وبين البرجائونيين من أمته ؛ واغبط به أهل المدينة ، فذبوا
عنه ، ورضوا بهلاك نعمتهم دونه ، واستمرت الحال إلى يوم عيد النحر من عام
التاريخ ، ووصله رسول صاحب المغرب ^(١) [مستزلاً منها ^(٢)] ، ومستدعياً إلى حضرته
لما عجز عن إمساكها . وراسل ^(٣) ملك الروم [^(٤) فلم يجد عنده من موعول ،
فانصرف ثانياً يوم عيد النحر المذكور ، وتبعه الجمع الوافر من أهل المدينة خيلاً
ورجلاً إلى مَرَبْلَة من ساحل إجازته . وكان وصوله إلى مدينة فاس ، مُضْجَباً من
البرِّ والكرامة بما لا مزيد عليه ، في السادس من شهر محرم ، فاتح عام واحد
وستين وسبع مئة ، وركب السلطان لِقائِهِ ، ونزل إليه عند ما سلم عليه ، وبالق [١٢٢]
في الحفاية به .

وكننت قد لحقت به مُغْلِقاً من شَرَك النكبة التي استأصلت المال ، وأوهمت
سوء الحال ، بشفاعه السلطان أبي سالم قدس الله روحه ، فقامت بين يديه
في المَحْفَل المشهود حينئذ ، وأنشدته :

قصيدة
ابن الخطيب بين
يدي السلطان أبي
سالم يستصرخه
لمولاه

سَلَا هَلْ لَدَيْهَا مِنْ مُحَبَّرَةٍ ذِكْرُ وهل أعشب الوادي ونَمَّ به الزَّهْرُ
وهل باكر الوسمي داراً على اللّوى عَفَتْ آيُهَا إِلَّا التَّوَهُّمُ وَالذِّكْرُ
بلادى التي عايطتُ مشمولَةَ الهوى بأَ كَنَافِهَا وَالْعَيْشُ فَيَنَانُ مُخَضَّرُ
وَجَوَى النّدى رَبِّي جَنَاحِي وَكُرُّهُ فَمَا أَنَا ذَا مَالِي جَنَاحَ وَلَا وَكُرُّهُ

- (١) هو السلطان المولى أبو سالم ، كما سيأتى قريباً .
- (٢) كذا في النسخة الخطية من تقيع الطيب . وفي ت والنسخة المطبوعة : « عنها » .
- يريد : من وادى آتش ، أو عن وادى آتش .
- (٣) كذا في تقيع الطيب . وفي ت : « وأرسل » .
- (٤) ما بين القوسين زيادة عن ت وتهج الطيب .

نَبَتْ بِي لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ وَلَا نَسَخَ الْوَصْلِ الْمُنَى بِهَا هَجْرُ
وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا قَلِيلٌ مَتَاعُهَا وَلَذَاتُهَا دَأْبًا تَزُورُ وَتَزُورُ
فَن لِي بِقُرْبِ التَّعَدُّ مِنْهَا وَدُونِهَا مَدَى طَالِ حَتَّى يَوْمُهُ عِنْدَنَا شَهْرُ
وَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَانَا وَلِلْأَمَى ضِرَامٌ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ سَجَرُ
وَقَدْ بَدَّدَتْ دُرَّ الدَّمُوعِ يَدُ النَّوَى ^(١) وَلِلشُّوقِ أَشْجَانُ يَضِيقُ لَهَا الصَّدْرُ
بَكَيْنًا عَلَى النَّهْرِ الشَّرُوبِ عَشِيَّةً ضَادَ أَجَالًا بِمَدَنَا ذَلِكَ النَّهْرِ
أَقُولُ لِأَطْعَامِي وَقَدْ غَالَهَا الشَّرَى وَأَنَسَهَا الْحَادِي وَأَوْحَشَهَا الزَّجَرُ
رَوَيْدِكَ بِمَدِ الشَّرِّ يُسْرَ أَنْ أَبْشِرِي بِإِنْجَازِ وَعْدِ اللَّهِ قَدْ ذَهَبَ الشَّرُّ
وَلَهُ فِينَا سِرٌّ غَيْبٌ وَرُبَّمَا أَتَى النَّفْعُ مِنْ حَالٍ أُرِيدُ بِهَا الضَّرُّ
وَلِنْ تَخْضِنَ الْأَيَّامُ لَمْ تَخْضِنِ النَّهْيَ وَإِنْ يَخْذُلُ الْأَقْوَامُ لَمْ يَخْذُلِ الصَّبْرُ
وَإِنْ هَرَّكَتْ مَتَى الْخَطُوبُ مَجْرَبًا نِقَابًا تَسْلُوِي عِنْدَهُ الصَّلَاةُ وَالْمَرْ ^(٢)
قَدْ صَجَّتْ عَوْدًا صَلِيلًا عَلَى الرَّدَى ^(٣) وَعَزَمًا ^(٤) كَمَا تَمْضِي لِلْمَتَدَةِ الْبُتْرِ
إِذَا أَنْتَ بِالْبَيْضَاءِ قَرَّرْتِ ^(٥) مَنَزَلِي فَلَا اللَّحْمُ حِلٌّ مَا حَيِيْتُ وَلَا الظَّهْرُ
زَجَرْنَا يَا إِبْرَاهِيمَ بُرْءٌ ^(٦) مُهْمُونَا فَلَا رَأْيُنَا وَجْهَهُ صَدَقَ الزَّجَرُ
بِمُنْتَحَبٍ مِنْ آكَلِ يَعْقُوبَ كَلَّمَا دَجَا الْخَطْبُ لَمْ يَكْذِبْ لَعَزَمَتُهُ فَجَرُ
تَنَاقَلَتِ الرُّكْبَانُ طَيْبَ حَدِيثِهِ فَلَا رَأْيَهُ صَدَقَ الْخُبْرُ الْخُبْرُ
نَدَى لَوْ حَوَاهِ الْبَحْرُ لَدَّ مَدَاقُهُ وَلَمْ يَتَعَقَّبْ مَدَّهُ أَبَدًا جَزَرُ

(١) كَذَا فِي طَوْعِ الطَّيْبِ . وَقِي ت : « الْهَوَى » .

(٢) النَّقَاب : الْفُطْنُ الْمَالُ بِالْأَشْيَاءِ .

(٣) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيْبِ . وَقِي ط : « النَّوَى » . وَقِي ت : « النَّبَى » .

(٤) كَذَا فِي طَوْعِ الطَّيْبِ . وَقِي ت : « وَهْرًا » .

(٥) كَذَا فِي النُّسخَةِ الْخَطِيَّةِ وَالطَّبُوعَةِ مِنْ نَفْحِ الطَّيْبِ . وَقِي الْأَصْلَيْنِ : « قَرَّرْتِ » .

(٦) كَذَا فِي تَوْعِ الطَّيْبِ . وَقِي ط : « جَل » .

وَبِأَسْ غَدَا يَرْتَاعُ مِنْ خَوْفِهِ الرَّدَى
أَطَاعَتْهُ حَتَّى الثَّمَنُ فِي قُنَنِ الرِّبَا
قَصَدْنَاكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَلَى النَّوَى
كَفَفْنَا بِكَ الْأَيَّامَ مِنْ غُلَوَاتِهَا
وَعُدْنَا بِذَلِكَ الْمَجْدَ فَانصَرَمَ الرَّدَى
وَلَمَّا أَتَيْنَا الْبَحْرَ يَرْهَبُ مَوْجُهُ
خِلَافَتُكَ الشُّطَى وَمَنْ لَمْ يَدِنْ بِهَا
وَوَصَفَكَ يَهْدِي لِلدَّحْ قَصَدَ صَوَابَهُ
دَعَيْتَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْلَصْتَ
وَمُدَّتْ إِلَى اللَّهِ الْأَكْفَ ضَرَاةً
وَأَلْبَسَهَا الثُّغْمَى بِيَبَيْعَتِكَ الَّتِي
فَأَصْبَحَ ثَغْرُ الثَّغْرِ يَتَسَمَّ ضَاكِحًا
وَأَمْنَتْ بِالسَّلَامِ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا أَبُوكَ مُبْصَرًّا^(١) [
وَكُنْتَ خَلِيقًا بِالْإِمَارَةِ بِمَدَّةِ
وَأَوْحَشْتَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ هَالَةً
فَرَدَّ عَلَيْكَ اللَّهُ حَقَّكَ إِذْ قَضَى
وَقَادَ إِلَيْكَ الْمُلْكَ رِقْقًا بِخَلْقِهِ

وَرَفُلٌ فِي أَتَوَابِهِ الْقَتَاةُ الْبِكْرُ
وَهَشَّتْ إِلَى تَأْمِيلِهِ الْأَنْحُمُ الزُّهْرُ
لَتُنْصِفْنَا مِمَّا جَنَى عَبْدُكَ الدَّهْرُ
وَقَدْ رَابِنَا مِنْهَا التَّشْفُ وَالْكِبَرُ
وَلَدْنَا بِذَلِكَ الْعِزَّ [فَانْهَزَمَ الدَّهْرُ
ذَكَرْنَا نَدَاكَ الْفَمَرُ^(٢)] فَاحْتَقِرَ الْبَحْرُ
فَأَيْمَانُهُ لَقَوُ وَعِرْفَانُهُ نُكْرُ
إِذَا صَلَّيْتَ فِي أَوْصَافٍ مِنْ دُونِكَ الشُّعْرُ
وَقَدْ طَابَ مِنْهَا السَّرُّ لِلَّهِ وَالْجَبَرُ
قَالَ لَهُنَّ اللَّهُ قَدْ قَضَى الْأَمْرُ
لَهَا الطَّائِرُ التَّيْمُونُ وَالْمَحْتَدُ الْحُرُ
[وَقَدْ كَانَ مِمَّا نَابَهُ لَيْسَ يَفْقَرُ
فَلَا ظُلْمَةَ تَعْرِى وَلَا زَوْعَةَ تَعْرِى
بَأَنَّكَ فِي أَبْنَائِهِ الْوَلَدَ الْبَرُّ
عَلَى الْقَوْرِ لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ قَدَرُ
أَقَامَتْ زَمَانًا لَا يُلَوِّحُ بِهَا^(٣) الْبَذَرُ
بَأَنَّ تَشْمَلَ الثُّغْمَى وَيَنْسُدُّ السَّتْرُ
وَقَدْ عَدِمُوا رَكْنَ الْإِمَامَةِ وَاضْطَرُّوا

(١) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب (ج ٣ ص ٤٧ طبعه بلاق) . وفي ت : « لها » .

وزادك بالتعويض عزاً ورفعة
وأنت الذى تدعى إذا دهم الردى
وأنت إذا جار الزمان مُحْكَمٌ
وهذا ابن نصر قد أتى وجنأه
غريب يُرْجَى منك ما أنت أهله
فَرُّ يا أمير المسلمين ^(١) بَيْتِيمة ^(٢)
ومثلك مَنْ يَرْعى النّخيلَ ومن دَعَا
وَحْذا يا إمامَ الحقِّ ^(٣) بالحقِّ نأزّه
وأنت لها يانصرَ الحقِّ فلتنم
فإن قيل مالٌ مالُك الدهرَ وافِرٌ
يَكفُّ بك المادى ويَحْيى بك الهدى
أعِذه إلى أوطانه عنك راضياً
وعاجل قلوبَ الناس فيه بجبّرها [١٧٤]
وهم يرقبون الفعل منك وصنفة
سرامك سهل لا تؤودك كلفة
وما الثمر إلا زينة مُستارة
ومن باع ما يفتنى بياقي مغلدة

وأجراً ولولا السبكُ ما عُرِفَ ^(٤) الثَّبر
وأنت الذى تُرْجَى إذا أخلف القَطَر
لك النقص والإبرامُ والنهْيُ والأمر
مهيضٌ ومن عُليك يُلتَمَسُ الجَبَر
فإن كنتَ تَبْقَى الفخر قد جادك الفخر
مؤتقة قد حلَّ عُروشها النّادر
ييا لمرين جاءه الصرّ والنصر
ففى ضين ما تأتى به العِزُّ والأجر
بحقِّ فما زيدٌ يُرْجَى ولا تمرو
وإن قيل جيشٌ عندك المسكر المَجْر
ويبقى بك الإسلام ما هدم الكفر
وطوّقه نعمك التى الما حصر
قد صدم عنه التنبُّ والتَهَر
تُحاولها يُمنّاك ما بعدها خسر
سوى عَرْض ما إن له فى العُلا خَطَر
تُرَدُّ ولكنّ الثناء هو العُز
قد أُنْجِح المسمى وقد رَجح الثَّجَر

(١) كذا فى ط وضع الطيب . وفى ت : « لم يعرف » .

(٢) فى ط : « للؤمنين » .

(٣) كذا فى نفع الطيب . وفى الأصلين : « لبيته » .

(٤) كذا فى ت وضع الطيب . وفى ط : « الحق » .

وَمِنْ دُونِ مَا تَبَغَّيْهِ يَا مَلِكَ الْهُدَى
وَرَادَّ وَشَقَّرَ وَاحْتَاتِ شِيَاتِهَا
وَشَهَبٌ إِذَا مَا ضَرَّتْ يَوْمَ غَارَةٍ
وَأَسْدُ رَجَالٍ مِنْ مَرَيْنٍ خُفِيَةٍ
عَلَيْهَا مِنَ الْمَاضِي كُلِّ مُقَاضَةٍ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ هَبُّوا لَكَشَفَ مَلَكَةٌ
إِذَا سَبَّحُوا أَعْطَوْا وَإِنْ نَوَزُوا سَطَّوْا
وَإِنْ مَدَحُوا اهْتَزَّوْا ارْتِيَاكًا كُلَّهُمْ
وَإِنْ سَمِعُوا الْقَوَاءَ فَرَّوْا بِأَنْفُسِ
وَيَسِيمٌ مَا بَيْنَ الْوَشِيحِ ثَنُورُومٍ
أَمُولَايَ غَاضَتْ فِكْرَتِي وَتَبَلَّدَتْ
وَلَوْلَا حَنَانٌ مِنْكَ دَارَكْتَنِي بِهِ
فَأَوْجَدْتَنِي مَتَى فَائِتَا أَيْ فَاثَتْ
بَدَأْتَ بِفَضْلٍ لَمْ أَكُنْ لِعَظِيمِهِ
وَطَوَّقْتَنِي الثُّعْمَى لِلضَّاعِفَةِ الَّتِي
وَأَنْتَ بِنَتِيمِ الصَّنَاعِ كَافِلٌ
جَزَاكَ الَّذِي أَسْنَى مَقَامَكَ عِصْمَةً
إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِمَذْحَةٍ
وَلَكِنَّا نَأْتِي بِمَا نَسْتَطِيعُهُ

جِيَادُ الْمَدَاكِي وَالْمُحْجَلَةُ الْفَرْ
فَأَجْسَامُهَا تَبَرُّ وَأَرْجُلُهَا دُرٌّ
مَطْهَمَةٌ غَارَتْ بِهَا الْأَنْجُمُ الزَّهْرُ
عَمَامُهَا بَيْضٌ وَأَسَالِمُهَا سُمُرُ
تِدَافِعُ فِي أُعْطَافِهَا التَّجِجُ الْخُضْرُ
فَلَا الْمُلْتَقَى صَنَبٌ وَلَا الرُّتَقَى وَغَرُ
وَإِنْ وَاعِدُوا وَقَوَّاءُ وَإِنْ عَاهَدُوا بَرَّوْا
نَشَاوَى تَمَسَّتْ فِي مَعَاطِفِهِمْ خَرُ
حَرَامٌ عَلَى هِمَامَتِهَا فِي الْوَعَى الْقَرَّ^(١)
وَمَا بَيْنَ قُضْبِ النَّوْحِ يَنْتَسِمُ الزَّهْرُ^(٢)
طِيَاعِي فَلَا طَبْعٌ يُعِينُ وَلَا فِكْرُ
وَأُحْيَيْتَنِي لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
وَأَنْشَرْتَ مَيِّتًا ضَمَّ أَشْلَاهُ قَبْرُ
بِأَهْلِ فَجَلِّ اللَّطْفِ وَاتَّقِرَجِ الصَّدْرُ
يَقِلُّ عَلَيْهَا مَتَى الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
إِلَى أَنْ يَمُودَ الْجَاهُ وَالْعِزُّ وَالْوَفَرُ
يُفَكُّ بِهَا عَانَ وَيُنْعَشُ مُضْطَرُّ
فَهَيْتَ يُحْصَى الرَّمْلُ أَوْ يُحْصَرُ الْقَطْرُ
وَمَنْ بِذِلِّ الْمَجْهُودِ حَقٌّ لَهُ الْمُدَّرُ

(١) الموراء : الكلمة الضيعة .

(٢) الوشيح : الرماح .

فلا تسأل عن امتعاض وانتقاض^(١)، وسداد أنحاء في التأثر لنا وأغراض،
والله غالب على أمره .

انصرافه
السلطان
أبي عبد الله
إلى الأندلس

[١٢٠] وفي صبيحة يوم السبت السابع عشر من شهر شوال عام اثنين وستين
وسبع مئة كان انصرافه إلى الأندلس ، وقد ألح صاحب قشتالة في طلبه ،
وترجع الرأي على قصده ، فعمد السلطان بقية المرض من جنة المصارة ، وبرز
الناس وقد أمهمهم الترحم^(٢) ، واستحضرت البنود ، والطبول والآلة ، وألبس خلعة
للك ، وقيدت له مرأكه فاستقل^(٣) ، وقد التف عليه كل من جلا عن الأندلس
من لذين الكائنة في جملة كثيفة ، ورئى من رقة الناس وإجهاشهم وعلو
أصواتهم بالهداء ما قدم به العهد ، إذ كان تظنة ذلك سكوناً وعطافاً^(٤) . وقربا ،
قد ظله الله برواق الرحمة ، وعطف عليه وشائج المحبة ، إلى كونه مظلوم القعد ،
منزع الحق ، فتمتعه الخواطر ، وحجيت عليه الأنفس ، وانصرف لوجهته ؛ وهو
الآن برئدة مستقل بها وبجهاتها ، ومقتنع برسم [سلطنتها^(٥)] . وقد قام له برسم
الوزارة الشيخ القائد أبو الحسن علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي ، وبكتابته
الفقيه أبو عبد الله بن زمرق ، وقد استفاض عنه من الحزم والتدرب والتيقظ
للأمور والمعرفة بوجوه المصالح ما لا يُنكر ، كان الله له ولنا بفضل .
اتهى كلام ابن الخطيب في اللوحة البدرية .

(١) كذا في فتح الطيب المطبوع والمخطوط . وفي الأصلين : « وانتفاض » .

(٢) البربع (كلمة دخيلة وهي كما في دوزي) : بمعنى الصرخ ، أو إعلان الحرب ، أو
التهافت بالنسيئة .

(٣) كذا في النسخة الخطية من فتح الطيب . وفي الطبعة والأصلين : « وعفا » .

(٤) زيادة عن فتح الطيب . ومكان هذه الكلمة في ط : « الوزارة » .

وقد عرفت أنه في ذلك التاريخ لم يكن دخل السلطان غرناطة ، ولم يلحق به ابن الخطيب حتى دخلها .

وقد ذكر ولي الدين بن خلدون هذه الواقعة في تاريخه الكبير ، وأحسن سردها ، فقال في ترجمة أيام السلطان أبي سالم مانسه :

خير هذه القصة
كما رواها ابن
خلدون

الخبر عن خلع ابن الأحمر صاحب غرناطة
ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين [وسبع مئة^(١)] ونصب ابنه محمد للأمر ، واستبد عليه رضوان مولى أبيه ، وكان قد رشح ابنه الأصغر إسماعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته ، فلما عدلوا بالأمر عنه حجبوه ببعض قصورهم ، وكان له صهر من ابن عمه محمد بن إسماعيل بن الرئيس أبي سعيد ، فكان يدعوهم سرا إلى القيام بأمره ، حتى أمكنته فرصة في الدولة بخروج السلطان [١٢٦] إلى بعض مُنتزحاته برياضه ، فصعد سور الحمراء ليلة سبع وعشرين لرمضان من سنة ستين في [بعض^(٢)] أوشاب جمعهم من الطعام ثورته ، وعمد إلى دار الحاجب رضوان ، فاقتحم عليه الدار ، وقتله بين حرمه وبناته ، وقرَّبوا إلى إسماعيل فرسه فركب ، فأدخلوه القصر ، وأعلنوا بيعته ، وقرعوا طبولهم بسور الحمراء ، وفر السلطان من مكانه بمنتزحه ، فلحق بوادي آش ، وغدا^(٣) الخاصة والعامة على إسماعيل فبايعوه ، واستبد عليه هذا الرئيس ابن عمه ، فخلعه لأشهر^(٤) من بيعته ، واستقل

(١) زيادة عن فتح الطيب .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٠٦ طبعه بلاق) .

(٣) للكلام من قوله «وغدا» إلى قوله «بوادي آش» ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٤) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : «خلعه لأمهرين» .

بسلطان الأندلس . ولما لحق السلطان أبو عبد الله محمد بوادي آش ، بعد مقتل حاجبه رضوان ، واتصل الخبير بالسلطان للمولى أبي سالم ، امتنع للملك رضوان ، وخلع السلطان رعيًا لما سلف له في جوارهم ، وأزعج لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقدامه ، فوصل إلى الأندلس ، وعقد مع أهل الدولة على إجازة الخلوغ من وادي آش إلى المغرب ، وأطلق من اعتقالهم الوزير الكاتب أبا عبد الله ابن الخطيب ، كانوا اعتقالوه لأول أمرهم ، لما كان رديفًا للحاجب رضوان ، ورُكنا لدولة الخلوغ ، فأوصى المولى أبو سالم إليهم بإطلاقه فأطلقوه ؛ ولحق مع الرسول أبي القاسم الشريف بسلطانه الخلوغ بوادي آش للإجازة إلى المغرب ، وأجازَ لِندي القعدة من سنته ، وقَدِمَ على السلطان بفاس ، وأجَلَ قدومه ، وركب لِقائه ، ودخل به إلى مجلس ملكه ، وقد احتفل ترتيبه وعُصَ بالمشيخة والعُلية ، ووقف وزيره ابن الخطيب ، فأنشد السلطان قصيدته الرائية يستصرِّحُه لسلطانه ، ويستحشُّه لمظاهرة على أمره ، واستعطف واسترحم بما أبكى الناس ، شفقة له ورحمة .

ثم سرَّد وليّ الدين بن خلدون القصيدة التي قدمنا ذكرها إلى آخرها ، قال (١) : ثم انفض المجلس ، وانصرف ابن الأحرار إلى منزله (٢) وقد فرشت له القصور ، وقُرِّبت الجياد بالمرابك الذهبية ، وبُعث إليه بالكُمى الفاخرة ، ورُتبت الجرايات له ولمواليه من المغلوجي (٣) ، وبطانته من الصنائع ، وحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ، ولم يفقد من ألقاب ملكه إلا الآلة (٤) ،

(١) ق ت : « ثم قام ثم انتهى ... إلخ » .

(٢) كذا في ت وفتح الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي ط : « منزله » .

(٣) يريد المغلوجين ، أي للموالى من النصارى . (عن نكلة المصباح لبوزي) .

(٤) في تاريخ ابن خلدون : « الأداة » .

أدبا مع السلطان ، واستقر في مجلته إلى أن كان من لحاقه بالأندلس ، وارتجاع
ملكه سنة ثلاث وستين ، ما نحن نذكره .

اتمى كلام ابن خلدون ، وفيه بعض مخالفة يسيرة لكلام ابن الخطيب في
اللمحة البدرية .

ولا بد أن نمرّد كلام ابن خلدون في شأن ابن الخطيب ، إذ ذكره في ترجمة
السلطان أبي فارس ابن السلطان أبي الحسن للرّبي بما نصه : هـ. عن أحوال
ابن الخطيب كما
رواه ابن خلدون

الخبر عن قدوم الوزير ابن الخطيب على السلطان بتلسان
نازعا إليه عن سلطانه ابن الأحمر صاحب الأندلس

أصل هذا الرجل من لَوْشَة ، على مرحلة من غرناطة ، في الشمال من البسيط
الذي فيه ساحتها ، المسمى بالترّج ، على وادي شَنْجِيل ، ويقال شَنْبِيل ^(١) ، الخثرق ^(٢)
في ذلك البسيط من الجنوب إلى الشمال ، كان له بها سلفٌ معدود في وزرائها ،
وانتقل أبوه عبدُ الله إلى غرناطة ، [واستُخْدِمَ للملك بنى الأحمر ، واستعمل على
مخازن الطعام ، ونشأ ابنه محمد بقرناطة ^(٣)] وقرأ وتادّب على مشيختها ، واختصّ
بصحبة الحكم المشهور يحيى بن هُذَيْل ، وأخذ عنه العلوم الفلسفية ، وبرّز في
الطب ، وانتحل الأدب ، وأخذ عن أشياخه ، وامتلا حوض ^(٤) السلطان من نظمه

(١) كذا في الأصلين وابن خلدون . وظاهر أن الكلمتين محرفتان عن « شنبيل »
وهو اسم نهر غرناطة الشهير ، وقد ولح الشعراء بوصف هذا الوادي وتفضيله على
النيل بزيادة الفين ، وهي ألف من العدد ، أي أنه يفضل النيل بألف ضعف .
(راجع فتح الطب ج ١ ص ٩٤ طبعة أوروبا والإحاطة ج ١ ص ٢٦) .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « المنحرف » .

(٣) هذه العبارة ساقطة في ط .

(٤) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين وفتح الطب : « وامتلا من حول
السلطان نظمه » .

ونثره ، مع انتقاء الجيد منه ، ونبيغ في الشعر والترسيل ، بحيث لا يجارى فيها ،
وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بني الأحمر لعصره^(١) ، وملاً الدنيا بمدائحهم ،
وانتشرت في الآفاق ، فرقاه السلطان إلى خدمته ، وأثبتته في ديوان الكتاب
ببابه ، مرءوساً بأبي الحسن بن الجيَّاب ، شيخ المُدَوِّنين في النظم والنثر ، وسائر
العلوم الأدبية ، وكاتب السلطان بفرناطة من لدن أيام محمد الخلوع من سلفه ، [١٢٨]
عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم السَّيِّد عليه ، كما مرَّ في أخبارهم . فاستبد
[ابن الجيَّاب برئاسة الكتاب من يومئذ إلى أن هلك في الطاعون الجارف
سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فولَّى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد^(٢)
ابن الخطيب رئاسة الكتاب^(٣) ببابه ، مُتَّئِةً بالوزارة ، ولقبه بها ، فاستقل
بذلك ، وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك المُدَوِّنة ،
ثم داخله السلطان في تولية الثُّمَال على يده بالمشارطات ، فجمع له بها أموالاً ،
وبلغ به في الخاطلة^(٤) إلى حيث لم يبلغ بأحد ممن قبله ؛ وسَفَر عنه إلى السلطان
أبي عِنايَ ملك بني مَرِّين بالمُدَوِّنة ، معزياً بأبيه السلطان أبي الحسن ، فغُلِّي في
أغراض سفارته . ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ، عدا عليه
بعض الزعاف [يوم الفطر بالمسجد]^(٥) في سجوده للصلاة ، وطنعه فأشواه ،
وقاظ لوقته^(٦) وتعاورت سيوف اللوالمى للملوحى^(٧) هذا القاتل ، فزقوه أشلاء ،

(١) هذه الكلمة : « لعصره » . ساقطة في ت وتاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . وقت : « الكتابة » .

(٤) صكنا في ت والنسخة الخطية من فتح الطيب . وفي ط وابن خلدون والنسخة

الطبعة من فتح الطيب : « في الخاطلة » .

(٥) هذه العبارة : « وقاظ لوقته » ساقطة في ت . وقاظ : مات .

(٦) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

وبويح ابنه محمد [بالأمر] ^(١) لوقته ، وقام بأمره مولا م رضوان ، الراسخ القدم في قيادة عساكرهم ، وكفالة الأصاغر من ملوكهم ، واستبد بالدولة ، وأُفرد ابن الخطيب بوزارته . كما كان لأبيه ، [واتخذ لكتابته غيره] ^(٢) وجعل ابن الخطيب رديفا له في أمره ^(٣) ، ومشاركا في استبداده معه ، فجرت الدولة على أحسن حال ، وأقوم طريقة ، ثم يشوا الوزير ابن الخطيب سفيرا إلى السلطان أبي عنان ، مستعدين له على عدوم الطاغية ، على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه ، تقدم الوفد الذين معه من وزراء الأندلس وقضاها ، واستأذنه في إنشاد شعر ^(٤) قدّمه بين يدي نجواه ، فأذن له ، وأنشد وهو قائم :

خَلِيفَةُ اللَّهِ سَاعَدَ الْقَدْرُ عَلَاكَ مَا لَاحَ فِي الدَّجَى قَمْرُ
وَدَاقَتْ عَنْكَ كَفُّ قُدْرَتِهِ مَا لَيْسَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ الْبَشَرُ
وَجَهَكَ فِي النَّائِبَاتِ بَدْرُ دَجَى لَنَا وَفِي اللَّحْلِ كَفَّكَ الْمَطَرُ
وَالنَّاسُ طُرًّا بِأَرْضِ أُنْدَلُسَ لَوْلَاكَ مَا أُوطِنُوا وَلَا عَمَرُوا
وَجَمَلَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ وَطَنُ فِي غَيْرِ عُلْيَاكَ مَا لَهُ وَطَرُ ^(٥)
وَمِنْ بِهِ مَذْ ^(٥) وَصَلَتْ حَبْلَهُمْ مَا جَعَدُوا نِعْمَةً وَلَا كَفَرُوا
وَقَدْ أَهْمَتْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ فَوَجَّهُونِي إِلَيْكَ وَانْتَظَرُوا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له في الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس :

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٢) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون . وفي ت ونهج الطيب : « رديفا لرضوان في أمره » .

(٣) في تاريخ ابن خلدون : « شيء من الشعر » .

(٤) هنا البيت ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٥) كذا في نهج الطيب وتاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « قد » .

ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم ، ثم أُنقل كاهلهم بالإحسان ، وردّهم بجميع ما طلبوه . وقال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف ، وكان معه في ذلك الوفد : لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا .

ومكثت دولتهم هذه بالأندلس خمس سنين ، ثم ثار بهم محمد الرئيس ابن عم السلطان ، شرّكه في جدّه الرئيس أبي سعيد ، وتجنّ خروج السلطان إلى متزّجه خارج الحمراء ، وتسوروا دار الملّك المعروفة بالحمراء ، وكبس رضوان في بيته ، فقتله ونصب للملّك إسماعيل بن السلطان أبي الحجاج ، بما كان صهّره على شقيقته ، وكان معتقلاً بالحمراء ، فأخرجه ، وبايع له ، وقام بأمره مستبداً عليه ، وأحسن السلطان محمد قبرع الطبول وهو بالبستان ، فركب ناجياً إلى وادي آش ، وضبطها ، وبث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملّك آباه بالمغرب ، وقد كان متّواه أيام أخيه أبي عتّان عندهم بالأندلس ، واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب ، وضيق عليه في محبسه ، وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس ، وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم ، فزيّن له استدعاء هذا السلطان الخلوّع من وادي آش ، يؤدّه زبوناً^(١) على أهل الأندلس ، ويكفّ به عادية القرابة المرشحين هنالك ، متى^(٢) طمحووا إلى ملك المغرب ، فقبل ذلك منه ، وخاطب أهل الأندلس في تسهيل طريقه من وادي آش إليه ، وبثّ من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم التليّساني ، وحمله مع ذلك الشفاعة في ابن الخطيب ، وحلّ مُعتقله ، فأطلق ؛ وسحب الشريف أبا القاسم إلى وادي آش ، وسار في ركاب سلطانه ، وقدموا على

(١) زبونا ، أي حرياً وفرة . (انظر تكملة المعجم لنبوزي مادة زين) .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي ط : « كما » . وفي ت : « بمن » .

السلطان أبي سالم ، فاهتزَّ لتقدم ابن الأحر ، وركب في الوكب لتلقيه ، وأجلسه
إزاء كرسيه ، وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما سر ، يستصرخ السلطان لنصره ،
فوعده ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد مر ذكره ، ثم أكرم مشواه ، وأرغد نزلَه ،
ووفر أرزاق القادمين في ركابه ، وأرغد عيش ابن الخطيب في الجارية والإقطاع .
ثم استأنس ^(١) واستأذن السلطان في التجوال بجهات ^(٢) مراكش ، والوقوف على
آثار التلك بها ، فأذن له وكتب إلى المماليك باتحافه ، فتبارزوا ^(٣) في ذلك ،
وحصل منه على حظ . وعند ما مر بسلا إثر قفوله من سفره ، دخل مقبرة الملوك
بشالة ، ووقف على قبر السلطان أبي الحسن ، وأنشد قصيدة على روى الزاه
[الموصولة] ^(٤) ، يرثيه ويستجير به في استرجاع ضياعه بفرانطة ، مطلعها :

إِنْ بَانَ مَنْزِلُهُ وَسَطَلَتْ دَارُهُ قَامَتْ مَقَامَ عِيَانِهِ أَخْبَارُهُ
فَسَمَّ زَمَانِكَ عِبْرَةً أَوْ عِبْرَةً هَذَا ثَرَاهُ وَهَذِهِ آثَارُهُ

فكتب السلطان أبو سالم في ذلك إلى أهل الأندلس بالشفاعة ، فسَفَّعوه ،
واستقر هو بسلا ، مُتَنَبِّذاً عن سُلْطَانِهِ طُولَ مُقَامِهِ بِالْمَدِينَةِ . ثم عاد السلطان محمد
الخلوع إلى ملكه بالأندلس سنة ثلاث وستين ، وبسَّث عن مُحَلِّفِهِ بِنَاسٍ مِنْ
الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَالْقَائِمِ بِالْقَوْلَةِ يَوْمَئِذٍ عَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَاسْتَقْدَمَ ابْنَ
الْخَطِيبِ مِنْ سَلَا ، وَبَشَّهَ لِنَظَرِهِ ، فَسَّرَ السُّلْطَانُ بِقُدُومِهِ ، وَرَدَّه إِلَى مَنْزِلَتِهِ ،
كَمَا كَانَ مَعَ رِضْوَانِ كَافِلِهِ ، وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ يَحْيَى بْنُ عَمْرِو بْنِ شَيْخِ الْفُرَاةِ وَابْنِ
أَشْيَاحِهِمْ قَدْ لَحِقَ بِالطَّائِفَةِ فِي رِكَابِ أَبِيهِ ، عِنْدَمَا أَحْصَى بِالْبُشْرِ مِنَ الرَّئِيسِ

(١) في ط وفتح الطيب : « استأنس » .

(٢) في تاريخ ابن خلدون : « في التحول إلى جهات . . . إلخ » .

(٣) في تاريخ ابن خلدون : « فتبارزوا » .

(٤) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

صاحب غرناطة ، وأجاز يحيى من هنالك إلى المدونة ، وأقام عثمان بدار الحرب ، فصحب السلطان [في ثموى اغترابه هنالك ، وتقلب في [مذاهب] ^(١) خدمته ، وانحرفوا عن الطاغية بعد ^(٢) ما نيسوا من الفتح على يده ، فتحوّلوا عنه إلى ثغور بلادهم ، وخطبوا [الوزير] ^(٣) عمر بن عبد الله في أن يملكهم من بعض الثغور القريبة ^(٤) التي لطاغيتهم ^(٥) بالأندلس ، يرتقبون منها الفتح ، وخطبوا السلطان الخلويع في ذلك ؛ وكانت بيني وبين عمر بن عبد الله أذمة مرعية ، وخاصة متأكدة ، فوفيت ^(٦) للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله ، وحملت على أن يرد عليه مدينة رندة ، إذ هي من ثراث سلفه ، فقيل إشارتي في ذلك ، وتسوّغها السلطان الخلويع ، ونزل بها وعثمان بن يحيى في جملته ، وهو القدم في بطائته ، ثم غزوا منها مائة ، فكانت ركابا للفتح ، وملكها السلطان ، واستولى بعدها على دار ملكه بقرناطة ؛ وعثمان بن يحيى متقدم القوم في الدولة ، عريق في المخالصة ، وله على السلطان دالة ، واستبداد على هواه . فلما وصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده ، وأعادته إلى مكانه في الدولة ، من علو يده ، وقبول إشارته ، أدركته العيرة من عثمان ، ونكر على السلطان الاستكفاء به ، و[أراه] ^(٧) التخوف من هؤلاء الأعياض ^(٨) على ملكه ، فخذره السلطان ، وأخذ في التدبير عليه ، حتى نكبه وأباه وإخوته في رمضان سنة أربع وستين ، وأودعهم ^(٩) المطبق ، ثم غرّبهم بعد ذلك ، وخلا لابن الخطيب

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) كذا في تاريخ ابن خلدون . وفي الأصلين : « عند » .

(٣) كذا في نفع الطيب وابن خلدون . وفي الأصلين : « القريبة » .

(٤) في تاريخ ابن خلدون . « أطاعتهم » .

(٥) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٦) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأعياض » .

(٧) في ط : « وأودعهم » .

الجو ، وغلب على هوى السلطان ، ودفع إليه تدبير الدولة ، وخلط بينه بُدْمَائِهِ وأهل خَلْوَتِهِ ، واتخذ ابن الخطيب بالحلّ والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، [١٣٢] وعَلِقَتْ بِهِ الآمال ، وَعَشِيَ بِأَبَةِ الْخَاصَةِ وَالْكَافَّةِ ، وَغَصَّتْ بِهِ بَطَانَةُ السُّلْطَانِ وَحَاشِيَتِهِ ، فَتَفَنَّنُوا^(١) فِي السَّعَايَاتِ فِيهِ ، وَقَدَّمُوا السُّلْطَانَ عَنْ قَبُولِهَا ؛ وَنَمَى الْخَبِيرُ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِ الْخَطِيبِ ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاعِدِهِ فِي التَّفْوِيزِ ، وَاسْتُخْدِمَ لِلسُّلْطَانِ عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ ، مَلِكُ الْعُدُوَّةِ يَوْمئِذٍ ، فِي الْقَبْضِ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي يَفْلُوسَ بْنِ السُّلْطَانِ أَبِي عَلِيٍّ ، كَانُوا قَدْ نَصَّبُوهُ شَيْخًا عَلَى الْفَزَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ ، لَمَّا أَجَازَ مِنَ الْعُدُوَّةِ بَعْدَ مَا جَاسَ خِلَالَهَا ، لَطَلَبَ الْمَلِكُ ، وَأَضْرَمَ بِهَا نَارَ الْفِتْنَةِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَأَحْسَنَ دِفَاعَهُ الْوَزِيرُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، الْقَائِمُ حِينَئِذٍ بِدَوْلَةِ بَنِي مَرْوَانَ ، فَاضْطُرَّ إِلَى الْإِجَازَةِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَأَجَازَ هُوَ وَوَزِيرُهُ مَسْعُودُ بْنُ مَاسَى ، وَنَزَلُوا عَلَى السُّلْطَانِ الْخُلُوعَ عَامَ سَبْعَةِ وَسْتَيْنَ ، فَأَكْرَمَ رُؤُسَهُمْ ، وَتَوَقَّى عَلِيٌّ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ شَيْخَ الْفَزَاةِ ، فَقَدَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ مَكَانَهُ . وَكَانَ السُّلْطَانُ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَدْ اسْتَبَدَّ بِمُلْكِهِ بَعْدَ مَقْتَلِ الْوَزِيرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَخَصَّ بِمَا فَعَلَهُ السُّلْطَانُ الْخُلُوعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَتَوَقَّعَ انْتِقَاضَ أَمْرِهِ مِنْهُمْ ، وَوَقَفَ عَلَى مَخَاطِبَاتِ مَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَسِرُّ بِهَا فِي بَنِي مَرْوَانَ ، فَجَزَعَ لِنَظَرِهِ ، وَدَاخَلَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي اعْتِقَالِ ابْنِ يَفْلُوسَ وَابْنِ مَاسَى ، وَإِرَاحَةِ نَفْسِهِ مِنْ شُغْلِهِمْ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْمَكَانُ مِنْ دَوْلَتِهِ مَتَى نَزَعَ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَتَبَ لَهُ الْعَهْدَ بِمُخْطَلِهِ ، عَلَى يَدِ سَفِيرِهِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَكَاتِبِهِ أَبِي يَحْيَى بْنِ أَبِي مَدِينٍ^(٢) ؛ وَأَغْرَى ابْنُ الْخَطِيبِ سُلْطَانَهُ بِالْقَبْضِ عَلَى ابْنِ يَفْلُوسَ وَابْنِ مَاسَى ، فَقَبِضَ عَلَيْهِمْ [١٣٣] وَاعْتَقَلَهُمْ ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ اسْتَحْكَمَتْ نَفَرَةُ ابْنِ الْخَطِيبِ لِمَا بَلَمَّهَ عَنِ الْبَطَانَةِ ،

(١) فِي تَارِيخِ ابْنِ خَلِّدُونَ : « خَرَّاقُوا عَلَى ... إلخ » .

(٢) الْعَبَّارَةُ مِنْ قَوْلِهِ : « فَجَزَعَ » إِلَى هُنَا سَاقِطَةٌ فِي تَارِيخِ ابْنِ خَلِّدُونَ .

من القدح فيه والسعاية ، وربما تخيل أن السلطان مال إلى قبورها ، وأنهم قد أحفظوه عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان في تنقذ الثغور [الغربية] ^(١) ، وصار إليها في لئمة من فرسانه ، ومعه ابنه علي الذي كان خالصة للسلطان ، وذهب لطبيته ، فلما حاذى جبل الفتح ، فرضة الجاز إلى المدوة ، مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . [وقد كان السلطان عبد العزيز أوعز إليه بذلك ، وجهز له الأسطول من حينه ، فأجاز إلى سبتة ، وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة ، وامتنال المراسم ، ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين ، بمقامه تليسان ، فاهتزت له الدولة ، وأركب السلطان خاصته لتلقيه] ^(٢) ، وأحلّه من مجلسه بمحل الأمن والنبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعمرة ، وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في أهله وولده ، فجاء بهم على أكل حالات الأمن والتكرمة ، ثم أكثر ^(٣) المنافسون له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عثراته ، وإبداء ما كان كائناً في نفسه من سقطاته ، وإحصاء معائبه ، وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة إلى الزندقة ، أحصوها عليه ونسبوها [إليه] ^(٤) ، ورُفِست إلى قاضي الحضرة أبي الحسن بن الحسن فاسترعاها ، وسجّل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز في الانتقام منه بتلك السجّلات ، وإمضاء حكم الله فيه ، فصمّ عن ذلك ، وأبى لئقته أن تخفر ، ولجواره أن يرّد ، وقال لهم : هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأتمّ علون بما كان عليه ! وأما أنا فلا يخلص إليّ بذلك أحد ما كان في جوارى ؛ ثم وفر

(١) زيادة عن تاريخ ابن خلدون .

(٢) زيادة عن ت وابن خلدون ونفع الطيب .

(٣) في ابن خلدون : « لفظ » .

الجريّة والإقطاع له ولبنيه ، ولمن جاء من أهل الأندلس في جلته . فلما هلك
السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ، ورجع بنو مرين إلى المغرب ، وتركوا [١٣٤]
تِلْسان ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غازي ، القائم بالدولة ، فنزل
بفاس ، واستكثر من شراء الضياع ، وتأثق في بناء المساكن ، واغتراس
الجنات ، وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى ،
واتصلت حاله على ذلك ، إلى أن كان ما نذكره .

انتهى كلام ابن خلدون وأكثره بلفظه .

قلت : وقد وقعت على كتاب للقاضي أبي الحسن بن الحسن المذكور يخاطب
به ابن الخطيب ويعظه ، ويشير إلى ما اشتغل به من البنيان ، وفيه ما بين كلام
ابن خلدون السابق وزيادة ، وما يدل على ما ذكره ابن خلدون من أنه سَجَل
عليه بأمور منكرة ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وقد أسقطت بعضه اختصارا ،
ونص ما تعلق به الغرض قوله يخاطب الوزير ابن الخطيب :

كتاب القاضي
أبي الحسن إلى
ابن الخطيب

فشرعتم في الشراء ، وتشديد البناء ؛ وتركتم الاستعداد لهادم الذات ،
هيئات هيئات ؛ تبنون مالا تسكنون ، وتدخرون مالا تأكلون ، وتؤملون مالا
تدركون ؛ أينما تكونوا يدرككم اللوت ولو كنتم في بروج مُسَيَّدة ، فأين للهرب
مما هو كائن ! ونحن إنما نتقلب في قدرة الطالب ، شرقتم أو غرقتم ، [والأيام
تتقاضى الدين ، وتنادى بالنفس القرارة إلى أين إلى أين ! وترك الكلام مع
التأقّد] ^(١) فيما ارتكبه من تزكيته نفسه ، وعدّ ماجله من مناقبه ، ما عدا ما هدد
به من حديد لسانه ، خشية اندراجه في نكط من قال فيه رسول الله صلى الله عليه

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت وفتح الطيب .

وسلم : « إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحْشه »^(١) . ولا غيبة فيمن ألقى جلباب الحياء عن وجهه ؛ وزحجه على ما أبداه وأهداه من السيوب التي نَسَبها لأخيه ، واستراح على قوله بها فيه ، ونذكره على طريقة نصيحة الدين ، بالحديث الثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : [١٣٥] « أتدرون من المُفْلِس ؟ قالوا : للفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ! فقال : إن المُفْلِس من أُمِيت من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فُتيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » . ويعلم الله أن معنى هذا الحديث الثابت عن النذير الصادق ، هو الذي حملني على نصحك ومُراجعتكم في كثير من الأمور ، منها الإشارة عليكم بإذهاب عين ما كتبتم به في التاريخ وأمثاله ، فإنكم تفتن بما وقستم فيه من الغيبة المحرمة أحياء وأمواتاً ، لغير شيء حصل بيدكم ، وضررتم أنفسكم بما رتبتم لهم من المطالبات بنص الكتاب والسنة قبلكم ، والرضا بهذه الصفة الخاسرة أمر بعيد من الدين والعقل . وقد قلت لكم غير ما سرّ عن أطراسكم للسودة ، بما دعوتهم إليه من البدعة ، والتلاعب بالشرية : إن حقها التخريق والتحريق ، وإن من أطراها لكم فقد خدع نفسه وخدعكم ، والله الشهيد بأنني نصحتكم وما غششتكم ، وليس هذا القول وإن كان ثقيلاً عليكم ، بمُخالف كل الحفافة لما ذنبتم^(٢) به من تقدم المواجهة بالملاطفة ، والمعاملة بالمسكارمة ، فليست للدارة بقادحة في الدين ، بل هي محمودة

(١) الحديث كما في الجامع الصغير للسيوطي (ج ١ ص ٢٢٨) : « إن من شر الناس من تركه الناس اتقاء فُحْشه » . عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فُحْشه » .

(٢) كذا في الأصلين ونفع الطيب . ولعلها محرفة عن « زنتهم » ، أي ظنتم به .

في بعض الأحوال ، مستحسنة على ما بينه العلماء ، إذ هي مقاربة^(١) في الكلام ،
أو مجاملة بأسباب الدنيا ، لصالحها أو صلاح الدين ، وإثما للذموم للداهنة ، وهي
بذل الدين لمجرد الدنيا ، والمصانة به لتحصيلها ؛ ومن خالط للضرورة مثلكم
وزايله بأخلاقه ، ونصحته مخاطبة ومكانة ، واستدل له بكتاب الله وسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم على صحة مقالته ، فقد سلم والحمد لله من مداهنته ، وقام لله [١٣٦]
بما يجب عليه في حقكم من التحذير والإنكار ، مع الإشفاق والوجل . وأكثرت
في كتابكم من اللئيم بما ذكرتم أنكم صنعتُم ، وعلى تقدير الواقعة لكم ، ليتكم فعلتم
فسلمنا من المعرة وسلمتم ، وجلَّ القائل سبحانه : « قول معروف ومغفرة خير من
صدقة يتبعها أذى والله غني حليم » . وقلما شاركنم أتم في شيء إلا بأعراض حاصلة
في يدكم ، أو لأعراض دنيوية خاصة بكم ، فاللأم إذا في الحقيقة إنما هو متوجه
إليكم . وأما ما أظهرتم بمقتضى حرركاتكم وكلامكم ، من التندم^(٢) على فراق محلكم ،
والتعلل بأخبار قطركم وأهلكم ، فتناقض منكم ، وإن كنتم فيه بقدركم^(٣) :
أُتْبِكِي على لبي وأنت تركتها فكنت كآتٍ خُفِّه^(٤) وهو طائعٌ
وما كل ما ممتلك نفسك خاليا^(٥) تُلاقِي ولا كل الهوى أنت تابع
فلا تبكين في إثر شيء ندامة إذا نزعته من يديك النوازع^(٦)

(١) في النسخة الخطية من فتح الطيب . « مقاربة » .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « الندم » .

(٣) كذا في فتح الطيب المطبوع والخطي . وفي الأصلين : « بنفركم » .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ٢١٧ طبعة دار الكتب) . وفي الأصلين وفتح
الطيب : « غيه » .

(٥) كذا في الأغاني . وفي الأصلين وفتح الطيب : « غليا » .

(٦) البيت كما في الأغاني :

فلا تبكين في إثر لبي ندامة وقد نزعها من يديك النوازع
وهذه الأبيات من شعر لقيس بن ذريح في زوجته لبي بنت الحباب الكمية .

وعلى أن تأسفكم^(١) لما وقسم فيه من القدر لسلطانكم ، والخروج لالضرورة غالبية عن أوطانكم ، من الواجب بكل اعتبار عليكم ، سيما وقد مددتم إلى التمتع لتغيرها عينيك . ولو لم يكن لهذه الجزيرة القريدة من الفضيلة إلا ما خصت به من بركة الرباط ، ورحمة الجهاد ، لكفها نغراً على ما يجاورها من سائر البلاد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه » ، وقال عليه السلام : « الرُّوحَةُ يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما فيها » .

وعلى كل تقدير فإذا لم يكن يا أخى فرارك من الأندلس إلى الله وحده بالتوبة المكتملة والاستغفار ، مع الانقطاع في أحد المواطن المسكرمة المعظمة بالإجماع ، وهي طيبة أومكة أو بيت المقدس ، فقد خسرتم صفقة رحلتكم ، ونبين أن لتغير وجه الله العظيم كانت نية هجرنكم ؛ اللهم إلا إن كنتم قد لاحظتم مسألة الرجل الذى قتل مئة نفس ، وسأل أعلم أهل الأرض ، فأشار عليه بمد إزماع التوبة بمفارقة المواطن التى ارتكب فيها الذنوب ، واكتسب بها العيوب ؛ فأمر^(٢) آخر ، مع أن كلام العلماء في هذا الحديث معروف^(٣) ؛ ويقال لكم من الجواب الخاص بكم : فليكنم إذا بترك القيل والقال ، وكسر حرية الجدال والقتال ، وقصر ما بقى من مدة العمر على الاشتغال بصلاح الأعمال . ووقعت في مكتوبكم كلمات أوردها النقد في قالب الاستهزاء والازدراء ، والجمالة بمقازير الأشياء ، منها : ربح صرصر ، وهولعة القرآن ، وقاع قرقر ، وهو لفظ سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم . ثبت في الصحيح في باب التغليظ فيمن لا يؤدى زكاة ماله ، « قيل : يا رسول الله ، والبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم

(١) في ت : « أسفكم » .

(٢) انظر القرطبي (ج ٦ ص ١٥٣ طبعة دار الكتب) عند تفسير قوله تعالى :

« أو ينفوا من الأرض » .

لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة يُطَحَّ لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ، تنطحه بقرونها ، وتطوّه بأظلافها^(١) . الحديث الشهير . قال صاحب العلم^(٢) :
 يُطَحَّ لها بقاع قرقر ، أى ألقى على وجهه ، والقاع : المستوى من الأرض ،
 والقرقر : كذلك ؛ هذا ما حضر من الجواب . وبقى في مكتوبكم خشو كثير من
 كلام الإقذاع ، وفُحش بعيد من الحشمة والحياء ، رأيت أن من الصواب
 الإضراب عن ذكره ، وصَوْنُ اليد عن الاستعمال فيه ، والظاهر أنه إنما صدر
 عنكم وأتم بحال مَرَضٍ ، فلا حرج فيه عليكم إن شاء الله ، أجلكم ، ومكِّنْ
 أمنكم ، وسكن وجَلَّكم ، ومنه جَلَّ اسمه^(٣) نسأل لى ولكم حسن الخاتمة ،
 والتوفز بالسعادة الدائمة ، والسلام الأتم يعتمدكم ، والرحمات والبركات من كاتبه
 على بن عبد الله بن الحسن ، وفقه الله .

وذلك بتاريخ أخريات جمادى الأولى من عام ثلاثة وسبعين وسبع مئة .

وقيد رحمه الله في مُدْرَج طى هذا الكتاب ما نصه :

يا أخى ، أصلحني الله وإياكم ، بقی من الحديث شيء ، الصواب الخروج [١٣٨]
 عنه لكم ، إذ هذا أوانه ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة فيه ما فيه ، وليكن
 البناء بعد أن كان على أصل صحيح بحول الله ، وحاصله :

أنكم عددتم ما شاركتكم فيه بحسب الأوقات ، وقطعتم بنسبة الأمور
 كلها لنفسكم^(٤) ، وأنها إنما صدرت عن أمركم وإذنكم ، من غير مشاركة
 في شيء منها لكم ، ثم منتقم بها اللن القبيح ، للبطل لعمل برِّكم ، على تقدير

(١) ارجع إلى سلم والبعارى في باب الزكاه في لفظ الحديث روايات .

(٢) لئله يريد : العلم بفوائد مسلم ، وهو شرح على صحيح مسلم للإمام أبى عبد الله محمد التتبي .

(٣) في النسخة الخطية من فتح الطيب : « ومنه سبحانه نسأل . . الخ » .

(٤) في فتح الطيب : « إلى أنفسكم » .

التسليم في فعله لكم ، ورميت غيركم بالتقصير في حاله كله ، طريقة من يبصر التقذى في عين أخيه ويدع الحذع في عينه ، وأقصى ما تسقى للمحب أيام كونكم بالأندلس ، تقلد كلفة قضاء الجماعة ، وما كان إلا أن وليتها بقضاء الله وقدره ، فقد تبين لكل ذى عقل سليم أنه لا موجد إلا الله ، وإذا كان كذلك كان الخير والشر والطاعة والمعصية حاصلًا بإيجاده سبحانه وتخليقه وتكوينه ، من غير عاضد له على تحصيل مراده ولا معين ، ولكنه ، جلت قدرته ، وعد فاعل الخير بالثواب فضلا منه ، وأوعد فاعل الشر بالعقاب عدلا منه ، وكأني بكم تضحكون من تقرير هذه المقدمة ، وما أحوجكم إلى تأملها بعين اليقين ، فكابدت أيام تلك الولاية النكد^(١) من النكايه ، باستحقاركم للقضايا الشرعية ، وتهاونكم بالأمر الديني ، ما يعظم الله به الأجر ، وذلك في جملة مسائل ، منها مسألة ابن الزبير المقتول على الزندقة بعد تقصّي موجهاته ، على كره منكم ؛ ومنها مسألة ابن أبي العيش المتنف^(٢) في السجن على آرائه للضلة ، التي كان منها دخوله على زوجه إثر تطليقه إياها بالثلاث ، وزعمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره مشافهة بالاستمتاع بها ، لحملت أحد ناسكم تناول إخراجها من التقاف^(٣) ، من غير مبالاة بأحد ؛ ومنها أن أحد الفتيان للتعلمين بكم توجهت عليه مطالبة بدم قتيل ، وسبق المدعى عليه للذبح^(٤) بشير سكين ، فما وسعني بمقتضى الدين إلا حبسه على ما أحكته السنة ، فأقمتم لذلك ، وسجتم الطالب^(٥) ولي الدم ، وصرحتم التقى للطلوب على الفور ، إلى غير ذلك مما لا يسع الوقت شرحه ، ولا يجمل بي ولا بكم

(١) كذا في ط وفتح الطيب . وقت : « النكرة » .

(٢) المتنف : المسجون . (عن تكملة المسجات لموزي) .

(٣) التقاف : الحبس والسجن . (عن دوزي) .

(٤) كذا في ط وفتح الطيب . وقت : « الذبيح » .

(٥) في النسبة الخطية من نفع الطيب : « الطالب » .

ذكره . والسألة الأخرى أتم توليتم كبرها ، حتى جرى فيها القدر بما جرى من الانقصال ، والحمد لله على كل حال . وأما الرمي بكذا وكذا مما لا علم لنا بسببه ، ولا عذر لكم من الحق في التكلم به ، فشىء قلما يقع مثله من البهتان ، ممن كان يرجو لقاء ربه ، وكلامكم في المدح والمجود هو عندي من قبيل اللغو الذي نمر به كراما ، والحمد لله فكثروا^(١) أو أقلوا من أى نوع شئتم ، أتم وما ترضونه لنفسكم^(٢) ، وما فُتت لكم بما فُتت من الكلام ، إلا على جهة الإعلام ، لا على جهة الانفعال ، لما صدر أو يصدر عنكم من الأقوال والأفعال ، فذهبي غير مذهبيكم ، وعندي ما ليس عندكم .

وكذلك رأيتم تكثرون في مخاطبتكم من لفظ الرقية في مريض الإنكار لوجود نعمها ، والرمي بالمنقصة والحق لمستمعها ، ولو كنتم قد نظرت في شىء من كتب السنة ، وسير الأمة المسلمة ، نظر مصدق ، لما وسعكم إنكار ما أنكرتم ، وكفبه بخط يدكم ، فهو فادح كبير في عقيدة دينكم ، فقد ثبت بالإجماع في سورة الفلق أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بها هو وآحاد أمته ؛ وفي أمهات الإسلام الخمس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى رقا جبريل ، فقال : بسم الله يبريك^(٣) ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد ، [١٤٠] ومن شر كل ذي عين . وفي الصحيح أيضا أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر ، فروا بجىء من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا : هل فيكم راق؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب ؛ فقال رجل من القوم : نعم ، فأتاه فراقه بفاتحة الكتاب ، فبرئ الرجل ، فأعطى قطيعا من

(١) في النسبة الخطية من تقع الطيب : « أكثروا أو قللوا » .

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « لأنفسكم » .

(٣) يريد : « يبرك » فسهل .

غنى ، الحديث الشهير . قال أهل العلم : فيه دليل على جواز أخذ الأجرة على الرقبة والطلب وتعليم القرآن ، وهو قول مالك والشافعي وأبي ثور وجماعة من السلف ، وفيه جواز للمقارضة ، وإن كان ضد ذلك أحسن ، وفي هذا القدر كفاية . وما رقيت قط أحداً على الوجه الذى ذكرتم ، ولا استرقيت ، والحمد لله ، وما سألنى على تبين ما بينته الآن لكم فى المسألة ، إلا إرادة الخير التام لجهنكم ، والطمع فى إصلاح باطنكم وظاهركم ، فإني أخاف عليكم من الإفصاح باطنكم فى الشريعة ، ورى علمائها بالمتنصّة ، على عادتكم وعادة المستخف ابن هذيل شيخكم ، منكر علم الجزئيات ، القائل بعدم قدرة الرب على جميع الممكنات ؛ وأنتم قد انتقلتم إلى جوار أناس أعلام ، قلما تجوز عليهم ، حفظهم الله ، الغالطات ، فتأسرهم شهادة المدول التى لا مدفع لكم فيها ، وتقع الفضيحة ، والدين النصيحة ، أعاذنا الله من ذلك الشقاء ، وشمانة الأعداء ، وجهد البلاء .

وكذلك أأذركم من الوقوع بما لا ينبغى فى الجنب الرفيع ، جناب سيد المرسلين ، وقائد الفَرَّ المحجّلين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه قل عنكم فى هذا الباب أشياء منكرة ، يكبر فى النفوس التكلم بها ، أتم تعلمونها ، وهى التى زرعت فى القلوب ما زرعت من بغضكم ، وإيثار بعدكم ، مع استشعار الشفقة والوجل من وجه آخر عليكم ، ولولا أنكم سافرتم قبل تقلص ظل السلطنة عنكم ، لكانت الأمة السلسلة ، امتعاضاً لدينها ودنياها ، قد برزت بهذه الجهات ، لطلب الحق منكم ، فليس يعلم أنه صدر عن مثلكم من خُدّام الدول ما صدر عنكم ، من العبث فى الأُشبار والأموال ، وهتك الأعراض ، وإفشاء الأسرار ، وكشف الأسرار ، واستعمال السكر والحيل والفسد فى غالب^(١) الأحوال ، للشريف والمشروف ، والخديم والمخدوم ، ولو لم يكن فى الوجود من الدلائل على صحة ما رضيت به لنفسكم ، من

الاتسام بسوء العهد، والتجاوز الحظ، وكفران النعم، والركون إلى ما تحصل من الحطام الزائل^(١)، إلا علمكم مع سلطانكم مولاكم وابن مولاكم، أيده الله بنصره، وما ثبت من مقالاتكم السيئة فيه، وفي الكثير من أهل قطره، لكفناكم وضمة لا يقبل دَنَسها البحر، ولا ينسى عازها الدهر، فإنكم تركتموه أولاً بالمغرب عند تلون الزمان، وذهبت للكديبه^(٢)، والأخذ بمقتضى المقامة الساسانية، إلى أن استدعاه الملك، وتخلص له بعد الجهد الأندلس، فسقطتم عليه سقوط الثَّباب على الخلاء، وضربتم وجوه رجاله بعضاً ببعض، حتى خلا لكم الجوى، وتمكن الأمر والنهى، فهُزِتم ولم تَزِتم، وجمتم من المال ما جمتم، ثم وَرَّيتم بتفقد ثغر الجزيرة الخضراء، مكرراً منكم، فلما بلغت أرض الجبل انحرقت عن الجادة، وهربت بأثقالكم الهروب الذى أنكركم عليكم كل من بلغه حديثكم أو يبلغه إلى آخر الدهر فى العدوتين، من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، فكيف يستقيم لكم بعد العرفة بتصرفاتكم حازم، أو يثق بكم فى قول أو فعل صالح أو طالح. ولو كان قد بقى لكم من العقل [١٤٢] ما تفكرون به فى الكيفية التى ختمت بها عملكم بالأندلس، من الزيادة فى القرم وغير ذلك، مما لكم وزره ووِزْر من عمل به بعدكم إلى يوم القيامة، حسبما ثبت فى الصحيح لحكم على مواصلة الحزن، وملازمة الأسف والندم على ما أوقعت فيه نفسكم الأمانة، من التورط والتنسب فى أشطان الآمال، ودسائس الشيطان، ونموذ بالله من شرور الأنفس، وسيئات الأعمال.

وأما قولكم عن فلان: إنه كان حشرة فى قشور^(٣) اللوز، وإن فلاناً كان

(١) كذا فى فتح الطب. وفى الأصلين: «الحطام باليد».

(٢) كذا فى فتح الطب للطبوع. وفى النسخة الخطية: «الكذبة». وفى

الأصلين: «الكديبة».

(٣) فى فتح الطب: «فى قلوب».

بُرْعُونًا في تراب الخول ، فكلام متساف ، يقال لكم من الجواب عليه : وأتم
يا هذا ، أين كنتم منذ خمسين سنة مثلا ؟ خلق الله الخلق لا استظهاراً بهم ولا
استكثاراً ، وأنشأهم كما قدر أحوالاً وأطواراً ، واستخلفهم في الأرض بعد أمة
أئمة ، وبعد عصر أعصاراً ، وكلفهم شرائثه وأحكامه ، ولم يتركهم هملاً ، وأمرهم
ونهاهم ، ليلوهم أيهم أحسن عملاً ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وبكل اعتبار
فلا تعلم في نمط الطلبة تدريجاً كان أسمح في تدريجكم ، ونبدأ من كذا ، فإنه
كان كذا وكذا ، وأكثر أهل زمانه تخملاً وتقللاً في نفسه بالنسبة إلى منصبه ،
كان الشيخ أبو الحسن بن الجيب ، ولكنه حين علم رحمه الله من نشأتكم ؛
وحالتكم ما علم ، نبذ مصاهرتكم ، وصرف عليكم صدائقكم وكذلك فعلت بنت
جَزَى زوج الرهيصي معكم ، حسباً هو مشهور في بلدكم ، وذكرتم أنكم ما زلتم
من أهل النفي حيث تفرتم بذكر القرض [وهو بفتح العين والراء : حُطام
الدنيا ، على ما حكى أبو عبيد ، قال أبو زيد : هو بسكون الراء : المال الذي
لا ذهب فيه ولا فضة] ، وأى مال خالص يعلم لكم أولأيكم بعد الخروج
من التفاف^(١) ، على ما كان قد تبقى عنده من مجي قرية مترايل ،
ثم من العدد الذي برز قبلكم ، أيام كانت أشغال الطعام بيدكم ، على ما شهد به
الجمهور من أصحابكم ؛ وأما الفلاحة التي أشرتم إليها ، فلا حق لكم فيها ، إذ هي
في الحقيقة لبيت مال المسلمين ، مع ما بيدكم ، على ما تقرر في الفقهيات ، والمعلوم
شريعاً كالمعلوم حساً ، ولو قبل من أهل المعرفة بكم بعض ما لديهم من سقطاتكم
في القاتل والقيل ، ولم يُصرف إلى دفع معرتها عنكم وجه التأويل ، لكانت مسألتكم
ثانية لمسألة أبي الخير بل أبي الشر ، الحادثة أيام خلافة الحكم ، المسطورة في نوازل

(١) يريد : الحليس والسجن . (انظر تكملة المسيمات لدوزي) .

أبي الأصمغ بن سهل ، فاعلموا ذلك ، ولا تهملوا إشارتي عليكم قديماً وحديثاً بلزوم الصلوات ، وحضور الجماعات ، وفعل الخيرات والعمل على التخلص من التبعات ، إن وعد الله حق ، فلا تنفركم الحياة الدنيا ، ولا يفرغكم بالله الغرور .

وقلم في كتابكم : أين الخط التوارثية عن الآباء والأجداد ؟ وقد أذهب الله عنا بركة الملة الحمديّة غيبة الجاهلية ، في التفاخر بالآباء ، ولكنني أقول لكم على جهة المبالغة لكلامكم : إن كانت الإشارة إلى الجيب بهذا ، فمن المعلوم المتحقق عند أفاضل الناس أنه من حيث الأصالة أحد أمائل قطره . قال القاضي أبو عبد الله ابن عسكر : وقد ذكر في كتابه من سلكي فلان بن فلان ما نصه : وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة ، لم يزالوا يرثون ذلك كبراً عن كابر ، استقصى جده للنصور ابن أبي عامر . وقال غيره وغيره ، ويبدى من عهد الخلفاء ، وصكوك الأمراء المكتتة بخطوط أيديهم ، من لدن فتح جزيرة الأندلس إلى هذا العهد القريب ، [١٤٤] ما تقوم به الحجة القاطعة للسان الحاسد والمجاهد ، وللمنة لله وحده . وإن كانت الإشارة إلى الغير^(١) من الأصحاب في الوقت ، حفظهم الله ، فكل واحد منهم إذا نُظر إليه بعين الحق ، وجد أقرب منكم نسباً للخطط المعتمدة ، وأولى بميراثها بالقرض والتعصيب ، أو مساوياً على فرض المسامحة لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، حرام دمه وماله وعرضه .

ونرجع إلى طريقة أخرى فنقول : من كان يافلان من قومكم في عهود نسبكم قتيها مشهوراً ، أو كاتباً قبلكم معروفاً ، أو شاعراً مطبوعاً ، أو رجلاً نبياً مذكوراً ، ولو كان ياتوشي وكان ، لكان من الواجب الرجوع إلى التناصف

(١) في النسخة المطبوعة من فتح الطيب : « للغير » .

والتواصل والتواضع ، وترك التحاسد والتباغض والتفاطع ، إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .

وكذلك العجب كل العجب من تسميتكم الصَّخَرَات التي شرعتم في بنائها بدار السلامة ، وهيئات هيئات ، المرفوف من الدنيا أنها دار بلاء وجلاء ، وعناء وفناء ، ولو لم يكن من الموعظة الواقعة بتلك الدار في الوقت إلا موت سعيكم عند دخولها ، لأغناكم عن العلم اليقيني بما لها ، وأظهرتم سروراً كثيراً بما قلتم إنكم نلتهم حيث أتمتم من الشهوات التي ذكرتم أن منها إلا كثار من الأكل والخرق ، والعودة بإزاء جارية الماء على نِطْع الجلد ، والإمساك أولى بالجواب على هذا الفصل ، فلا خفاء بما فيه من الخسة والخبائث والخبث ، وبالجملة ، فسروا العاقل إنما ينبغى أن يكون بما يجعل تقديمه من زاد التقوى للدار الباقية ، فما العيش كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا عيش الآخرة ، فقدّموا إن قبلتم وصاة الحبيب أو النبيض [١٤٠] بعضاً ، عسى أن يكون لكم ، ولا تخلفوا كيلاً^(١) يكون عليكم ، هذا الذي قلته لكم وإن كان لدى من يقف عليه من غلط^(٢) الكثير ، فهو في اعتبار المكان ، وما سر من الزمان في حيز السير ، وهو في نفسه قول حق وصدق ، ومُسْتَنْدٌ أكثره كتاب الله وسنة محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبيائه ، فأحمدوا الله العلي العظيم على تذكركم به ، إذ هو مجرى النصيحة الصريحة ، يسرني الله وإياكم لليسرى ، وجعلنا من ذُكْرٍ فانتفع بالذكرى ، والسلام . انتهى كلام القاضي ابن الحسن النبأى رحمه الله .

قلت : ولعل هذا الكلام وأشباهه هو الحامل لابن الخطيب على هو القاضي

(١) كذا في ط . وفي ت وفتح الطيب : « كلا » .

(٢) في النسخة الخطية من فتح الطيب : « وغلط » .

ابن الحسن المذكور في الكتبية الكامنة ، حيث ذكره ولقبه بجُحُوس^(١) ،
وصفه بما لا يليق ذكره ، ثم ألف في ذلك تأليفاً مستقلاً ، ساه به بخلع الرِّسَن ،
في وصف القاضي ابن الحسن ، حسباً ألفت ذلك بخط شيخ شيخنا القاضي سيدي
عبد الواحد الوائشري رحمه الله ، ولا يخلو كلام كل واحد منهما من تحامل
على صاحبه ، والله يسمع لنا ولها بجاه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ولي الدين بن خلدون في تاريخه ، في موضع آخر ما نصه :

كان محمد بن الأحمر الخلوع قد رجع من رُنْدَة إلى ملكه بغرناطة ، في
جمادى من سنة ثلاث وستين ، وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المنتزى على
ملكهم ، حين هرب من غرناطة إليه ، وفاءً بمهد الخلوع ، واستوى على
كرسيه ، واستقل بملكه ، ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب ،
فاستخلصه ، وعقد له على وزارته ، وفوض إليه في القيام بملكه ، فاستولى عليه ، [١٤٦]
وملك هواه ، وكانت عينه ممتدة إلى المغرب وسكناه إلى إن نزلت به آفة في رياسته ،
فكان لذلك يقدم السوابق والوسائل عند ملوكه ، وكان لأبناء السلطان أبي الحسن
كلهم غيرةً من^(٢) ولد عمهم السلطان أبي علي ، ويخشونهم على أمرهم ، ولما لحق
الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوس بالأندلس ، اصطفاه ابن الخطيب ، واستخلصه
لنجواه ، ورفع في الدولة رتبته ، وأعلى منزلته ، وحمل السلطان على أن عقد له
على الفُزاة المجاهدين من زناته ، مكان بني عمه من الأعياض^(٣) ، فكانت له آثار
في الاضطلاع بها ، ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره ، واستقل بملكه ،
وكان ابن الخطيب ساعياً في مرضاته عند سلطانه ، فدمس^(٤) إليه باعتقال عبد الرحمن

(١) الجسوس : القمير الدميم .

(٢) في تاريخ ابن خلدون (ج ٧ ص ٣٣٧ طبعة بلاط) : « على » .

(٣) كذا في ط ونفع الطيب . وفي ت : « الأعياض » .

(٤) كذا في ط وتاريخ ابن خلدون ونفع الطيب . وفي ت : « فأسر » .

ابن أبي يفوسن ، ووزيره [المطارد به] ^(١) مسعود بن ماسى ؛ وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره ، وحمل السلطان عليهما ، إلى أن سطا بهما ابن الأحمر ، واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز ؛ وتغير الجو بين ابن الأحمر ووزير ابن الخطيب وأظلم ، وتكره له ، فزع عنه إلى عبد العزيز ^(٢) سلطان القرب سنة ثنتين وسبعين ، ليأقدم من الوسائل ، ومهد من السوابق ؛ قبله السلطان ، وأحلّه من مجلسه محل الاصطفاء والقرب ، وخاطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فبعثهم إليه ، واستقر في جملة السلطان . ثم تأكدت المداوة بينه وبين ابن الأحمر ، فرغب السلطان [عبد العزيز] ^(٣) في ملك الأندلس ، وحمله عليه ، وتواعدوا لذلك عند رجوعه من تلمسان إلى المغرب ؛ ونمى ذلك إلى ابن الأحمر ، فبعث إلى السلطان [عبد العزيز] ^(٤) بهدية لم يُسمع بمثلا ، انتقى فيها من متاع الأندلس وما عونها ، وبغالها القاهرة ومملوحي ^(٥) السبي وجواريه ، وأوفد بها رسله ، يطلب إسلام وزيره ابن الخطيب إليه ، فأبى السلطان من ذلك وتكره . ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالأمر ، تميز إليه ابن الخطيب وداخله ، وخاطبه ابن الأحمر فيه بمثل ما خاطب السلطان [عبد العزيز] ^(٦) ، فليج واستنكف عن ذلك وأقبح الرد ، وانصرف رسوله إليه وقد رهب سطوته ؛ فأطلق ابن الأحمر لحيته عبد الرحمن بن أبي يفوسن ، وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطوية ^(٧) ، ومعه الوزير مسعود بن ماسى ، ونهض — [يعني ابن الأحمر] ^(٨) — إلى جبل القتح ، فنازله بساكره ، ونزل عبد الرحمن بطوية .

(١) زيادة عن ابن خلدون .

(٢) العبارة من قوله « وتغير الجو » إلى قوله « عبد العزيز » ساقط في تاريخ ابن خلدون .

(٣) زيادة عن فتح الطيب .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٥) بطوية : من حضون ورباطات سقاس ، وهي على البحر وبها منار مفرط في الارتفاع .

(٦) عن القرب البكرى .

ثم ذكر ابن خلدون كلاما كثيرا ، تركته لطوله ، وملخصه : أن الوزير أبو بكر ابن غازي ، الذي كان معه ^(١) ابن الخطيب ، ولّى ابن عمه محمد بن عثمان مدينة سبتة ، خوفا عليها من ابن الأحمر ، ونهض هو ، أعنى الوزير ، إلى منازلة عبد الرحمن بن أبي يفلوس ببطوية ، إذ كانوا قد بايعوه ، فامتنع عليه ، وقاتله أياما ، ثم رجع إلى تازا ^(٢) ، ثم إلى فاس ، واستولى عبد الرحمن على تازا ، وبينما الوزير أبو بكر فاس يدبر الرأي ، إذ وصله الخبر بأن ابن عمه محمد بن عثمان بايع السلطان أحمد بن أبي سالم ، وهو المعروف بذي الدولتين ، وهذه هي دولته الأولى ، وذلك أن ابن عم الوزير ، وهو محمد بن عثمان ، لما تولى سبتة ، كان ابن الأحمر قد طاول حصار جبل الفتح ، وأخذ بمحاصره ، وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان والمتاب ، فاستعجب له ، وقبح ما جاء به ابن عمه الوزير أبو بكر بن غازي ، من الاستغلاظ له في شأن ابن الخطيب وغيره ، فوجد ابن الأحمر بذلك السبيل إلى غرضه ، وداخله في [١٤٨] البيعة لابن السلطان أبي سالم ، من الأبناء الذين كانوا بطنجة تحت الحوطة والرقبة ، وأن يقيمهم المسلمين سلطانا ، ولا يتركهم فوضى وهملات تحت ولاية الصبي الذي لم يبلغ ، ولا تصح ولايته شرعا ، وهو السعيد بن أبي فارس ، الذي بايعه الوزير أبو بكر بن غازي بتلسان حين مات أبوه ، واستبد عليه ، واختص ابن الأحمر أحمد ابن أبي سالم من بين أولئك الأبناء ، لما سبق بينه وبين أبيه أبي سالم من الموالاة . وكان ابن الأحمر اشترط على محمد بن عثمان وحزبه شروطا ، منها أن ينزلوا له عن جبل الفتح ، الذي هو محاصر له ، وأن يبعثوا إليه جميع أبناء الملوك من بني مرين ، ليكونوا تحت حوطة ، وأن يبعثوا إليه بالوزير ابن الخطيب متى قدروا

(١) في فتح الطيب : « الذي كان يحضر إليه ابن الخطيب » .

(٢) تازا : موضع من أعمال بني العافية ، في جبل منه الذهب . (عن المغرب للبكري) .

عليه ؛ فانقذ أسرم على ذلك ، وتقبل محمد بن عثمان شروطه ، وركب من سبته إلى طنجة ، واستدعى أبا العباس أحمد من مكان اعتقاله ، فبايعه ، وحمل الناس على طاعته ، واستقدم أهل سبته للبيعة وكتابتها ، قدموا وبايعوا ، وخطب أهل جبل الفتوح ، فبايعوا ، وأفرج ابن الأحمر عنهم . وبث إليه محمد بن عثمان عن سلطانه بالنزول له عن جبل الفتوح ، وخطب أهله بالرجوع إلى طاعته ؛ فارتحل ابن الأحمر من مألقة إليه ، ودخله ، ومحا دعوة بني مرين ، مما وراء البحر ، وأهدى للسلطان أبي العباس ، وأمده بمسكر من غزاة الأندلس ، وحمل إليه مالا للإعانة على أمره . ولما وصل الخبر بهذا كله إلى الوزير أبي بكر بن غازي ، قامت عليه القيامة ، وكان ابن عمه محمد بن عثمان كتب إليه يُمَوِّه بأن هذا عن أمره ، فترا من ذلك ، ولاطف ابن عمه أن ينقض ذلك الأمر ، فاعتل له [١٤٩] بانقضاء البيعة لأبي العباس . وبينما الوزير أبو بكر ينتظر إجابة ابن عمه إلى مارامه منه ، بلغه الخبر بأنه أشخص الأبناء المعتقلين كلهم للأندلس ، وحصلوا تحت كفالة ابن الأحمر ، فوجم وأعرض عن ابن عمه ، ونهض إلى تازا لحاضرة عبد الرحمن بن أبي يفلوس ، فاهتبل ^(١) في غيبة ابن عمه محمد بن عثمان ملك المغرب ، ووصله مدد السلطان ابن الأحمر من رجال الأندلس الناشبة ^(٢) فهو ستمائة ، وعسكر آخر من الغزاة . وبث ابن الأحمر رسله إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليد مع ابن عمه السلطان أحد ، ومظاهرتة ، واجتماعهما على ملك فاس ، وعقد بينهما الاتفاق على أن يختص عبد الرحمن بملك سلفه ، فتراضيا . وزحف محمد بن عثمان وسلطانه إلى فاس ، وبلغ الخبر إلى الوزير أبي بكر بمكانه من

(١) اهتبل : هزم .

(٢) الناشبة : يريد : الرماة .

تازا ، فانقضّ معسكره ، ورجع إلى فاس ، ونزل بكُذبة العرائس ؛ واتفى
السلطان أبو العباس أحمد إلى زرهون^(١) ، فصمد إليه الوزير بساكره ، فاختل
مَصافّه ، ورجع على عقبه مفلولا ، وانهب عسكره ، ودخل البلد الجديد البيضاء ،
وجأجا^(٢) بالعرب أولاد حسين ، فمسكروا بالزيتون ظاهر فاس ، قهض إليهم
الأمير عبد الرحمن من تازا بمن كان معه من العرب الأجلاف ، وشرّدهم إلى
الصحراء ، وشارف السلطان أبو العباس أحمد بمجموعة من العرب وزناته ،
وبشوا إلى ولّى دولتهم وزمار بن عريف ، بمكانه من قصره الذى اختطه
بمَلوية^(٣) ، فجاءهم وأطلعوهم على كامن أسرارهم ، فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق ،
فاجتمعوا بوادى النجا ، وتحالفوا ، ثم ارتحلوا إلى كُذبة العرائس فى ذى القعدة
من سنة خمس وسبعين ، وبرز إليهم الوزير بساكره ، فانهزمت جموعه ، [١٥٠]
وأحيط به ، وخلص إلى البلد الجديد بعد غص الريق . واضطرب معسكر
السلطان أبي العباس بكُذبة العرائس ، ونزل الأمير عبد الرحمن بإزائه ، وضربوا
على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار ، وأنزلوا بها أنواع القتال والإرهاب ؛
ووصلهم مدد السلطان ابن الأحمر ، فأحكوا الحصار ، وتحكوا فى ضياع ابن
الخطيب بفاس ، فهدموها ، وعاثوا فيها . ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل
محمد بن عثمان ابن عمّه الوزير أبا بكر فى النزول عن البلد الجديد ، والبيعة للسلطان ،
لسكون الحصار قد اشتد به ويئس ، وأعجزه المال ، فأجاب ، واشترط عليهم الأمير

(١) التى فى المغرب للبكرى : « زرهوة » .

(٢) كذا فى ت وفتح الطيب : وجأجا : أحاب ودعا . وفى ط : « وجاء » .

(٣) مَلوية : نهر كبير مشهور فى المغرب الأقصى ويصب إلى نهر سبلماسة ويصيران
نهرًا واحدًا يصب فى بحر الروم فى شرق سبتة وجنوبها على ثلاث مئة وعشرة
أميال . (عن تقويم البلدان) .

عبد الرحمن التجاني له عن أعمال مراکش بدل سبطاسة ، فقدوا له على كره ،
وطوّروا على المكر ، وخرج الوزير أبو بكر إلى السلطان أبي العباس وبإيمه ،
واقضى عهده بالأمان وتخلية سبيله من الوزارة ، ودخل السلطان أبو العباس
إلى البلد الجديد سابع المحرم ، وارتحل الأمير عبد الرحمن يومئذ إلى مراکش ،
واستولى عليها .

محنة ابن الخطيب ووفاته :

نكته ووفاته

ثم ذكر ابن خلدون الخبير عن مقتل ابن الخطيب فقال :

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه [فآخ]^(١)
سنة ست وسبعين ، استقلّ بسلطانه ، والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه ،
وسليمان بن داود بن أعراب كبير بني عسكر رديف له ، وقد كان الشرط وقع
بينه وبين السلطان ابن الأحمر عندما يبيع بطنجة على نكبة ابن الخطيب ،
وإسلامه إليه ، لِمَا نَمَى إليه عنه أنه كان يفرى السلطان عبد العزيز المريني^(٢)
بملك الأندلس ، فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ، ولقاه أبو بكر بن
غازي بساحة البلد الجديد ، فهزمه السلطان ، ولازمه بالحِصار ، أوى معه ابن
الخطيب إلى البلد الجديد ، خوفاً على نفسه . فلما استولى السلطان على البلد أقام
أياماً ، ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه ، فقبضوا عليه ، وأودعوه
السجن ، وطوّروا بالخبر إلى السلطان ابن الأحمر ؛ وكان سليمان بن داود شديد
العداوة لابن الخطيب ، لما كان سليمان قد بإيمه السلطان ابن الأحمر على مشيخة

[١٠١]

(١) زيادة عن ت وفتح الطيب .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ت وفتح الطيب .

الغزاة بالأندلس ، متى أعاده الله إلى ملكه ، فلما استقر له سلطانه ، أجاز له سليمان مقيرا عن [الوزير] ^(١) عمر بن عبد الله ، ومقتضيا عهده من السلطان ، فقصده ابن الخطيب عن ذلك ، [محتجا] ^(٢) بأن تلك الرياسة إنما هي لأعياض الملك من بني عبد الحق ، لأنهم يصوب زناته ؛ فرجع سليمان ، وأثار حقد ذلك لابن الخطيب ، ثم جاوز الأندلس لحل إمارته من جبل الفتح ، فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات ، يشير ^(٣) كل واحد منهما لصاحبه بما يحفظه ، مما كُن في صدورهما . وحين بلغ خبر القبض على ابن الخطيب إلى السلطان ابن الأحمر بث كتابه ووزيره بعد ابن الخطيب ، وهو أبو عبد الله ابن زترك ، قدّم على السلطان أبي العباس ، وأحضر ابن الخطيب بالشور ^(٤) في مجلس الخاصة ، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في الحجة ^(٥) ، فظم التّكبير فيها ، فوُجَّح ونكّل ، وامتنع بالعذاب بمشهد ذلك الملأ ، ثم نُقِل ^(٦) إلى محبسه ، واشتروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأقْبى بعض الفقهاء فيه ، ودرس سليمان بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله ، فطرقوا السجن ليلا ، ومعهم زعانة جاءوا في لقيف الخدم ، مع سفراء السلطان ابن الأحمر ، وقتلوه خنقا في محبسه ، وأخرج شلوه من القد ، فدُفِن في مقبرة باب الحروق ، [١٠٢] ثم أصبح من القد على شافة ^(٧) قبره طريقا ، وقد جمعت له أعواد ، وأضرمت

(١) زيادة عن نفع الطيب .

(٢) في نفع الطيب : « ينث » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . والمشور : يريد مجلس الشورة . (راجع تكملة المعيان

لفوزي) . وفي ط : « بالمشور » .

(٤) ق ت : « بالحجة » .

(٥) كذا في ط ونفع الطيب المطبوع . وفي ت والنسخة الخطية من نفع الطيب « ثل » .

(٦) كذا في الأصلين . وفي نفع الطيب المطبوع والخطي : « سافة » . وفي الإحاطة :

« سافة » . ولعل الكلمة محرقة عن : « حافة » .

عليه نار ، فاخترق شعره ، واسودَّ بشره ، فأعيد إلى خفرته ، . وكان في ذلك انتهاء محنته . وعجب الناس من هذه الشجاعة التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هَنَاتِه ، وعظم التكبر فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته ، والله الفعال لما يريد .

وكان ، عفا الله عنه ، أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة اللوت ، فتجشش شعره في عيسه يبكي نفسه

هواتفه بالشعر ، يبكي نفسه ، وما قال في ذلك :

بَدُنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا بُيُوتٌ وَجُنَّا بَوَغْظٌ وَنَحْنُ صُمُوتٌ
وَأَنفَاسُنَا سَكَتٌ دَفْقَةٌ كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تِلَاةُ الْقُنُوتِ
وَكُنَّا عِظَامًا فِصْرْنَا عِظَامَا وَكُنَّا نَقُوتُ فَمَا نَحْنُ قُوتٌ
وَكُنَّا شُمُوسَ سَمَاءِ الشَّلَا غَرَبْنَ فَنَاحَتْ عَلَيْنَا السَّمُوتُ^(١)
فَكَمْ خَذَلَتْ ذَا الْحُسَامِ الظُّبَا وَذُو الْبَيْخَتِ كَمْ جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ
وَكَمْ سَبَقَ لِلْقَبْرِ فِي خِرْقَةٍ فَنَى مُلِثٌ مِنْ كُسَاهِ التَّنْحُوتِ
فَقُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ
وَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ قُلْ : يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ
انتهى كلام ابن خلدون في ديوان العبر .

تخفيس لبعض
بني الصباغ

ورأيت تخميسا لبعض بني الصباغ على هذه القطعة ، لكنه زاد فيها بعض أبيات على ما ذكره ابن خلدون ، وها أنا أثبتته تيمنا للمائدة ، وهو :

أَيَا جَاهِلٍ غَرَّهَ مَا يَفُوتُ وَالْهَاهُ خَالٌ قَلِيلُ الثَّبُوتِ
تَأْمَلْ لِمَنْ بَعْدَ أَنْسٍ يَصُوتُ^(٢) بِمَدْنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا الْبُيُوتُ
وَجُنَّا بَوَغْظٌ وَنَحْنُ صُمُوتٌ

(١) السموت : الطرق ؟ الواحد : سميت . ولعله يريد : مبادرات النجوم .

(٢) في ط وقع الطيب : « يموت » .

لقد نلتُ من دهرنا رفعةً تنصّت كبرق مضي سرعةً
فهيأت ترجو لها رجعةً وأصواتنا^(١) سكنت دقعةً

بجهر الصلاة تلاه القنوتُ

بدالي من العزّ وجهُ شبابٍ يؤمّل سني وبأسي يُهابُ^(٢) [١٠٣]
فصرعان مَزّق ذاك الإهابُ ومدّت وقد أنكرتنا الثيابُ

علينا^(٣) نسايبها العنكبوتُ

فأها لعزّ تنفّى منّا مُنحنا به الجاه دوماً^(٤) كراما
وكنا نسوس أموراً عظاما وكنا عظاما فصّرنا عظاما
وكنا نقوتُ فما نحن قوتُ

وكنا لذا التلّك حتّى الطلّا فأها عليه زمانا خلا
نعوّض من جِدّة البلي وكنا شُموسَ سماء التلّا
فربّنا ففاحت علينا الشُموثُ

تعوذتُ بالرغم صرف اللبالي ومَحَلْتُ نفسي فوق احتالي
وأيقتُ أن سوف يأتي ارتحالي ومن كان مُنتظراً للزوالِ
فكيف يُؤمّل منه الثبوتُ

(١) فيها مر: «وأفاسنا» .

(٢) كذا في فتح الطيب . واليب : البلاء . وفي ت : « يؤمن شيخي » . وفي ط :

« يؤمن سني وسني .. الخ » .

(٣) في ط : « عليها » .

(٤) كذا في ت . وفي ط : « فها » . وفي فتح الطيب : « فوما » .

هو الموت يا ما له من نَبَا^(١) يَمْجُزُ الْحِجَابَ إِلَى مَنْ أَيْ
ويَأَلَف^(٢) أَخَذَ سَنَى الْحَيَا^(٣) فكم أَسَلَّتْ ذَا الْعُسَامِ الظُّلْمَا
وذا البخت كم جَدَّلَتْهُ الْبُخُوتُ

هو الموتُ أَفْصَحَ مِنْ عُجْمَةٍ وَأَبْقَطَ بِالْوَعظِ مِنْ تَوْمَةٍ
وَسَلَّى عَنْ الْحَزْنِ ذَا خُرْقَةٍ فكم سَبَقَ لِلْقَبْرِ^(٤) فِي خِرْقَةٍ
فَقِي مُلِثَتْ مِنْ كُسَاهِ التَّخْفُوتِ

تَقْضَى زَمَانِي بَيْشٍ خَصِيبٍ وَعِنْدِي لَدُنِّي انْكَسَارُ الْمُنِيبِ
وَمَا لِلْمَوْتِ قَدْ صُبَّتْ مِنْهُ نَصِيبِ^(٥) قُلْ لِلْعَدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ
وَفَاتَ وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَفُوتُ

مَضَى ابْنُ الْخَطِيبِ كَنْ قَبْلَهُ وَمَنْ بَعْدَهُ يَتَقَفَى سُبُلَهُ
وَهَذَا الرَّدَى نَاطِرُ شَمْلِهِ^(٦) فَمَنْ كَانَ يَفْرَحُ مِنْهُمْ لَهُ
قُلْ يَفْرَحُ الْيَوْمَ مَنْ لَا يَمُوتُ

(١) يريد: « نَبَا » فسهل للشعر .

(٢) كذا في فتح الطب للطبوع . وفي الأصلين والنسخة الخطية من فتح الطب :
« وَيَأَلَف » .

(٣) كذا في النسخة الخطية من فتح الطب ، يريد : الحياء ، وقصره للشعر . ويريد
بسن الحياء : العريف المزيز المتع في خيائه . وفي الأصلين وفتح الطب
الطبوع : « الحياء » .

(٤) في ت (منا) : « للموت » .

(٥) كذا في فتح الطب للطبوع والمخطوط . وفي ت : « قد صفت منه نصيب » .
وفي ط : « قد ضمت منه نصيب » .

(٦) موضع هذا الشطر في الأصلين يائض . وقد زدناه عن فتح الطب .

هُوَ الْوَلُوتُ عَمَّ فَا لِلْفِدَا يُسْرُونَ بِي حِينَ ^(١) ذُقْتُ الرَّدَى
وَمِنْ فَاتِهِ الْيَوْمَ يَأْتِي غَدًا سَيَبْلِي الْجَدِيدُ إِذَا مَا لِلدَى

[١٥٤]

تَتَابِعَ آحَادَهُ وَالسُّبُوتُ

أُخِيَ تَوَخَّ طَرِيقَ النِّجَاةِ وَقَدَّمَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَاتِ
وَشَتْرَ بَحْدٍ لَهَا هُوَ آتِي وَلَا تَتَرَزَّ بِسَرَابِ الْحَيَاةِ
فَإِنَّكَ عَمَّا قَرِيبَ تَمُوتُ

انتهى . وقد تذكرت بقوله :

سَيَبْلِي الْجَدِيدُ إِذَا مَا لِلدَا تَتَابِعَ آحَادَهُ وَالسُّبُوتُ
قَوْلَ الْآخَرِ :

نَطْوِي سُبُوتًا وَآحَادًا وَنَنْشُرُهَا وَنَحْنُ فِي الطَّيِّ بَيْنَ السَّبْتِ وَالْأَحَدِ
فَعَدَّ مَا شَتَّ مِنْ سَبْتٍ وَمِنْ أَحَدٍ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الْمَطْوِيُّ فِي الْعَدَدِ

شعره :

شعر ابن الخطيب

قال بعض الأعلام : شعر ابن الخطيب ما بعده مطمع لطائع ، ولا مُعَرَّج
على شاعر بعده للأَذَانِ والتَّسَامُعِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ مَاسَحَهُ اللَّهُ :

عَسَى حَظْرَةٌ بِالرَّكْبِ بِأَحَادِي الْعَيْسِ عَلَى الْمَهْضَبَةِ السَّمَاءِ مِنْ قَصْرِ بَادِيَسِ ^(٢)

(١) في ت : « حيث » .

(٢) كذلك في ط وفتح الطيب (ج ٤ من ٥٨٤) . وفي ت : « نظرة » .

(٣) باديس : فرضة بينها وبين سبعة مئة ميل ، ويقابلها من الأندلس مالقة . (عن
تقويم البلدان) .

- لَنظْفَرُ مِنْ ذَاكَ الزُّلَالِ بِمَلَّةٍ وَنَنَمُ فِي تِلْكَ الظَّلَالِ بِتَمَعْرِيسٍ^(١)
 حَبَسْتُ بِهَارِكُنِي قُوقًا وَإِنَّا عَقَدْتُ عَلَى قَلْبِي لِمَا عَقَدْتَ تَعْيِيسٍ^(٢)
 لَقَدْ رَسَخَتْ أَيْ الْجَوَا فِي جَوَانِحِي كَمَا رَسَخَ الْإِنْجِيلُ فِي قَلْبِ قَيْسِ
 بِمَيْدَانٍ جَفْنِي لِلشَّهَادِ كَتِيبَةٌ تُفِيدُ عَلَى صَرْحِ الْكَرَى فِي كَرَادِيسٍ^(٣)
 وَمَا بِي إِلَّا نَفْصَةٌ حَاجِرِيَّةٌ سَرَتْ وَالِدَجِي مَا بَيْنَ وَهْنٍ وَتَقْلِيسٍ^(٤)
 أَلَا نَفْسٌ يَارِيجُ مِنْ جَانِبِ الْحَيَى تُنْفَسُ مِنْ نَارِ الْجَوَى بَعْضَ نَفْثِيسٍ
 وَيَا قَلْبَ لَا تُتْلَقِ السَّلَاحَ فَرِيحًا تَمَذَّرُ فِي الدَّهْرِ أَطْرَادُ الْقَايِيسِ
 وَقَدْ تَعْتَبَ الْأَيَّامُ بَدْعَهَا وَقَدْ يُعْقِبُ اللَّهُ النِّعَمَ مِنَ الْبُيُوسِ
 وَلَا تَخْشَى لُجَّ الْمَعِ يَاحْظَرَةُ الْكَرَى إِلَى الْجَفْنِ بِلَ قَيْسٍ عَلَى صَرْحِ بَلْقِيسٍ^(٥)
 قَوْلِ سُلَيْمَى : مَا لِحَسْمِكَ شَاحِبًا مَقَالَةً تَأْتِبُ يُشَابُ بَتَائِيسِ
 وَقَدْ كُنْتَ تَمْطُو كُلَّاهِتَ الصَّبَا بِرِيَّانٍ فِي مَاءِ الشَّيْبَةِ مَغْمُوسِ
 وَمَنْ رَاجَعَ الْأَيَّامُ يَا بِنْتَ عَامِرٍ يَجُوبُ الْقَلَا رَاحَتَ يَدَاهُ بِتَقْلِيسٍ^(٦)

(١) التمريس : التزول للاستراحة آخر الليل .

(٢) القواق (بالهم والفتح) : ما بين الحلتين من الوقت ؟ أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع . يريد : وقتا قصيرا .

(٣) الكراديس : القطع المنظمة من الخيل . يريد : جيوش المسهاد .

(٤) حاجرة : نسبة إلى حاجر . وهو منزل من منازل الحاج . والوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . والتقليس : آخره .

(٥) لا تخش : الصواب فيه فتح الشين وإسكان الياء ، إلا أن الوزن لا يستقيم بهذا الضبط . ويشير بصرح بلقيس إلى الآية الكريمة : « قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ » .

(٦) راجع الأيام : غالبا ، يرجو أن ترجع كفته .

فلا تحسبي والصدق خير^(١) سجيّة
وقسراء أما ركبها فمُضَلَّل
سَحْنًا^(٢) بها من هضبة لقرارة
إذا مانهضنا عن^(٣) مقيل غزالة
أردنا بها كأسماء دهاق من الشرى
وحانة حمار هذان لقصدها
تطلع ربائبها من جداره
بكرنا وقلنا إذ نزلنا بساحة
أيا عابد الناسوت إنا عصاية
وما قسودنا إلا للقام بحانة
فأنزلنا قوراء في جنباتها^(٤)
بكدنا بها طين الختام بسجدة
ودار القذارى بالمدام كأنها
وصارفنا فيها نضارا بمشله

ظهور النوى إلا بطون النواميس^(٥)
ومر بها من آنس غير مأوس^(٦)
ضلالا وملنا من كناس إلى خيس^(٧)
نزلنا فرسنا بساحة عريس^(٨) [١٠٥]

أملنا بها عند الصباح من الروس
كميم الصميا واصطكاك التواقيس
يهمهم في جُح الظلام بتقديس
عن الصافات الجرد والضمر العيس
أئينا لتثليث بلى ولتسديدس
وكم أليس الحق للبين بتلبيس
محارب شقى لاختلاف النواميس
أردنا بها تجميد حشرة إبليس
قطا تهادي في رياش الطواويس
كأنا ملنا الكأس ليلا من الكيس

- (١) في ت : « غير » . وهو تحريف .
(٢) كذا في الأصلين ونقح الطيب المخطوط والطبوع . ولعلها معرفة عن « النواويس »
بمعنى القبور .
(٣) الربع : للوضع الذي يرتفع فيه في الربيع .
(٤) في نقح الطيب : « سحنًا » .
(٥) الكناس : بيت الظي . والخيس : موضع الأسد .
(٦) في ت : « من » .
(٧) العريس : مأوى الأسد .
(٨) في نقح الطيب المخطوط والطبوع : « فأنزلنا قوراء على جنباتها » .

وَقَدْ نَشَأَوْنِي عِنْدَمَا ^(١) مَتَعَ الضَّحَى
فَقَالَ : لِبَيْسِ السُّلُوكِ ضِيُوفُنَا
وَهَلْ فِي بَنِي مَثُوكِ إِلَّا مُبَرِّزٌ
إِذَا هُوَ عَسَّالَ الْيَرَاعَةِ فَاتِكَاً
يَقْلُبُ تَحْتَ النَّعَقِ مُقَلَّةً ضَاكِكاً
سَبِينَا عَقَّارَ الرِّمِّ فِي عَقْرِ خَانِنَا ^(٢)
لَئِنْ أَنْكَرْتُ شَكْلِي قَضَلِي وَاضِحٌ
رَسَبْتُ بِأَقْصَى الْغَرْبِ ذُخْرُ مَضْنَةٍ ^(٣)
وَأَغْرَيْتِ سُمُومِي ^(٤) بِالْهَذِيبِ وَبَارِقِ
كَمَا نَهَضَتْ غُلْبُ الْأَسْوَدِ مِنَ الْخَبِيسِ ^(٥)
أَمَّا وَأَيُّكَ الْحَيَّرَ ^(٦) مَا نَحْنُ بِالْبَيْسِ ^(٧)
يَحْتَلِبُهُ شُورَى أَوْ بِحَلَقَةٍ تَدْرِيسِ
أَسْأَلُ نَجِيمِ الْخَبَرِ فَوْقَ الْقَرَاطِيسِ
إِذَا تَفَتَّ الْأَبْطَالُ عَنْ مَقَلِّ شُوسِ ^(٨)
بِحِمْلَةٍ ^(٩) تَنْوِيهِ وَخُدْعَةٍ تَذَلِيسِ
وَهَلْ جَائِزُ فِي الْقَمَلِ إِنْكَارَ مَحْسُوسِ !
وَكَمْ دُرَّةٌ عَلَيْهِاءَ فِي قَاعِ قَامُوسِ
عَلَى وَطْنِ دَانِي الْجَوَارِمِ الشُّوسِ ^(١٠)

قصيدة
لابن الخطيب
في الملوك النوى

ومن ذلك قوله رحمه الله في الميلاء النبوي على صاحبه الصلاة والسلام
يعدح مخدومه أبا عبد الله الخلوخ :

ما على القلب بعدكم من جُنَاح
أَنْ يُرَى طَائِراً بِفَرَجِ جُنَاح

- (١) في ت : « سِدْمَا » .
- (٢) مَتَعَ الضَّحَى : بَلَغَ آخِرَ فَائِزِهِ .
- (٣) كَذَا فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « الْحَيَّرَ » .
- (٤) بِالْبَيْسِ : يَرِيدُ : بِالْبَيْسِ ، أَي لَنَا بَيْنَ بَغَالِ لَهْمَ : بَيْسُ السُّلُوكِ .
- (٥) شُوسٌ ، أَي تَنْتَظِرُ بِمُؤَخَّرِ الْمَيُونِ غَضَبًا .
- (٦) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « دَارَهَا » .
- (٧) فِي ط وَنَفْحِ الطَّيِّبِ : « بِحِمْلَةٍ » .
- (٨) فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ : « نَفَرِ مَضْلَةٍ » .
- (٩) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَنَفْحِ الطَّيِّبِ لِلطَّبُوعِ . وَالشُّوسُ (هنا) : السَّجِيَّةُ وَالطَّبَعُ . وَفِي النُّسخَةِ الْخَطِيئَةِ مِنْ نَفْحِ الطَّيِّبِ : « مُوسَى » .
- (١٠) الْمَذِيبُ وَبَارِقُ : مَوْضِعَانِ بِالْكَوْفَةِ وَفِيهِمَا يَقُولُ أَبُو الطَّيِّبِ :
تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْمَذِيبِ وَبَارِقِ يَجْرِي عَوَالِينَا وَيَجْرِي السَّوَابِقِ
وَالشُّوسُ : كَوْرَةٌ بِالْمَغْرِبِ مَدِينَتُهَا طَنْجَة .

وعلى الشوق أن يُسَبَّ إذا هبَّ بأفاسكم نسيمُ الصبحِ
 جيرةً الحى والحديث شُجون والليالى تلينُ بعد الجراحِ
 أترون السَّلُوَ خاسرَ قلبى بعدكم ؟ لا ، وفالقِ الإصباحِ
 ولو أنى أُعْطِيَ اقتراحى على الأيام ما كان بُعْدُكم باقتراحى [١٠٦]
 ضايقتنى فيكمُ صروفُ الليالى واستدارت كَلَى دُورُ الوُشاحِ^(١)
 وسَقَتنى كأسُ الفراقِ دِهاقاً فى اغتياقِ مُواصلِ واضطباحِ^(٢)
 واستباحَت من جِدَّتى وفَتَّانِي حَرَمًا لَمْ أَخلُهُ بالسُّبُحِ
 ومنها :

ياترَى والنفوسُ أُمَرَى أمانى ما لها من^(٣) وثاقها من سراحِ
 هل يُباحُ الورودُ بعد ذِياد أو يُباحُ اللقاءُ بعد انتزاعِ
 وإذا أعودَ الجسومَ التلاقي نابَ عنه تعارفُ الأرواحِ

وهى طويلة ، ولم يحصرنى منها فى هذا التاريخ سوى ما كتبتة . قلت : وأظن
 أن الفقيه الكاتب أبا زكريا يحيى بن خلدون كاتب الإنشاء يتلُسان الحروسة ،
 أيام السلطان أبى حو^(٤) موسى بن يوسف الزَّيَّاتى رحمه الله نسج على منوال
 هذه القصيدة فى قصيدة بديعة له ، ورفضها إلى السلطان أبى حو فى مولد سنة

قصيدة
 لأبى زكريا
 ابن خلدون
 يحاكى بها
 قصيدة
 ابن الخطيب

(١) الوشاح (بالضم والكسر) : آدم مريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين يدها وكشعها .

(٢) الاغتياق : شرب النبيق ، وهو شراب المشى . والاضطباح : شرب الصبوح ، وهو شراب الصبح .

(٣) كفا فى ط وفتح الطيب (ج ٤ ص ٦٠٢) . وفى ت : « عن » .

(٤) كفا فى نعم الطيب . وفى الأصلين هنا : « حم » .

ثمان وسبعين وسبع مئة . وهذا ابن خلدون أخو ولي الدين صاحب التاريخ
الشهور ، ونص القصيدة :

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحٍ أَنْ يُرَى حِلْفَ عَهْدَةٍ وافتضح
وَإِذَا مَا الْمُحِبِّ عَيْلَ اصْطَبَارَا كَيْفَ يُصْنَى إِلَى نَصِيحَةٍ لَاحِ
يَا رَعَى اللَّهُ بِالْمُحْصَبِ رُبْعَا آذَنْتُ عَهْدَهُ النَّوَى بِاتِّزَاحٍ^(١)
كَمْ أَدْرْنَا كَأَنَّ الْهَوَى فِيهِ مَرْجَا رَبِّ جِدِّ مِنَ الْجَوَى فِي التُّزَاحِ
هَلْ إِلَى رَسْمِهِ الْمُحِيلِ سَبِيلُ يَا حُدَاةَ الطُّغَى تَلَكِ الطَّلَاحِ^(٢)
نَسْأَلُ الدَّارَ بِالْخَلِيطِ وَنَسْقَى ذَلِكَ الرِّيحَ بِالسَّمْعِ السَّفَاحِ
أَيَّ شَجْوٍ عَايَنْتُ بَدَ تَوَاها مِنْ أَسَى لَازِمٍ وَصَبْرٍ مُزَاحٍ^(٣)
أَهْلَ وَدَى إِنْ رَابَكُمْ بَرَحٌ وَجَدَى مِنْ صَبَا بَارِحٍ وَبَرَقَ لِيَا حِ
فَاسْأَلُوا الْبَرْقَ عَنْ خُفُوقِ فَوَادَى وَالصَّبَا عَنْ سَقَامِ جِسْنِي الْمُتَاحِ
يَا مُهَيْلَ الْحَى نَدَاءَ مَشُوقِ مَا لَهُ عَنْ هَوَى الدُّمَى مِنْ بَرَا حِ
طَالَمَا اسْتَعَذَبَ التَّدَامِعَ وَزِدَا فِي هَوَاكُمِ عَنْ كُلِّ عَذَبٍ قَرَا حِ
عَادَهُ بِالطَّلُولِ لِلشَّوْقِ عَيْدُ مِنْ حَمَامٍ بَدُوْحِهِنَّ صِدَا حِ
مَنْ لَقِيَ مِنَ الْجَوَى فِي طِرَامِ وَلَجْنٍ مِنَ الْبُكََا فِي جِرَا حِ
وَلَصَبٍ يَبْجِيهِ الذِّكْرُ شَوْقَا فَهُوَ سُكْرًا يَرْتَا حِ مِنْ غَيْرِ رَا حِ
وَلِيَالٍ قَضَيْتُ لَهُ فِيهَا وَطَرَا وَالشَّبَابَ ضَافِي الْجَنَاحِ

[١٠٧]

(١) المحصب : موضع قبا بين مكة ومي ، وهو إلى مي أقرب . (عن معجم البلدان) -

(٢) الطلاح : الإبل التي أعيها السفر وأضناها .

(٣) مزاح : بريد .

رَاكِبًا فِي الْمَوَى ذُلُولُ تَصَابٍ^(١) سَاحِبًا فِي الْغَرَامِ ذَيْلَ سَمَاحٍ
 وَنَجْمُ الثُّقَى تُنِيرُ إِلَى أَنْفٍ رَوْعُ الشَّيْبِ يَرْبِهَا بِالصَّبَاحِ
 أَيْ مَسْرَى حَمْدُ لَمْ أَخْلُ^(٢) مِنْهُ بِسَوَى حَسْرَةٍ وَطُولِ افْتِضَاحِ
 وَأَخْسَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ يَنْفِرِ اللَّهُ زَلَّتِي وَاجْتِرَاحِي
 لَمْ أَقْدَمْ وَسِيلَةً فِيهِ إِلَّا حُبَّ خَيْرِ الْوَرَى الشَّفِيعِ الْمَاسِي
 سَيِّدِ الْعَالَمِينَ دُنْيَا وَآخِرَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي الثُّلَا وَالسَّمَاحِ
 سَيِّدِ الْكَوْنِ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ سِرُّهُ بَيْنَ غَايَةِ وَافْتِتَاحِ
 زَهْرَةِ الْقَتِيبِ مَظْهَرُ الْوَخَى مَعْنَى النُّورِ كُنْهُ الشُّكَاةِ وَالْمُصْبَاحِ
 آيَةُ الْمَكْرُمَاتِ قُطْبُ التَّعَالَى مَصْطَفَى اللَّهِ مِنْ قُرَيْشِ الْبَطَاحِ
 أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ تَخْصِصُ زُلْفَى آخِرُ الرُّسُلِينَ يَمَتَّ نَجَاحِ
 صَفْوَةِ الْخَلْقِ أَرْفَعُ الرُّسُلِ قَدْرًا وَسَرَّاجِ الْهَدَى وَشَمْسِ الْفَلَاحِ
 مَنْ لِمِيلَادِهِ بِمَكَّةَ ضَاءَتِ مِنْ قُرْئِي قَيْصَرٍ جَمِيعِ الضَّوَاحِ
 وَخَبَّتْ نَارُ فَارِسٍ وَتَدَاعَتْ مِنْ مَشِيدِ الْإِيوَانِ كُلِّ النُّوَاحِ
 مِنْ رَقِي فِي السَّمَاءِ سُبْحًا طِبَاقًا وَرَأَى آتَى رَبِّهِ فِي انْتِضَاحِ
 وَدَنَا مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ قُرْبًا ظَافِرًا فِي الْعُلَى بِكُلِّ اقْتِرَاحِ
 مِنْ هَدَى الْخَلْقِ بَيْنَ حُمْرٍ وَسُودٍ وَجَلَّ لِغَيْثِهِمُ بِالْعَبَاحِ
 مِنْ يُجَيِّرُ الْوَرَى غَدَا يَوْمَ يُجْزَى كُلُّ عَاصٍ وَطَائِعٍ بِاجْتِرَاحِ

(١) فِي مَعِ الطَّيْبِ : « تَغَاب » .

(٢) كَذَا فِي ط وَفُتِحَ الطَّيْبُ الْمُطَى وَالْمَطْبُوعُ . وَفِي ت : « لَمْ أَتْلُ » .

مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظَلِّ لَوَاهُ (١)
أَحْمَدُ الْمُجْتَنِبِ حَبِيبًا وَأَتَى
فِي أَنَاجِيْلِهِ الْمَسِيحُ تِلَاةَ
وَلَكُمْ حُجَّةٌ وَبِرْهَانٌ صَدَقَ
إِنَّ فِي التَّجَمُّعِ وَالْبَيَاتِ لَأَنبَاءَ
مُعْجَزَاتٍ فَتَنَ الْمَدَارِكُ وَصَفَاءَ
يَا رُؤَاةَ الْقَرِيضِ وَالشَّعْرِ عَجْرًا
إِنَّمَا حَسْبُنَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ [١٠٨]
يَا أَلَمِي بِحَقِّ أَحْمَدَ عَفْوًا
وَأَدِمِ دَوْلَةَ الْخَلِيفَةِ مُوسَى
مَقْصُورُ الْمَلِكِ مُسْتَقَرُّ الزَّيَا
نَاصِرُ الْحَقِّ بِخَاذِلِ الْجَوْرِ عَدْلًا
يَتَقَالَى النَّسْدَى بِوَجْهِ حَيٍّ
وَلَهُ الْمَكْرُمَاتُ إِرثًا وَلِنِسَاءِ (٢)
مِنْ غَلَا بِأَذْنِمْ وَفَخْرِ صَمِيمٍ
وَأَحَادِيثَ فِي الْمَعَالَى حِسَانٍ
عَاقِدَ صِفْتَهُ الشَّلَا كُلَّ حِينٍ

يَلْبَأُ النَّاسُ بَيْنَ ظِلْمِهِ وَصَاحِبِي (٣)
فَوْقَ عِزِّ الْحَبِيبِ صَرَفِي طَلَحَ
بِاسْمِهِ وَالْكَلِمُ فِي الْأَوَّلِ
فِي تَمَاعٍ أُنَى بِهَا وَالْبِتَاجُ
بَهْرَتُ وَالْمُنِيَّاتُ وَالْأَرْوَاحُ
وَحِسَابًا كَالْزُهْرِ أَوْ كَالصَّبَاحِ
مَا عَنِ يُتَذَكَّرُ كَوْنُ بِالْمُدَاجِ
وَمَى لِلْقَوْنِ آيَةُ اسْتِفْجَاحِ
مَنْ (٤) ذُنُوبَ جَنَّتَيْنِ رِقْبَانِ
ذِي التَّمَالَى لِلْبَيْتَةِ الْأَوْضَاحِ
مَظْهَرُ الطُّفِّ ذُو النَّقَى وَالصَّلَاحِ
مَلِجًا لِحَافَتَيْنِ بِحَرِّ السَّلَاحِ
وَيُلَاقِي الْعِدَا بِبَاسٍ صِفَاحِ
حَانَ حَمْدًا بِهَا مُعَلَّى الْقِدَاحِ
وَكَيْلَ بَحْتٍ وَتَجْدِيدِ صُرَاحِ
رُويَتْ عَنْهُ فِي التَّوَالَى الصَّحَاحِ
فَازَ فِيهِ سَقِيهِ بِالرَّبَاحِ

(١) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّبِيبِ . وَفِي ط : « جَاه » .

(٢) النَّصَابِيُّ : الَّذِي يَرِزُ الشَّمْسُ وَيَصِلُ خُرْمَا .

(٣) كَذَا فِي تَوْفِيقِ الطَّبِيبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مِنْ » .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَتَوْفِيقِ الطَّبِيبِ . وَلَهَا : « كَبَا » .

لَلْبَدَى وَالْهَدَى يَرْوَح وَيَقْدُو أَيْ مَقْدَى إِلَى الثَّلَا وَمَرَّاح
مَلِك تَشْرِيق الْأَمِيرَةِ مِنْهُ فِي سَمَاء السَّرِير نُور صَبَاح
وَإِذَا مَا عَلَا بِسَالِي التَّوَالِي صَهْوَةَ الْجُرْد قَهْو لَيْث الْكِفَاح
لَيْسَ الدَّهْرُ مِنْهُ حُلَّةٌ حُسْن وَتَقَى لِلشَّرُورِ عِطْفَ مِرَّاح
وَعَلَّا طَائِقَ الْخِلَافَةِ مِنْهُ طِرْزُ قَضِيرٍ سَبَى النُّهَى بِالتَّمَّاح
وَرِثَ لِلْمَلِكِ شَاغَةً عَنْ سَرَاةٍ شَتِيدُوا رُكْنَهُ بِأَيْدِي الصَّفَاح
مِنْ بَنِي الْقَاسِمِ الَّذِينَ تَحَلَّوْا بِالْمَعَالِ وَاسْتَأْتَرُوا بِالْقَلَّاح
فَرَعَوْا هَضْبَةَ الْخِلَافَةِ تَجْدَاً رَفَعُوا سَقْفَهُ عَلَى الْأَرْمَاح
نَشَرُوا رَايَةً لِلْفَاخِرِ حَمْدَاً خَافَقَ النُّورَ بِالْأُكْبَا وَالْبِطَاح
يَا إِمَامَا بَدَّ لِلْمُلُوكِ جَلَالَاً وَجَّالَا قُدِّيْتَ بِالْأُرْوَاح
أَنْتَ شَمْسُ الْكَمَالِ دُمْتَ عَلِيَاً فِي اغْتِبَاقٍ مِنَ النُّنَى وَاضْطِجَابِ
وَبَنُوكَ الْأَعْلَوْنَ أَتَجَمُّ سَعْدِ زَاهِرَاتُ بُسُورِكَ الْوَضَّاحِ
وَأَبُو تَاشَسْفِينِ بَدْرٌ مُنِيرِ زَانَهُ اللَّهُ بِالْغِلَالِ الصَّبَّاحِ
أَكْمَلَ الْعَالَمِينَ خَلَقًا وَخَلَقَا أَشْرَفَ النَّاسِ فِي النَّدَى وَالْكِفَاحِ
وَبِكُمْ زُيِّنَتْ سَمَاءُ الْمَعَالِ وَاهْتَدَى النَّاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَّاحِ
قُلْتُ : قَوْلُهُ :

أَكْمَلَ الْعَالَمِينَ خَلَقًا وَخَلَقَا أَشْرَفَ النَّاسِ فِي النَّدَى وَالْكِفَاحِ

لا يخفى من قلة تحفظ ، ومثل هذا في الحقيقة إنما يطلق على رسول صلى الله عليه [١٥٩]
وسلم ، وإن كان للتكلم أراد أهل عصره .

وصف ليالى
مولد النهم
أيام السلطان
أبي حمو

وكان السلطان أبو حمو^(١) موسى بن يوسف المدوح في هذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ، ولا يقع منهم فيه إغفال ؛ وقد تقدم أن العزقي صاحب سبته هو الذى سنّ ذلك في بلاد المغرب ، وأتى برؤفى تدينه إلى الله وتُرب ؛ واقتفى الناس سنّته ، وتقليدوا منه ؛ تعظيما للجناب الذى [وجب] له السموات والعلو ، على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حد الإسراف والفلو ؛ وكل يعمل على شاكلته .

ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو^(٢) للذكر ما قاله صاحب راح الأرواح^(٣) : « إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، بمشورة من تلمسان المحروسة ، مدعاة خيالة ، يحشُر فيها الناس خاصة وعامة ، فاشتت من تمارق مصفوفة ، وزرّابي مبهوثه ؛ وبُسط مُوشاه ، ووسائد بالذهب مُعشاه ؛ وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالمالآت ؛ ومباخر صُغر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر من تير [مذاب]^(٤) ؛ ويُفاض على الجميع أنواع الأطعمة ، كأنها أزهار الربيع المنمنمة ؛ تشبهها الأنفُس وتستلذها النواظر ، ويخالط حُسن ريتاها^(٥) الأرواح ويُحاسر ؛ رُتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد هلت الجميع أبهة الوقار والإجلال ؛ وبسبب ذلك يحتفل للشمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومُكفّرات ترغّب في الإقلاع عن الآثام ؛ يخرجون فيها من فن إلى فن ، ومن أسلوب إلى أسلوب ؛ ويأتون من ذلك بما^(٥) تطرب له [١٦٠]

(١) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « أبو حم » .

(٢) صاحب راح الأرواح هو أبو عبد الله التتسي ثم التلمساني .

(٣) القكلة من فتح الطيب .

(٤) في ط : « رؤياها » .

(٥) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « ما » .

النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب ؛ وبالقرب من السلطان ، رضوان الله عليه ،
خزانة [المنجاة] ^(١) ، قد زُخِرَتْ كَأَنَّهَا حُلَّةٌ يمانية ، لها أبواب مُرْتَبِجَةٌ ^(٢) ، على
عدد ساعات [^(٣) الليل الزمانية ؛ فيها مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها ،
وفتح عند ذلك باب من أبوابها ؛ وبرزت منه جارية صُورَتْ في أحسن صورة ،
في يدها البيني رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة ؛ فتضعها
بين يدي السلطان بلطافه ، ويُسرّاهَا على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافه ؛
هكذا حالم إلى انبلاج عمود الصباح ، ونداء المنادي حتى على الفلاح » .
انتهى كلام صاحب راح الأرواح ..

وقال ^(٤) في نظم الدرر والعقيان في هذا المعنى ما نصه :

« وكان ، يعنى السلطان أبا هو ، يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ،
ويحتفل لها بما هو فوق سائر اللواسب ، يُقيم مَدْعَاة ، يحشر لها الأشراف والشوكة ،
فاشتت من تمارق مصفوفة ، وزرّابى مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان
الحضرة على مراتبهم ، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخرز الملون ، وبأيديهم
مباخر ومِرْشَات ، ينال كل منها بحظه ، وخزانة المنجاة ذات تماثيل الجُيْنِ
محكمة الصنعة ، بأعلاها أَيْكَة تحمل طائرا ، قَرَّخَاه تحت جناحيه ، ويَحْتَلِلُه
فيها ^(٥) أرقم ، خارج من كوة يجذر الأيكة صُعْدَا ^(٦) ، وبصَدْرُهَا أبواب مُرْتَبِجَةٌ

(١) المنجاة : آلة لرصد الوقت . (انظر تكملة المسجات لهدوزى) .

(٢) كذا في النسخة الخطية من فتح الطيب وفيها سياق في الأصلين . وفي الأصاين هنا
وفتح الطيب المطبوع : « موجعة » .

(٣) التكملة عن ت وفتح الطيب .

(٤) يريد أبا عبد الله التلّساني ثم النفسى صاحب راح الأرواح .

(٥) في فتح الطيب : « فيها » .

(٦) في فتح الطيب : « صاعدا » .

بعدد ساعات الله الزمانية ، يصاقب طرفها يابان كبيران ، وفوق جميعها دُورُن
رأس الخِزانة ، قرأُ كل ، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك ، ويُسامت
أول كل ساعة بابها المرتج ، فينقُصُ من البابين الكبيرين عُقابان ، ينفِي^(١) كل
واحد منهما صُتْجَة صُفْر ، يلقيها إلى طُسْت من الصُفْر مجوّف ، بوسطه ثقب يفضى
بها إلى داخل الخِزانة فيرن ، وينش الأرقم أحد الفرخين ، فيصفر له أبواه ، فهنا [١٦١]
يفتح باب الساعة الناهية ، وتبرز منه جارية محتزِمة ، كأُظرف ما أنت راء ،
بينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوما ، ويُسرّاه موضوعة على فيها ، كالثبابة
بالخلاقة ، والمُسْمِع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يوتى آخر الليل بموائد كالمالأت بدُورا ،
والرياض تُوْرا ؛ قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشبهها الأنفس ،
وتستحسنها الأعين ، وتلذّ بَسَاج أَسْمَلْها الأذن ، ويشره مُبْصِرْها للقرب منها
والتناول وإن كان ليس بفرّثان ؛ والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه
فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع ، حتى يصلّى هنالك صلاة الصبح :

على هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع أيام
دولته ، أعلى الله مقامه في عليين ، وشكره له في ذلك صنعه الجميل ، آمين .
وما من ليلة مولد مرت في أيامه إلا ونظم فيها [قصيدا] ^(٢) في مدح المصطفى
صلى الله عليه وسلم أول ما يتدبّر المُسْمِع في ذلك الحفل العظيم بإنشاده ، ثم يتلوه
إنشاد من رفع إلى مقامه العلى في تلك الليلة نظما .
انتهى كلام صاحب نظم الدرر والعقيان ، وهو أتم مساقا من كلامه في
راح الأرواح .

(١) في فتح الطيب : « في يد » .

(٢) زيادة على ذلك وضع الطيب :

أقول : ولا بد أن نذكر جملة من القطع التي أنشأها الكاتب أبو زكرياء يحيى بن خلدون كاتب السلطان أبي حو المذكور ، على لسان جارية المنجانة ، مخاطبة بما مر من الليل ، وكانت الجارية تأتي بها في يدها اليمنى ، كما ذكرناه ؛ فن ذلك [قوله رحمه الله في مضي ساعتين من الليل :

شعر لأبي زكريا
ابن خلدون
في المنجانة

أخليفة الرحمن والملك الذي تمنو لمرّ علاه أملاك البشّر
لله جلستك الذي يحكي عُلا بك مالكي أفق السماء لمن نظر
أوما ترى فيه النجوم زواهرها وجه الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قد انقضت تُثني عليك فَمَا الرياض على المطر
لا زال هذا النُّك منصوراً بكم وبلغت مما ترجي أسنى الوطر

[١٦٢]

و[قوله رحمه الله في انقضاء ثلاث ساعات من الليل :

أمولاي يابن الملوك الألى لم في التمالى سنى الرتب
تولت ثلاث من الليل أبقت لك الفخر في عُجمها والعرب
فدُم حجة الله في أرضه تنال الذي شئت من أرب

وقوله رحمه الله في مضي ست ساعات :

يا ماجدا وهو فرد تخاله في عساكر
ست من الليل ولت ما إن لها من نظائر
دامت لياليك حتى إلى الصنادق تواضر

وقوله رحمه الله في مضي ثمان ساعات :

يا أكرم الخلق ذاتا وأشرف الناس أسرة
مررت ثمان وأبقت في القلب مني حبرة

فبينَ كانَ شبَّابِي أَخَا نعيمٍ ونَصْرِهِ
وَلَى بها الدهرُ عَنِّي تُرَى لها بَعْدُ كَرَمُهُ
فَاللهُ يُبْقِيكَ مَوْتِي يُطِيلُ في السعدِ عُمرُهُ

وقوله رحمه الله في مضي عشر ساعات :

يا مالِكَ الخيرِ والخِيارِ التي حَكَتْ لَهُ بِعِزٍّ على الأَيامِ مُقْتَبِلُ
هَذَا الصَّبَاحِ وَقَدْ لَاحَتْ بِشَارُهُ وَاللَّيْلُ وَدَعَّنا تَوَدِّعُ مُرْتَحِلُ
لَهُ عَشْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ باهَرَةٌ مَضَيْنَ لَاحَ عَن قَلْبِنا وَلَا مَثَلُ
كَذَا تَمَرُّ لِيالِ العُمرِ راحِلَةٌ عَنَّا وَنَحْنُ مَعَ الآمالِ في شُغْلُ
نُفْسِي وَنُصْبِيحِ في لَهْوٍ نُتَرِّهُ بِهِ جَهْلًا وَذَلِكَ يُدْنِينَا مِنَ الأَجَلِ
وَالعَمْرُ يَمْضِي وَلَا نَدْرِي فَوَا أَسَفًا عَلَيْهِ إِذْ عَرَّ في الأَثامِ وَالزَّلَلِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي غَدًا كَيْفَ الْخِلَاصِ بِهِ وَلَمْ تَقْدَمْ لَهُ شَيْئًا مِنَ العَمَلِ
يَا رَبِّ عَفْوُكَ عَمَّا قَدْ جَنَّهُ يَدِي فَلَيْسَ لِي بِجِزَاءِ الذَّنْبِ مِنَ رِقْلِ
يَا رَبِّ وَأَنْصُرْ أَمِيرَ المُسْلِمِينَ أَبَا حَمُو الرِّضَا وَأَنَّ لَهُ غَايَةَ الأَمَلِ
وَأَبْقِ في العِزِّ وَالتَّكْوِينِ مَدَّتَهُ وَأَعْلِ دَوْلَتَهُ التَّرَا على الدُّوَلِ

[١٦٤]

ومن الموشحات التي خطب بها السلطان أبو حور رحمه الله في مولده سنة سبع وستين وسبع مئة ، قول طبيب دولته أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الشهير بالتلايسى ، رحمه الله تعالى :

لِي مَدْمَعِ هَتَّانِ يَهْتَلِ مِثْلَ الدُّرَرِ
قَدْ صَيَّرَ الأَجْزَانِ مَا إِنْ لَهَا مِنْ أَثَرِ

(١) كذا في نفع الطيب . وفي ط : « ياليت أن غدا » . وفي ت « ياليت غدا » . وما ظاهرة التحريف .

موشحة
للتلايسى
يخطب بها
أبا حور

حَقُّهُ يَجْزِي دَمَا عَلَى طَوْلِ الدَّوَامِ
مُنْذُ جَدِّ فِي السَّيْرِ نَاسٌ إِلَى خَيْرِ الْأَنَامِ
وَعَاقِبَتِي وَزَرِي يَا صَاحِرَ عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ
وَسَارَتِ الْأَعْظَامُ يُحْدِي بِهَا فِي السَّعْرِ
فَاسْتَبْشِرِ الرِّكْبَانَ بِقَرَبِ نَيْلِ الْوَطَرِ

يَا سَمْعَهُ مَنْ زَاوَى قَبْرَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
مُحَمَّدَ الْخِتَارَ قُلُوبَ لِلْمَالِي وَالْوَفَا
فِي مَدْحِهِ قَدْ حَازَ الْخَلْقُ طُرًّا وَكَفَى
فِي تَحْكَمِ الْقُرْآنِ وَشَرَحِهِ وَالسَّيْرِ
فَقَوْلُهُ الرَّحْمَنُ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ

يَا حَادِيَ الرِّكْبِ يَا اللَّهُ إِنْ جِثَّتِ الْبَقِيعُ
نَحْيَةً الْعَصَبُ بَلَّغْ إِلَى الْمَادَى الشَّغِيقِ
عُرِّيْتُ بِالْقَرْبِ عَنْ ذَلِكَ لِقَى الرَّفِيعِ
وَلَيْسَ لِي إِمْكَانُ مِيْنَهْنِي لِلْفَرِيقِ
إِلَّا مِنْ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظُّفْرِ

مَنْ لَمْ يَزَلْ يَسُوْ إِلَى النَّالَى كُلِّ حِينِ
ذَاكَ أَبُو حَمُوَ لِلْمَوْلَى أَمِيرُ السُّلَمِينِ
طَاعَتُهُ عَسَمُ نَلْنَا بِهَا دُنْيَا وَدِينِ
أَظْهَرَ فِي الْجُلْدَانِ مَنْ عَدَلَهُ الْمُشْتَهَرِ
وَعَمَّ بِالْإِحْسَانِ لِلْبُدُوْنِ الْحَصْرِ

قَابَلَهُ إِسْمَاعِيلُ تَكَلَّمَ عَنْهُ الْأَلْسِنَةُ
قَبِيلُ عَبْدِ الْوَادِ^(١) بِهِ غَدَتِ فِي سُلْطَنِهِ
أَيَّامُهُ أَعْيَادُ يَالَيْتَهَا أَتَقَا سَنَتُهُ
مُلْكُ بَنِي زَيْنَانَ بِالْمَشْرِقِ الدَّكَرِ
أَحْيَاءُ إِذْ قَدْ كَانَ لَيْسَ لَهُ مِنْ خَيْرٍ
تَاهَتْ تِلْكَ عَلَى الْبِلَادِ
صَارَ لَهَا شَانُ وَسَعْدُهَا خَلْفُ اَزْدِيَادِ
قَدْ ضَلَّ إِنْسَانٌ قَالَ بِهَا يَشْكُو الشَّهَادِ
لَيْلُ الْهَوَى يَقْظَانُ وَالْحَبَّ تَرْبُ السَّهَرِ
وَالصَّبْرُ لِي جَوَانُ وَالنُّوْمُ مِنْ عَيْنِي بَرَى^(٢)

وكان هذا السلطان أبو حور رحمه الله يقرض الشعر، ويحب أهله، وله
رحمة الله تأليف حسن في السياسة، نخص فيه «سُلُوانُ الطَّاعِ» لابن ظَفَرٍ،
وزاد عليه فوائد، وأورد فيه جملة من نظمته، وأمورا جرت له مع معاصريه من
ملوك بني مَرَيْنٍ وغيرهم، وصنّفه برسم ولي عهده أبي تاشفين، وسمّاه «نظم
السلوك» في سياسة الملوك.

وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله بن الخطيب المذكور آنفا كثيرا
ما يوجّه إليه بالأمداح، ومن أحسن ما وجّه له^(٣) قصيدة سينية فائقة، وذلك [١٦٥]
عند ما أحسن بتبشير سلطانه عليه، فجعلها مقدمة بين يدي نبحاء، لتمهيد له مشواه؛

(١) في ط: «الواد».

(٢) كذا في ط. وفي ت: «عن».

(٣) برى: يريد: «برى» فسهل لغيره.

(٤) كذا في ط وفتح الطيب (ج) ٤ ص ٢٧، طبة بلاق. وفي ت: «إليه».

قصيدة
ابن الخطيب
لسلطان أبي حور
يستفيد به

وتحصل له المستقر، إذا أُلْجَأَ الأمر إلى المقر؛ فلم تساعده الأيتام، كما هوشأها
في أكثر الأعلام؛ وهي هذه:

أُطْلِقَ فِي سُدْفِ الْفُرُوعِ شُمُوسًا ضَعُكَ الظَّلَامَ لَمَّا وَكَانَ عُبُوسًا
وَعَطْفَنَ قُضْبًا لِقُدُودِ نَوَاعِمَا بُوْهْنٍ أَدْوَحَ النِّعَمِ غُرُوسًا
وَعَدَّلَنَ عَنْ جَهْرِ السَّلَامِ مَخَافَةَ الْوِشَاشِ فَعِثْنَ بَلْقَطَهُ مَهْمُوسًا
وَسَتَّرْنَ مِنْ دَهْشِ الْوَدَاعِ وَقَوْمَهُنَّ إِلَى التَّرَحُّلِ قَدْ أَنَاخُوا الْعِيسَا
وَحَلَسْنَ مِنْ خَلَلِ الْحِجَالِ إِشَارَةً فَتَرَكْنَ كُلَّ حِجَالِهَا مَخْلُوسًا
لَمْ أَنْتَهَا مِنْ وَحْشَةٍ وَالْحَيُّ قَدْ زَجَرَ الْجَوْلَ وَأَتَرَ التَّغْلِيْسَا
لَا اَلْمُتَّقِيْنَ مِنْ بَعْدِهَا كَتَبَ^(١) وَلَا عُوجُ الرَّاكِبِ تَسَامُ التَّخْيِيسَا^(٢)
فَوَقَّتْ وَفَقَّةَ هَائِمِ بَرْحَاوَةٍ وَقَفَّتْ عَلَيْهِ وَحُبِسَتْ تَحْيِيسَا
وَدَعَوْتُ عَيْنِي عَاتِبًا وَعُيُونَهَا بِمَا التَّوَيَّ قَدْ بُحِسَتْ تَحْيِيسَا
نَافَسْتُ يَا عَيْتِي دُرَّ دُمُوعِهِمْ فَرَضْتُ دُرًّا لِلدُّمُوعِ تَقْيِيسَا
مَا لِلْحَيِّ بَعْدَ الْأَحَبَّةِ مُوَحِّشًا وَلَكُمُ تَرَاهِي أَهْلًا مَأْنُوسَا
وَلَيْسَ بِهِ حَوْلُ الْحَيْسَةِ نَافِرًا عَمَّنْ يُحْسِنُ بِهِ وَكَانَ أَنْبَسَا
وَلِظْلِهِ الْمُرُودِ غَمْرُ قَلْبِيهِ لَا يَقْتَضِي وَزْدًا وَلَا تَعْرِيسَا^(٣)
حَيِّيْتُهُ فَأَجَابَنِي رَجْعُ الصَّدَى لَا فَرَقَ بَيْنَهُمَا إِذَا مَا قَيْسَا
مَا إِنْ يَرِيدُ عَلَى الْإِعَادَةِ صَوْتَهُ حَرْفًا فَيُشْفِي بِالْتَزِيدِ تَسْيِيسَا^(٤)

(١) كتب، أي قريب.

(٢) كذا في ط. والتخييس: أن تملأ الدابة وترانس بالركوب. وفي ت وقع

الطيب: «التخييس».

(٣) القلب: البئر. وعمره: أي ماؤه الطاهر. والتعريس: النزول آخر الليل.

(٤) التيس: غاية جهد الإنسان.

نَصَبَ الْعَيْنِ وَقَلَسَ الظِّلُّ الَّذِي ظَلَّنَا وَقُوفًا عِنْدَهُ وَجُلُوسًا
 نَتَوَاعَدُ الرَّجْمَى وَتَقْتَمِ اللَّقَا وَنُذِيرٌ مِّنْ شَكْوَى الْغَرَامِ كَثُوسًا
 فَإِذَا سَأَلْتَ فَلَا تَسْأَلْ خَيْرًا وَإِذَا تَعَمَّتْ فَلَا تُحِصْ حَسِيصًا
 عَهْدِي بِهِ وَالْدَهْرُ يُتَحَفُّ بِالنِّقَى وَقَدْ اقْتَضَتْ نُهَاهُ أَنْ لَا بُوسًا^(١)
 وَالْبَيْشُ غَضُّ الرَّيِّعِ وَالْذُّنْيَا قَدْ اجْتَلَيْتْ بِمَفْهَاهُ^(٢) عَلَى عَرُوسًا
 أَتَرَى يُعِيدُ الدَّهْرُ عَهْدًا لِلْعَبَا دَرَسَتْ مَعَانِي الْأُنْسِ فِيهِ دُرُوسًا
 [أَوَطَانٍ أَوْطَارٍ تَقْوَضُ أَقْفَاهَا مِنْ رَوْنَقِ الْبِشْرِ الْبَهِيِّ عُبُوسًا]^(٣)
 هِمَاتٍ لَا تُغْنِي لَعَلَّ وَلَا عَسَى فِي مِثْلَهَا إِلَّا لَآيَةُ عَيْسَى
 وَالْدَهْرُ فِي دَسْتِ الْقَضَاءِ مُدْرَسٌ فَإِذَا قَضَى يَسْتَأْنِفُ التَّدْرِيسَ
 تَقْتَنَنَّ فِي جُمُحِلِ الْوَرَى أَبْحَاثَهُ لَا سِيَّامًا فِي بَابِ رِثْمٍ وَبِيسَا
 وَسَجِيَّةُ الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِنَاصِلٍ مِنْ صَبْنِهَا حَتَّى يَرَى مَرْمُوسًا
 يَفْتَرُّ مَهْمَا سَاعَدَتْ أَمَالُهُ فَإِذَا عَرَاهُ النُّخْلُ كَانَ يَبُوسًا
 فَلَوْ أَنَّ نَفْسًا مُكَنَّتْ مِنْ رُشْدِهَا يَوْمًا وَقَدَّسَهَا الْهُدَى تَقْدِيسًا
 لَمْ تَسْتَفْزِ رِسْوَحَهَا الثَّمَمَى وَلَا هَلَعَتْ إِذَا كَثُرَتْ^(٤) إِلَيْهَا الْبُوسَا
 قُلْ لِلزَّمَانِ إِلَيْكَ عَنْ مَتَدَمٍّ^(٥) بَضِيانٍ عِزٌّ لَمْ يَكُنْ لِبَيْغِيَا^(٦)

[١٦٦].

(١) لَا بُوسَا : لَا مَوْسَا ، فَسْهَل .

(٢) كَذَا فِي نَجْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَمَلَيْنِ : « بِمَنَاهُ » .

(٣) التَّكَلُّفُ جَنْتُ وَنَجْعُ الطَّيِّبِ .

(٤) كَذَا فِي نَجْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي ت : « كَسَرَتْ » . وَفِي ط : « كَثُرَتْ » وَكَلَامُهُمْ خَرِيف .

(٥) التَّنَمُّمُ : السُّتُكْفُفُ .

(٦) كَذَا فِي ط وَنَجْعِ الطَّيِّبِ . وَفِي ت : « تَبْغِيَا » .

فإذا استحرَّ جلادُهُ فأنا الذى اسْتَحْشَيْتُ مِنْ سَرْدٍ^(١) اليقين لبوساً^(٢)
 وإذا طغى فرعونهُ فأنا الذى مِنْ سُرِّهِ وأذاه عُدْتُ بموسى
 أنا ذا أبومثواه^(٣) من يَحْمِي الحِمَى ليثاً ويُسَلِّم بالزَّيْثِ الخبيساً
 يَحْمِي أبى سَخْو حَطَطْتُ رِكَائِي لما اخْتَبَرْتُ اللَّيْثَ والعَرِيْسَا
 أَسَدَ الْهَيْجِ إذا خَطَا قُدَمَا سَطَا فَيُخَلِّفُ الْأَسَدَ الْهَزْبَ فَرِيْسَا
 بَدَّرَ الْهَدَى يَابَى الظَّلَالِ ضِيَاوَهُ أَيْدِياً فيجْلُو الظُّلْمَةَ الْخُنْدِيْسَا^(٤)
 جَبَلُ الْوَقَارِ سَا وَأَشْرَفَ وَاعْتَلَى وَصَمَا فَعَطَّأَتِ الْجِبَالُ رُؤُوسَا
 عَيْثُ النِّوَالِ إذا الْعَامُ حَلُوبُهُ مَثَلْتُ بِأَيْدِي الْحَالِبِينَ بَسُوسَا^(٥)
 تَلْقَاهُ يَوْمَ الْإِنْسِ رَوْضَاً نَاعِمَا وَتَرَاهُ بَاسَاً فِي الْهَيْجِ بَيْتِيْسَا
 كَمْ غَمْرَةٍ جَلَّى وَكَمْ خَطْبٍ كَفَى إِنْ أَوْطَأَ الْجُرُودَ الْعِتَاقُ وَطِيْسَا
 كَمْ حِكْمَةٍ أَبْدَى وَكَمْ قَصْدٍ هَدَى لِّلْسَالِكِينَ أَبَانَ مِنْهُ دَرِيْسَا^(٦)
 أَجْلَى بَقَى زَيَّانَ وَالْقَبْذَ الَّذِي لَيْسَ الْكَمَالُ فَرِيْنَ التَّلْبُوسَا
 جَمَعَ النَّدَى وَالْبَاسَ وَالشِّمَّ الْفَلَا وَالشُّوْدَدَ لِلتَّوَاتَرِ الْقُدُمُوسَا^(٧)
 وَالْحَلْمَ لَيْسَ يُبَايِنُ التَّخْلُقَ الرُّضَا وَالْمَلَمَ لَيْسَ يِعَارِضُ النَّامُوسَا

(١) سَرْدُ الْيَقِينِ : أَيْ دَرَجٌ مِنَ الْيَقِينِ .

(٢) كَذَا فِي طَوْعِ الطَّيْبِ . وَفِي ت : « الْبُوسَا » .

(٣) كَذَا فِي فَحِّ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَثْوَا » .

(٤) الْخُنْدِيْسُ : الْعَدِيدُ الظُّلْمَةِ .

(٥) الْبُوسُ : النَّاقَةُ الَّتِي لَا تَمُرُّ إِلَّا عَلَى الْإِبَاسِ ، أَيْ التَّلَطُّفِ ، بَأَنَّ يُقَالُ لَهَا : بَسَ .

بَسَ ، تَكْنِيئاً لَهَا .

(٦) الدَّرِيْسُ : الطَّرِيقُ الْحَقُّ .

(٧) الْقُدُمُوسُ : الْقَدِيمُ .

والسعد ينفى حكمه عن نصبة تستخبر الترييح والتسديس
كم راض صعباً لا يراض مفاصيا كم خاض حرباً لا يخاص ضرؤنا
بلغ التي لا قوتها متملاً وعلا الشها واستسفل البرجيس^(١)
يا خير من خفت عليه سحابة للنصر تظفره أجنس بجيس^(٢)
وأجل من حملته صهوة صاحج إن كره ضمض كره الكردوس^(٣)
قسماً بمن رفع السماء بشير ما نحمد ورفق فوقها إدريس
ودحا البسيطة فوق ليج مزيد ما إن يزال على القرار جليس
حتى يهيب بأهله الوعد الذي حشر الرئيس إليه والمرؤس
ما أنت إلا ذخردهرك دنت في المسون الحريز متعاً محرونا
لوساومته الأرض فيك بما حوت لآك مستاماً بها مبخوسا
جلف^(٤) البرور بها ألية صادق وعين من عقد اليمين غموسا^(٥)
من قاس ذاتك بالدوات فإنه جعل للوزان وأخطأ التقييد
لا تستوي الأعيان فضل مزيد وطبيعة فطر الإله وسوسا^(٦)
لعناية التخصيص سر غامض من قبل ذره الخلق حص نفوسا
من أنكر الفضل الذي أوتيته جعد العيان وأنكر المحسوسا

[١٦٧]

(١) البرجيس (بالكسر) : نجم ، أو هو المشتى .

(٢) بجيس : غزيرا .

(٣) الكردوس : القطعة الظلمة من الجبل .

(٤) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « كلف » .

(٥) عين : يكذب . واليمين النوس : التي تنمس صاحبها في الإثم ثم في النار ، وهي

الكاذبة التي يصددها صاحبها علماً بأن الأمر بخلافه .

(٦) السوس : الطبيعة والسجية .

من دَانَ بالإخلاص فيكَ فَقَدْهُ لَا يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَالتَّوْبَةَ
 وَالْمُنْتَمَى الْعَلَوِيَّ عَيْصُكَ لَمْ تَكُن لَتَرَى دَخِيلًا فِي بَيْتِهِ دَمِيصًا^(١)
 يَبْتَ التَّبَتُولِ وَمُنْتَمَى الشَّرَفِ الَّذِي تَحْيَى لِللَّائِكُ دَوْحَهُ التَّغْرُوسَا
 أَمَّا سِيَاستِكَ الَّتِي أَخَعْنَهَا فَرَمَيْتَ بِالتَّغْيِيرِ أَشْطَالِيسَا
 فَلَوْنُ كِرْسَى الْقُرْصِ أَبْصَرَ بَعْضَهَا مَا كَانَ يَطْمَعُ أَنْ يُعْدَ سَوْسَا^(٢)
 لَوْ سَارَ عَدْلُكَ فِي السَّنِينَ لَمَا اشْتَكَيْتَ بَعْضًا وَلَمْ يَكُ بَعْضُهُنَّ كَيْسَا
 وَلَوْ الْجَوَارَى الْخُسْنُ اتَّسَبَتْ إِلَى أَقْوَامٍ عَزَّكَ مَا خَفَسْنَ خُنُوسَا^(٣)
 قُدَّتِ الصَّعَابُ فَكُلَّ صَبْرٍ سَامِعُ لَكَ بِالْقِيَادِ وَكَانَ قَبْلُ شَمُوسَا
 تَلَقَّى اللَّيْثُ وَلَقَتَامَ نَحْمَاة قَدَحَ الصَّنِيعِ وَمِيفَهَا الْقَبُوسَا
 وَكَأَنَّهَا تَحْتَ الدَّرُوعِ أَرَاقِمَ يَنْظُرُونَ مِنْ خَلَلِ الْمَخَافِرِ شُوسَا^(٤)
 مَا لَبَنَ مَامَةً فِي الْقَدِيمِ وَحَاتِمَ ضَرَبَ الزَّمَانُ بِمَجُودِهِمْ نَاقُوسَا^(٥)
 مِنْ جَاءَ مِنْهُمْ مِثْلُ جُودِكَ كَلَّمَا حَسِبُوا لِلْكَارِمِ كُوسَةً أَوْ كَيْسَا
 أَنْتَ الَّذِي افْتَكَّ السَّفِينِ وَأَهْلَهُ إِذْ أَوْسَعْتَ سَبِيلَ الْخِلَاصِ طُغُوسَا
 أَنْتَ الَّذِي أَمَدَدْتَ ثَرَاهِيقَ الصَّدَقَاتِ تُبْلِسُ كَرَّةً إِبْلِيسَا
 وَأَعْنَتَ أَنْدَلُسَا بِكُلِّ سَبِيكَةٍ مَوْسُومَةٍ لَا تَعْرِفُ التَّذَلُّيسَا

(١) اليمى : الأصل .

(٢) في نفع الطيب للطبوع والمخطوط : « بوسا » .

(٣) الجوارى الجنس : منها زحل والمرخ والمشتري وعطارد والزهرة ؛ وخنوسا : اختفاؤهما .

(٤) شوسا : ناظرة بمؤخر العين غضبا .

(٥) ابن مامة : هو كعب ، وهو من أجواد العرب .

وَسَحَنَتْهُ بِالْبَرْ فِي سُبُل الرضا والبرِّ قَارِب قَاعُهَا الْقَامُوسَا
 إِن لَمْ تَجِرْ بِهَا الْخَيْسَ فطالما جَهَزَتْ فِيهَا لِقَوَالِ خَيْسَا
 وَمَلَأَتْ أَيْدِيَهَا وَقَدْ كَادَتْ عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ تُشَابِهُ التَّقْلِيلَا
 صَدَقَتْ لِلْأَمَالِ صَنَعَةُ جَابِرٍ^(١) وَكَفَيْتُهَا التَّشْمِيعَ وَالتَّشْمِيسَا^(٢)
 وَالْعَلَّ وَالتَّقْطِيرَ وَالتَّضْمِيدَ وَالتَّخْدِيرَ وَالتَّصْوِيلَ وَالتَّكْلِيسَا^(٣)
 فَسَبَكَتْ مِنْ آمَالِهَا مَا لَا وَمِنْ أَوْرَاقِهَا وَرِقًا وَكَنَّ طُرُوسَا
 بُهِتُوا فَلَمَّا اسْتَخْبَرُوا لَمْ يُنْكِرُوا وَزَنَا وَلَا لَوْنَا وَلَا مَلُوسَا
 تَدِيرَ مَنْ قَلْبَ السُّطُورِ سَبَائِكَا مِنْهَا وَمِنْ طَبِيعِ الْحُرُوفِ فُكُوسَا
 وَنَحَوَتْ نَحْوَ الْفَضْلِ تَقْصِيدًا مِنْهُ بِالسَّمْعِ مَا أَلْفَيْتَ مِنْهُ مَقِيسَا
 وَجَبَزَتْ بِدَلِ الْكَسْرِ قَوْمَكَ جَاهِدَا تُغْنِي الْقَدِيمَ وَتُطْلِقُ التَّجْهِدَا
 وَنَشَرَتْ رَايَةَ عِرْهِمْ مِنْ بَدَمَا دَالَ الزَّمَانَ فَسَاتَهَا تَشْكِيْسَا
 أَحَكَّتْ حِيلَةَ بَرْتَنِيهِمْ بِلَطَافَةٍ قَدْ أَعْجَزَتْ فِي الْعَلْبِ جَالِينُوسَا
 وَقَلَّتْ مِنْ حَدِّ الزَّمَانِ وَإِنَّهُ أَوْحَى وَأَمْنَقَى مِنْ غِرَارِ الْمَوْتَى
 وَشَعَنْتْ حَدًّا كَانَ قَبْلُ مُمْلَا وَنَعَشَتْ جَدًّا كَانَ قَبْلُ نَعِيسَا

[١٦٨]

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء) .

(٢) التَّشْمِيعُ : تليين الشيء وتصويره كالشمع . (عن مفاتيح العلوم لخنوارزمي) .

(٣) الحل : أن تجعل المنقذات مثل الماء . والتقطير : مثل صنعة ماء الورد ، وهو أن يوضع الشيء في الفرج ويوقد تحته ، فيصعد ماؤه إلى الأنبيق ، وينزل إلى القابلة ، ويجمع فيه . والتضميد : شبيه بالتقطير ، إلا أن أكثر ما يستعمل في الأشياء اليابسة . والتصويل : أن يجعل الشيء الذي يرسب في الرطوبات طائفاً ، وذلك أن يصير مثل الهباء حتى يصول على الماء . والتكليس : أن يجعل جسد في كيزان مطينة ويجعل في النار حتى يصير مثل الدقيق . والشيء يكلس ثم يصول . (عن مفاتيح العلوم) .

لَمْ تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ فِي شِدَّةٍ تُكْفَى وَجُرحَ يُوسَى
 قَدِمْتَ صُبْحًا فَاسْتَضَاتْ بِنُورِهِ وَوَجَدْتَ عِنْدَ الشَّدَةِ التَّنْفِيسَا
 مَا أَنْتَ إِلَّا قَالِحٌ ^(١) مَبْتَقِنٌ بِالنَّجْحِ تَعَمَّرَ مُعَمَّرًا وَيَبْسَا
 وَمُتَكَاوِرٌ جَمَلُ الْأَرْيَكَةِ صَهْوَةٌ عَرَبِيَّةٌ وَلِلتَّكَ الْقَرْبُوسَا ^(٢)
 مَا إِنْ تَبَايَعَ أَوْ تُشَارَى ^(٣) وَاتَّقَا بِالرَّيْحِ إِلَّا لِلْمَالِكِ الْقُدُوسَا
 وَالْعَزْمُ يَفْتَرِعُ النُّجُومَ بِنَاوِهِ مَهْمَا أَقَامَ عَلَى الثَّقَى تَأْسِيسَا
 وَمَقَامُ صَبْرِكَ وَاتِّكَالِكَ مُذَكِّرٌ بِحَدِيثِهِ الشَّيْلَى أَوْ طَاوُوسَا ^(٤)
 وَمَنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ وَفَّقَ سَعْيَهُ فَرَأَى الْعَظِيمَ مِنَ الْخَطُوطِ خَسِيسَا
 مَا أَزْدَدَتْ بِالْمُتَحَيِّصِ إِلَّا جِدَّةً وَنُفُوتَ مَنْ خَلَعَ الزَّمَانَ لَيْبَسَا
 وَلِظُلْمِ طَرِيقِ الْخُسُوفِ أَهْلَةً وَلِظُلْمِ اعْتَرَضَ الْكُسُوفِ شُمُوسَا
 ثُمَّ انْجَلَتْ نَسِيمَتُهَا عَنْ مَشْرِقِ لِلتَّعَدِّ لَيْسَ بِمَحَاذِرِ تَعْبِيسَا
 خُذْهَا إِلَيْكَ عَلَى النَّوَى سَيْنِيَّةٍ تَرْضَى الطَّبَاقَ وَتَشْكُرُ الشَّجِينِيَّةَ
 إِنْ طُورَكَ ^(٥) بِالْقَرَمِ حَوْلَ الْبَطْلَى يَوْمًا تَشْكُتُ حَظَهَا الْمَوْكُوسَا
 لَوْلَاكَ مَا أَضْمَتَ لِحُطْبَةِ خَاطِبٍ وَلَعُتْسَتْ فِي يَنْبِهَا تَعْنِيسَا
 قَصَدْتَ سَلْيَانَ الزَّمَانِ وَقَارِبَ فِي الْخَطُوطِ تَحْسِبُ نَفْسَهَا بَلْقِيسَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَهِيَ الطَّيْبُ . وَفِي ت : « وَالْج » .

(٢) الْقَرْبُوسُ : حَنُ السَّرَجِ .

(٣) كَذَا فِي نَجِّ الطَّيْبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَا إِنْ يَبَايَعَ أَوْ يُشَارَى » .

(٤) الشَّيْلَى : هُوَ أَبُو بَكْرٍ دَلَفُ بْنُ جَعْدَرِ الصُّوفِيِّ وَكَانَتْ وَفَاتِهِ سَنَةَ ٣٣٤ هـ .

وَالطَّائِلُ : هُوَ أَحَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَحَدٍ أَبُو سَيِّدِ الْمَالِيِيِّ الصُّوفِيِّ وَكَانَتْ وَفَاتُهُ

سَنَةَ ٤١٢ هـ .

(٥) كَذَا فِي ط وَنَجِّ الطَّيْبِ . وَفِي ت : « طُورَكَ » .

لي فيك ودّ لم أكن من بعدما أعطيت صقّة عهده لأخي
 كم لي بصحة صدقه من شاهد لا يحذر التجريح والتدليس
 يفتو الشهادة باليمين وإنه لمؤمن من أن يُصدّ فسيسا^(١)
 لا يستقرّ قرارُ أفكارى إلى أن أشتقر لدى علاك جليسا
 وأرى تجهاك مستقيم السير للقصْد الذى أعملته معكوسا
 [١٦٩]
 هى دين أياى فإن ممحت به لم يبق من شئ عليه يؤمى
 لا زال صنّع الله مجنوبا إلى مثواك يهْدى البشر والتأنيسا
 متابعا كتتابع الأيام لا يذُر التعاقبُ جمعة وخميسا
 فلو أنصفتك إيلة الملك التى رُضت الزمان لها وكان شريسا
 قرّنت بذكرك والدماء لك التى تختاره التسبيح والتقديسا
 القلب أنت لها رئيس حياتها لم تعتبر هما صلحت رئيسا

قال الحافظ أبو عبد الله التّنسي، رحمه الله ورضى عنه : هذا ابن الخطيب
 فى هذه السّينية حذو أبى تمام فى قصيدته التى أولها :

أقشيب ربيعهم أراك دريسا تقرى ضيوفك لوعة ورسيسا
 واختلس كثيرا من ألفاظها ومعانيها . انتهى .

شر له أيضا
 وصل به
 القصيدة

ووصل ابن الخطيب هذه السّينية بنثر بارع يخاطب به السلطان أبا حمو
 للذكور ، ونصه :

(١) التّيس : الأحق الضيف القل . وفى ت : « قيسا » باقاف بدل الفاء ،
 وهو تصحيف .

« هذه القصيدة ، أبقى الله أيام المثابة المولوية الموسوية متمعة بالشمل المجموع ،
والثناء السموع ، والملك للنصور الجموع ؛ نَفْثَةٌ من باح بسرّ هواه ، ولقي دعوة
الشوق العايب بلبه ^(١) وقد ظفر بمن يهدى خبر جواه إلى محل هَوَاهُ ؛ ويختلس
بست تحيته ، إلى مثير أريحيته ؛ وهي بالنسبة إلى مايمتد من ذلك الكمال ، الشاذّ
عن الآمال ؛ عُنوان من كتاب ، وذَوَاق من أوفار ذات أقتاب ؛ وإلا فمن يقوم
بحق تلك المثابة لسانه ، أو يكافئ إحسانها إحسانه ؛ أو يستقل بوصفها يراعه ،
أو تهض بأيسر وظيفها ذراعه ؛ ولا مكابرة بعد الاعتراف ، والبحر لا ينفد
بالاعتراف ؛ لا سيما وذاتكم اليوم والله يُبقيها ، ومن المكارة يقيها ، وفي معارج
القرب من حضرة القدس رُقيها ، يا قوّة اختارها واعتبرها ، ثم بلاها بالتمحيص ^[١٧٠]
في سبيل التخصيص واختبرها ، وسبيكة خلصها وسجّرها ، نخلصها بسجّره
من الشوب ، وأبرزها من لُباب التّوب ^(٢) ؛ وقصرت عن هذه الأثمان ، وسرّ
بصدق دعواه ^(٣) البهرمان ^(٤) ؛ ليفاضل بين الجّهام والصّيب ، ويميّز الله الخبيث
من الطّيب ؛ فأراكم أن لا جدوى للعديد ولا للمُدّه ، وعرفكم بنفسه في حال
الشّدّه ، ثم فسّح لكم بعد ذلك في اللُدّه ؛ لتعرفوه إذا دال الرّخاء ، وهبّت بعد
تلك الزّعازع الرّيح الرّخاء ؛ وملاككم من التجارب ، وأوردكم من ألطافه أعذب
المشارب ؛ وتقلّم بين إسرار الزّمان وإحلاله ، ولم يسلبكم إلا حقيرا عند أولياته ؛

(١) وردت هذه العبارة معرفة في ت مكنّا : « ودعوة الشوق الثابت بلبه » .

(٢) وردت هذه العبارة في الأصلين مكنّا : « وسبيكة خلصها وشعرها فخلصتها
الصغيرة من الشوب وأبرزتها من ... الخ » . وفي فتح الطيب : وسبيكة خلصها
وسخرها ، فخلصها لتسخيره من الشوب ... الخ » . والعبارة في كل ذلك قلقة ،
ولعل ما أبتناه أقرب إلى المعنى المراد . والسجّر : مصدر سجر التنوير ونحوه .
إنّا أمهات .

(٣) كنّا في فتح الطيب . وفي ت : « دموحه » . وفي ط : « دعوته » .

(٤) البهرمان : الصفر ، وهو دون الأرجوان شدة حمرة .

وأعادكم العاد المطهر ، وألبسكم من أثواب اختصاصه المعلم المشهر ؛ فأتتم اليوم
 بعين العنايه ، بالإفصاح والكنايه ، قد وقف الدهر بين يديكم موقف الاعتراف
 بالجنايه ؛ فإن كان الملك اليوم علما يُدرس ، وقوانين في قوة الحفظ تُعْرَس ،
 وبضاعة برصد التجارب تُعْرَس ؛ فأتتم ممالك دار هجرته المحسوبه ، وأضمت
 شُموبه للنسوبه ؛ إلى ما حُزتم من أشتات الكمال ، الثرييه على الآمال ؛ فالبيت
 علوى المنتسب ، والملك بين الموروث والمكتسب ؛ والجود يتفرق به الوجود ،
 والدين يشهد به الركوع والسجود ؛ والبأس تعرفه التهاشم والتجود ، والتجلى
 يحسده الروض المتجود ؛ والشعر يغترف من عذب نعيم ، ويصدق من قال
 بُدئ بأمير وختم بأمير ؛ وإن مملوكم حوّم من بابكم على القذّب البرود ،
 فعاقة الدهر عن الورود ؛ واستقبل أفعه ليحقق الرصد ، ولكنه أخطأ التصد ؛
 [١٧١]
 ومن أخطأ الفرض أعاد ، ورجا من الزمان الإسعاد ؛ فربما خفي نصيب ، أو كان
 مع الخواطي سهم مُصيب ؛ وكان يؤمل صحبة ركّاب الحجاز ، فانتقلت الحقيقه
 منه إلى المجاز ؛ وقطعت القواطع التي لم يتلها الحساب ، ومنعت اللوانع التي خلّص
 منها إلى الفتنة الانتساب ؛ ومن طلب الأيام أن تجري على اقتراحه ، وجب
 العمل على أطراحه ؛ فإنما هي البحر الزاخر ، الذي لا يُدرك منه الآخر ؛ والرياح
 متغايره ، والسفينه الحائره ؛ فتارة يتعذر من للرسي الصّرف ، وتارة تقطع للسافه
 البعيده قبل أن يرتد الطرف ؛ هذا إن سالها عطبها ، وأغنى من الوقود حطبها ؛
 ولقد علم الله جلّ جلاله أن لقاء ذلك اللّقام الكريم عند الملوك تمام اللطوب ،
 ممن^(١) يجبر كسر القلوب ؛ فإنه نما انقذ على كماله الإجماع ، وصح في عوالم
 معاليه السماع ، وارتفعت في وجود مثاله الأطماع ؛ أخلاقا هذبها الكرم الوضاح ،

(١) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « فن » .

وسجية كلف بها السكّال الفضاح ؛ وحرصا على الذكر الجميل ، وما يتنافس فيه
إلا من سمت همه ، وكرّمت ذممه ، وألفت الخلد ريمه ؛ إذ الوجود سراب ، وما
فوق التراب تراب ؛ ولا يبقى إلا عمل راق ، أو ذكر بالجميل يُسَطَّرُ في أوراق^(١) ؛
حسبا قلت من قصيدة كتبها على ظهر [مكتوب]^(٢) موضوع ، أشار به من
كانت له طامعه ، فوفت بمقترحه استطاعه :

يمضي الزمان فكلّ فاني ذاهبٌ إلا جيسلَ الذكر فهو الباقي
لم يبق من إيوان كسرى بعد ذا لك الحقل إلا الذّكرُ في الأوراق
هل كان للسفاح والنصور والسهدى من ذكر على الإطلاق
أو للرشيد وللأمين وصنوه لولا شعبة راعة الزواق
رجع التراب إلى التراب بما اقتضت في كلّ خلق حكمة الخلاق [١٧٧]
إلا الثناء الخالد التطرّ الشذا يهْدِي حديث مكارم الأخلاق
والرغبة من مقامكم الرفيع الجناح ، أن يمكّنها من حُسن الثاب^(٣) ؛ فتحظى
بحلول ساحته ، ثم بلثم راحته ؛ ثم بالإصفاء ، ولا مزيد للابتغاء ؛ إلى أن ترتفع
الوساطه ، وتنفى عن التركيب البساطه ؛ ويُنسى الأثر بالعين ، ويُحسّن الدهر
قضاء الدّين ؛ ونسأل الذي أغرى بها التريجه ، ولم يحمل الباعث إلا الحبة الصريجه ؛
أن يُبقى تلك اللثابة زينا للزمان ، وذخرا مكنوفا باليمن والأمان ، مظلا برحمة
الرحمن ، بفضلهِ وكرمه . انتهى .

ومن مقطوعاته ، أي ابن الخطيب ، البديعة في مخاطبة هذا السلطان أبي حمو
صاحب تليسان ، قوله يشكره على ما كان أعان به أهل الأندلس :

بعض مقطوعات
لابن الخطيب
في السلطان
أبي حمو

(١) في ط : « أو ذكر جميل » .

(٢) زيادة عن فتح الطيب .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « الثاب » .

لقد زارَ الجزيرة منك بحرٌ يُمدُّ فليس تعرف منه جزراً
أعدتَ لها بهدك عهد موسى سميكَ فهي تتلو منه ذِكْراً
أفتَ جدارها وأفتَ كنزاً ولو شئتَ انخذتَ عليه أجزراً

وقوله :

وقالوا الجزيرة قد صوّحتُ فقلت : غمامَ الندى تنتظرُ
إذا وكفتَ كفُّ موسى بها غاماً يعود الجنبُ الخضرُ
ومخاطبات الوزير ابن الخطيب للسلطان أبي هو كثيرة جداً ، ولتقتصر منها
على ما ذكرناه .

ومن نظم ابن الخطيب رحمه الله :

يا إمام الهدى وأى إمام أوضَحَ الحقَّ بعد إخفاء رُحمته
أنتَ عبدُ الحليم حليمك نرجو فالسميَّ له نصيبٌ من اسمه

[وله يخاطب عبد الواحد بن زكرياء بن أحمد اللحياني أبا مالك ابن سلطان
شعره يودع به
عبد الواحد ابن
سلطان إفريقية

إفريقية مؤدعاً :

أبا مالك أنتَ نجملُ الملوكِ غيوثِ الندى وليوثِ التّزالِ
ومثلكَ يرتاحُ للسكرُماتِ ومالكَ بين الورى من مثالِ
عزيزٍ بأنفسنا أن نرى ركابك مؤذنةً بارتحالِ
وقد خبّرتُ منك خُلُقاً كريماً أناف على درجاتِ الكمالِ
وفازتَ^(١) لديك بساعاتُ أنسٍ كما زار في الليل طيفُ الخيالِ
ولولا تملُّنا أننا نزورك^(٢) فوق بساطِ الجلالِ

(١) كُنا في فتح الطيب (ج ٤ ص ١٧٦) . وفي الأملين : « وجازت » .

(٢) كُنا في فتح الطيب . وفي الأملين : « بزورك » .

ونبلغُ فيكَ الذي نبتغي وذاك على الله سهل للنال
لما فَرَّتْ أَنْفُسٌ مِنْ أَمَى وَلَا بَرَحَتْ أَدْمَعٌ فِي انْهَمَالِ
تلقفتك حيثُ احتلت السعودُ وكان لك الله في كل حال
وتوفى أبو مالك الخطاطب بهذا البيد الجريد سنة خمسين وسبع مئة^(١).

ومن أبدع ما وقع لابن الخطيب لاميته التي أولها :

• الحق يعلو والأباطل تسفل •

قال ابن حجة في شرح بديعته ، الذي سماه بتقديم أبي بكر ، ما نصه :
« وما يشعر بالتهنئة والنصر على الأعداء ، براعة الاستهلال للعلامة إمام
الغرب ، ذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب ، وهى :

من قصيدة
«الفتح القريب»
له

الحق يعلو والأباطل تسفل والله^(٢) عن أحكامه لا يُشأل [١٧٣]

فإنه قال : نظمت للسلطان أسعده الله تعالى وأنا بمدينة سلا ، لما انفصل
طالباً حقه بالأندلس ، قصيدة كان صنع الله براعة استهلالها^(٣) ، ووجهت بها إليه
إلى رُنْدَةٍ قبل الفتح ، ثم لما قَدِمْتُ أنشدتها [بين يديه]^(٤) بعد الفتح وفاء
بنذرى ، وسميتها : « للفتح القريب ، فى الفتح القريب » ، منها قوله رحمه الله :

وإذا استحال حاله وتبدلت فالله عز وجل لا يتبدل
واليسرُ بعد العسر موعود به والصبر بالفرج القريب مؤكل
وللمستعد لما يؤمل ظافر وكفالك شاهد « قيدا وتوكلا »

(١) فى فتح الطيب : سنة ٧٤٠ .

(٢) فى شرح بديع ابن حجة : « والحق » .

(٣) فى شرح البديعية المذكور : « كان صنع الله مطابعا لاستهلالها » .

(٤) الزيادة عن شرح البديعية لابن حجة .

أحمد والحمد منك سجية بحليتها دون^(١) الورى تتجمل
أما سعادتك هو دون منازع عقد بأحكام القضاء مسجل
ولك السجيا التمر والشيم التي بغيرها يتمثل المتمثل
ولك الوقار إذا تزلزلت الرجا وهفت من الزوع المضاب المثل
عوذ كمالك ما استطعت فإنه قد تنقص الأشياء مما تكل
تاب الزمان إليك مما قد جنى والله يأمر بالتأب ويقبل
إن كان ماضٍ من زمانك قد مضى بإسامة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الثاني^(٢) الذي أرضاك^(٣) فيما قد جناه الأول
والله قد ولّك أمر عباده لما ارتضاك ولاية لا تترك
وإذا تمسكك الإله بنصره وقضى لك الضنى فمن ذا يخذل
وظلعت عن أوطان ملكك راكبا متن^(٤) الشباب فأى صبر يحمل ؟
والبحر قد حنيت^(٥) عليك ضلوعه والريح تقطع للزفير^(٦) وتزمل
ولك الجوارى للنشأت قد أغتلت تحتال في برود الشباب وترفل
جوفاء يحملها ومن حملت به من يعلم الأتى وماذا تحمل
صحبتهم غرر الجياد كأنما سد^(٧) التتية عارض منهل

(١) في شرح البديعية : « بين » .

(٢) كذا في البديعية . وفي الأصلين : « الجاني » .

(٣) كذا في ط . وفي ت : « ارتضاك » .

(٤) كذا في البديعية . وفي الأصلين : « بين » .

(٥) كذا في فتح الطيب ، وفي ط : « خلقت » وفي ت : « خلت عليه » .

(٦) في البديعية : « يتلع الزفير » .

(٧) كذا في البديعية . وفي ت : « كأنها بيد التتية » أى بطريق التتية . وفي ط :

« كأنها أسد التتية » وهي عرفة مما أبتناه في صلب الكتاب .

مِنْ كُلِّ مَنْجَرِدٍ أَغْرَ مُجَبَّلٌ يرى الجياد^(١) به أغرٌ مُحَبَّلٌ
زَجَلَ الْجَنَاحَ إِذَا أُجِدَ لِنَارِهِ^(٢) وإذا تَنَقَّى للصَّهِيلِ فُبُلْبُلٌ
جِيدٌ كَمَا تَفَتَّ الظَّلِيمُ وَفَوْقَهُ أَذُنٌ بِمَشَقَّةٍ وَطَرْفٌ أَكْهَلُ
ومنها :

[١٧٤] وخليج هندٍ راقٍ حسنٌ صفائه حتى يكاد يعموم^(٣) فيه الصَّيْلُ
غُرِقَتْ بِصَفْحَتِهِ النَّالُ وَأَوْشَكَتْ تَبْنَى النِّجَاجَ فَأَوْتَقَتْهَا الْأَرْجُلُ
فَالصَّرْحُ مِنْهُ مَمْرَدٌ ، وَالصَّفْحُ مِنْهُ مُورَدٌ ، وَالشَّطُّ مِنْهُ مُصْنَدَلٌ^(٤)
وَبِكُلِّ أَزْرَقٍ إِنْ شَكَتْ الْحَافِلُ مَرَّةَ السَّيُونِ فَبِالصَّجَاجَةِ يُكْحَلُ^(٥)
مُتَأَوِّدٌ أَعْطَافُهُ فِي نَشْوَةٍ مِمَّا يُبْقَلُ مِنَ الدِّمَاءِ وَنُهْلُ
عَجِبًا لَهُ أَنَّ النَّجِيعَ بِطَرْفِهِ رَمَدٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مُقْتَلُ
لَهُ مَوْقِفُكَ الَّذِي وَثَبَاتِهِ وَثَبَاتُهُ مَثَلٌ بِهِ يُتَمَثَّلُ
وَالنَّصْلُ خَطٌ ، وَالتَّجَالُ حَمِيفَةٌ وَالسَّمَرُ تَنْقُطُ ، وَالصَّوَارِمُ تَشْكُلُ
وَالْبَيْضُ قَدْ كَسِرَتْ حُرُوفُ جُنُونِهَا وَعَوَامِلُ الْأَسَلِ الْمُتَقَفُّ تَعْمَلُ
وهي طويلة ، وجميعها فرائد ؛ ولم أكثر منها إلا لعلني أن كلام لسان الدين
ابن الخطيب غريب في هذه البلاد . انتهى كلام ابن حجة رحمه الله .

ومن هذه بقوله « وطرف أكحل » :

فكأنما هو صورة في هيكل من لطفه وكأنما هو هيكل

(١) كنا في البديعية . وفي الأصلين : « الجياد » .

(٢) في ت والبديعية : « لغاية » .

(٣) في البديعية . « يقول » .

(٤) في ط والبديعية وفتح الطيب : « مهمل » .

(٥) سره السيون : خلوها من الكحل ، أو فسادها لتركه .

ومنها ، بعد قوله : « والبيض قد كسرت » البيت ، قوله :

لله قومك عند مُسْتَجَرِّ القَنَا إِذْ تَوَبَّ النَّاسُ الْمُهِيبَ وَأَقْبَلُوا
قوم إذا لَفَحَ الهَجِيرَ وَجُوهَهُمْ حَجَبُوا بِرَايَاتِ الجِهَادِ وَظَلَّلُوا

ومن مقطوعات ابن الخطيب قوله لما أشرف على مراکش :

مَاذَا أُحْدِثَ مِنْ بَحْرِ سَبَّحَتْ بِهِ مِنْ الْبَحَارِ فَلَا إِيْمَ وَلَا حَرَجَ
دَحَاهُ مُبْتَدِعُ الْأَشْيَاءِ مُسْتَوِيَا مَا إِنْ بِهِ دَرَكٌ كَلًّا وَلَا دَرَجَ
حَتَّى إِذَا مَا لِلنَّارِ الْقَرْدُ لَاحَ لَنَا حَمَّتْ أَبْشَرِي بِأَمْطَايَا^(١) جَاءَكَ الْقَرْجُ
قُرْبَتْ مِنْ عَامِرٍ دَارًا وَمَنْزَلَةً وَالشَّاهِدُ الْعَدْلُ هَذَا الطَّيِّبُ وَالْأَرْجُ
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

كَكْنَا بِنَامِسْنَا نَجُوسُ خَلَالَهَا وَمُدُودَهَا فِي سِيرِنَا لَيْسَ يُقْصَرُ
مِرَاكِبُ فِي الْبَحْرِ الْحَمِيطِ تَحْبَطُ وَلَا جِهَةٌ تَدْرِي وَلَا الْبَرُّ يُبْعَثُ

[١٧٥] قَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ : وَلَمَّا قَضَى اللَّهُ عَنْ وَجَلٍ بِالْإِدَالَةِ ، وَوَجَعْنَا إِلَى أَوْطَانِنَا

كَتَابَ ابْنُ خَاتَمَةَ
إِلَى ابْنِ الْخَطِيبِ
مِنْ الْعُدُوَّةِ ، وَاشْتَهَرَ عَنِ مَا اشْتَهَرَ مِنَ الْإِنْقِبَاضِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، وَالتَّيَّهَ عَلَى
السُّلْطَانِ ، وَالْبَالَةَ^(٢) وَالتَّكْبِيرَ عَلَى أَعْلَى رُتَبِ الْخِدْمَةِ ، وَتَطَارَحْتُ عَلَى السُّلْطَانِ
فِي اسْتَنْجَازِ وَعْدِ الرَّحْلَةِ ، وَرَغِبْتُ فِي ثَبْرَةِ^(٣) الثَّمَةِ ، وَتَفَرَّتْ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بِالْحَمْلَةِ ،
خَاطِبُنِي ، يَعْنِي أَبَا جُفَيْرِ بْنِ خَاتَمَةَ ، بَعْدَ صَدْرِ بَلْغٍ مِنْ حَسَنِ الْإِشَارَةِ ، وَبِرَاعَةِ
الاسْتِهْلَالِ الْغَايَةِ ، بِقَوْلِهِ :

(١) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي ت .

(٢) كَذَا فِي نَقَحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « وَالْبَرَّة » .

(٣) كَذَا فِي نَقَحِ الطَّيِّبِ . وَفِي ت : « تَهْدِيَّة » وَفِي ط : « تَهْوِيَّة » .

« وإلى هذا يا سيدي وحل تعظيمي وإجلالي ، أمتع الله تعالى بطول بقائكم ، وضاعف في العز درجات ارتقائكم ^(١) ؛ فإنه من الأمر الذي لم ينب عن رأي العقول ، ولا يختلف فيه أرباب العقول ؛ أنكم بهذه الجزيرة شمس أفقها ، وتاج مفرقها ؛ وواسطة سلكها ، وطراز ملكها ؛ وقلادة نحرها ، وفريدة دُرّها ^(٢) ، وعقد جيدها [المنصوص] ^(٣) ، وكال زينها ^(٤) على العموم والخصوص ؛ ثم أتم مدار أفلأكلها ، وبسر سياسة أملاكها ؛ وترجمان بيانها ، ولسان إحسانها ، وطبيب ^(٥) مارستانها ؛ والذي عليه عقد إدارتها ، وبه قوام إمارتها ؛ فلدَيْه يُحَلُّ للمشكل ، وإليه يلتجأ في الأمر المضل ؛ فلا عَرَّوْهُ أَنْ تَقْعِدَ بِكُمْ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ ، وتحْدَقْ نحوكم الأذهان والأفكار ؛ ويزجر عنكم السائح والبارح ، ويُسْتَنْبَأ ما تَطْرِف عنه العينُ وتختلج الجوارح ؛ استقراء لمرامكم ، واستطلاعاً لطالع اعتزامكم ، واستكشافاً عن سراي سهامكم ؛ لا سيما مع إقامتكم على جناح خُفوق ، وظهوركم في مُلتَمَع بُرُوق ، واضطراب الظنون فيكم مع التروب والشروق ؛ حتى تستقر بكم الديار ، ويلقي عصاه التسيار ؛ ولها العذر في ذلك ، إذ صدّعها بفرأقكم لم يندمل ، وسرورها ببقائكم لم يكتمل ؛ فلم يَبْرَ بَعْدُ جَنَاحَهَا المِهْيُض ، ولا يَجْمَ ماؤُهَا المِهْيُض ، [١٧٦] ولا تميزت من داجيها ليالها البيض ؛ ولا استوى نهارها ، ولا تألقت أنوارها ؛ ولا اشتملت نَمَاؤُهَا ، ونسيت غماؤُهَا ؛ بل هي كالناقة ، والحديث العهد بالمكاره ، تستشعر نفس العافية ، وتمسح منكم باليد الشافية ؛ فبحنانكم عليها ، وعظيم

(١) في ط : « ارتقاعكم » .

(٢) في ط : « دهرها » .

(٣) التكلة عن فتح الطيب .

(٤) في فتح الطيب : « وتعام زينتها » .

(٥) كذا في فتح الطيب . وفي الأسلين : « وطب » .

حرمتكم على من لديها ؛ لا تشوبوا لما عذب الشجاع بالأجاع ، وقطموها عما
 عُودت من طيب المزاج ؛ فالدائها — وحياة قريبكم — غير طيبكم من علاج ؛ وإني
 ليخطرُ بخاطري محبة فيكم ، وعناية بما يفتنكم ، ما نال جانبكم — صانه الله — بهذا
 الوطن من الجفاء ، ثم أذكر ما نالكم من حسن الهد وكرم الوفاء ؛ وأن الوطن
 إحدى الحواضن الأغوار ، التي يحق لها جميل الاحتفاء ، وما يتعلق بكم من حرمة
 أولياء القربة وأوداء الصفاء ؛ فيقلب على غلى أنكم لحسن العهد أجنح ، وبحق
 نفسم عن حق أوليائكم أسمع ، ولتى هي أعظم قيمة من فضائلكم أوهب وأسجع .
 وهب أن الثَّر لا يحتاج في الإثبات ، إلى شهادة النحور واللبات ؛ والياقوت
 غنى للكان ، عن مظاهرة القلائد والتيجان ، أليس أنه أعلى للعيان ، وأبعد
 عن مكابرة البُزهان ، تألتها في تاج التلك أنوشروان ؛ فالشمس وإن كانت أم
 الأنوار ، وجلاء الأبصار ، مها أغنى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؛
 وكا في علمكم ما فارق ذوو الأرحام ، وأولو الأحلام ؛ مواطن استقرارهم ، وأما كن
 قوارهم ، إلا برغمهم واضطرارهم ، واستبدال دار خير من دارهم ؛ ومتى توازن
 الأندلس بالمغرب ، أو يعوض عنها إلا بمكة أو يثرب ؟ ما تحت أديمها أشلاء
 أولياء وعبيد ، وما فوقه مرايط جهاد ، ومعاقب أولية في سبيل الله ومضارب
 أوتاد ؛ ثم يُبَوِّى ولده مَبَوِّأ أجداده ، ويجمع له بين طارفه وتلاذه ؛ أعيد
 أنظاركم المسددة من رأى فائل ، وسعى طويل لم يحل منه بطائل ، فحسبكم من
 هذا الإياب السعيد ، والتمرد الحميد . . . وهى طويلة .

[١٧٧]

قال ابن الخطيب : فأجبتة بقولى :

لَمْ فِي الْهَوَى الشَّدْرَى أَوْ لَا تَلَمْ فَاَلْمَذْلُ لَا يَدْخُلُ أَسْمَاعِي
 شَأْنُكَ تَعْنِينِي وَشَأْنِي الْهَوَى كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِي

رد ابن الخطيب
 على كتاب
 ابن خاتمة

أهلاً بفتح القادِم ، وَرَحْمَةً الْمُنَادِم ، وَذِكْرَى الْهَوَى الْمُتَقَادِم ؛ لَا يُصْفِرُ^(١) اللَّهُ
مَسْرَاكَ ، بِمَا أَسْرَاكَ ؛ لَقَدْ جُبِّتُ^(٢) إِلَى مَنْ هَمَزَ لَيْلَا ، وَجَسَتْ رَجُلًا وَخَيْلَا ،
وَوَقَّيْتُ مِنْ صَاعِ الْوَفَاءِ كَيْلَا ، وَظَنَنْتُ بِي الْأَسْفَ عَلَى مَا فَاتَ فَأَعْمَلْتُ الْإِلْتِفَاتَ
لِكَيْلَا ؛ فَأَقْسَمُ لَوْ أَنَّ أَمْرِي الْيَوْمَ بِيَدِي ، أَوْ كَانَتْ اللَّيْمَةُ السُّودَاءُ مِنْ عُدْدِي ؛
مَا أَفَلْتُ شِرَاكِي لِلْمَنْصُوبَةِ لِأَمْثَالِكَ ، حَوْلَ الْمِيَاهِ وَبَيْنَ الْمَسَالِكِ ، وَلَا عَلِمْتُ
مَا هُنَاكَ ؛ لَكِنَّكَ طَرَقْتَ حَتَّى كَسَعَتْهُ النَّارَةُ الشَّعْوَاءُ ، وَغَيَّرَتْ رُبْعَهُ الْأَنْوَاءُ ؛
نَفِدَ بَعْدَ ارْتِجَاجِهِ ، وَسَكَتَ أَذِينُ دَجَاجِهِ ، وَتَلَاعَبْتَ الرِّيحَ الْهَوِجَ فَوْقَ خَاجِهِ ؛
وَطَالَ عَهْدُهُ بِالزَّمَانِ الْأَوَّلِ ، وَهَلْ حَسَدَ رَسْمَ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ ؛ وَحَيَّا اللَّهَ نَذْبَا
إِلَى زِيَارَتِي نَذْبَكَ ، وَبَادَا بِهِ الْحِكْمَةَ أَدْبَكَ :

فَكَانَ وَقْدَ أَفَادَ بِكَ الْأَمَانِي كُنْ أَهْدَى الشِّفَاءِ إِلَى اللَّيْلِ
وَهِيَ شَيْمَةٌ بَوْرَكَتُ مِنْ شَيْمِهِ ، وَهَبَةُ اللَّهِ قِبَلَهُ مِنْ لَدُنِ الْمَشِيمَةِ ، وَمِنْ مِثْلِهِ
فِي صِلَةٍ رَغَى ، وَفَضْلٍ سَعَى ، وَقَوْلٍ وَوَعَى ؟

فَسِيبًا بِالْكُوَاكِبِ الزُّهَرِ وَالزُّهْرِ عَاتِمِهِ

{١٧٨}

إِنَّمَا الْفَضْلُ مِثْلُهُ خَتَمَتْ بَابِنِ خَاتِمِهِ

كَسَانِي حُلَّةَ فَضْلِهِ ، وَقَدْ ذَهَبَ زَمَانُ التَّجَتُّلِ ، وَحَمَلَنِي شُكْرُهُ وَكَتَدَنِي وَاهٍ عَنِ
التَّجَتُّلِ ، وَنَظَرَنِي بِالْعَيْنِ الْكَلِيلَةِ عَنِ الْعَيْبِ فَهَلَا أَجَادُ التَّأَمُّلِ ، وَاسْتَطَلَعَ طَلْعُ
نَقْيٍ ، وَوَالَى فِي مَبْرَكِ الْمُمَجِّزَةِ حَقِّي ، إِنَّمَا أَشْكُو بَقِي :

* وَلَوْ تَرُكْتُ الْقَطْلَ لَيْلَا لَنَامَا *

(١) فِي طَوْعِ الطَّيِّبِ : « لَا يُصْفِرُ » .

(٢) كَذَا فِي نَوَاحِ الطَّيِّبِ . وَفِي الْأَسْلِينَ : « جُبِّتَ » .

وما حال شمل وتله مفروق ، وقاعدته فَرُوق ، وصواع بنى أبيه مسروق ؛ وقلب قرحة من عضة الدهر دام ، وجرة حُسْرته ذات احتدام ؛ هذا وقد صارت الصغرى ، التي كانت الكبرى ؛ لمشيب^(١) لم يدع أن يم لما نجم ، ثم تهلل عارضه وانسجم :

لا تجمى هَجْراً على غُرْبَةٍ فالحجر فى تَلَف الغريب سريع
نظرتُ فإذا الجنب ناب ، والنفس فريسة ظُفر وناب ، والمال أكلة انتهاب ،
والعمر زهن ذهب ، واليد صفر من كل اكتساب ، وسوق للعاد مترامية
والله سريع الحساب :

ولو نُعْطِيَ الخيَارَ لما اُفْتَرَقْنَا ولكن لا خيارَ مع الزَّمانِ
وهب أن العمر^(٢) جديد ، وظل الأمن مديد ، ورأى الاغتياب بالوطن شديد ،
فما الحجة لنفسى إذا مرت بمطارح جفوتها ، وملاعب هفوتها ؛ ومثاقف قناتها ،
ومظاهر غزاها ومناياتها ؛ والزمان ولود ، وزناد السكون غير صلود
وإذا امرؤ لكفَّته ألقى مرة تركته حين يُبَجِّرُ حَبْلٌ يَفْرُق
ثم إن المرغَّب قد ذهب ، والدهر قد استرجع ما وهب ، والعارض قد اشتبه ؛
وآراء الاكتساب مرجوحة^(٣) مرفوضة ، وأسماؤه على الجوار مخفوضة ، والنية
مع الله على الزهد فيما بأيدي الناس مقفودة ، والتوبة بفضل الله عز وجل منقودة ،
غير معترضة ولا منقودة^(٤) ؛ والمعاملة سامرية ، ودروع الصبر سابرية ؛ والاقتصاد

[١٧٩]

(١) كذا فى فتح الطيب . وفى الأصلين : « لسبب » وهو تصحيف .

(٢) فى ط : « الأمر » .

(٣) فى ط : « مرجومة » .

(٤) مقفودة (الأولى) : من هذ الثمن ، وهو تصحيف . و(الثانية) : من النقد ، وهو

تمييز ما فى الفىء من حسن وقبح .

قد قوت العين بصحبته ، والله قد عوض حب الدنيا بحبته ؛ فإذا راجعها مثلي
من بعد الفراق ، وقد رقيّ لذقتها ألف راق ؛ وجمعتني بها الحجرة ، فما الذي تكون
الأجره ؟ جل شاني ، وإن رضى الوامق^(١) وسخط الشاني ؛ إني إلى الله هاجر ،
وللمعرض الأدنى هاجر ، ولأطمأن الشرى زاجر ، لتنجيد إن شاء الله تعالى أوحاجر ؛
لكن دعائي للهوى ، إلى هذا اللولى المنم هوى ؛ خلعت نعلي الوجود وما خلعت ،
وشوقى أصرني فأطعته ، وغالب صبرى والله فما استطعته ؛ والحال أغلب ، وعسى
ألا ينجيب للطلب ؛ فإن يسر رضاه فأمل كئل ، وراحل احتمل ؛ وحار أشجى
الناقة والجل ؛ وإن كان خلاف ذلك ، فالزمان جم العوائق ، والتسليم بمقامى لائق ؛
ما بين غمضة عين وانتباهتها يصرف الأمر من حال إلى حال .
وأما تفضيله هذا الوطن على غيره ، لثمن طيره ، وعموم خيره ؛ وبركة جهاده ،
ومحمران رباه ووهاده ، بأشلاء عباده وزهاده ؛ حتى لا يفضل إلا أحد الحرمين ،
حق برئ من المين ؛ لكننى للحرمين جنتحت ، وفي جو الشوق إليهما سننحت ؛
فقد أفضت إلى طريق قصدى سحجته ، ونصرتنى والمنة لله حجته ؛ وقصد سيدى
أشقى قصد توخاه الحمد والشكر ، ومعروف عرف به الشكر ؛ والآمال من فضل
الله بعد ثمتار ، والله يخلق ما يشاء ويختار ؛ ودعاؤه بظهر الغيب مدد ، وعدة
وعدد ، وبره حالى الظن والإقامة معتمل ومعتمد ، وبجال المعرفة بفضل لا يحصره
أمد . والسلام . انتهى .

وقال في الإحاطة في ترجمة السلطان أبى سالم ابن السلطان أبى الحسن المربى ،
بعد كلام كثير ، ما نصه :

من رثاء السلطان
أبى سالم

(١) كنا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « اللوائق » .

[١٨٠]

« فلقد كان بقية البيت ، وآخر القوم دماءه وحياء ، وبعداً عن الشر ، وركونا للعافية ، وأنشدت على قبره الذي وُوريت به جُثته بالقلعة من ظاهر المدينة ، قصيدة أدبت فيها بعض حقه ، وهي :

بنى الدنيا بنى لَمْعَ السَّرَابِ لدوا للموت وابنوا للخرابِ
اتمى المقصود منه .

ومن نظم ابن الخطيب في الرغبة إلى الله تعالى :

إِلَهِي بِالْبَيْتِ الْقُدْسِ وَالسَّعَى وَتَجَمُّعِ إِذَا مَا الْخَلْقُ قَدْ نَزَلُوا جَمْعًا
وبالموقف المشهود يا رَبِّ فِي مَقَى إِذَا مَا أَسْأَلُ النَّاسُ مِنْ خَوْفِكَ الدِّمَا
وبالمصطفى والصَّحْبَ عَجَلُ إِقَالَتِي وَأَجْعُ دُعَائِي فِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ يُدْعَى
صَدَعْتُ وَأَنْتَ لَلِسْتَغَاثِ جَنَابِهِ أَقِلْ عَثْرَتِي يَا مَأْمُولِي وَاجْبُرِ الصَّدَا

وقال رحمه الله عقب الإياب من الرحلة المراكشية :

أَفَادَتْ وَجْهَتِي بِنَدَاكَ مَا لَا قَضَى دِينِي وَأَصْلَحَ بَعْضَ حَالِي
وَمَتَّعَتْ الْخَوَاطِرَ بِإِنْشِرَاحِ وَأَطْرَفَتْ النُّوَائِرَ بِاِكْتِحَالِ
وَأَبَتْ خَفِيفَ ظَهْرِ وَالْمَطَايَا بِجَاهِكَ تَشْتَكِي قِلَّ الرِّجَالِ
وَشَانِي لِلْعَالَمِ غَيْرَ شَانِي وَحَالِي بِالْمَكَارِمِ جِدُّ حَالِ
فَضَبُّ غُلَاكِ إِيْمَانِي وَعَقْدِي وَشَكَرَ نَدَاكَ دِينِي وَاتِّحَالِي
كَأَنَّ قَدْ صَحَّ اللَّهُ انْقِطَاعِي بِتَأْمِيلِي جَنَابَكَ وَارْتِحَالِي
وَمَا يَبْقَى سِوَى فِعْلِ جَمِيلِ وَحَالُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى بِحَالِ
وَكُلُّ بَدَايَةِ فَايِ اتِّهَامِ وَكُلُّ إِقَامَةٍ فَايِ ارْتِحَالِ
وَمِنْ سَامِ الزَّمَانِ دَوَامِ أَسْرِ فَقَدْ وَقَفَ الرَّجَاءُ عَلَى الْمَحَالِ

شعره في
الرغبة إلى الله

شعره
بعد عودته
من الرحلة
المراكشية

وقال رحمه الله في الضراعة إلى مولاه :

مولاي إن أذنبت، يُنْكَرُ أَنْ يُرَى مِنْكَ الْكِبَالُ وَمَنِ النُّقْصَانُ ؟
والغفو عن سبب الذنوب مُسَبَّبٌ لَوْلَا الْحَيَاةُ لَمْ يَكُنْ عُقْرَانُ
[وقال سبحانه الله مما كُتِبَ فِي حَيْطَانِ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي بَنَاهَا السُّلْطَانُ أَبُو الْحِجَابِ :

وله في مدرسة

أَلَا هَكَذَا تَبَنَّى الْمَدَارِسَ لِلْعِلْمِ وَتَبَقَّى عَهْدُ الْمَجْدِ ثَابِتَةً الرَّسْمُ
وَيُقْصَدُ وَجْهَ اللَّهِ بِالْعَمَلِ الرِّضَا وَتُجَنَّى ثَمَارُ الْعِزِّ مِنْ شَجَرِ الْعِزْمِ
تَقَاخَرُ مِنِّي حَضْرَةُ الْمَلِكِ كُلِّهَا وَأَهْدَى إِذَا ضَنَّ الْغَنَامُ مِنَ الْحَيَا
فِيَا طَاعَتَا الْعِلْمِ يَطْلُبُ رِحْلَةَ كُفَيْتَ اعْتِرَاضَ الْبَيْدِ وَأُلْجِجَ الْبَهْمُ
بِبَابِي حُطُّ الرَّحْلِ لَا تَنَوِّ وَجْهَةً قَدْ فَرَّتْ فِي حَالِ الْإِقَامَةِ بِالْغَنَمِ
فَكَمْ مِنْ شِهَابٍ فِي سَمَائِي تَأَقَّبَ وَمِنْ هَالَةٍ دَارَتْ عَلَى قَرْنَيْمِ
يُفِيضُونَ مِنْ نُورٍ مُبِينٍ إِلَى هُدًى وَمِنْ حِكْمَةٍ تَجْلُو الْقُلُوبَ إِلَى حُكْمِ
جَزَى اللَّهُ عَنِّي يُوسِّفُنَا خَيْرَ مَا جَزَى مُلُوكَ بَنِي نَصْرٍ عَنِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ
وقال ابن الخطيب مررت يوماً مع شيخنا أبي البركات ببعض مسالك
غُرْنَاطَةِ ، فَأَنْشَدَ مِنْ نَظْمِهِ :

وله في غرناطة

« غُرْنَاطَةُ مَا مِثْلُهَا حَضْرَةُ الْمَاءِ وَالْبَهْجَةِ وَالْخَضْرَةِ
وَاسْتَجَازَنِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، قَعْلَتُ » (١) :

سَكَانَهَا قَدْ أُسْكِنُوا جَنَّةً فَهُمْ يُلَقَّوْنَ بِهَا نَصْرَهُ (٢)
وكتب رحمه الله عن سلطانه أبي عبد الله بن نصر مخاطب الضريح المقصود،
والنهل المورود ، والمرعى المنتجع ، والحِوَانِ الَّذِي يَكْفِي التَّرَقُّيَ ، وَيَمْرُضُ لِلرَّضَى ،

وله يخاطب قبر
الولي السني

(١) مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْسَيْنِ « عَنْ نَجَّحِ الطَّيِّبِ وَهُوَ سَاقِطٌ مِنْ ت .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ فِي ط .

[١٨٦] وبقيت الزماني ، ويعتداهم إلى أهل الجدة زعموا والنبي ، قبر ولي الله سيدي أبي العباس السبتي^(١) ، فنعنا الله به وجبر جالنا ببركاته النعم ، ودفع علينا النعم :

يا ولي الله أنت جواد وقصدنا إلى حاكم النعيم
راعنا الدهر بالخطوب نجينا نرتجي من علاك حسن الصنيع
فدندنا لك الأكف نرجي عودة المزمع تحت شمل جميع
قد جعلنا وسيلة تزبك الزا كي وزلني إلى العلم السميع
كم غريب أسرى إليك فواق برضا عاجل وخير سريع

يا ولي الله الذي جعل جاهه سببا لقضاء الحاجات ، ورفع الأزمات ، وتصريفه باقياً بعد المات ، وصدق قل الحكايات ظهور الآيات ؛ نفعني الله بنبي في بركة تربك ، وأظهر علي أثر توسلي بك إلى الله ربك ؛ مزي شمل ، وفترق بيني وبين أهلي ؛ وتعدني علي ، وصرفت وجوه^(٢) للساكيد إلى ؛ حتى^(٣) أخرجت من وطني وبلدي ، ومالي وولدي ؛ ومحل جهادي ، وحق الذي صار لي طوعاً عن آبائي وأجدادي ؛ عن بيعة لم يحل عقدها الدين ، ولا ثبوت جريمة كشين ؛ وأنا قد قرعت باب الله بتأميلك ، فالتمس لي قبوله بقبولك ؛ وزدني إلى وطني على أفضل حال ، وأظهر علي كرامتك التي تُشد إليها ظهور الرجال ؛ فقد جعلت وسيلتي إليك رسول الحق ، إلى جميع الخلق ؛ والسلام عليك أيها الولي الكريم ، الذي يأمن به الخائف وينتصف التريم ، ورحمة الله .

(١) أبو العباس السبتي هو الولي الصالح الشيخ أحمد بن جعفر السبتي الخزرجي ، وهو غير

أبي العباس العريف السبتي الذي تقدم ذكره في هذا الجزء في صفحة ٣٢ وما بعدها .

(٢) في ت : « وجهة » .

(٣) في ت : « حين » .

وقال سامحه الله في معنى التورية الطبية ، بالسواء المسمى بدم الأخوين ،
في شأن سلطان الأندلس القائم عليهم وأخيه ، وشأن ذلك الدواء النفع من الجراح :

وله يورى
بدم الأخوين

بإسماعيل ثم أخيه قيس تأذن هم ليلى بانبلاج
دم الأخوين داوى جرح قلبى وعلجنى وحسبك من علاج

وقال مقتبساً في غير ذلك :

وله في اقتباس

يامن بأكناف فؤادى ربيع^(١) قد ضاق بى في حبك التسع
ما فيك لى جذوى ولا أروعى شخ مطاع وهوى متبع
وقال في التورية بالطب :

شمره في
التورية بالطب

إنى وإن كنتُ ذا اعتلالِ رث القوى بين الهزالِ
• فى «عارض التيس» لى شفاء فكيف فى عارض التزالِ

وقال يُخاطب الحاجبَ الفقيهَ الخطيبَ ، سيدي أبا عبد الله بن مرزوق ،

وقال يُخاطب
ابن مرزوق

وطعاً على بيت المارقة في المذار :

[١٨٢]

أما والذى مُبلى لى السرائرُ لما كنت أرضى الخصف لولا الضرائرُ
غدوتُ لصنم ابن الزبيب فريسةً أما ثار من قوى لنصرى ثائر^(٢)
إذا التمت كفى لى جرابتى كائى جان^(٣) أو بقتة الجرائر
وما كان غلى أن أنال جرابية يحكم من جرأها فى جائر
متى جاد بالدينار أخضر زائفاً ودارته دارت عليها الدوائر
وقد أخرج التعنيت كيس سارنى ورقت لبواى النفوس الأخابر

(١) ربيع : ألام وسكن .

(٢) كذا فى ط وضع الطيب . وفى ت : « ناصر » .

(٣) كذا فى ط وضع الطيب . وفى ت : « جبر » وهو تحريف .

تذكرت بيتاً في العذار لبعضهم له مثل بالحسن في الأرض سائر:
 « وما اخضر ذلك الخد نباتاً وإنما لكثرة ما شقت عليه الرائر »^(١)
 وجاء ابن مرزوق لدى ذخيرة وللشدّة المظلمى تعدّ الذخائر
 ولو كان يدرى مادها في لساء وأنكر ما صارت إليه المصاير
 وكان ابن الربيب هذا من خدام السلطان أبي سالم ، وكانت جريّة
 ابن الخطيب وغيره ممن قدم من أعيان الأندلس على يده ، فكان لا يوقى بحقهم ،
 فاشتكى ابن الخطيب به إلى الحاجب ابن مرزوق بهذا النظم المذكور ، وإلى الله
 ترجع الأمور .

شعر له في مخاطبة
 أحد الفرهاء

وقال رحمه الله يخاطب أحد الشرفاء الكرام :

أعيا اللقاء على إلا لجة في جملة لا تقبل التفصيل
 فجئت بابك عن يمينك نائباً أهديه عند زيارتي تقبلاً
 فإذا وجدتك نلت ما أملت أو لم أجدك فقد شفيت غليلاً

وقال يشكر
 السلطان أبا سالم
 على تخليصه لياه

وقال في مخاطبة السلطان أبي سالم رحمه الله في سبيل الشكر ، عند ما خلّصه
 من الورطة بشفاعته التي قدّمنا ذكرها :

[١٨٣]

سمي خليل الله أحيت مهجتي وطأنتي منك الصريح على بُد
 فإن عشت أبلغ فيك نفساً عذراً وإن لم أعش فالله يحزبك من بعدى

قال : وقلت في التفرّل ، وما أبعد عني في الوقت ، والحمد لله :

(١) هذا البيت لم يسنجر المعروف بالحجري المتوفى سنة ٦٣٢ هـ من قصيدة مطلعها :

على دمع عيني من فراقك ناظر يرفقه إن لم تره الحاجر

(٢) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « فها » .

أصبح الخلد منك جنة عدن مجتلى أعينٍ وقمّ أنوفٍ
ظللها من الجفون مسيوف جنة الخلد تحت ظلّ السيوف
وخاطب صاحب الأشغال أبا عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين يهنئه
بتقلد الخطة من رسالة :

من رسالة له
في تهته ابن أبي
مدين بتقلد الخطة

تعود الأمانى بعد انصراف ويستدل الشيء بعد انحراف
فإن كان دهرك يوماً جنى فقد جاء ذا خجل واعتراف
طلع البشير ، أبقاك الله ، بقبول الخلافة المرئيه ، والإمامة السنيه (١) ،
خصها الله بنيل الأمنيه ؛ على تلك الذات التي طابت أرومتها وزكت ، وتأوّهت
الغلاء لتذكر عهدا وبكت ، وكاد السرور ينقطع لولا أنها تركت منك الوارث
الذى تركت ؛ فلو لا العذر الذى تأكدت ضرورته ، والممانع الذى ربما تقررت
لديكم صورته ؛ لكنت أول مشافه بالهناء ، ومُصارف لهذا الاعتناء ، الوثيق البناء ،
فنقول والحمد لله والثناء . وهى طويلة .

وقال يخاطب السلطان أبا سالم عند انقطاعه بضمريح والده بشالة سلا ، حيث
مدفن ملوك بنى مرين :

رسالته إلى
السلطان
أبي سالم
مستعينا به

عن باب والدك الرضا لا أبرح تأسو الزمان لأجل ذاك ويبرح (٢)
ضربت خيالى فى حياء فضيبتى تحبى الحميم (٣) به وبهيمى تشرح
حتى يراعى وجهه فى وجهى بعناية تشفى الصدور وتشرح
أيسوغ عن مشواه سيرى خائباً ومنابر الدنيا بذكرك تصدح

(١) فى ط : « السرى » :

(٢) فى ط : « لأجل ذا أو يبرح » .

(٣) كذا فى الأصولين والسلاوى ، ولها مصحفة عن « الحميم » وهو النبت الكثير .
يريد أنهم فى بسطة من البش .

أنا في حماء وأنت أبصر بالذي يرضيه منك فوزن عقلك أرجح
في مثلها سيف الحمية يُنتَضَى في مثلها زَنَد الحفيظة يُقَدَح
وعسى الذي بدأ الجميل يُعيدُه وعسى الذي سد المذاهب يفتح

[١٨٤] ومما كتب به إلى السلطان أبي سالم من مدينة سلا ، بعد عودته من
مراكش .

مولاي المرجو لإتمام الصنيعة ، وصلة النعمة ، وإحراز النحر ، أبقاك الله
تُضَرَّب بِكُمْ الأمثال في البر والرضا ، وعلو الهمة ، ورعى الوسيلة .

مقبَل مَوْطَى قَدَمِكُم ، النقطع إلى تَرْبَةِ المولى والدِّم ابن الخطيب ، من
الضريح المقدس بشالة ، وقد حَطَّ رحل الرجاء في القبة المقدسة ، وتَيَمَّ (١) بالتربة
الزكية ، وقد بإزاء لحد المولى أيكم ، ساعة إيا به من الوجهة المباركة ، وزيارة الرُّبْط
المقصودة ، والتَّوْبُ المعظمة ، وقد عنهم أَلَّا يبرح طوعاً من هذا الجوار الكريم ،
والدخيل الرعي ، حتى يصله من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبر هذا المولى ،
العزیز على أهل الأرض ثم عليكم ، والتمس شفاعة في أمر سهل عليكم ، لا يجر
إِنْفَاد (٢) مال ، ولا اقتحام حَظَر ، إنما هو إعمال (٣) لسان ، وحَظ بنان ، وصرف
عنهم ، وإحراز نغف وأجر ، وإطابة ذكر ، وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم ،
أنه ينقل عنكم إلى المولى المقدس بلسان المقال ، ما يحضر مما يفتح الله فيه ،
ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ، ما يتلقى عنه من الجواب . وقال لي صدر
دولتكم وخالصتكم وخالصة للمولى والدِّم ، سيدى الخطيب ، سَيَّ الله أمه ، من

(١) كنا في السلاوى (ج ٢ ص ١١٥) . وفي الأصلين : « وتسم » .

(٢) في السلاوى : « إنفاد » .

(٣) في ت : « عمل » .

سعادة مقامكم ، وطول عُمركم : يا فلان ، أنت والحمد لله من لا يُنكر عليه الوفاء بهذين الفرضين ، وصدر عنكم من البشر والقَبول والإنعام ما صدر ، جزاكم الله جزاء المحسنين . وقد تقدم تعريف مولاى بما كان من قيام العبد بما نقله إلى القربة الزكية عنكم ، حسبما أداه من حضر ذلك للشهد من خدامكم ، والعبد الآن يعرض عليكم الجواب ، وهو أنى لما فرغت من مخاطبته برأى من الملأ الكبير ، والجم الغفير ، أ كبت على اللحد الكريم ، داعياً ومخاطباً ، وأصغيت [١٨٥] بأذنى نحو^(١) قبره ، وجعل فؤادى يتلقى ما يوحيه إليه لسان حاله ، فكأنى به يقول لى : قل لمولاك : يا ولدى ، وقرّة عيني ، الخصوص برضاي وبرى ، الذى ستر حريمى ، ورد ملكى ، وصان أهلى ، وأكرم صنائى ، ووصل على ، أسلم عليك ، وأسأل الله أن يرضى عنك ، ويُقبل عليك ؛ الدنيا دار غرور ، والآخرة خير لمن اتقى ، وما الناس إلا هالك وإبن هالك ، ولا تجد إلا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة ، أو ثناء يجلب الداء بالرحمة ، ومثلك من ذُكر فتذكر ، وعُرف فما أنكر ؛ وهذا ابن الخطيب [قد^(٢) وقف على قبرى ، وتهتم بى ، وسبق الناس إلى رثائى ، وأنشدنى ومجّدتنى ، وبكأنى ودعا لى ، وهنأتى بمصير أمرى إليك ، وعقر وجهه فى تربى ، وأملنى لما انقطعت منى آمال الناس ، فلو كنت يا ولدى حيّاً لما وسعنى أن أعمل معه إلا ما يليق بى ، وأن أستقل فيه الكثير ، وأحترق العظيم ، لكن لما عجّزت عن جزائه ، وكَلَّتُهُ إليك ، وأحَلَّتْه يا حبيب قلبى عليك ، وقد أخبرنى أنه سلب المال ، كثير العيال ، ضعيف الجسم ، قد ظهر فى عدَم^(٣) نشاطه أثر السن ، وأمل أن ينقطع بجوارى ، ويستتر بدخلى

(١) كذا فى السلاوى . وفى الأصلين : « عند » .

(٢) الكلمة عن السلاوى .

(٣) فى ط : « فى عظيم » .

وخدمتى ، وبرُكَّ عليه حقُّ بحرمتى ، ووجهى ووجوه من ضاجنى من سلقى ،
 ويَبْدُ الله تحت حرمتك وحرمتى ، وقد كنت تشوفت إلى استخداه فى الحياة ،
 حسباً يعلمه حبيبنا الخالص المحبة ، وخطيبنا العظيم للزينة القديم القربة ، أبو عبد الله
 ابن سرزوق ، فسله يذكرك ، واستخبره يخبرك ، فأنا اليوم أريد أن يكون هذا
 الرجل خديمى بعد المات ، إلى أن نلتقى جميعاً برضوان الله ورحمته التى وسعت
 كل شئ ، وله يا ولدى ولد نجيب يخدم ببابك ، وينوب عنه فى ملازمة بيت
 كتابك ، وقد استقر بدارك قراره ، وتعين بأمرك مرتبة وداره ، فيكون
 الشيخ خديم الشيخ ، والشاب خديم الشاب ، هذه رغبتى منك ، وحاجتى
 إليك . واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكر ويُتحدث به فى الدنيا ، وبين
 أيدي الملوك والكبراء ، فاعمل ما يبقى لك نغره ، ويتخذ ذكره ، وقد أقام
 مجاوراً ضريحى ، تالياً كتاب الله على^(١) ، منتظراً ما يصله منك ، ويقرؤه على^(٢) ،
 من السسى فى خلاص ماله ، والاحتجاج بهذه الوسيلة فى جبره ، وإجراء ما يليق
 بك من الحرمة والكرامة والنعمة ، فاقه الله يا إبراهيم ، اعمل ما يُسمع عنى
 وعنك فيه ، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال . [انتهى]^(٣) .

والعبد يا مولائى مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه ، منتظر منك قضاء حاجته ،
 ولتملوا وتحققوا أنى لو ارتكبت الجرائم ، ورزأت الأموال ، وسفكت الدماء ،
 وأخذت حسائى^(٤) الملوك الأعززة من وراء النهر من التتر ، وخلف البحر من
 الروم ، ووراء الصحراء من الحبشة ، وأمكهم الله متى من غير عهد ، بعد أن
 بلغهم تدمى بهذا الدخيل ، ومقائى بين هذه القبور الكريمة ، ما وسع أحداً
 منهم من حيث الحياء والحشمة من الأموات والأحياء ، وإيجاب الحقوق ، التى

(١) التكلة عن السلاوى .

(٢) الحسائى : العداوات ، جمع حيفة .

لا يغفلها السكبار للكبار ، إلا الجود الذي لا يتعقبه البخل ، والعفو الذي لا تنسده
 المؤاخذه ، فضلا عن سلطان الأندلس ، أسعده الله بمواليتكم ، فهو فاضل ، وابن
 ملوك أفاضل ، وحوله أكياس ، ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم ، لاسيا مولاي
 والدكم ، الذي أتوسل به إليكم وإلهم ، فقد كان يقبني مولاي أبا الحجاج ، ويشمله
 بكفنه ، وصارخه بنفسه ، وأمه بأمواله ، ثم صير الله ملكه إليكم ، وأنتم من [١٨٧]
 أنتم ذاتا وقبيلا ، فقد قرت يا مولاي عين العبد بما رأت في هذا الوطن المراكشي ،
 من وفور حشودكم ، وكثرة جنودكم ، وتراصف أموالكم وعددكم ، زادكم الله من
 فضله . ولا شك عند عاقل ، أنكم إن انحلت عروة تأميلكم ، وأعرضتم عن ذلك
 الوطن ، استولت عليه يد عدوه ، وقد علم تطارح بين الملوك الكرام ، الذين
 خضعت لهم التيجان ، وتملأ شوب الملك الصالح ، والد الملوك [الكرام] ^(١) ،
 مولاي والدكم ، وشهرة حرمة شاة معروفة ، حاش الله أن يضيها أهل الأندلس ،
 وما تؤسّل إليهم قطبها إلا الآن ، وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة النربية ،
 وأملى منكم أن بتعين من بين أيديكم خديم ، بكتاب كريم ، يتضمن الشفاعة
 في رد ما أخذ لي ، ويخبر بشواي متراميا على قبر والدكم ، ويقرر ما لزمكم بسبب
 هذا الترامي ، من الضرورة المهمة ، والوظيفة الكبيرة ، عليكم وعلى قبيلكم حيث
 كانوا ، وتطلبون منهم عادة للمكارمة بحل هذه العقدة ، ومن المعلوم أني لو طلبت
 بهذه الوسائل من طيب ^(٢) ما لم ، ما وسعهم بالنظر العقلي إلا حفظ هذا الوجه مع
 هذا القبيل وهذا الوطن ، فالحياء والحشمة يأبيان المذرعن هذا في كل ملة ونحلة ،
 وإذا تم هذا الغرض ، ولا شك في إتمامه بالله ، تقع صدقتكم على القبر الكريم

(١) الكلمة عن السلاوي .

(٢) في ت : « صلب » .

في ، وتعينونني لخدمة هذا المولى وزيارته وتقده ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المولد في جواره ، وبين يديه ، وهو غرض غريب مناسب لبركم به ، إلى أن أحج بيت الله بعناية مقامكم ، وأعود داعيا مثنيا ، مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب ، وأتموض من ذمتي بالأندلس ذمة بهذا الرباط المبارك ، يرثها ذريتي ، وقد ساومتُ في شيء من ذلك ، منتظرا ثمنه ، مما يباع بالأندلس بشفاعتكم ، ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم في مثل هذا ، أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء ، والله ما طلبته ، لكنهم أسرى وأفضل ، واقطاعى أيضا لوالدكم مما لا يسع مجدكم إلا عمل ما يليق بكم فيه ، وهأنا أرتقب جوابكم ، بما لي عندكم من القبول ، ويسعى مجدكم في الطلب ، وخروج الرسول لاقتضاء هذا الفرض ، والله يطالع من مولاي على ما يليق به . والسلام .

وكتبه في الحادى عشر من رجب ، عام أحد وستين وسبع مئة .

وفي مدرج الكتاب بعد نثر هذه التسمية :

فابذل من البر القدر فيكا	مولاي هأنا في جوار أبيكا
والله يسمعك الذى يرضيك	أسمعه ما يرضيه من تحت الثرى
تهدى إليك النصر أو تهديكا	واجعل رضاه إذا نهدت كتيبة
وتطالع الفتح للبيح وشيكا	واجبر لجبرى قلبه نزل للى
وأبيه فأشرع شرعه لبنيكا	فهو الذى سن البرور بأتمه
وبما تؤمل ني لله يأتيك	وابعث رسولك منذرا وعذرا
وأخاف مملوكا به ومليك	قد هز عزمك كل قطر نازح
ففضونه ثمر اللى تجنيكا	فاذا سموت إلى مرام شاسع
لما جعلتك في الثواب شريكا	ضمنت رجال الله منك مطالبي

فلئن كَفَيْتَ وُجُوهَهَا فِي مَقْصِدِي وَرَعَيْتَهَا بِرِكَائِهَا تَكْفِيكَ
وَإِذَا قَضَيْتَ حَوَائِجِي وَأَرَيْتَنِي أُمْلَى فَرِيكَ مَا أُرِدْتُ يَرِيكَ
وَاشْدَدَ عَلَى قَوْلِي يَدَا هُوَ الَّذِي بِرَهَانِهِ لَا يَقْبَلُ التَّشْكِيكَ
مَوْلَايَ مَا اسْتَأْثَرْتَ عَنْكَ بِمُجْهِقِي أَنِّي وَمُهْجَتِي التِّي تَقْدِيكَ
لَكِنْ رَأَيْتَ جَنَابَ شَالَةٍ مَغْنَا يُضْفِي عَلَى الْمَرْءِ فِي نَادِيكَ
وَفَرُوضَ حَقِّكَ لَا تَقُوتُ فَوْقَهَا بَاقٍ إِذَا اسْتَجَزَيْتَهُ يَجْزِيكَ
وَوَعْدَتِي وَتَكَرَّرَ الْوَعْدَ الَّذِي أَبْتَ الْكَارِمَ أَنْ يَكُونَ أَفِيكَ
أَضْفِي عَلَيْكَ اللَّهُ سِتْرَ عَنَايَةِ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ الطَّرِيقِيكَ
بِبِقَائِكَ الدُّنْيَا تُحَاطُ وَأَهْلَهَا فَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يُبْقِيكَ

ولما وصل هذا السلطان أبا سالم رحمه الله راجعه بما نصه ، بعد البسملة [١٨٩] والصلاة :

رد السلطان
أبي سالم على
ابن الخطيب

من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ،
ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، [أبي الحسن ، ابن مولانا
أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين] ^(١) أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين
المجاهد في سبيل رب العالمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، أيد الله أمره ،
وأعززه نصره ، إلى الشيخ الفقيه الأجل الأسنى ، الأعز الأخطى ، الأوجه الأنوه ،
الصدر الأختل ، المصنف البليغ ، الأعرف الأكل ، أبي عبد الله ابن الشيخ
الأجل الأعز الأسنى ، الوزير الأرفع الأنجد ، الأصيل الأكل ، المرحوم المبرور
أبي محمد بن الخطيب ، وصل الله عزته ، ووالى نعمته ^(٢) .

(١) ما بين القوسين زيادة عن ت وعن السلاوى .

(٢) في ت : « رصته » .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله تعالى ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم المصطفى ، والرضا عن آله وصحبه أعلام الإسلام ، وأئمة الرشد والهدى ، وصلة الصفاء لهذا الأمر العلى العزيز المنصور المستعفى ، بالنصر الأخرى ، والفتح الأسنى .

فإنا كتبناه إليكم ، كتب الله لكم بلوغ الأمل ، ونُجِّح القول والعمل ، من منزلنا الأسعد ، بصفة وادى ملو به ، يمنه الله ، وصنع الله جميل ، ومنه جزيل ، والحمد لله ، ولكم عندنا المكانة الواضحة الدلائل ، والعناية المُتَكَفِّلَة ^(١) برعى الوسائل ، ذلك لما تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوى الملوى ، جدد الله عليه ملابس غفرانه ، وسقاه غيوث رحمته وحنانه ، وبما أهدبتم إلينا ، من التقرب لدينا ، بخدمة تراه الطاهر ، والاشتغال بمطارف حرُمته السامية المظاهر ، وإلى هذا وصل الله حظوتكم ، وإلى رفعتكم ، فإنه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا قصده ، المقابل بالإسماعف المستعذب وردده ، فوقفنا على ما نصّه ، واستوفينا ما شرحه وقصّه ، فأثرنا حسن تلتفكم فى التوسل بأكبر الوسائل إلينا ، ورعينا أكل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا ، وفى الحين ^(٢) عَيَّنَّا لِكُلِّ مطلبكم ، ونمام مأربكم ، والتوجه بخطابنا فى حقكم ، والاعتال بوقفكم ، خديمينا أبا البقاء بن تاشكورت ، وأبا زكرياء بن فرقاچه ، أمجدهما الله وتولاهما ، وأمس تاريخه انفصلا مودعين إلى الفرض المعلوم ، بعد التأكيد عليهما فيه ، وشرح العمل الذى يوفيه ، فكوتوا على علم من ذلكم ، وابسطوا له جملة آمالكم ، وإنا نرجو ثواب الله فى جبر أحوالكم ، وبرء اعتلالكم ، والله سبحانه يصل

(١) فى ت : « المتكلفة » .

(٢) فى ت : « فى الحسن » ، وهو تحريف .

مبتركم ، ويتولى تكمركم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب في الرابع والعشرين لرجب عام واحد وستين وسبع مئة .

فراجعه ابن الخطيب بما نصه :

ورد ابن الخطيب
على السلطان أبي
سالم شاكرا

مولاي خليفة الله بحق ، وكبير ملوك الأرض من حجة ، ومعدن الشفقة
والرحمة ، بيرهان وحكمة ، أبقاكم الله على الدرجة في المنعمين ، وافر الحظ عند
جزاء المحسنين ، وأراكم ثمرة بر أبيكم في البنين ، وصنع لكم في عدوكم الصنع
الذي لا يقف عند معتاد ، وأذاق العذاب الآليم من أراد في مثابكم بالحداد .
عبدكم الذي ملستم رقه ، وآوئتم غربته ، وسترتم أهله وولده ، وأسنتم رزقه ،
وجبرتم قلبه ، يُقتل موطىء الأخص الكريم من رجلكم الطاهرة ، المستوجبة
بفضل الله لموقف النصر ، الفارعة هضبة العز ، المعلة الخطو في مجال السعد ^(١) ،
وميسر ^(٢) الحظ ، ابن الخطيب من شالة التي توكد بملككم الرضى احترامها ،
وتجدد برعيكم عهدا ، واستبشر بملككم دفينها ، وأشرق بمحسناتكم نورها ، [١٩١]
وقد ورد على العبد الجواب المولوى ، البر الرحيم ، المنعم المحسن ، بما يليق بالملك
الأصيل ، والقدر الرفيع ، والهمة السامية ، والعزة القساء ، من رعى الدخيل ،
والنصرة ^(٣) للذمام ، والاعتزاز ^(٤) لبر الأب الكريم ، فتاب الرجاء ، وانبعث
الأمل ، وقوى العصد ، وزار اللطف ، فالحمد لله الذى أجرى الخير على يدكم
الكريمة ، وأعانكم على رعى ذمام الصالحين ، المتوسل إليكم أولا بقبورهم

(١) في ط : « السعة » .

(٢) كذا في السلاوى . ذا الأصلين : « وميسر » .

(٣) في ت : « وللمرة » .

(٤) في ت : « والاعتزاز » .

ومتعبداتهم ، و تراب أجداثهم ، ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى الخلق أجمعين ،
الذى تسبب في وجودكم ، واختصكم بحبه ، وغرّكم بطقه وحنانه ، وعلمكم آداب
الشريعة ، وأورثكم ملك الدنيا ، وهبأتكم دعواته بالاستقامة إلى ملك الآخرة ،
بعد طول المدى ، وانقاسح البقاء ، وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات
عن العرب ، من النصرة^(١) عن طائر داست أفرأخه ناقة في جوار رئيس
منهم ، وما انتهى إليه الامتعاض لذلك ، مما أهينت فيه الأنفس ، وهلكت
الأموال ، وقصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدائكم ، من
عرب تأسنا ، فما الظن بكم وأتمّ الكريم ابن الكريم [ابن الكريم]
فيمين لجأ أولاً إلى حماكم بالأهل والولد ، عن حسنة تبرعتم بها ، وصدقة حملتكم
الحرية على بذلها ، ثم فيمين خطّ رحل الاستجارة بضرّيج أكرم الخلق عليكم ،
دامع العين ، خافق القلب ، دامي القرحة^(٢) ، يتغلى بردائه ، ويستجير بعليائه ،
كأننى تراميت عليه في الحياة أمام الذعر الذى يُذهل العقل ، ويحجب عن
التمييز ، بقصر داره ، ومضجع رقادته ، ما من يوم إلا وأجهر بعد التلاوة :
يا ليعقوب ، يا لمّرين ، نسأل الله ألا يقطع عني معروفكم ، ولا يسلبني عنايتكم ،
ويستعملني ما بقيت في خدمتكم ، ويتقبل دعائى فيكم ، ولحين وصول الجواب
الكريم ، نهضت إلى القبر المقدس ، ووضعت يازاته ، وقلت : يا مولاي ، يا كبير
الملوك ، وخليفة الله ، وبرّكة بنى مرّين ، صاحب الشهرة والذكر في المشرق
والغرب ، عبدك المنقطع إليك ، للتراى بين يدي قبرك ، للتوصل إلى الله ثم إلى
وليك بك ، ابن الخطيب ، وصله من مولاة وليك ما يليق بمقامه ، من رعى وجهك ،
[والتقرب إلى الله برّعيك] ، والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك ، وأتم من

(١) كئنا في ط والسلاوى . وفي ت : « النرة » .

(٢) في السلاوى بدل هذه البارة : « دامي القرحة » .

أتم ، من إذا صنع صنعة كلها ، وإذا بدأ مئة تممها ، وإذا أسدى يدا أبرزها ،
طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة ، وأنا بعد تحت ذيل حرمته ،
وظل دخيلك ، حتى يتم أملى ، ويخلص قصدى ، وتحف نعمتك بى ، ويطمنن
إلى مأمك قلبى .

ثم قلت للعلبة : أيها السادة ، بينى وبينكم [تلاوة] كتاب الله منذ أيام ،
ومناسبة التحلة ، وأخوة التألف بهذا الرباط المقدس ، والسكنى بين أظهركم ،
فأمثروا على دعائى بإخلاص من قلوبكم ، واندفت فى الدعاء والتوسل ، الذى
نرجو أن يتقبله الله ولا يضيعه ، وخاطب المبد مولا شاكراً لنعمته ، مُشيداً
بصنيعته ، مسروراً بقبوله ، وشأنه من التعلق والتطرح شأنه ، حتى يكمل القصد ،
ويتم الغرض ، معمور الوقت بخدمة يرفضها ، ودعاء يردده ، والله المستعان .

تهنئة للسلطان
أبى سالم
بفتح تلسان

وفى يوم الخميس سابع عشر من شعبان ، من العام المورخ ، ورد كتاب فتح
تلسان ، فأصدر ابن الخطيب إلى باب السلطان أبى سالم ما نصه :

[١٩٣]

مولاي فتاح الأقطار والأمصار ، فائدة الزمان والأعصار ، أثير هبات الله
الآمنة من الاعتصار ، قدوة أولى الأيدى والأبصار ، ناصر الحق عند قعود
الأنصار ، وهى طويلة ، انظرها فى الريحانة ، وبعدها قصيدة بديعة مطلعها :

أطاع لسانى فى مديحك إحسانى وقد لمحت نفسى بفتح تلسان
ومن مخاطباته للحاجب ابن مرزوق .

من مخاطباته
لابن مرزوق

سيدى ، بل مالكى ، بل شافى ، ومنتشلى من المغفوة ، ورافعى وعاصمى
عند تجويد حروف الصنائع ، ونافى الذى بجاهه أجزأت المنازل قراى ، وفضلت
أولاي ، والمنة لله أخراى ، وأصبحتُ وقول الحسن هجيراي :

عَلَقْتُ بِحَبْلٍ مِنْ حَبَالِ مُحَمَّدٍ أَمَنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ
تَقَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعِنِّي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَأَلَ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنِي مَكَانِي
وصلت مكناسة ، حرسها الله تعالى ، تحت غيثِ حَذَائِي حَذُو نَدَاكِ ، وسحائب
لولا الخصال الميرة قُلْتُ يَدَاكِ ، وكَأَنَّ الوطن لا غتباطه بجواري ، وما رَأَى مِنْ
انتياب زُوَّارِي ، أو غزى إلى بهت يقطع الطريق ، وأطلق يده على التفریق ،
وأشراق القوافل مع كثرة الماء بالريق ، فلم يسمع إلا المَقَامَ أَيْامًا ، فَعُودًا فِي الْبَرِّ
وقياما ، واختيارا لضروب الأنس واعتياما ، ورأيت بلدة معارضا أعلام ،
وهواؤها برد وسلام ، ومحاسنها تعمل فيها أَلْسِنَةُ وَأَقْلَامُ ، غيا الله سيدي ، فلکم
من فضل أفاد ، وأنس أحياء وقد باد ، وحفظ منه على الأيام الذخِرَ والعنَاد ، كما
مَلَكَهُ زِمَامُ الْكَمَالِ فَاقْتَاد ، وأنا أنطارح عليه في صلة تفقده ، وموالاة يده ، بَأَنَّ
[١٩٤] يسهمني في فرض مخاطباته مها خاطب ، معتبرا في هذه الجهات ، ويصحبني من
مناجحتي بكتوس مسرة ، يعمل فيها هاك وهات ، فالعز بزمه معقود ، والسعد بوجوده
موجود ، ومتهل السرور بسروره مورود ، والله عز وجل يبقية بقاء الدهر ،
[ويجعل حبه وظيفة السر ، وحده وظيفة الجهر ، ويحفظ على الأيام من زمنه
زين الدهر] ويصل لنا تحت إيالته العام بالعام والشهر بالشهر ، آمين آمين . انتهى .
وقال رحمه الله :

حضرت يوما بين يدي السلطان أبي عَنَانٍ في بعض وقاداتي عليه ، لفرض
الرسالة ، وجري ذكر بعض أعدائه ، قُلْتُ مَا اعْتَقَدْتُ فِي اطِّرَاءِ ذَلِكَ الْعَدُوِّ ،
وما عرفته من فضله ، وأنكر على بعض الحاضرين ، ممن لا يحطِبُ إلَّا فِي حَبْلِ
السلطان ، فصرفت وجهي وقُلْتُ : أَيُّكُمْ اللَّهُ ! تحقير عدو السلطان بين يديه

شيء من صراحة
ابن الخطيب في
مجلس السلطان
أبي عنان

ليس من السياسة في شيء ، بل غير ذلك أحق وأولى ، فإن كان السلطان غالبا عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره ، وجلالة قدره ، وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير ، فيكون أشد للحسرة ، وأؤكد للفضيحة . فوافق رحمه الله على ذلك ، واستحسنه ، وشكر عليه ، ونجل المعارض . انتهى .

ومن نظمه رحمه الله :

شعره في
مكناسة

مِكنَاسَةٌ جُمِعَتْ بِهَا زُمَرُ الْعِدَا فدى بريدٍ فيه ألف بريد
من واصلٍ للصوم لا لرياضة أو مدمن للجوع غير مُريد
فإذا سلكت طريقها متصوفا فابن السلوك بها على التجريد

ولما دخل رحمه الله مدينة آتني ، ومر منها على دار عظيمة ، تنسب إلى والي جبايتها « عبو » من بني الترحمان ، قارون قومه ، وغنى صنفه ، قال :

شعره في
مدينة آتني

قد مررنا بدار « عبو » الوالي وهي تُكَلِّي تشكوصروف الليالي
أَقْصَدْتُ رِبَهَا الْحَوَادِثَ لِمَا رشقته بصائبات زبال
كان بالأمس واليا مستطيلا وهو اليوم ما له من وال

ومن نظمه رحمه الله في الشيخ ابن بطان الصنهاجي :

شعره في
ابن بطان

[١٩٥] لله درك يا ابن بطان فـ شهير جودك في البسيطة جاحد
إن كان في الدنيا كريم واحد يزن الجميع فأنت ذاك الواحد
أجريت فضلك جفرا يحيا به ما كان من مجد فذكرك خالد
فالقوم منك تجمعوا في مُفرد ولد كما شاء العلاء ووالد
وهي الليالي لا تزال صروفها يشقى بموقعها الكريم الماجد
وبمستعين الله يصلح منك ما قد كان أفسده الزمان القاسد

وقال رحمه الله وقد انتابه البرغوث :

شعر له
في البرغوث

رَحَّحَتْ إِلَى رِكَائِبِ الْبُرْغُوثِ نَمَّ الظَّلَامُ بِرُكْبِهَا الْخُثُوثِ
بِالْحَبَّةِ السُّودَاءِ قَابِلٌ مَقْدَمِي اللَّهُ أَيُّ قِرْمِي أَعْدُ خَيْثِ
كَسَحَتْ بِهِنْ ذُبَابِ سِرْحٍ تَجَلْدِي ^(١) لَيْلَا فَتَحْبِلُ الصَّبْرَ جِدُّ رَيْثِ
إِنْ صَابَرْتَ نَفْسِي أَذَاهُ تَعَبِدْتَ أَوْ سَحَتْ مِنْهُ أَرْثَتْ مِنْ تَحْنِيثِ
جَيْشَانِ مِنْ لَيْلٍ وَبُرْغُوثِ فُهَلْ جَيْشُ الصَّبَاحِ لَصَرْخِي بِمُغِيثِ

شعر له
في ابن روح

[ومن نظمهم رحمه الله في عثمان بن يحيى بن عمر بن روح :
أَسْمَى ذِي النُّورَيْنِ وَجْهَكَ فِي الْوُغَى شَمْسُ الضُّحَى حَلَّتْ بَلِيثَ عَرِينِ
إِنْ تَقْتَحِرْ بِمَرِّينَ أَرْضُ الشَّدْوَةِ الْقُصْوَى فَأَنْتَ أَنْتَ تَفَرِّ مَرِّينَ ^(٢)

شعر له صدر
به رسالته إلى
ابن حنون

وقال مخاطب الوالي محمد بن حشون بن أبي العلاء ، وصدر بها رسالة :
لَمْ يَبْقَ لِي جُودُ الْوَلَايَةِ ^(٣) عَاجَةً فِي الْأَمْنِ أَوْ فِي الْجَاهِ أَوْ فِي السَّالِ
بَسَدَ الْقَاءِ أَوَّلُ الْقَضَائِلِ يَفِيْقِي وَرَأَيْتُ هَذَا الْقَصْدَ شَرْطَ كَالِ
أَجَلْتَهُ وَتَشَوَّفَ لِبَيَانِهِ هَمَّ فَكُنْتُ مَفْسِرَ الْإِجْمَالِ
وَخَصَصْتُ بِالْإِنْصَاءِ غَيْرَكَ غَيْرَةً وَجَعَلْتُ ذِكْرَكَ شَاهِدَ الْأَعْمَالِ
أَلَيْسَتْ ^(٤) يَا بْنَ أَبِي الْقَلَاءِ قُشْبُ اللَّيْلِ وَتَرَكْتُ أَهْلَ الْأَرْضِ فِي أَعْمَالِ
إِنْ دَوَّنَ الْقُضْلَاءُ فَضْلًا مُطْلَا فَلَقَدْ أَتَيْتَ عَلَيْهِ بِالْإِكْمَالِ
تُنِّيَ عَلَيْكَ وَعَيْتُهُ آمَالَا فِي أَنْ تَقْوَزَ بِذَاكَ بِالْأَمَالِ

(١) كنا في نفع الطيب والسلاوى . وفي الأصلين : « به ديباج » . وهو محرف مما أبتناه .

(٢) ما بين القوسين زيادة من ت .

(٣) في الأصلين : « الخلافة » . وقد أبتنا رواية نفع الطيب للائمتها السيام .

(٤) في نفع الطيب : « أليست » .

أَزْعَيْتَهَا هَمًّا فَلَمْ يَطْرُقْ لَهَا بِمَنْعِ سُورِكَ طَارِقُ الْإِمَالِ
 مِنْ كُنْتُ وَالِيهِ تَوَلَّيْتُ السَّلَا وَمِنْ أَطْرَحَتْ فَسَالَهُ مِنْ وَالِي
 وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى سَرَاكُشٍ ، وَاعْتَبَارِهِ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا ^(١) :

شعر له في نديب
 سراكش بعد
 الموحدين

{١٩٦}

بَلَدٌ قَدْ غَزَاهُ صَرْفُ اللَّيَالِي وَأَبَاحَ الْمَصُونِ مِنْهُ مُبِيحُ
 فَالْتَمَى خَرٌّ مِنْ بِنَاءِ قَتِيلٍ وَالَّذِي خَرَّ مِنْهُ بَعْضُ جَبْرِجِ
 وَكَأَنَّ النَّدَى يَزُورُ طَيِّبٌ قَدْ تَأَثَّرَ لَهُ بِهَا التَّشْرِيجُ
 أَتَجَمَّعَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ وَرُسُومٍ كَانَ قَدِّمًا بِهَا اللِّسَانُ الْفَصِيحُ
 كَمْ مَعَانٍ غَابَتْ بِتِلْكَ الْمَعَانِي وَجَالِ أَخْفَاهُ ذَاكَ الضَّرِيحُ
 وَمُلُوكِهِ تَعَبَّدُوا الدَّهْرَ لَهَا أَصْبَحَ الدَّهْرُ وَهُوَ عَتِيدُ صَرِيحِ
 دَوَّخُوا نَازِحَ الْبَيْسِطَةِ حَتَّى قَالَ مَا شَاءَ ذَابِلُ وَصَفِيحِ
 حَيْثُ ^(٢) شُبِّتَ لَمْ مِنَ الْبَاسِ نَارِ ثُمَّ هَبَّتْ لَمْ مِنَ النَّصْرِ رِيحِ
 أَرَأَيْتَ يَنْسُدُّبُ الْمُؤَثَّرَ لَهَا طَالَ ^(٣) بَعْدَ الدَّوْنِ مِنْهُ التُّزُوجِ
 مَنَّا كُنَّا الدَّارَ رُوحًا كَيْفَ يَبْقَى جَسَدٌ بَعْدَ مَا تَوَلَّى الرُّوحِ

وَقَالَ بِخَاطِبِ عَمِيدِ سَرَاكُشٍ ^(٤) ، لَلتَّمَيَّزُ بِالرَّأْيِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْهَمَّةِ ، وَإِفَاضَةِ
 الْعَدْلِ ، وَكَفِّ الْيَدِ ، وَالتَّجَافِي عَنْ مَالِ الْجَبَايَةِ ، عَامِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَنْتَانِي :
 تَقُولُ لِي الْأَطْلَانُ وَالشُّوقُ فِي الْحَشَى لَهُ الْحُكْمُ يَنْقُضِي بَيْنَ نَامٍ وَأَمْرٍ
 إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدَ أَصْبَحَتْ فَارَا نَفِيحُ قَرِيرِ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرِ

شعره يخاطبه
 عامرًا الهنتاني

(١) كذا في الأصلين وفي نفع الطيب . وفي السلاوي زيادة في هذه البارة يتضح بها المقام ، قال : « ولا وقف على مصانع سراكش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار إليه أمرها بعد الموحدين قال » .

(٢) في ط : « حين » .

(٣) في ط : « كان » .

(٤) في السلاوي : « عميد البلاد المراكشية » .

ورز تربة المعلوم إن سزارها هو الحج يُفنى نحوه كل ضامر
سَلَقَى بِمُتَوَكِّي عامر بن محمد ثغور الأمان من ثنايا البشار
ولله ما تبلوه من سمد وجهه ولله ما تلقاه من يمن طائر
وتستعمل الأمثال في الدهر منكما بخير سرور أو بأعطي زائر

تعريف
بعامر المشتاق

أقول : عامر بن محمد هذا ، هو قرع^(١) هُنْتَاة ، وكانت له مع أبي الحسن
الترقي في الوفاء أحاديث ، صححت عند أبي عَينان وغيره مثناه ، ولم يزل في رياسته
مدة أبي عَينان ومن بعده من ملوك بني مرين ، إلى زمن أبي فارس عبد العزيز
ابن أبي الحسن ، فنازله بجنوده ، وحاصره بمعتقه ، حتى استولى عليه وقتله .
وقد ساق أمره ابن خلدون واستوفاه ، ومنعني من الإتيان به ما حصل
من التطويل في هذه الترجمة ، وقد أشار إليه ابن الأحرر في « نثر فرائد الجنان »
عند ما ذكر الشريف الشبوكي ، ونصه :

في عن الشريف
الشبوكي

[١٩٧] « صاحبنا الفقيه ، محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف ، يُكنى أبا
عبد الله ، ويعرف بالشبوكي ، رأيت وصحبته ، ونسبته حسبنا نقلته من خطه على
متن كتاب ، وأخبرني هو به ، وسمعت أيضا بفاس ، من يرض الناس ، وهو محمد
ابن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمران بن عبد الرحيم بن نوح بن
شميع بن علي بن أبي محمد بن حَيَّان بن فضل بن طاهر بن مطهر بن حود بن زياد
ابن محمد بن الحسن^(٢) بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، ويعرف بالشبوكي .
وشبوك : قرية بينها وبين مدينة فاس ثلاثة أميال^(٣) ؛ وأخبرني أن جده عبد الرحيم

(١) القرع : السيد الرئيس .

(٢) في ط : « الحسين » .

(٣) في ت : « أيام » .

أتى من المشرق إلى المغرب ، واستوطن بشبكة ، وهو شريف ؛ ويوسف أبوه كان رحمه الله جميل الوجه جدا ، شاعرا مجيدا فقيها ، وبرّز عدلا في سباط شهود فاس ، واستخدمه أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عَينان المريني شاهدا في دار صناعته ؛ وأحد والد يوسف كان فقيها صوفيا ؛ ومحمد والد أحد كان فقيها صالحا ؛ ويوسف والد محمد كان فقيها عالما صالحا مكاشفا بحجاب الدعوة ، من أهل الطبقة العليا في الصلاح ؛ وأبو عبد الله هذا كتب الوثيقة بشهود فاس .

شعر للشبوكي في مدح أبي فارس والتمريض على الهنتاني

هالاه أكرم الله : هو فارس التريّض ، وحامل لوائه الطويل المريض ، وله وجه وسيم ، وحياة جسيم ، وسُمُو همته لم يبلغها إنسان ، ولم يُسمع بمثلها في سالف الأزمان ، ويؤثر عزة نفسه على هواه ، ويختار هتيع السمو على ماسواه ، وأنشدني لنفسه يمدح أمير المسلمين أبا فارس عبد العزيز المريني ، بمدقته لوزيره المتقلب على أمره ، عمر بن عبد الله بن علي اليباني ، ويحرضه على قتال الشيخ [١٩٨] أبي ثابت عامر بن محمد بن علي الهنتاني ، صاحب جبل هنتانة ، من حوز مراکش ، حين خرج عليه به ، بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد بن أخي السلطان عبد العزيز هذا :

أَبَانَ فِي حَبِّهِ مَا قَالَ عَاذِلُهُ دَمْعٌ جَرَى فَوْقَ صَفْحِ انْخَدَ هَامِلُهُ
فَبَاتَ مِنْ وَطْأَةِ التَّفْرِيقِ ذَا وَجَلٍ ^(١) يَسْتَجِدُّ الصَّبْرَ عَوْنَا وَهُوَ خَاذِلُهُ
صَبَّ إِذَا مَا بَدَأَ بِالرَّقَّتَيْنِ لَهُ وَمِيزُ بَرْقِ الْجَمَى هَاجَتْ بِلَابِلُهُ
يَبْكِي لِمَنْزِلِ أَنْسَ بَانَ آهْلُهُ وَظَالَمْنَ عَنْهُ قَدْ شَطَّتْ مَنَازِلُهُ
يَا حَسَنَ عَصْرِ بِهِمْ قَضَيْتَهُ زَمَنًا رَقَّتْ حَوَاشِيهِ إِذْ رَقَّتْ أَصْنَافُهُ

كَأَنَّ صَوْبَ دُمُوعِي بِمَدِّ بُعْدِهِمْ سَيْبَ الْمَلِيكِ إِذَا وَاقَاهُ سَأَلُهُ
عَبْدَ الزَّمِيرِ الَّتِي عَزَّتْ بِدَوْلَتِهِ مَرَاتِبَ الْحَقِّ وَالتَّحَاتِ دَلَالُهُ
وَأَصْبَحَ لِلْمَلِكِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ مِنَ الَّذِي كَانَ غَالَتُهُ غَوَائِلُهُ
عَادَتْ بِمَعِيدٍ لَنَا مِنْهُ نَضَارَتُهُ فَعَادَ يَافِعُهُ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ
كَالَرُوضِ بِاحْكَمِهِ طَلَّ عَلَى غُلَامٍ وَجَادَهُ بِمَدِّ ذَاكَ الطَّلِّ وَالْبِلَالِ
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ أُمَّ سَاحَتِهِ جَادَتْ عَلَيْهِ بِجَذْوَاهَا أُنَامِلُهُ
وَمَنْ تَخَلَّفَ جَهْلًا عَنْ إِبْجَاتِهِ سَارَتْ إِلَيْهِ عَلَى عِلْمٍ صَوَاهِلُهُ
قُلْ لِلَّذِي عَنْهُ أَقْصَتُهُ جِرَائِمُهُ وَعَقَلْتُهُ عَنْ الْعُلْيَا مَعَاوِلُهُ
زُرْ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الِليْمُونَ طَالَمُهُ تَحْظُ بِمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ آمَلُهُ
فَطَعْنَهُ الصَّفْحَ وَالْمَرْوِفَ شِمَتُهُ وَالْحِلْمَ وَالصَّوْنَ وَالتَّقْوَى شِمَالَتُهُ
أَبْلَغَ جَمِيعِ الْعِدَا أَنْ سَوْفَ يَشْمَلُهُمْ مِنَ الظُّلُمِ كُلِّ مَاضٍ الْخَدَّ فَاصِلُهُ
هَذَا لِلْمَلِكِ أَنَامُ فِي كِتَابَتِهِ لَنَسْخِ آجَالِهِمْ تُنْقِى رَوَاحِلُهُ
بِكُلِّ خِرْقٍ طَوِيلِ الْبِيعِ مُتَشَدِّدٍ مَقْصَرٍ عَمَرَ مِنْ تَلْقَى مَنَاصِلُهُ ^(١)
وَجَحْفَلٍ فِيهِ تُنْمِرُ الْخَطَّ مُشْرَعَةٌ قَدْ حَجَّجْتَ أَنْجَمَ الشُّعْرِى قَسَاطِلُهُ
سَيْلَمُ الثُّمَرِ عُقْبَى مَا جَنَاهُ إِذَا كَلَّتْ مَوَاضِيهِ وَانْقَضَتْ كَلَالُهُ
وَحَاطَ بِالْجِبِلِ الْبَحْرَ الْحَمِيطَ وَلَا حَتَّ فَوْقَ أَرْوُسِهِمْ مِنْهُ جَدَاوِلُهُ
فَانْهَضَ إِلَيْهِمْ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ أُعْطِيَتْ كُلُّ الْمُسْنَى فِيهَا تَحَاوِلُهُ
مَنْ ذَا يُنَازِلُ جَيْشًا أَنْتَ قَائِدُهُ يَوْمَ الْكَرْبِيَّةِ أَوْ مَنْ ذَا يُنَاضِلُهُ

[١٩٩]

(١) الناصل : السيوف ؛ الواحد : متصل (يضم للميم وسكون النون مع ضم الصاد وتضمها) .

ألا ترى المارق الرعديد حين عتا وأضمهر الصكر صادته حباته
ظنّ الضنين بأن يسمو ويملو في دنيا سمّت وعلت فيها بواطله
فغادرته الصّعاد الزُّرق منجدلاً فوق الصّعيد تُناديه جنادله
دنياه تضحك من أحواله عجبا به وفي الحقّ تبكيه أرامله
فلتهن دين الهدى من بعد مدته أن أنت يا ذا الضحى الطلق كافله
لم ينتصب قطّ في الدنيا لواءه علّا إلا ومن آل عبد الحقّ حامله
مولاي مولاي دُمّ ناعشت مُصطحبا علّا ونفرا وعزّا لا تزياله
إن سار جيشك فالتأيد يقدّمه والنصر عاجله يقفوه آجله
اتمى كلام ابن الأحرر .

وأقارب هذا الشريف الشبوكي لم يزالوا إلى الآن ، ولم مصاهرة مع ولينا
الفتية الحديث ، الحاج الرجال البركة ، القدوة الصالح الناصح ، أبي عبد الله سيدي
محمد بن الولي الصالح سيدي أبي بكر بن محمد ، صاحب الدّلا^(١) ، أبقى الله علامم ،
وأعانهم على ما أولام .

ولتجع إلى ابن الخطيب فنقول :

شعر لابن الخطيب
على قبر السلطان
أبي الحسن الرضي

وقال رحمه الله ، وقد شاهد بجبل هنتاة محل وفاة السلطان أبي الحسن
للرّبي ، حيث أصابه طارق الأجل ، الذي فصل الخطّة ، وأصمت الدّعوة ،
ورفع المنازعة ، وعانیه مرّتها^(٢) عن الابتذال بالسكنى ، مفترشا بالحصباء ،
مقصودا بالابتهاال والدعاء ، فلم يبرح يوم زيارة محل وفاته أن قال :

(١) كذا وردت هذه الكلمة في الأصولين ، ولم تفهم المراد منها ، ولم نثر على مرجع

آخِر لهذا الكلام النقول عن ابن الأحرر ، لعارض به هنا النص .

(٢) كذا في الأصولين . وفي فتح الطيب : « مرّتها » .

يا حسنًا من أزيغ وديار أضحت لبغى الأمن دارَ قرارٍ
وجبال عزّ لا تذلل أنوفها إلا لمر الواحد القهار
ومقر^(١) توحيد وأس خلافة آثارها تنبئ عن الأخبار
ما كنت أحسب أن أنهار الندى تجري بها في جملة الأنهار
ما كنت أحسب أن أنوار الحبا تلتاح في قن وفي أحجار
تجت جوانبها الزرد وإن تكن شبت بها الأعداء جذوة نار
هدت بناها في سبيل وفاتها فكأنها صرعى بشير عفار
لما توعدّها على المجد العدا رضيت بعيث النار لا بالدار
عمرت بحيلة^(٢) عامر وأعرها صد العزيز بمرفق بتار
فرسارهان أحرزا قصب الندى والبأس في طلق وفي مضار
ورثا عن النذب الكبير أيهما محض الوفاء ورفعة المقدار^(٣)
وكذا القروع تطول وهي شبيهة بالأصل في ورق وفي أثمار
أزرت وجوه الصيد من هتاتة في جوها بمطالع الأقدار
لله أى قبيلة تركت لها النظراء دعوى الفخر يوم نثار
نصرت أمير المسلمين^(٤) وملكه قد أسلمته عزائم الأنصار
وارت عثا عندما ذهب الردى والروع بالأمم والأبصار
وتخاذل الجيش اللّهام وأصبح الأبطال بين تقاعد وفراز

(٢٠٠)

(١) في ط : « ومحل » .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين والسلاوى : « حيلة » . ويريد بامنه :

عامر بن محمد الهنتاني .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « الأقدار » .

(٤) في ط : « المؤمنين » .

صَكَّرَتْ صَنَائِمَهُ فِيمَ دَارَهَا مُسْتَظْهِرًا مِنْهَا وَسْوَزَ جَوَارِ
وَأَقَامَ بَيْنَ ظُهُورِهَا لَا يَتَّقَى وَقَعَ الرَّدَى وَقَدْ ارْتَمَى بِشَرَارِ
فَسَكَّنَهَا الْأَنْصَارُ لَنَا آتَسْتَ فِيمَا تَقَادِمُ^(١) غُرْبَةَ الْخِتَارِ
لِمَا عَدَا لَحْظًا وَهُمْ أَجْفَانُهُ نَابَتْ شِفَارُهُمْ عَنِ الْأَشْفَارِ
حَقَى دَمَاهُ اللَّهُ بَيْنَ يَبُوتِهِمْ فَأَجَابَ مُمْتَلًا لِأَمْرِ الْبَارِي
لَوْ كَانَ يُنَمِّعُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَا خَلَصَتْهُ إِلَيْهِ نَوَافِذُ الْأَقْدَارِ
قَدْ كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَكْفَى بَعْضُ مَا أَوْلَوْهُ لَوْلَا قَاطِعُ الْأَعَارِ
مَا كَانَ يَقْتَمِعُ لَوْ ائْتَدَى الْمَدَى إِلَّا الْقِيَامُ بِحَقِّهَا مِنْ دَارِ
فِيْمِيدَ ذَاكَ لِلْمَاءِ ذَائِبَ فِضَّةٍ وَيَعِيدُ ذَاكَ الْقَرَبَ تَبَرُّ^(٢) نُضَارِ
حَقَى تَقَوَّزَ عَلَى النُّوَى أَوْطَانُهَا مِنْ مُلْكِهِ بِجَلَالِ الْأَوْطَارِ
حَقَى يُلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ وَجُوهُهُمْ أَثَرُ الْعَنَاءِ سَاطِعِ الْأَنْوَارِ
وَيُسَوِّغُ الْأَمَلَ الْقَصَى كِرَامَتَهَا مِنْ غَيْرِ مَا تُفْنِي وَلَا اسْتِعْصَارِ^(٣)
مَا كَانَ يَرْضَى الشَّمْسُ أَوْ بَدْرُ اللَّجَى عَنْ دِرْهَمٍ فِيهِمْ وَلَا دِينَارِ
أَوْ أَنْ يَتَوَجَّحَ أَوْ يَقْلُدَ هَامَتَا وَنَحْوَرَهَا بِأَهْلَةٍ وَدَرَارِ
حَقَى عَلَى الْمَوْلَى ابْنِهِ^(٤) إِشَارًا مَا بِذُلُوهِ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ إِشَارِ
فَلَمَّا ذُخِرَ الْجَزَاءُ وَمِثْلُهُ مِنْ لَا يُصْبِحُ صَنَائِعَ الْأَحْرَارِ
وَهُوَ الَّذِي يَقْضَى الدِّيُونَ وَيُرْثُهُ يُرْضِيهِ قَى عَلَنَ وَفَى إِسْرَارِ

(١) في ط وفتح الطيب : « تقدم » .

(٢) في فتح الطيب والسلاوى : « ذوب » .

(٣) الثنيا : الاستثناء . والاستعصار : استعمال من الصر بمعنى النع . ولم ترد صيغة « استعمل » من الصر في المعجم التي بأيدينا .

(٤) يريد بالمولى : ابنه السلطان أبا سالم بن أبي الحسن المريني .

[٢٠١]

حتى تَصْجَحَ حِمْلَةٌ رَفَعُوا بِهَا عِلْمَ الْوَفَاءِ لِأَعْيُنِ النَّظَارِ
فِيصِيرُ مِنْهَا الْبَيْتُ بَيْتًا ثَانِيًا لِلطَّائِفِينَ إِلَيْهِ أَيْ بِدَارِ
تَغْنَى قُلُوبِ الْقَوْمِ عَنْ هَدْيِ بِهِ وَدَمْعِهِمْ تَصْغِي لَوْحِ جِبَارِ
حُيْتِ مِنْ دَارِ تَكْفُلِ سَعْيَا الْمَحْمُودِ بِالْزُّلْفَى وَعُغْبَى الدَّارِ
وَضَفَّتْ عَلَيْكَ مِنَ الْإِلَهِ عَنَاءٌ مَا كَرَّ لَيْلٌ فِيكَ إِثْرَ نَهَارِ

شعر
لابن الخطيب
على قبر المتمدن

وقال رحمه الله ، حُبَّ زَارِ بِخَارِجِ أَعْمَاتِ قَبْرِ الْمَتَمَدِّ بِاللَّهِ أَيْ الْقَاسِمِ
ابْنِ صَبَّادٍ ، أَمِيرِ خُصٍّ ^(١) وَقُرْطُبَةَ وَالْجَزِيرَةَ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ الصَّقْعِ الْغَرْبِيِّ ،
وَنَصَّ كَلَامَهُ الَّذِي رَتَبَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ :

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ الْمَتَمَدِّ بِاللَّهِ بِمَدِينَةِ أَعْمَاتِ ، فِي حَرَكَةِ رَاحَةِ أَعْمَلْتَهَا إِلَى
الْجِهَاتِ التَّوَارِكِيَّةِ ، بَاعْثَا لِقَاءَ الصَّالِحِينَ ، وَمَشَاهِدَةَ الْآثَارِ عَامٍ وَاحِدٍ وَسَتَيْنِ
وَسَبْعِ مِثَّةٍ ، وَهُوَ بِمَقْبَرَةِ أَعْمَاتِ ، فِي تَشْرِقِ الْأَرْضِ ، قَدْ حَفَّتْ بِهِ سِدْرَةٌ ، وَإِلَى
جَنْبِهِ قَبْرُ اعْتِمَادِ حَفِيطَتِهِ مَوْلَاةِ زَمِيكَ ، وَعَلَيْهَا هَيْئَةٌ ^(٢) التَّغْرِبِ ، وَمَعَانَاةُ الْخَوَلِ
مِنْ بَدْلِ الْمَلِكِ ، فَلَا تَمْلِكُ الْعَيْنُ دَمْعَهَا عِنْدَ رُؤْيَيْهِمَا ، فَأَنْشَدْتُ فِي الْحَالِ :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ بِأَعْمَاتِ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِي الْمَهْمَاتِ
لَمْ لَا أَزُورُكَ يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ يَدَا وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي لِلدَّهْمَاتِ
وَأَنْتَ مَنْ لَوْ تَخَطَّى الدَّهْرُ مُضَرَّعَهُ إِلَى حَيَاتِي لَجَادَتْ فِيهِ أَيْبَانِي
أَنَافَ قَبْرِكَ فِي هَضْبٍ يَمِيزُهُ فَتَنْتَحِيهِ حَفِيطَاتُ التَّحِيَاتِ
كَرُمْتُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَاشْتَهَرْتُ عُلاَ فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمَوَاتِ

(١) يريد بمحمس (هنا) : مدينة إشبيلية بالأندلس ، لأن العرب الذين نزلوها عند الفتح

أسموها باسم بلدهم في الفرق .

(٢) في فتح الطيب : « أثر » .

ماري^(١) مثلك في ماضٍ، ومُعتقدي أن لا يُرى الدهر في حالٍ ولا آتي
وقال رحمه الله مخاطباً أحمد بن يوسف حفيد الولي الصالح سيدي أبي محمد
صالح التائب في ظل صيته ، رحمه الله :

شعر له
في مخاطبة
ابن يوسف

يا حفيد الولي يا وارث الفخر الذي نال في مقال^(٢) وحال
لك يا أحمد بن يوسف جُينا كل قفر^(٣) يعني أكف الرجال
ولما خرج رحمه الله من آسني^(٤) سار إلى منزل ينسب لأبي خدو^(٥) ؛ فيه [٢٠٢]
رجل من بني المنسوب إليه ، اسمه يعقوب ، قال في نفاضة الجراب ، فألطف
وأجرل وآنس في الليل ، وطلبني بتذكرة تثبت عندي معرفته ، فكتبت له :

نزنا على يعقوب نجل أبي خدو فررنا الفضل الذي ماله حد
وقابلنا بالبشر واحتفل القرى فلم يبق لحم لم ننله ولا زبد
يحق علينا أن نقوم بحقه ويلقاه منا البر والشكر والحمد
وقال يخاطب السلطان :

وله في مخاطبة
السلطان

أنت للمسلمين خير عماد وملاذ وأي حريز حريز
لو رأى ما شرعت للخلق فيه عمرُ الفاضل ابن عبد العزيز
لجرى ملكك المبارك خيرا وقضى بالشفوف^(٦) والتبريز
فاشكر الله ما استطعت بفعل وبقول مُطوّل أو وجيز

(١) رىء : أصله (رى) بالبناء للجهول ، قدمت اللام على الين .

(٢) في ت : « مقام » .

(٣) في نفع الطيب : « قطر » .

(٤) آسني : من الثغور المراكشية .

(٥) في نفع الطيب : « خدو » .

(٦) يريد بالشفوف (هنا) : الزيادة .

كل ملك يرى بصُعبه أهل السلم قد باء بالحمل العزيز
فإذا ما ظفرت منهم يا كسير ملأت البلاد من إبريز
والبرايا تبديد والملك يفنى أين كسرى الملوك مع أبرويز

وقال : أنشدت ابني عبد الله وقد وصل لزيارتي من الباب السلطاني ،
حيث [جرايته ووظيفته ، وانجر حديث] ^(١) ما فقد بفرناطة في شجون الكلام :

يا بني عبد الإله احتسابا عن أئاث ومَنْزِلٍ وعَفَارٍ
كيف يَأْتِي على خسارة جزء من يرى الكل في سبيل الخسار
هَدَفَ لا تَقَى سِهَامُ اللَّيَالِي عن سِباقِ قِجَاهِهِ وَبِدَارٍ
واحد طائش وثالث مصيبٌ ليس ينبغي منها اشتالٌ حِذَارٍ
غير ذى الدار صُرِفَ المٌ فيها ففناخ الرحيل ليس بدار
وقال : أنشدته وأمرته بحفظه ، والتأدب به ، واللهج بحكته :

إذا ذهبت يمينك لا تَضِيعَ زمانك في البكاء على المصيبة
وإسراك اغتم فالقوس ترمى وما تدري أرشقتها قريبه
وما بفرية نوب الليالي ولكن النجاة هي التريه
وقال رحمه الله :

يَا أَمَلُ هَذَا الْقَطَرُ سَاعِدُهُ الْقَطَرُ بَلَيْتُ فِدْلُونِي لِمَنْ يُرْفَعُ الْأَمْرُ
تَشَاغَلْتُ بِالْدُنْيَا وَنَعْتُ مَفْرَطًا وَفِي شُغْلِي أَوْ نَوْمِي سُرِقَ الْعَمْرُ
وقال رحمه الله :

مَالِي أَهْذَبُ نَفْسِي فِي مَطَالِبِهَا وَالنَّفْسُ تَأْتَفُ تَهْذِيْبِي وَتَهْذِيْبِي

(١) ما بين القوسين تكملة عن ت .

وله في مخاطبة
ابنه وقد وصل
لزيارته

بعض
مقطوعات له

[٢٠٣]

إذا استعنتُ على دهرى بتجربة تأبى المقاديرُ تجربى وتجربى
وقال رحمه الله مَوْزِيَا حينَ أكل مُشْرِف الدار القابض^(١) ، أى أخذ ماله :
مُشْرِف دار الملك ما باله منتفخ الجوف شكاً نافضاً
فقيل لى ليس به علة لكنه قد أكل القابضاً
وقال رحمه الله :

وله فى مشرف
المأرجح أكل
القابض

يا نفس لا تُصغى إلى سَلَوَةٍ كم أخلف الموعدَ عُقُوبُ
وأنت يا قلبي وَصَّكَ إبراهيم بالحزن ويعقوب
قال : وقلت فى رأس النادر بالدولة حين عرض على :
فى غير حفظ الله من هامة هام بها الشيطان فى كل وادٍ
ما تركتُ حداً ولا رحمة فى فم إنسان ولا فى فؤادٍ
وقال رحمه الله :

وله فى رأس
النادر بالدولة

يا كوكبَ الحسن يا معناه يا قرّة يا روضه المتناهى الزرع يا ثمره
أمرتني بِسُلُوٍ عنك ممتنع مأمور حسنك لسا يقض ما أمره
[وقال رحمه الله فى السعيد أبى بكر ابن السلطان أبى عنان :

شعره فى
السعيد أبى بكر

أميراً كأن قُمَيْر الدجى أفاض الضياء على صفحته
تغلاً قلبي من حبه غداة نظرت بعينى إليه
فلا بسط الدهر كفة الردى لذلك الشخصيص وذلك الوجيه^(٢)

(١) القابض : من الألفاظ الأدبية ، وهى هنا بمعنى المال المأخوذ .

(٢) ما بين القوسين ساقط فى ت .

وقال عند ما انصرف عنه ابنه إلى مدينة فاس ، لإقامة رسمه من الخدمة ،
قال : وأشجاني انصرافه لوقوع قرحه على قرح ، والمستمان الله :

بان^(١) يوم الخميس قرّة عيني حنّبي الله أي موقف بيني ا
لو جني موقف النوى حين حنّ حنّ حان يوم الوقاع والله حيني
ضايقتني صروف هذى الليالي وأطالت همي وألوت بديني
وطن نازح وشغل شتيت كيف يبقى مُعذّب بين دَين ؟
يا إلهي أدرك بلفظك ضعفي إن ما أشتكيه ليس بهين [٢٠٤]

وله في السيادة
الخطبية

قال : وخاطبت السيادة الخطبية^(٢) مع طيفور طعام :
تعلّم طيفوري خِلال سمّيه^(٣) وإن كان منسوباً إلى غير بسطام
وجاء فقير الوقت لابس خِرقة فليس براض غير محبة صوام
فديتُك لا تردده عنك مخيّبا ودرّسه يا مولاي قصّة بلعام^(٤)
قال : وكتبت إلى السيادة الخطبية ، ووصل ولدها إلى سلا ، ومنعني عن
لقائه عذر من مرض ، وكان نزوله بزاوية النساك :

صدّتي عن لقاء نَجَلْكَ عذر يمنع الجسم عن تمام العبادة
واختصرت القرى لأن حطّ رحلا في محل الفنى ودار الزّهاده

(١) في ت : « فات » .

(٢) يريد بالسيادة الخطبية ، الخطيب ابن مرزوق حاجب الدولة الفرنجية .

(٣) طيفوري : يريد طبقا عليه ما كول . وصيه : يريد به القطب طيفور بن عيسى
ابن مروشان ، المكنى بأبي يزيد البسطامي ، شيخ الصوفية ، وصاحب الأحوال
المعمورة . (انظر مرجح القاموس) .

(٤) لعله يريد بلعام بن باعوراء من بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، وله قصة
معمورة .

وَلَوْ أَنِّي احْفَظْتُ لَمْ يُعَيِّنِ الدُّهْرُ وَلَا نِلْتُ بَعْضَ بَعْضِ أَرَادَهُ
وعلى كل حاله قُصُورَى عادة إِذْ قُبُولُكَ الْعِذْرَ عَادَهُ
لَا عِدَمَتِ الرِّضَا مِنْ اللَّهِ وَالْحُسْنَى كَمَا نَصَ وَحْيُهُ وَالزِّيَادَةُ
وَقَالَ يَخَاطِبُهُ مِنْ ضَرْحِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ بِشَالَةَ ، لاسْتِهَاضَ عِزِّيَّتَهُ
فِي قَضَاءِ غَرَضِهِ :

بَرِئْتُ اللَّهَ مِنْ حَوْلِي وَمِنْ حَيْثِي
أَصْبَحْتُ مَالِي مِنْ عَطْفِ أَوْمَلِهِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ أُزَيِّمَ بِقَاصِيَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا خَلَصْتُ نَحْوِي الشَّفَاعَةَ مَا
إِنْ كُنْتُ لَسْتُ بِأَهْلٍ لِلَّذِي طَمَحْتُ
فَكَيْفَ يُلْغَى وَلَا تُرْصَى وَسِيلَتُهُ
مِنْ بَعْدِ مَا اشْتَهَرَتْ حَالِي بِهِ وَسَرَتْ
وَالرَّسْلُ تَقْرَى وَلَا تَخْفَى نَتَائِجُهَا
وَلَا لِلْيَلِي مِنْ صَبِيحِ أَطَالَمِهِ
لَوْ أَنَّنِي بَابَنْ مَرْزُوقٍ عَقَدْتُ يَدِي
لَكَانَ كَرْبِي قَدْ أَفْضَى إِلَى فَرْجٍ
أَلَمْتُ^(١) بِالْعَتَبِ لَمْ أَحْذَرْ مَوَاقِعَهُ
وَلَسْتُ أُجْعِدُ مَا أَخَوْتُ مِنْ نَعَمٍ
وَلَسْتُ أَبَاسُ مِنْ وَعْدٍ وَعَدْتُ بِهِ

إِنْ نَامَ عَنِّي قَلْبِي فَهَوَّ خَيْرٌ وَلِي
مِنْ غَيْرِهِ فِي مُهِمَّاتٍ وَلَا بَدَلٍ
لِلْهَجَرِ أَقْطَعُ فِيهَا جَانِبَ الْأَمَلِ
بَيْنَ الْفَلَاحِ^(٢) وَالذَّجَى وَالْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
إِلَيْهِ تَقْسَى وَأَهْوَى نَحْوَهُ أَمَلِي
دَخِيلُ قَبْرِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلِيٍّ
بِهَا الرِّكَائِبُ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ
عِنْدَ التَّائُلِ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
كَأَنَّ هَمِّي قَدْ مَدَّ الشُّجْنَةَ لِي
وَكَانَ عَحْكَامِي فِي خَيْرَةِ الدُّوَلِ
وَكَانَ حَزْنِي قَدْ أَوْفَى عَلَى جَدَلٍ

[٢٠٥] « أَنَا الْفَرِيقُ فَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ »
لَكِنَّا الْتَفْعِينَ لَا تَنْفَكُ عَنْ أَمَلٍ
وَإِنَّمَا « خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ »

(١) فِي تَقِيعِ الطَّيْبِ : « الْعَلَا » .

(٢) فِي تَقِيعِ الطَّيْبِ : « أَلَمْتُ » .

وله في مخاطبة
السلطان
أبي الحجاج

وقال رحمه الله يخاطب السلطان أبا الحجاج :

أُتولَى إن الشمرَ ديوانُ حكمة يفيد النفع والرزَّ والجاه مَنْ كانا
وقد وُجِدَ المختارُ في الحفلِ مُنصِتًا له وَحِبًّا كَكَمْبًا عليه وَحَسَنًا
وفيما رَواه الناقولون وأثبتوا بذلك ديوانًا صحيحًا فديوانا
بأن أبا بكر خليفته الرضا وفاروقه الأدنى إليه وَحَسَنًا
وَأَنْ عليا قدس الله جمهم وكرمنا بالتُّقرب منهم وَحَسَنًا
لَمْ في ضروب القول إِذْ هُمْ فَوَلُّهُ خطاب وشعر يستقران تبيانًا
وفاض على أهل القريض نولهم فرَوْضَ رَوْضُ القول سَحًّا وَتَهَانًا
وَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ تَفْعَلَ الَّذِي بها^(١) فَعَلَ المختار دينًا وإيمانًا
فَمَا زِلْتَ تَهْدِي في البرية هَدْيَهُ وتقضى بما يُرضيه سرًّا وإعلانًا
وإن قيل قدر الزم ما هو محسنٌ فصنعة نظم القول أرفعُه شَانًا

وله في التورية

وقال رحمه الله في فن التورية :

بنفسى حبيب في ثنياه « بارق » ولكنها للواردين حِذابُ
إذا كان لي منه عن الوصل « حاجر » فدمى « عقيق » بالحقون مُذابُ
وقال :

حَدَّثَتْ قلبي بالهوى ققيامه في نار هَرَكٍ دَائِمًا وَقُعُودُهُ
ولقد صَدَّتْ القلب وهو موحد فسلام يُقْضَى في المذاب خلوده
وقال في التجنيس :

دَعَوْتُكَ للود الذي جَنَّبَاتُهُ تَدَاعَتْ مَبَانِيهَا وَهَمَّتْ بِأَنْ تَهِي

وله في التجنيس

(١) في فتح الطيب : « القى به » .

وقلتُ لَهْدِ الوصل والقرب بصد ما تنأى أأسلو عن حياتي^(١) وأنت هي
ومن شام من جو الشيبية بارقا ولم تنه عنه النهى كيف ينتهى ؟
وقال أيضا :

ناديتُ دمعِي إِذْ جَدَّ الرحيلُ بهم والقلبُ من فَرَقِ التوديع قد وَجَّبا
سَقَطَتْ يادِمْعُ من عيني غداة نأى عنى الحبيبُ ولم تقض الذى وجبا
وقال مُورِيا :

وله في التورية
أيضا

كُتِبَتْ بدمع عيني صفحَ خدِّي وقد مَنَعَ السَّكرى هجرُ الخليل
ورابِ الحاضرين قلتُ هذا كتاب « العين » ينسب للخليل
وتذكرت بهذا قول الشيخ أبي حيان :

سبقَ الدمع بالسير المطايا إِذْ نوى من أحب عَنَى نُقْلَهُ
وأجاد السطور فى صفحة الخلد ولمْ لا يجيد وهو ابن مُقْلَهُ
والبيتَ الثانى أردتْ ، ولكن ابن الخطيب قد قصد تورية أخرى لم يقصدها
أبو حيان ، وكلاهما قد أحسن فى توريته .

وقال ابن الخطيب :

سنن شعره

ولم أرأت عزمي حثيثاً على الشرى وقد رابها صبرى على موقف البين
أنت بصحاح الجوهرى دموعها فعارضتُ من دمعى بمختصر البين
وقال أيضا :

بحق ما بيننا يا ساكنى القصبَةِ رُدُّوا على حياتى قهى مفتصبة
ماذا جئتم على قلبى بيبينكم وأتمُّ الأهلُ والأحباب والعصبة

(١) فى فتح العليب : « وهل أسلو حياتى » .

وقال عفا الله عنه :

مَضْجِي فِيكَ عَنْ قَتَادَةَ بَرَزِي وَرَوَى عَنْ أَبِي الزُّنَادِ فَوَادِي
وَكَذَا النُّومُ شَاعِرٌ فِيكَ أُمْسِي مِنْ دُمُوعِي يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِي
وقال رحمه الله :

حِينَ سَارُوا عَنِي وَقَدْ خَفَقْتَنِي عِبْرَاتٌ قَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ وَدُوعِي
سَحَّتْ مِنْ بِنَصْرِ الْغَرِيبِ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ نَاصِرًا بَلَّغْتَ دُمُوعِي
وقال عفا الله عنه :

قَالَ لِي وَالِدُ الْمَوْعِ تَهَلُّ سُحْبًا فِي عِرَاضٍ ^(١) مِنَ الْخُدُودِ مُحُولٍ
بِكَ مَا بِي فَقُلْتُ مَوْلَايَ عَافَا لَكَ لِلْعَافِي مِنْ عِبْرَتِي وَنُحُولٍ
أَنَا جَفْنِي الْقَرِيحُ يَرَوِي عَنِ الْأَعْمَشِ وَالْجَفْنُ مِنْكَ عَنْ مَكْحُولٍ
وقال ، وقد جلس السلطان في يوم شديد البرد للسلام :

جَلَسَ الْمَوْلَى لِتَسْلِيمِ الْوَرَى وَلِفَصْلِ الْبَرْدِ فِي الْجَوِ احْتِكَامٍ
فَإِذَا مَا سَأَلُوا عَنْ يَوْمِنَا قُلْتُ هَذَا الْيَوْمُ بَرْدٌ وَسَلَامٌ
وقال رحمه الله تعالى :

[٢٠٧]

بِأَبِي بَدْرٍ ^(٢) غَزَائِي مُسْتَبِيحًا ^(٣) صَدْرِي

فَأَنَا الْيَوْمَ شَهِيدُ الْحَبِّ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ

وقال :

أَشْكُو لِمُسِمِهِ الْحَرِيقَ وَقَدْ حَمَى عَنِّي لَمَاهُ الشَّهَى وَرَحِيقَهُ
يَا رَيْقَهُ حَيَّرْتَنِي وَمَطَّلَتْنِي مَا أَنْتَ ^(٤) إِلَّا بَارِدٌ يَا رَيْقَهُ

(١) كذا في الأصلين وفتح الطيب ، ونعيل إلى أن هذه الكلمة معرفة عن «مراس»

بالصاد المهملة ، فعلى ألقى بهذا اللغز .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « ظي » .

(٣) كذا في ت . والصرح : فناء الفار . وفي ط : « صرح » . والصرح : القصر .

(٤) في ط : « ما كنت » .

أبيات له
في المهنات
البدعية

وقال فيمن ركب البحر وماد :
ركب السفينة واستقل بأفقها
فكأنما ركب الهلال الفرقد
لا غرو أن ماد القضيبي الأملد
وشكروا إلى بيئهم فأجبتهم^(١)
وقال أيضاً :

يا مالكي بخلال تهدي إلى الفكر^(٢) خيرة
أضمرت قلبي نارا يا مالك بن نويرة

وقال عند ما خرج السلطان ابن الأحمر من فاس متوجهاً إلى الأندلس
لطلب حقه :

ولما حثت السير والله حاكم
حكى فرس الشطر نج طرّفك لا يرى
للكك في الدنيا يمز وفي الأخرى
يُنقل من يضاء إلا إلى حمرا
وقال رحمه الله تعالى :

تعجلت وخط الشيب في زمن الصبا
فهما رأيتم شيبة في مفارق^(٣)
لخوض غمار المم في طلب الجدي
فلا تنكروها إنها شيبة الحمد
وقال رضي الله عنه :

يا من تقلد للتلاء سلوكا
كاتبتي متفضلاً فلكتني
والفضل أضحى نهجته مسلوكا
لا زلت منك مكاتباً مملوكا

(١) كذا ورد هذا الشطر في ط . وفي ت : « وشكروا إلى بيئهم فأجبتهم » ؛ وفي هج

الطيب : « وشكروا إليه بيئهم فأجبتهم » .

(٢) في فتح الطيب : « القلب » .

(٣) في فتح الطيب : « فوق مفارق » .

وقال عفا الله عنه :

أجاد يراع الحسن خطَّ عذاره وأودَّعه السرَّ للصون الذي يندري
ولم يفتقر فيه نلتهم وطابع فبسمه أغناء عن طابع السر
وقال في رجل حلف وأقسم أنه ذو مال وأمانة، وطلب من السلطان الخدمة : [٢٠٨]

حلفت لم بأنك ذو يسار وذو ثقة وبر في البمين
ليستندوا إليك بمفظ مال فتأكل باليسار وباليمين
وقال في القمحر :

ما ضرتني أن لم أكن^(١) متقدما فالسبق بعرف آخر الضمار
ولئن غدا ربيع البلاغة بلقما فرب كئز في أساس جدار
وقال في مدح السلطان أبي الحجاج :

في مصر قلبي من خزائن يوسف حب وعير مدامحي تمتاز
حليت شمري باسمه فكانه في كل قطر حله ديناره
وقال يخاطب ابنه السلطان أبا عبد الله :

قالوا خلدته دماك محمد فكرهتها وزهدت في التنويه
فأجبتهم أنا والمهين كاره في خدمة الولي محب فيه
ومن قوله في غرناطة :

أحبك يا مغي^(٢) الكمال بواجب^(٣) وأقطع في أوصافك السر أوقاتي
تقسم منك الترب قومي وجيرتي في الظهر أحيائي وفي البطن أمواتي

(١) كذا في الأصلين : وفي نفع الطيب : « أن لم أكن » .

(٢) في نفع الطيب : « أحبك يا مغي »

(٣) الواجب : القلب .

وقال في غرض ينحوبه نحو المشاركة :

رَمَوْا بالسَّوِّ حليف الغرامِ وأدمعه كالحيا الماطلِ
أعوذُ بِمَرْكَ يَاسِيدِي لَنَلِيَّ مِنْ دَعْوَةِ الْبَاطِلِ
وقال أيضاً :

يَا لَيْلُ طُلْتَ ولم تجدِ بَتَيْسُمِ وَأَرَيْتَنِي خُلُقِي الْعَبُوسِ النَّادِمِ
هَلَا رَحِمْتَ تَغْرُبِي وَتَفْرُقِي اللَّهُ مَا أَقْسَاكَ يَا بْنَ الْخَادِمِ

وقال في سكين الأضاحي للسلطان أبي الحجاج رحمه الله :

لِيَ الْفَضْلُ أَنْ شَاهَدْتَنِي وَاخْتَبَرْتَنِي عَلَى كُلِّ مَصْقُولٍ الْفِرَارِينَ مَرْهَفٍ
كَفَانِي غَفَرًا أَنْ تَرَانِي قَائِمًا بَسْنَةَ إِبْرَاهِيمَ فِي كَفِّ يَوْسُفَ
وقال في مروحة سلطانية :

كَأَنِّي قَوْمٌ^(١) الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَقَدْ قَدِمَتْ مِنْ قَبْلِهَا نَسْمَةُ الْفَجْرِ
وَالَا كَمَا هَبَّتْ بِمُحْتَدِمِ الْوَسْغَى بَنَصْرٍ وَلَكِنْ مِنْ مُنُودِ بَنِي نَصْرٍ^(٢)

وقال يخاطب شيخه ابن الجياب :

بَيْنَ السَّهَامِ وَبَيْنَ كُتُبِكَ نَسْبَةٍ فِيهَا يُصَابُ مِنَ الْعَدُوِّ الْمُتَمَثِّلِ
وَإِذَا أُرِدْتَ لَهَا زِيَادَةُ نَسْبَةٍ هَذِي وَهَذِي فِي الْكِتَابَةِ تُجَعَّلُ

وقال يتغزل ، وفيه معنى غريب :

إِنَّ اللَّحَاطَ هِيَ السُّيُوفُ حَقِيقَةٌ مِنْ اسْتِرَابٍ فَحَجَّتِي تَكْفِيهِ
لَمْ يَدْعُ غَدُ السَّيْفِ جَفَنًا بِاطْلَا إِلَّا لِشِبِّهِ اللَّحْظِ يُقَمِّدُ فِيهِ

قيل : وأحسن منه قول غيره :

إِنَّ الْعِيُونَ التَّجَلُّلُ أَمْضَى مَوْقِعًا مِنْ كُلِّ هِنْدِيٍّ وَكُلِّ يَمَانٍ

(١) في ت : « ظل » .

(٢) بنو نصر : هم بنو الأحرار ملوك غرناطة .

فضل الميرون على السيوف بأنها^(١) فكتكت ولم تخرج من الأجنان
وأصل ما قال ابن الخطيب قول الآخر :

بين السيوف وعينيه مشاركة^(٢) من أجلها قيل للأغناد أجنان

وقال ابن الخطيب أيضا في البراغيث :

وله في البراغيث
أيضا

يقننا نكابدُ مَمَّ القَحْطُ ليلتنا وأنجد الشهد والكرب البراغيثا^(٣)

وكان يُحْمَلُ ما كننا نكابده من المشقة لو أن البراغيثا^(٤)

وقال في خالد البلوي صاحب الرحلة ، وقد استكثر من سرقة كتاب

« البرق الشامي » للعاد الأصهباني :

خليجي إن يُلف اجتماع بخالد قولا له قولا ولن تمدوا الحقا

سرقَت العاد الأصهباني برقه وكيف ترى في شاعر سرق البرقا ؟

وله في النجاة

وقال في النجاة :

تأملِ الرمل في النجان منقطما يجري وقدّره عمرًا منك منتهيا

والله لو كان وادي الرمل يُنجدُه ما كان^(٥) كامله إلا وقد ذهب

وله في الفزل

وقال :

أقول لعاذلي لسانهاى وقد وجد اللقاة إذ جفانى

علت بأنه مُرُّ التجنى وفاتك أنه حلو اللسان

(١) في ت : « لأنها » .

(٢) في ط : « بين اللحاظ وعينه مناسبة » .

(٣) رواية هذا البيت في فتح الطيب :

يقننا نظارح م القحط ليلتنا وأيد المم والشهد البراغيثا

(٤) البرى : التراب . ورسمت (البرى) بالألف ليم الجنس بين البيتين . وغيت :

أصابه الفيت .

(٥) في ت : « ماطال » .

وله في التصوف

وقال في غرض صوفي :

لا تنكروا أن كنتُ قد أحببتكم
أو أتى استولى على هواكم
طوعاً وكرهاً ما تزون فإني
طُفْتُ الوجود فما وجدتُ سواكم

وله في المدح

وقال يمدح وفيه تورية :

وإن نظرتَ إلى لآلاءِ غُرَّتِه
يوم الهياج رأيتَ الشمس في الأمدِ
ونسب إليه الحافظ أبو عبد الله التَّنَسِّي رحمه الله ، قصيدة يفرج منها أكثر
من ثلاث مئة بيت ، ونسبها غير التَّنَسِّي إلى بعض المشارقة ، فآله أعلم ، وهي :

موراً

شعره يشك
أنه للشارقة

داه نوى بغواذى شَفَّه سَقَمٌ^(١)
بأضلى لَهَبٍ تَذَكُّو^(٢) شَرَارَتِه
يَوْمَ النَّوَى حل في قلبي له ألمٌ^(٣)
تَوَجَّي من جوى شُبَّتْ حرارته
أصل الهوى مُلَبِّسٌ وجداً به عَدَمٌ
تَتَّبَعِي وَجْهَهُ^(٤) من تزهو نضارته
مُهْدِي الجوى مُوَلِّعٌ بالمجر منتقم
لمصرعي معتد تحلو سهارته
قلبي كوى ملكٌ في النفس محكم
مُرَوِّعِي قَرَنَسِي إشارته
لِحِثِّي من دواعي المَهْمِ والكَيْدِ
من الضنى في محل الرُّوح من جسدِي^(٥)
وَحُرَّتِي وبلائي فيه بالرصد
مع العنا قد رَنَى لي فيه ذوالحسد
لمهجتى من رشاً بالحسن منفرد
إذا انتفى قاتلي عمداً بلا قود
ما حيلتي قد كوى قلبي مع الكيدِ
يا قومنا^(٦) آخِذْ بِنَحْوِ الرَّدَى بيدي
لَقِصَّتِي فهو سؤلى وهو معتمدى
إذا رنا ساطع الأنوار في البلد

[٧١٠:]

(١) في ت هنا : « ألم » .

(٢) في ط : « تبدو » .

(٣) في ت هنا : « ... الروح والجسد » .

(٤) في ت : « يوم النوى ظل في قلبي به ألم » .

(٥) في ت : « وجد » .

(٦) في ط : « يا قومنا » .

هَذَا الْقَوَى حَسَنَ كَالْبَدْرِ مَبْتَسَمٌ لِقِتْنَتِي مُوهِنٌ عِنْدَ النَّوَى جَلَدِي
مُودَعِي النَّارِ قَدْ شَبَّتْ زِيَارَتُهُ لَمَّا جَنَى مُورَتِي وَجَدَا مَعَ الْأَبَدِ
قُلْتُ : وَعِنْدِي أَنَّهَا بَعِيدَةٌ مِنْ نَفْسِ ابْنِ الْخَطِيبِ ، مَعَ أَنَّ الْحَافِظَ التَّنَسِّيَّ
نَسَبَهَا لَهُ ، وَغَيْرَهُ نَسَبَهَا لِبَعْضِ الْمَشَارِقَةِ ، وَذَكَرَ التَّنَسِّيُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا ثَلَاثُ مِثَّةٍ
بَيْتٍ وَنِيفٍ وَسِتُونَ بَيْتًا^(١) ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

ثُمَّ وَقَفْتُ بَعْدَ هَذَا عَلَى كِرَاسَةٍ مِنْ بَعْضِ تَأْلِيفِ الصَّفْدِيِّ بِخَطِّهِ ، عَرَّ^(٢) فِيهَا
أَنَّهَا لِبَعْضِ الْمَشَارِقَةِ ، وَأُورِدَ الْقِطْعَةُ مَعَ تَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَذْكَرَهُ إِنِّمَامًا
لِلْفَائِدَةِ ؛ وَنَصَهُ :

صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِمَّانَ صَلَاحُ الدِّينِ الْقَوَاسِ الشَّاعِرِ الْخِلَاطِيِّ ثُمَّ الْبُغْلَبَكِيِّ ،
تَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعٍ مِثَّةً ، كَانَ رَجُلًا خَيْرًا مَتَوَاضِعًا ، صَحِبَ
[٢١١] الْفُقَرَاءَ ، وَسَافَرَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ يُعَبِّرُ الرُّوْيَا ؛ قَالَ الصَّفْدِيُّ : أَنَشَدَنِي مِنْ
لِقَظَةِ الشَّيْخِ الْحَافِظِ الْقُذَهَبِيِّ ، قَالَ : أَنَشَدَنِي لِلذِّكْرِ قَصِيدَتَهُ السَّائِرَةَ ذَاتَ
الْأَوْزَانِ ، وَهِيَ :

دَاوَى نَوَى بَفَوَادِي شَفِّهِ سَمٌّ لِحِنَّتِي مِنْ دَوَاعِي الْمِمْ وَالْكَدِ
بِأَضْلَى لَهَبٍ تَذْكُو شَرَارَتَهُ مِنْ الضَّنَى فِي مَحَلِّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
يَوْمَ النَّوَى ظَلَّ فِي قَلْبِي بِهِ أَلَمٌ وَخُرْقَتِي وَبَلَاؤِي فِيهِ بِالرَّصَدِ
نَوَجِي مِنْ جَوَى شَبَّتْ حَرَارَتُهُ مَعَ^(٣) الْعَنَا قَدْ رَثَى لِي فِيهِ ذَوَالْحَسَدِ
أَصْلَ الْمَوَى مُلْبِسِي وَجَدَا بِهِ عَدَمَ الْمَهْجَى مِنْ رَشَا بِالْحَسَنِ مَفْرَدِ

(١) طَرِيقَةُ ذَلِكَ أَنْ يُؤْخَذَ الْأَوَّلُ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ كَأَهْوَأَوْ مَعَ تَغْيِيرٍ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ ،
ثُمَّ يُوضَعُ مَعَ مَا يَنْاسِبُهُ مَعْنَى مِنَ الشُّطُورِ التَّوَانِي فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا ، فَتَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ
صُورٌ كَثِيرَةٌ لِبَيْتِ الْوَاحِدِ .

(٢) قِيَتْ : « مَعَيْنٌ » .

(٣) قِيَتْ : « مِنْ » .

تتبعي وَجْهَهُ (١) من تزهو نضارته
 هَذَّ القوى حَسَنَ كَالْبَدْرِ مَبْتَسِمٍ
 مُودِعِي قَمَرٍ تَسْبِي إِشارته
 مُهْدِي الْجَوَى مُوَلِّعٍ بِالْهَجَرِ مُنْتَقِمٍ
 لِمَصْرَعِي مُعْتَدِرٍ تَحْلُو سِرَارَتِهِ
 قَلْبِي كَوَى مَلِكٌ فِي النَفْسِ مُحْتَكِمٍ
 مُوَلِّعِي النَّارِ قَدْ شَطَّتْ (٢) زيارته .
 قال الصَّفْدَى : قلت : هذه القصيدة تقرأ على ثلاث مئة وستين وجهاً .

[وقال في الشيب :

وله في الشيب

إِنِّي لَمُبْلِي بِالْهُوَى مِنْ بَعْدِ مَا
 لَيْسَ الْبَيَاضُ وَحَلَّ ذِرْوَةَ مَنبَرٍ
 وَكُتِبَ بِبَعْضِ الْحَيَاطَانِ لَمَّا أَجَازَ سَبْتَهُ :

وله وقد أجاز
 سبته

أَقْنَا بُرْهَةً ثُمَّ ارْتَحَلْنَا
 وَكُلَّ بَدَايَةَ فَالِي اتِّهَاءٍ
 وَمِنْ سَامِ الزَّمَانِ دَوَامِ أَمْرٍ
 وَقَدْ قَدَّمْنَا بَعْضَ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ [(٣) .

وقال مما يكتب في طاق الماء بباب القبة :

وله في طاق الماء

أَنَا طَاقٌ تَزْهَوُ بَنَى الْأَيَّامُ تَعَبْتُ فِي بَدَائِعِي الْأَضْهَامُ

(١) في ت : « متبى وجد » .

(٢) في ت : « وجدي مدى » .

(٣) في ت : « مروحي سار لا شطت » .

(٤) ما بين القوسين جاء متأخراً في ط بعد قوله : « قلبي الثاني » .

وَبَسَّيْتُ لِلنَّوَظِرِ مِحْرًا بَا كَأَنَّ الْإِنَاءَ فِي إِمَامٍ^(١)
وَأَقِفْ لِلصَّلَاةِ حَتَّى إِذَا مَا جِئْتُ لِلشُّرْبِ حَانَ مَنَى السَّلَامِ
وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا :

يَا صَانِعِي اللَّهِ مَا أَحْكَمْتَ فَلَأَنْتَ بَيْنَ الْمَالَمِينَ رَئِيسُ
أَحْكَمْتَ تَاجِي يَوْمَ صُنِفَتْ رُقُوشُهُ فَصَبَّتْ إِلَيْهِ مَقَارِقُ وَرُوسِ
وَأَقِفْتُ فِي مَحْرَابِهِ فَكَأَنَّهُ يَجْلِي^(٢) إِنَاءَهُ لِلْمَاءِ فِيهِ عَرُوسِ
وَكُتِبَ إِلَيْهِ شَيْخُهُ ابْنُ الْجَبَّابِ بِقَوْلِهِ :

بين ابن الجباب
وابن الخطيب

أَيَا كِتَابِي إِذَا مَا جِئْتُ مَا لَقَّاهُ دَارَ الْمَكَارِمِ مِنْ نَفْيٍ وَوُحْدَانِ
فَلَا تُسَلِّمْ عَلَيَّ رَجْعَ بَذَى سَلَمٍ بِهَا وَسَلِّمْ عَلَيَّ رَجْعَ لِسُلْطَانِ
فَأَجَابَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ بِقَوْلِهِ :

[٢١٢]

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُقْفَضَى تَأْلُفُنَا وَيُثْنَى الشُّوقَ عَنْ غَايَاتِهِ الثَّانِي
أَوْ هَلْ يَحْنُ عَلَى نَفْسِي مَعَذِبُهَا أَوْ هَلْ يَرِقُ لِقَابِي قَلْبِي الثَّانِي
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

بعض أبيات له

عَدَّ عَنْ كَيْتٍ وَكَيْتٍ مَا عَلَيْهَا غَيْرُ مَيْتٍ
كَيْفَ تُرْجَى حَالَةُ الْبَقِيَا لِصَبَاحٍ وَزَيْتٍ
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَاللَّهُ مَا جَانٍ عَلَى مَالِهِ أَوْ جَاهِهِ مَنْ ذَادَ عَنْ عَرَضِهِ^(٣)

(١) في ط : « الإمام في قيام » .

(٢) في ط : « يمكن » .

(٣) في ط : « من حاط من عرض » .

والناس في خير وفي^(١) ضده هم شهداء الله في أرضه
وقال رحمه الله : وما قلته من الموشحات التي انقرد باختراعها الأندلسيون ،
وطمس الآن رسمها :

موشحة له في مدح
السلطان يوسف
أبي الحجاج

رُبَّ لَيْلِ ظَفَرْتُ بِالْبَدْرِ وَنَجُومِ السَّمَاءِ لَمْ تَذَرِ
حَفِظَ اللَّهُ لَيْلَنَا وَرَعَى
أَيُّ شَمَلٍ مِنَ الْهَوَى جَمًّا
غَفَلَ الدَّهْرُ وَالزَّيْبُ مَعَا
لَيْتَ نَهَرَ النَّهَارِ لَمْ يَجْرِ حَكَمَ اللَّهُ لِي عَلَى الْفَجْرِ
عَلَّلَ النَّفْسَ يَا أَخَا الْعَرَبِ
بِحَدِيثِ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ
فِي هَوَى مَن وَصَالِهِ أَرَبِي
كَلَّمَائِرٍ ذَكَرَ مِنْ تَذَرِي قُلْتُ يَا بَرْدَهُ عَلَى صَدْرِي
صَاحِرٍ لَا تَهْتَمُّ بِأَمْرِ عَدِ
وَأَجَزٍ صِرْفَهَا يَدًا بَيِّدِ
بَيْنَ نَهْرِ وَبَلْبَلٍ غَرِيدِ
وَعَصُونَ تَمِيدَ مِنْ سُكْرِ أَغْلَنْتُ يَا غَمَامُ بِالشَّكْرِ
يَا مَرَادِي وَمُنْتَهَى أَمَلِي
هَاتِهَا حَسْبُ جَدِيَةِ الْحُلَلِ
حَلَّتِ الشَّمْسُ مَنَزَلَ الْحَمَلِ
وَبُسُودِ الرَّيْبِ فِي نَشْرِ وَالصَّبَا عَنْ بَرِيَةِ النَّشْرِ

غُرَّةُ الصَّبِيحِ هَذِهِ وَنَحْتُ
 وَقِيَانِ النُّصُونِ قَدْ صَدَحَتْ
 وَكَأَنَّ الصَّبَا إِذَا تَفَحَّتْ
 وَهَذَا طَيِّبُهَا مِنَ الْخَضِرِ مِدْحَةٌ فِي عَلَا بَنِي نَصْرِ
 مُعَمَّ مُلُوكِ الْوَرَى بِلَا تُثْنِيَا
 مَهْدُوا الدِّينَ زَيْنُوا الدُّنْيَا
 وَحَمَى اللَّهُ مِنْهُمْ الْعُلَيَّا
 بِالْإِمَامِ الرَّفْعِ الْخَطِرِ وَالنَّهَامِ الْمُبَارَكِ الْقَطِرِ
 إِنَّمَا يُوسُفُ إِمَامٌ هُدَى
 حَازِي الْمَعْلُوكَاتِ كُلِّ مَدَى
 قَلْبٍ لَدُمُ بَيْتِكَ سَعْدًا
 افْتَخِرْ جَمَلَةً عَلَى الدُّهْرِ كَافْتَخِرْ الزَّيْبِجَ بِالزَّهْرِ
 يَا عِمَادَ الْقِلَادِ وَالْمَجْدِ
 أَطْلُعِ الْعَيْدُ طَالِعِ السَّعْدِ
 وَوَفَى الْفَتْحِ فِيهِ بِالْوَعْدِ
 وَتَجَلَّتْ فِيهِ عَلَى الْقَصْرِ غُرُرٌ مِنْ طَلَائِعِ النَّصْرِ
 قَتْنًا مِنْ حُسْنِهِ الْبَهْجِ
 بِحَيَاةِ النُّفُوسِ وَالْمُهْجِ
 وَاسْتَمَعْنَا وَدَغَ مَقَالَ شَجَى
 قَسَمًا بِالْهَوَى لِنَذَى جِجْرِ مَا لَيْلِ الشُّوقِ مِنْ غَجْرِ
 وَمَنْ يَدْبِيعُ مَوْشَعَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلُهُ :

كَمْ لِيَوْمِ الْفِرَاقِ مِنْ غُصَّةٍ فِي فُؤَادِ الْعَمِيدِ
 تَرَفُّعِ الْأَمْرِ فِيهِ وَالنِّصَّةِ لِلْوَلِيِّ الْحَمِيدِ

رحل الركب يقطع البيدا بسفين النياق
كل وجناء تُلْعُ الجيدا وتُبْذُ الرفاق
حَسِبْتُ ليلةَ اللقاء عيدا فهي ذات اشتياق
صائمات لا تقبل الرخصة قبل فطر وعيد
فهي مذ أُمِّلَتْه مَحْتَصِه بجهاد جعيد

ومنها وهو آخرها :

يا إمام السلا والفخر ذا السنا الذهبج
ها كها لا عَدِمَتْ في الدهر آملا يرتجى
عارضتُ قول بائع التمر بمقال شج
غَرَبُوكَ الجمالُ يا خفصه من مكان يميز
من سجالسة ومن قفصه وبلاد الجريد

ومن بديع نظمه رحمه الله في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه القصيدة

وله في مدح
النبي صلى الله
عليه وسلم

للشهوة وهي :

سَلْ ما لَيْسَ لِي بنار المجر تَكُونِي وحبها في الحشَى مِنْ قَبْلِ تَكُونِي
وفي مُناها تَمَيَّنْتُ المُنَى فَقَدَا قلبي كَثِيْبًا بِلَوَاهِ يَنَاجِي
وفي قِيَاب قُبَا قَامَتْ لَنَا بَقَا طرازها مُذْهَبٌ فِي حُسْنِ تَزِينِ
لَمَّا انْتَشَتْ فِي الحِلْيِ تَزْهُو بِهَنْجَتِهَا وبالنسالة تَزُرِي والسَّراحينِ
لَمَّا تَقَنَّنْتُ فِي أَفْئَانِ قَامَتْهَا تَقَنَّنْتُ بِفَنُونِ الصَّدِّ تَفْنِينِ
وَحَسْبُ الصَّبِّ يُسْلِينِي مَحَبَّتَهَا هِمَاتٍ لو أَنَّ جَمَّ النارِ يُصْلِينِي
النَّارُ فِي كَيْدِي والشَّوْقُ يُقْلِقُنِي والقُرْبُ يَنْشُرُنِي والبُعْدُ يَطْوِينِي

تَمَكَّنَ الحُبُّ فِي أَيِّ تَمَكِّنٍ
وَالطَّرْفُ وَالطَّرْفُ يَكْفِي وَيَكُونِي
بِالْكَسْرِ عَلَّ بِرَشْفِ الضَّمِّ تُعِينِي
وَانْظُرْ لِعُجْبِ أَثِيْلَاتِ الْبَسَانِيْنَ
جَاذِرِ الحَيِّ بَيْنَ الْخُرْدِ الْعَيْنِ
وَحَيَّ سَلَمًا وَسَلَّ عَنْ حَالِ مِسْكِينِ
وَأَقْرِ السَّلَامَ عَلَى خَيْرِ النَّبِيِّينِ
أَيَّاتِهِ قَسَمِي كُلُّ مَحْزُونٍ
مَا نَالَهَا مُرْسَلٌ قَدْ جَاءَ بِالْدِينِ
شُهْبُ الدِّيَاجِي رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ
وَالسَّاءِ مِنْ كَفِّهِ يُزْرِي بِمُحِبِّيهِ
بَرًّا رَهْوَفًا رَحِيمًا بِالسَّائِكِينَ
وَإِنْ عَلَا الصَّخْرَ عَادَ الصَّخْرُ كَالطَّيْنِ
شَوْقًا وَبِالصَّخْرِ مَا بِالزَّمَلِ مِنْ لَيْنِ
وَالْعَذَقُ أَنْ إِلَيْهِ أَيُّ تَائِبِينَ
فِي مَنْطِقِ مُنْصَحٍ مِنْ غَيْدٍ تَلَكِّينِ
لَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْ طِهِ وَبَسِينِ
لَكِنَّ لِي قَبُولًا مِنْهُ يَكْفِينِي
وَالنِّمُّ التُّوبَ عَلَّ الْوَصْلَ يَحْيِينِي
مُنَادِيًا بِفَوَائِدِ مَنْهُ مَحْزُونِ
وَأَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ حُسْنٍ وَتَزِينِ

وَرُكْنِ صَبْرِي تَخْلِي فِي الْفَرَامِ وَقَدْ
وَقَدْ رَأَيْتُ مُسِيرِي عَنْ مَطْلَبِهِ
نَصَبْتُ حَالِي لِرَفْعِ الضَّمِّ مِنْجَزِمِ
بِاصْحَاحِ عُجْبِ الْحَمَى وَانْزِلْ بِهِمْ سَحْرًا
وَفَوْقَ سَفْحِ عَقِيقِ الدَّمْعِ عُجْبٍ لَتَرَى
وَمِلْ عَلَى أَثَلَاتِ الْبَاكِ مَنُطْمِنًا
نَمِ أَنْتِ جَزَعًا وَجَزْءٌ عَنْ حَيِّ كَاطِمَةٍ
مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْخِتَارُ مَنْ ظَهَرَ
مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ مَعْجَزَةٍ
وَمِنْ شَهَابٍ بَدَأَ مِنْ نُورِهِ رُبْعَتِ
وَفَوْقَ رَاحَتِهِ صُمُّ الْحَصَى نَطَقَتْ
وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْبَارِي وَأَرْسَلَهُ
إِنْ سَارَ فِي الزَّمَلِ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرُ
كَأَنَّ بِالزَّمَلِ مَا بِالصَّخْرِ مِنْ جَلَدٍ
وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ الْجِدْعَ حَنَّ لَهُ
وَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ الطَّيْرَ خَاطَبَهُ
وَالطَّيْرُ وَالضَّبُّ جَاءَا بِشَهْدَانِ بَأَنَّ
فَكَيْفَ أَحْسَنَ مَدْحًا فِي مَحَاسِنِهِ
أَقْبَلِ الْأَرْضَ إِجْلَالًا لِهَيْبَتِهِ
وَقَدْ أَقُولُ ابْنَ سَحْدَانَ الْغَرِيبُ أَتَى
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ نَهْجِ

[٢١٥]

إِنِّي أُتَيْتُكَ فَأَقْبَلْنِي وَخُذْ يَدِي
وَقَدْ مَدَحْتُكَ فَارْحَمْنِي وَجُدْ فَسَي
وَكُنْ شَفِيعِي مِنَ النَّيِّرَانِ يَا أُمِّي
صَلِّ عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا صَدَحَتْ
صَلِّي عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا غَرَدَتْ
صَلِّ عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا وَفَدَتْ
صَلِّ عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا هَطَلَتْ
صَلِّ عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا خَمَحَتْ
وَأَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ لَا نَقَادَ لَهَا
عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ فَاطِمَةَ
وَأَلَّاكَ النَّوَّارِ وَالْأَحْسَابِ كُلِّهِمْ
مَا عَطَّرَ الرُّوضُ فِي الْأَسْحَارِ عُرْفَ صَبَا
وَمَا شَدَّ مُنْشِدُ صَبٍّ لَقَرَطَ جَوَى
لِوَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وله في الرجوع
إلى الله

لَيْسَ بِنَا فَلَمْ يُبَلِّ الزَّمَانَ وَأَبْلَانَا
وَنَقَرَتْ بِالْأَمَالِ وَالْمُتَرُّ يُنْقَضُ
وَمَا ذَا حَسَى أَنْ يَنْظُرَ الدَّهْرُ مَا عَسَى
جَزَيْنَا صَنِيعَ اللَّهِ شَرًّا جَزَائِهِ
فِيَارَبِّ عَلِمْنَا بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ
انتهى .

وَمِنْ لَهَيْبِ لَقَلِّي جِرْفِي ^(١) وَسَجِّينِ
مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقَا وَالْحَشْرِ تَنْجِيئِي
لَعَلَّ أَحْطَى بِأَجْرِ غَيْرِ تَمْنُونِ
قُمْرِيَّةٌ فَوْقَ أَفْئَانِ الرِّيَاحِينَ
حَافَتُهُمْ فَوْقَ أَغْصَانِ الْبَسَاتِينِ
نُؤَيْفَةٌ لِحَمِي الْأَطْلَالِ تَبْرِئِي
مَدَامِ السَّحَبِ أَوْ عَيْنِ الْحَبِّينِ
مَبَاسِمِ الزَّهْرِ فِي ثَغْرِ الْأَفَانِينَ
مَضْرُوبَةٌ فِي ثَمَانِ أَلْفِ تَسْمِينِ
وَأَلْفُ أَلْفِ سَلَامٍ فِي ثَمَانِينَ
وَتَأْجِيمِهِمْ لِيَوْمِ الْحَشْرِ وَالَّذِينَ
وَقَاحَ نَشْرِ خُرَامِي مِنْهُ تَسْمِينِ
سَلِّ مَا لَيْسَلِي بِنَارِ الْهَجْرِ تَكُونِي

[٢١٦]

يُتَابِعُ أَخْرَانَا عَلَى النَّفْيِ أَوْلَانَا
فَمَا كَانَ بِالرُّجْعَى إِلَى اللَّهِ أَوْلَانَا
فَمَا انْقَادَ لِلزَّجْرِ الْحَثِيثِ وَلَا لَنَا
فَلَمْ تَرَوْعَ مَا مِنْ سَابِقِ الْفَضْلِ أَوْلَانَا
مِنْ الْعَفْوِ وَاجْبُرْ صَدْعَنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ^(٢)

(١) يريد : « أجرفني » .

(٢) ما بين القوسين زيادة عن ت .

ولنقتصر من نظمه على هذا القدر ، فإنه طويل عريض ، وإنما أطلت النفس في ترجمة ابن الخطيب ، رحمه الله ، علماً متى بأن الذين رغبوا في تأليف هذا الموضوع ، لم تشوف إلى أنباء ابن الخطيب ، وكلامه وجلية أحواله ليست عندهم ، وإنما يحفظون بعض نظمه ونثره ، ولا يدرون ابتداء أمره وانتهاءه ، وقد حكى غير واحد أنه رأى رحمه الله بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بسبب بيتين ، وهما :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاق
أبروم مخلوق ثنائك بعد ما أتى على أخلاقك الخلاق

وقد رأيت على هذين البيتين تخميساً لا بأس به ، لأبي عبد الله بن جابر النسائي المكناسي ، رحمه الله ، وهو :

ياساراً لصریح خير العالم يُنهي إليه مقال صب هائم
بالله نادٍ وقلّ مقالة عالم يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاق

بئناك قد شهدت ملائكة السماء والله قد صلى عليك وسلم
يا مجتبي ومظلماً ومكرماتاً أبروم مخلوق ثنائك بعد ما
أتى على أخلاقك الخلاق

اتمى .

وأولاد ابن الخطيب رحمه الله ثلاثة : عبد الله ، ومحمد ، وعلي . وكلهم حدث عن أبيه وعن ابن الجيّاب ، وعلي منهم هو صاحب السلطان أحمد للرّيني اللقب بالمستنصر . [٢١٧]

أولاد
ابن الخطيب

على بن الخطيب
والمستنصر
في بستان

وحُكي أنه حضر معه في بستان ، سَخَّ فيه ماء المذاكرة الهَتَّان ؛ وقد
أبدى الأصيل شواهد الاصفرار ، وأزْمَع النهار لما قَدِمَ الليلُ على الفرار ؛
فقال المستنصر ^(١) لما لان جانبه ، وسالت بين مَرَحَاتِ البستان جداوله
ومذانبه :

يا فاسُ إِنِّي وَأَيْمُ اللهِ ذُو شَغْفٍ في كلِّ ربيع له معناه يَسْبِينِي
وقد أَنَسْتُ بِقُرْبِ مَنْكَ يا أُمْلَى ونظرة فيكم بالأنس تحييني
فأجابه على بن الخطيب بقوله [العذب المُصِيب] ^(٢) :

لا أوحش الله رُبَّما أَنْتَ زائرُهُ يا بَهْجَةَ المُلْكِ والدنيا مع الدِّينِ
يا أَحْمَدَ الحمد أَبْقاكَ الإله لنا نَفَرَ الملوِكِ وسُلطانَ السلاطينِ

وأما عبد الله فقد كتب بالمُعدوتين ، عن ملوك الحضرتين . وأما محمد فقد
نال حفظاً من التصوف ، ولم يكن له إلى خدمة الملوك تشوف .

شيء عن
عبد الله و محمد
ابن الخطيب

ولا بد أن نُلَمَّ بوصية ابن الخطيب ، رحمه الله ، لأولاده المذكورين ، لما
فيها من الحِكم والوصايا النافعة لمن عمل بها ، وهي :

وصية
ابن الخطيب
لأولاده

الحمد لله الذي لا يَرَوْعُه الحِمَامُ للمرقوب ، إِذا شِمَّ نَجْمُه المَتُوب ، ولا يَبْشَتْه
الأجلُ للكَتُوب ، ولا يَفْجُوهُ الفراقُ للمَتُوب ، مُلْهِمُ الهدى الذي تَطْمُنُ به
القلوب ، ومَوْضِعُ السبيلِ المطلوب ، وجاعِلُ النصيحة الصريحة في قِيَمِ الوجوب ،
لا سِماً للولِيِّ المحبوب ، والولدِ المنسوب ، القائل في كتابه المعجز الأسلوب ، « أَمَّ
كُنْزُكُمْ شُهَدَاءُ إِذْ حَضَرَ يَتَقُوبُ » ، « وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ » ؛ والصلاة

(١) في ط : « السلطان » .

(٢) زيادة عن ت .

والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله أكرم من زُرْتُ على نوره جُيُوب الفيوب ،
[٢١٨] وأشرف من خُلْتُ عليه حُلُل التهاية والعصمة ، فلا تقتصه العيون ولا تَصِفُه ^(١)
العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه الثابرين على سبيل الاستقامة بالهوى المغلوب ،
والأمل السالوب ، والاقتداء الموصل للرغوب ، والعز والأمن من اللُغوب .

وبعد ، فإني لما علاني المشيب بقمته ، وقادني السكبر في رُمته ، واذ كرتُ
الشباب بعد أُمته ؛ أسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ ، وتَدَمِيتُ بعد النِظام على ما رَضِيتُ ؛
وتأكَّد وجوب نُصْحِي لمن لَزِمْنِي رَعْيِهِ ، وتعلَّق بسمعي سَمْعِي ، وأملت أن تتعلَّيَ
إلى ثمرات استقامته ، وأنا رهين قَوات ، وفي برزخ أموات ؛ ويأمن ^(٢) العُشور
في الطريق التي اقتضت عِثاري ، إن سلك — وعسى ألا يكون ذلك — على
آثاري ؛ فقلت لأخاطب الثلاثة الوَلَد ، وثمرات الخَلَد ؛ بعد الضراعة إلى الله
في توفيقهم ^(٣) ، وإيضاح طريقهم ، وجمع تفريقهم ؛ وأن يَنْ عَلَيَّ فيهم بحسن
الخَلْف ، والتلاف من قَبْلِ التَلَف ، وأن يرزق خَلْفهم التمسك بهدي السَلَف ؛
فهو ولي ذلك ، والمهادي إلى خير السالك .

اعلموا هداكم مَنْ بَأَنوارِهِ يَهْدِي الضَّلَال ، وبرضاه تُرْفَع الأغلال ، وبالتماس
قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت الآمال ، وتبرأت من يمينها
الشَّمال ؛ أني مودعكم وإن سالمني الردى ، ومُفارقكم وإن طال المدى ، وما عدا

(١) كذا في نفع الطيب ؛ وفي ط : « ولا تصفه » ، وهو تحريف .

(٢) في ط : « الحرم » .

(٣) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وليأسن » .

(٤) في ط : « تفضيلهم » .

(٥) في نفع الطيب : « هداكم الله تعالى الذي بَأَنوارِهِ ... الخ » .

مما بدا^(١) ؛ فكيف وأدوات السفر تُجمع ، ومناذِي الرحيل يُسمع ؛ ولا أقل
للحبيب المودّع من وصية محتضّر ، وعُجالة مقتصر ؛ وزَيِّمة تُعقد في خِصَمَر ،
ونصيحة تكون نَشيدة واعر ومُبَصِّر ؛ تتكفل لكم بِحُسْنِ العواقب من بعدى ؛
وتوضح لكم في الشفقة والحنو قَصْدِي ، حَسْبًا تَضْمَن وَعْدُ اللَّهِ من قبل وعدى ؛
فهي أَرْبَعُمُ الذِي لَا يَتَغَيَّرُ وَقْفُهُ ، وَلَا يَنَالُكُمْ لِلْكُرُوه مَا زَفَّ عَلَيْكُمْ سَقْفُهُ ؛ وَكَأَنِّي [٢١٩]
بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أتناخ ؛ وبشاطركم قد كسل ، واستبدل الصاب
من البسل ، ونُصُولُ الشيب تَرْوُحُ بِأَسْل ، لَا يَلِ [السَّام] ^(٢) من كل حَدَبٍ
قد نَسَل ، وَلِلْمَعَادِ اللَّحْدُ وَلَا تَسَل ؛ فَبِالْأَمْسِ كُنْتُمْ فِرَاحَ حَجَرٍ ، وَاليَوْمِ أَبَاءَ ^(٣)
عَسْكَرٍ يَجْرُ ، وَغَدًا شِيُوخٌ مَضْمِيعةٌ وَهَجَرُ ؛ وَالْقُبُورُ فَاعْرِه ، [والنفوس عن المألوفات
صاعِره] ^(٤) ؛ وَالدُّنْيَا بِأَهْلِهَا سَاخِرَةٌ ، وَالْأُولَى تَعْقِبُهَا آخِرَةٌ ؛ وَالْحَازِمُ من لَمْ يُعْظَ
بِهِ فِي أَمْرٍ ، وَقَالَ : بِيَدِي لَا يَبِيدُ عَمْرُو ؛ فَاقْتَنُوهَا من وصِيَّتِهِ ، وَمَرَامٍ فِي النَّصِيحِ قَصِيَّةٍ ؛
وَحُصِيًّا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا انْتَقَلُوا ؛ وَحَسْبِي وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ
الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ هَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَهْلُهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ؛ وَلَا رَضِيَ الدُّنْيَا
مَنْزِلًا ، وَلَا لَطْفَ بَنٍ أَصْبَحَ عَنْ قِتَّةِ الْخَيْرِ مَنْزِلًا ؛ وَلِتَلْقَنُوا تَلْقِينَا ، وَتَعْلَمُوا
عِلْمًا يَقِينًا ؛ أَنْكُمْ لَنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَفْرَدَ بَذْنِي ، وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنْبِي ؛ وَيَسُحُ
انْسِكَابِي ، وَتَهْرُولَ عَنِ الْمَصَلَّى رِكَابِي ؛ أَحْرَصَ مِنِّي عَلَى سَعَادَةِ إِلَيْكُمْ تُجْلِبُ ،
أَوْ غَايَةِ كَمَالِ سَبِيحِكُمْ تُرَادُ وَتَطْلُبُ ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَوْزَنَ

(١) ما عدا ما بدا : أي ما أتى بصرف الإنسان عن إتمام ما بدا منه . يريد أنه لا يئمه
من الزحيل عن هذه الدنيا مانع .

(٢) زيادة عن نفع الطيب . والسام (بجفيف اللحم) : اللوث .

(٣) في نفع الطيب : « أبناء » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

منكم ظلاً ، ولا أشرف محلاً ، ولا أغبط نهلاً وعلاً ؛ وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن تصيخروا إلى قولي الآذان ، وتتلححوا صُبْحِ نصحي فقد بان ، وساعيد عليكم وصية لقمان :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ . وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » . [٢٢٠]

وأعيد وصية خليل الله وإسرائيل عليه ، حسبما تضمنته محكم تنزيله : « يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْلَفَنِي لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . والدين الذي ارتضاه واصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أعمل فيه افتقاد ، فهو عمل واعتقاد ؛ وكلهما مقرر ، ومستمد من عقل أو نقل محر ؛ والعقل متقدم ، وبناءؤه مع رفض أخيه متهدم ؛ فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ؛ تنزهه عن المكان والزمان ، وسبق وجوده وجود الأكوان ؛ خالق الخلق وما يعملون ، والذي لا يسأل عن شيء وهم يُبْأَلُونَ ؛ الحى العليم المدبر القدير ، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ؛ أرسل الرسل رحمة لتدعو العباد ^(١) إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه ^(٢) الحجة في مصيرهم

(١) في ط : « توجب » .

(٢) في هـ الطيب : « الناس » .

إلى دار البقاء ، مؤيَّدة بالمعجزات التي لاتنصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على تواترها دعوى الانتفاء ؛ ثم حتم ديوانهم بنبيِّ ملتنا الرُّعية للهمل ، الشاهدة على الملل ، فتلخّصت الطاعة ، وتبينت^(١) له الإمرة الطاعة ، ولم يبق بعده إلا ارتقاب الساعة ؛ ثم إن الله قبضه إذ كان بشرا ، وترك دينه يضم من الأمة نَشرا ؛ فمن اتبعه لحق به ، ومن حاد عنه تورط في مُنْتَسِبِهِ^(٢) ، وكانت نجاته على قدر سببه .

روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم^(٣) تضلوا بعدى : كتاب الله وسننى ، فعضوا عليهما بالنواجذ » . [٢٢١]

فاعلموا يا نبيِّ بوصيةٍ من ناصح جاهد ، ومُشفق شفقة والد ؛ واستشعروا حبه الذى توفرت دواعيه ، وعُوا مَرَّاشد هديه فيافوز واعيه ؛ وصلُّوا السبب بسببه ، وآمنوا بكل ما جاء به مجلا [أو مفصلا]^(٤) على حَسَبه ، وأوجبوا التجلَّة لصاحبه ؛ الذين اختارهم الله لصحبته ، واجعلوا محبتكم إياهم من توابع محبته ؛ واشملوهم بالتوقيع ، وفضلوا منهم أولى الفضل الشهير ؛ وتبرءوا من المصيبة التي لم يدعكم إليها داع ، ولا تم التشاجر بينهم أذنُ واع ؛ فهو عنوان السداد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ؛ ثم اسحبوا فضل تعظيمهم على قهواء الله ، وأتمتها الحِلَّة ؛ فهم صَقَلَة نصولهم ، وفروع ناشئة عن أصولهم ، وورثتهم وورثة رسولهم ؛ واعلموا أنى قطعت في البحث زمانى ، وجملت النظر شانى ، منذ برانى الله وأنشأنى ، مع نبل يعترف به الشانى ، وإدراك يسلمه العقل الإنسانى ؛ فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ؛ ولا

(١) كذا في ط . وفي ت : « تبينت » . وفي فتح الطيب : « تبينت » .

(٢) كذا في الأصول . وفي فتح الطيب : « ومن تركه نوط عنه في نفسه » .

(٣) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « لن تضلوا » .

(٤) زيادة عن فتح الطيب .

نازع خِطام ، ولا متكلف فِطام ، ولا مقتحم بحر طام ؛ إلا وغايته التي يقصدها قد فضلتها الشريعة وسبقها ، وقرعت ثنيها وارقتها ؛ فليكم بال التزام جادتها السابله ، ومصاحبة رُفقتها الكافله ^(١) ، والاهتداء بأقارها غير الآفله ؛ والله يقول وهو أصدق القائلين : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ؛ وقد علت ^(٢) شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ؛ فلا تستنزلكم الدنيا عن الدين ، وابذلوا دونه النفوس فعل للمهتدين ، فلن ينفع متاع بعد الخلود في النار أبد الأبد ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة والله أصدق الواعدين ، ومتاع الحياة الدنيا أخس ما ورث الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بلغت ، فأنت خير الشاهدين ؛ فاحذروا المعاطب التي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي شوه الوجوه ونُضج الجلود ؛ واستميدوا ^(٣) برضا الله من سُخطه ، وارثوا بنفوسكم عن غمطه ؛ وارفعوا آمالكم عن التنوع بفرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة القرص الزائل انتلافكم ؛ واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسوا على ما فات وتعدّر ؛ فإنما هي دُجّة ^(٤) ينسخها الصباح ، وصفقه بتعقبها الخسار والرياح ؛ ودونكم عقيدة الإيمان ، فشدوا بالنواجز عليها ، وكفكفوا الشبه أن تدنو إليها ؛ واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك حرق لا يرفؤه حل ، وكل ما سوى الراعى همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ؛ وتمسكوا بكتاب الله حفظاً وتلاوه ، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوه ؛ وتفكروا في آياته ومعانيه ، وامثلوا أوامره واتهوا عن مناهيه ، ولا تتأولوه ولا تغفلوا فيه ؛ وأشرِّبوا قلوبكم حب

(١) في فتح الطيب : « السكالة » .

(٢) كذا في فتح الطيب . وفي الأصولين : « علت » .

(٣) كذا في فتح الطيب . وفي الأصولين : « واستحبوا » .

(٤) كذا في ط وفتح الطيب . وفي ت : « دجبة » .

من أنزل على قلبه ، وأكثروا من بواعث حبه ؛ وصونوا شعائر الله صَوْنَ المحترَم ، واحفظوا القواعد التي ينبنى عليها الإسلام حتى لا ينخرم .

الله الله في الصلاة ذريعة التجلّه ، وخاصة للهِ ، وحافنة الدم ، وغنى المستأجر المستخدم ؛ وأم العباد ، وحافظة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة ؛ والنهاية عن التفتش والنكرهما^(١) عرض الشيطان عرضهما ، ووطأ للنفس الأمارة سماءها وأرضها ؛ والوسيلة إلى بلّ الجوانح بَرود الذكر ، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر ؛ وضابطة^(٢) حسن العشرة من الجار ، وداعية المسألة

من الفُجّار ؛ والواسمة بسِمة السلامة ، والشاهدة للمقد برفع لللامه ؛ وغاسول الطبع [٢٧٣] إذا شانه طبع ، والخير الذي كل خير له تبع ؛ فاصبروا النفس على وظائفها بين إبداء وإعاده ، [فالخير عاده] ^(٣) ؛ ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية ، [وتؤثروا على التليّة الدنيّة] ^(٤) ؛ فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تنبّس^(٥) ، والفلك بها من أجلكم لا يحبس ؛ وإذا قرنت^(٦) بالشواغل فلها الجاه الأصيل ، والحكم الذي لا يغيره الغدو ولا الأصيل ؛ والوظائف بعد أدائها لا تقوت ، وأين حق من يموت ، من حق الحى الذي لا يموت ؟ وأحكموا أوضاعها إذا أقمتموها ، وأتبعوها النوافل ما أقمتموها ؛ فبالإيمان تفاضلت الأعمال ، وبالمرعاة استحقّق^(٧) الكمال ،

(١) كذا في الأصلين . وفي فتح الطيب : « وإن » .

(٢) في فتح الطيب : « ضامنة » .

(٣) زيادة عن فتح الطيب .

(٤) زيادة عن فتح الطيب .

(٥) تنبّس : تسمع .

(٦) في ط : « قورنت » .

(٧) في فتح الطيب : « استحققت » .

ولا شكر مع الإهمال ، ولا ربح مع إضاعة رأس المال ؛ وتأبروا^(١) عليها في الجماعات ،
وبيوت الطاعات ؛ فهو أرفع للام ، وأظهر لشرائع الإسلام ؛ وأبر^(٢) بإقامة
القرض ، وأدعى إلى مساعدة البعض البعض .

والطهارة التي هي في تحصيلها سبب موصل ، وشرط لمشروطها محصل ؛
فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياها بنير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ؛
والصَّحُول والنُّر فأطيلوها ، والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ؛ فالبناء بأساسه ،
والسيف برئاسه^(٣) . واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطُهور ، وذكر مجبور
وغير مجبور ؛ تستغرق الأوقات ، وتتنازع شتى الخواطر المفترقات ؛ فلا يضبطها
إلا من ضبط نفسه بمقال ، وكان في درجة الرجولة ذا انتقال^(٤) ، واستعاض
صدأه بصقال ؛ وإن تراخى تهقر الباع ، وسرقتة الطبايع ، وكان لما سواها أضيع
فشمَل الضياع .

والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القربة ؛ مفتاح الساحة بالمرض الزائل ،
وشكران المسئول على الضد من درجة السائل ؛ وحق الله في مال من أغناه ،
لمن أجهده في المعاش وعناه ؛ من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه ، [٢٢٤]
ولا علة القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله فلا خير فيه ؛ فاسمحوا بتفرقتها
للحاضر لإخراجها ، واختيار عرضها ونتائجها ؛ واستحيوا من الله أن تبخلوا
عليه بيمض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عدل ؛ واذكروا خروجكم إلى
الوجود لا تميلكون ، ولا تدرون أين تسلكون ؛ فوهب وأقدر ، وأورد

(١) البارة عن قوله : « وتأبروا » إلى قوله : « وأبر » ساقطة في نفع الطبيب .

(٢) في نفع الطبيب : « بمراسه » .

(٣) هذه الجملة ساقطة في نفع الطبيب .

بفضله وأصدر ؛ ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ؛ فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

وصيام رمضان عبادة السر للقرية إلى الله زُلْفَى ، المححوضة لمن يعلم السر وأخفى ؛ مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر القيام ؛ والاجتهاد ، وإيثار السهاد على للمهاد ؛ وإن وسيع الاعتكافُ فهو من سننه [للرعيه ، ولواحقه]^(١) الشرعيه ؛ فبذلك تحسّن الوجوه ، وتحصل النفوس من الرقة على ما ترجوه ؛ وتهذب الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل إلى الله الباع .

والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ؛ وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنّه ، وقال : ليس له جزاء عند الله إلا الجنة .

ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ؛ فكونوا ممن يسمع تغيّره ويطيعه ، وإن عجزتم فاعينوا من يستطيعه .

هذه مُحمّد الإسلام وفروضة ، وتقود مَهْره وعُروضه ؛ خافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يُناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لا مبدلين ولا مغيّرين ، ولا تضيّعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تُستكمل وظائف هذه الألقاب ، وتُجلى محاسنها من بعد الانتقاب ؛ فليكن بالعلم النافع ، دليلا بين يدي الشافع ؛ فالعلم مفتاح هذا [٢٢٠] الباب ، والوصول إلى الألباب ؛ والله عز وجل يقول : « هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » . والعلم وسيلة النفوس

الشريفه ، إلى المطالب الثَنِيَّه ، وشرطه الخشية لله والخيفه ؛ وخاصة الملائ
الأعلى ، وصفه الله في كتبه التي تُتلى ؛ والسبيل في الآخرة إلى السعادة ،
وفي الدنيا إلى التَّجَلَّة عاده ؛ والنُّذْر الذي قليله يشفع وينفع ، وكثيره يُعْلِي
ويرفع ؛ لا يفضبه الفاصب ، ولا يسلبه العدو للمناصب ؛ ولا يبنزه الدهر إذا مال ،
ولا يستأثر به البحر إذا هال ؛ من لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل
وإن جَمَّ ماله ؛ وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ؛ فالتسوم
لبنيكم ، واستدركوا منه ما خرج عن أيديكم ؛ وأحلوهم على جمعه ودرسه ،
واجعلوا طباعهم تُرعى لفرسه ؛ واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر بهجر
له الجن كراه ؛ تَقَدُّوا لهم ولاية عزٍّ لا تُعزل ، وتُحِلُّوهم مثابة رفعة لا يُحيط فارعا
ولا يستنزل ؛ واختاروا من العلوم التي يُنْفِقُها الوقت ، ما لا يناله في غيره المقت ؛
وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابها التريه ؛ من علوم لسان لا تستغرق
الأعمار فصولها^(١) ، ولا يضايق ثمرات المعاد محصولها ؛ فإنما هي آلات لغير ،
وأسباب إلى خير منها وخير ؛ فمن كان قابلا منها لازدياد ، وألني فهمه ذا اقياد ؛
فليخص تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيم ؛
ثم الشروع في أصول الفقه ، فهو العلم العظيم لِلَّهِ ، المُهْدِي كنوز الكتاب
[٢٢٦] والسُّنَّة ؛ ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجله ، والتدرب في طرق النظر وتصحيح
الأدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في الله ؛ ومن قَصَّر إدراكه عن هذا الرمي ،
وتقاعد عن التي هي أسمى ؛ فليزو الحديث بعد تجويد الكتاب وإحكامه ،
وليتقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ؛ وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون
المهجورة الذميمة ، فأكثرها لا يفيد إلا تشكيكا ، ورأيا ركيكا ؛ ولا يشر في

العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ؛ وتطويق الاحتقار ، وسمعة الصغار ،
وخول الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار ؛ وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ،
وأوفى^(١) من قطع العمر في الجدال ؛ هذا ابن رشد قاضى للمصر^(٢) ومفتيه ، وملتمس
الرشد ومؤتبه ؛ عادت عليه بالسخطه الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ؛ فلا سبيل
إلى اقتحامها ، والتوؤط في ازدحامها ، ولا تخطلوا سامكم بحماها ؛ إلا ما كان من
حساب ومساحه ، وما يعود بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم
يراحه ؛ وما سوى ذلك فتحجور ، وضرم مسجور ، وممقوت مهجور .

وأمروا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانتهوا عن المنكر نهياً حرياً بالاعتدال حقيقاً ،
واغبطوا من كان من سنة الغفلات مُنْفِقاً ، واجتنبوا ما تُنهون عنه حتى لا تسلكوا
منه طريقاً ؛ وأطيعوا أمراً من ولأه الله من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة
جراً ، ولا تداخلوا في الخلاف زياداً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء أسنة البنين ؛
وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به . وإياكم والكذب
فهو المودة التي لا توارى ، والسوءة التي لا يُرتاب في عارها ولا يُتبارى ؛ وأقل
عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ، ألا يُقبل صدقه إذا
صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق قد نطق .

[٢٢٧]

وعليكم بالأمانة فالخيانة لوم ، وفي وجه النيانة كُلم ؛ ومن الشريعة التي

(١) كُنا في فتح الطيب . وفي الأصلين : « وأشفق » .

(٢) كان ابن رشد قاضى الجماعة بقرطبة .

(٣) يقال : أضره بالعمى إذا أنهراه به وعورده لإياه ، وكأنه ضمن الفعل معنى : صرته
على العمى .

لا يُعَدَّرَ بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ؛ وحافظوا على الحِشمة والصليانة ، ولا تَجْرُوا من أقرضكم دين الحيانة ؛ ولا توجدوا للقدر قبولا ، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولا ؛ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مستولاً ؛ ولا تستأثروا بكنز ولا حزن ، ولا تَذهبوا لغير مناححة المسلمين في سهل ولا حزن ، ولا تَبْهَسُوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن ؛ والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو بالكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ؛ واعلموا أن الإنسان في فُسحة ممتدَّة ، وسبيل الله غير منسدَّة ؛ ما لم يُنْبِذ إلى الله بأمانه ، ويفس في الدم الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سنناً قويمًا ، وجلى من الجهل والضلال ليلا بهما : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » .

واجتناب الزنا وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه ، وامتنع في سبيل السعادة بآءه ، ولو لم تتلق (١) نور الله الذي لم يهد (٢) شعاعه ، فالخلال لم تنق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه ؛ ومن غلبت عليه غرائز جهله ، فليتنظر هل يجب أن يُرَى بأهله ؟ والله قد أعد للزاني عذاباً وببلا ، وقال : « وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » .

والخمر أم الكبائر ، ومفتاح الجرائم والجرائر ؛ والله لم يجعله الله في الحياة شرطاً ، والخمر قد أغنى عنه بالخلال الذي سَوَّغ وأعطى ؛ وقد تركها [٢٢٨] في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ، ولا لنفوسهم بالمضرة في مَرْضاة

(١) في ط : « تلو » .

(٢) في ت : « يهد » .

الأجساد ، والله قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرنها بالأنصاب والأزلام في مباينة السداد .

ولا تقربوا الربا فإنه من مناهى الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » في الكتاب البين . ولا تأكلوا مال أحد [بغير حق يبيحه] ^(١) ، وانزعوا الطمع عن ذلك حتى تذهب ريحه ؛ واتمسوا الحلال يسئ فيه أحدكم على قدمه ، ولا يكلل اختياره إلا للثقة من خدمه ، ولا تلجئوا إلى التشابه إلا عند عدمه ؛ فهو في السلوك إلى الله أصل مشروط ، والمحافظ عليه مغبوط .

وإياكم والظلم ، فالظالم ممقوت بكل لسان ، مجاهر لله بصريح العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد في الصّحاح الحسان ؛ والنّيمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه مئآت ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة قتات » . واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم والنّيبة فباب الخير عنها مسدود ، والبخل فما رعى البخل وهو مودود ^(٢) ؛ وإياكم وما يعتذر منه ، فواقف الخزي لا تستقل عثراتها ، ومظنّات الفضائح لا تؤمن غمراتها ؛ وتفقدوا أنفسكم مع الساعات ، وأفسدوا السلام في الطرق والجماعات ، وركبوا على ذوى الزّمانات والمعايات ، وتاجروا مع الله بالصدقة يُربحكم في البضاعات ؛ وعولوا عليه وحده في الشّدائد ، واذكروا المساكين إذا نصيتم للوائد ؛ وتقربوا إليه باليسير من ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعيله ؛ وازعوا حقوق الجار ، [٢٢٩]

(١) زيادة عن ت ونفع الطيب .

(٢) كذا في نفع الطيب وفي الأصلين : « إلا وهو مردود » .

واذكروا ماورد في ذلك من الآثار ؛ وتعاهدوا أولى الأرحام ، والشائج البادية
 الالتحام ؛ واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع الظهر ، وتفسد السر والجهر ؛
 والزَّشَا فإنها تَحْطُ الأقدار ، وتستدعى للذلة والصغار ؛ ولا تَسَاحُوا في لُئْبَةٍ
 حَمَر ، ولا تشارِكوا أولى البطالة في أمر ؛ وصونوا المواعد من الإخلاف ،
 والأيمان من حنث الأوغاد والأجلاف ، وحقوق الله من الازدراء والاستخفاف ،
 ولا تَكْهَبُوا بالآمال العِجاف ، ولا تَكْلَفُوا بالكهانة والإرجاف ؛ واجعلوا العُر
 بين معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله بمرصاد ، وأن الخلق
 بين زرع وحصاد^(١) ؛ وأَقْلُوا بنير الحالة الباقية المموم ، واحذروا التواطع عن
 السعادة كما تُحذر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محال أن يدوم ؛
 وقابلوا بالصبر أذية اللُّؤْذِينَ ، ولا تَفَارِضُوا^(٢) مَقَالَاتِ الظالمين ، فالله لمن يُبني
 عليه خير الناصرين ؛ ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجعوا^(٣)
 للأسراض إذا أَعْصَلَتْ ؛ فكل منقرض حقير ، وكل منقض وإن طال
 قصير ؛ وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جنب الله الأريج ؛ وأوسعوا بالرجاء
 الجوانح ، [واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبداً إليه جانح]^(٤) ،
 وتضرعوا إلى الله بالدعاء ، والجتوا إليه في البأساء والضراء ؛ وقابلوا نِمْ الله
 بالشكر الذي يقيّد منها الشارد ، ويُعَذِّبُ الموارِد ؛ وأسهموا منها للمساكين ،
 وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ؛ فمن الآثار : « يا عائشة أحسن جوار

(١) كذا في نفع الطيب . وفي الأصلين : « وأن الخلق زرع حصاد » .

(٢) في نفع الطيب : « ولا تمارضوا » .

(٣) كذا في ت ونفع الطيب . وفي ط : « تضجعوا » .

(٤) زيادة عن نفع الطيب .

نِعَمَ اللَّهُ ، فَإِنِهَا قَلِمَا زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ » . وَلَا تُطْفِئُكَ النِّعَمُ فَتَقْصُرُوا فِي (١) [٢٣٠] شُكْرِهَا ، وَتُفَكِّمُ الْجَهْلَاءَ بِسُكْرِهَا ؛ وَتَقْوَهُمُ أَنْ سَعِيكَ جَلَبَهَا ، وَجِدَّكَ حَلَبَهَا ؛ فَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلَا فِعْلَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا نَظَرَ بَيْنَ الْيَقِينِ . وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ، وَلَا تُذْهِبُوا بِذَهَابِهِ زَيْنَكُمْ ؛ وَلِيَلْتَزِمَ كُلُّ مَنْكُمْ لِأَخِيهِ ، مَا يَشْتَدُّ بِهِ تَوَاضُعِهِ ؛ بِمَا أَمَكْنَهُ مِنْ إِخْلَاصٍ وَبِرٍّ ، وَمِرَاعَاةٍ فِي عِلَانِيَةٍ وَسِرٍّ ؛ وَلِلْإِنْسَانِ مَرِيَّةٌ لَا تُجْهَلُ ، وَحَقٌّ لَا يُهْمَلُ ؛ وَأُظْهِرُوا التَّعَاوُدَ وَالتَّنَاصُرَ ، وَصِلُوا التَّعَاهُدَ وَالتَّزَاوُرَ ؛ تَرْغَبُوا بِذَلِكَ الْأَعْدَاءَ ، وَتَسْتَكْثِرُوا الْأَوْدَاءَ ؛ وَلَا تَنَافَسُوا فِي الْحِفْظِ السَّخِيفِ ، وَلَا تَهَارَشُوا تَهَارُشَ السَّبَاعِ عَلَى الْجَيْفِ ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ يُكَدَّرُ بِالْأَمْتَانِ ، وَطَاعَةُ النِّسَاءِ شَرٌّ مَا أَفْسَدَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ ؛ فَإِذَا أَسَدَيْتُمْ مَعْرُوفًا فَلَا تَذْكُرُوهُ ، وَإِذَا بَرَزَ قَبِيحٌ فَاسْتَرُوهُ ، وَإِذَا أَعْظَمَ النِّسَاءُ أَمْرًا فَاحْتَقَرُوهُ ؛ وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْسُوا مَقَارَضَةَ سَجَلِي ، وَبَرُّوا أَهْلَ مَوَدَّقِي مِنْ أَجْلِي ؛ وَمَنْ رُزِقَ مِنْكُمْ مَا لَا يَهْذَا الْوَطَنَ الْقَلِقَ الْمِهَادَ ، الَّذِي لَا يَصْلُحُ لِنَظِيرِ الْجِهَادِ ؛ فَلَا يَسْتَهْلِكُ أَجْمَعَ فِي الْعَقَارِ ، فَيَصْبِيحُ عَرَضَةً الْمَذَلَّةِ وَالْإِحْقَارِ . وَسَاعِيًا لِنَفْسِهِ إِنْ تَغَلَّبَ الْمَدْوُ عَلَى بَلَدِهِ فِي الْإِفْتِضَاحِ وَالْإِفْتِقَارِ ؛ وَمُعَوِّقًا عَنِ الْإِنْتِقَالِ ، أَمَامَ الثُّنُوبِ الثَّقَالِ ؛ وَإِذَا كَانَ رِزْقُ الْعَبْدِ عَلَى الْمَوْلَى ، فَالْإِجْمَالُ فِي الطَّلَبِ أَوْلَى ؛ وَازْهَدُوا جُحُودَكُمْ فِي مَصَاحِبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، نَغِيرَهَا لَا يَقُومُ بِشَرِّهَا ، وَنَقَمَهَا لَا يَنْفِي بُضْرَهَا ؛ وَأَعْقَابُ مَنْ تَقَدَّمَ شَاهِدَهُ ، وَالتَّوَارِيخُ لِهَذِهِ الدَّعْوَى عَاضِدُهُ ؛ وَمَنْ يُبْلِي مِنْكُمْ بِهَا فَلَيْسَ يَسْتَرْجِعُ بِسَمَةِ الْإِحْتِمَالِ ، وَالتَّقَلُّلِ مِنَ الْمَالِ ، وَيَحْذَرُ مُعَادَاةَ الرِّجَالِ ، وَمَزَلَاتِ الْإِذْلَالِ ، وَفُسَادِ الْخِيَالِ ، وَمُدَاخَلَةِ الْعِيَالِ ؛ وَإِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ ، وَسُكْرِ الْإِغْتِرَارِ (٢) [٢٣١]

(١) فِي تَفْهِيمِ الطَّبِيبِ : « وَلَا تُطْفِئُوا فِي النِّعَمِ فَتَقْصُرُوا عَنْ شُكْرِهَا » .

(٢) فِي تَفْهِيمِ الطَّبِيبِ : « وَإِفْشَاءِ السَّرِّ ، وَسُكْرِ الْإِغْتِرَارِ ، فَإِنَّهُ ذَائِبُ الْغَرِّ » .

وليصن الديانة ، ويؤثر الصمت ويلزم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشتبه عليه أمران قصد أقربهما إلى الحق ؛ وليقف في التماس أسباب الجلال ، وسمو القدر ورفعة الحال دون الكمال ، فابعد الكمال غير نقصان ، والزراع تسالم اللذن العطيف من الأغصان . وإياكم وطلب الولایات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوط^(١) وغلاباً ؛ فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضح^(٢) والعار ؛ ومن امتحن منكم بها اختباراً ، أو جبر عليها إكراهاً وإيثاراً ؛ فليتلق وظائفها بسعة صدره ، وليبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ؛ فالولایات فتنة ويحنه ، وأسر وإحنه ؛ وهي بين إخطاء سعادته ، وإخلال بعاده ؛ وتوقع عزل ، وإدالة رخاء بأزل ، وبيع جد من الدنيا بهزل ؛ ومزلة قدم ، واستتباع ندم ؛ ومآل العمر كله قوت وتماد ، واقترب من الله وابتعاد ؛ جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

هذه أسعدكم الله وصيتي التي أصدرتها ، وتجارتني التي لربكم أدرتها ؛ فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ؛ وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستغنيت من دروعها ؛ اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ؛ وبقدر ما أضعت من لآلئها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ؛ ومهما سئتم إطالتها ، واستغزرتهم مقالاتها ؛ فاعلموا أن تقوى الله فذلك الحسب ، وضابط هذا الباب ؛ كان الله خليفتي عليكم في كل حال ، فالدنيا منافع ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ؛ فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ؛ [٢٣٢]

(١) في فتح الطيب : « الخطوب » .

(٢) في فتح الطيب : « الفضيحة » .

جعلها^(١) الله من وراء خُطَّة^(٢) النجاة ، وَتَقَّ بضائعا المَرْجَاه ، بلطائفه المرتجاء ؛
والسلام عليكم من حبيبكم المودِّع ، والله يَلَامُ^(٣) حيث شاء من شمل متصدِّع ؛
والدِّك محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته .
انتهت الوصية ، وهي غريبة في معناها .

قلت : ولأجل ذلك كان شيخ شيخنا الفقيه الإمام القاضي العلامة سيدي
عبد الواحد الوائش رضى رحمه الله ، كثيراً ما يُدْخِلُ منها في خطبه ، على مالا
يُغْنِي على من طالها ، وإلى الله ترجع الأمور .

وإذ بلغنا في ترجمة ابن الخطيب إلى هذا الحد الذي يستطيله الناظر فيه ،
وهو والله لا يتم التعريف بابن الخطيب ولا يوفيه ، فلنذكر القاضي النبأى
والكاتب ابن زَمْرَك ، اللذين كان لهما مع ابن الخطيب أول الأمر مصافاة
وَمُتَات ، ثم استحالَت إلى ما علمت من العداوة ذات البتات .

انتهى الجزء الأول من أزهار الرياض في أخبار عياض
ويليه الجزء الثانى ، وأوله : أخبار القاضي النبأى

(١) في ط : « جعله » ، وفي فتح الطيب : « جعل » .

(٢) في فتح الطيب : « خطته » .

(٣) كذا في فتح الطيب . ولأم المصدع من باب منع : أصله . وفي الأصلين : « يله » .

فهارس الكتاب

٣٣٩ — ٣٤٨	١ - فهرس الأعلام
٣٤٩ — ٣٥٠	٢ - فهرس الشعراء
٣٥١ — ٣٥٢	٣ - فهرس القبائل
٣٥٣ — ٣٥٧	٤ - فهرس الأماكن
٣٥٨ — ٣٦١	٥ - فهرس الكتب
٣٦٢ — ٣٦٦	٦ - فهرس الفوائ
٣٦٧	٧ - فهرس أنصاف الأبيات
٣٦٨ — ٣٧١	٨ - فهرس الموضوعات

فهرس الاعلام

(١)

ابن الحسن النباهي : ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٢٣ ،
٣٦٦ ، ٢٢٤

ابن حيان : ٣٤

ابن خاتمة أبو جعفر : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦٥

ابن الخطيب : ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢

٣٣ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩

٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٩

١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠١

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩

٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣١٩

٣٢٠ ، ٣٦٦

ابن خلدون الحضرمي : ٢٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٢

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٤

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٩

٢٩١

ابن خلكان : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧

ابن داود (الإمام) : ١٠٣

ابن الدراج = أبو علي الصدقي

ابن دراج التتسلي : ١٢٠

ابن دتون = ابن دتون

ابن دتون : ١٢٢

ابن ذي يزن : ٤٧

ابن الرريب : ٢٧٥

ابن رشيد : ٣٥

ابن رضوان عبدا لله : ١٢٤

آدم (عليه السلام) : ٨٨ ، ٢

إبراهيم بن أحمد بن فتوح القيلي : ١٧١

إبراهيم الموصلي : ٩

أبرويز : ٢٩٩

ابن الأبار : ٧٣ ، ٢٤ ، ٢٥

ابن أبي الأحوس : ١٨٨

ابن أبي دينار : ٣٧

ابن أبي حاصر = المنصور محمد بن أبي حاصر

ابن أبي العيش : ٢١٧

ابن أبي يفلوسن = عبدالرحمن بن أبي يفلوسن

ابن الأحمر : ٢٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣

٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

٢٩١ ، ٣٠٦

ابن أخطي : ١٢٤

ابن بشكوال : ٢٧

ابن بطان المنهائي : ١٢٣ ، ٢٨٨

ابن ثروان : ٨٥

ابن جابر : ٢٧

ابن جماعة = أبو الفضل بن جماعة

ابن الجباب = أبو الحسن بن الجباب

ابن الحاج السلي = أبو البركات بن الحاج

البلقي السلي

ابن حبر السقلاقي : ٢٥

ابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٤

ابن الحسن = أبو الحسن بن الحسن (القاضي)

ابن الحسن النحوي : ٦٣

أبو بكر بن أبي عنان : ٣٠٠
 أبو بكر دلف بن جعفر الصوفي = الشيلي
 أبو بكر بن أبي عبد الله بن الحكيم : ١٨٨
 أبو بكر بن شيرين : ١٨٨
 أبو بكر الصديق : ٣٠٣
 أبو بكر بن حاصم : ١٧٣
 أبو بكر بن غازي : ٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩
 أبو بكر بن قرمان = ابن قرمان
 أبو بكر بن منظور : ١٨٨
 أبو تاشفين : ٢٤٢ ، ٢٤٩
 أبو ثابت حاصر بن محمد الفتاني = حاصر بن
 محمد الفتاني أبو ثابت
 أبو ثور : ٢١٩
 أبو جعفر = ابن خاتمة أبو جعفر
 أبو جعفر بن جابر : ١٨٨
 أبو جعفر بن الزبير : ١٩٠
 أبو جعفر الطنجالي : ١٨٨
 أبو الحجاج المتشافري : ١٨٨
 أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن نصر
 الخزرجي : ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٧٢
 ٢٨٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
 أبو الحسن التلساني : ١٨٨
 أبو الحسن بن الجباب : ١٧٩ ، ١٨٨
 ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢١
 ٢٢٤ ، ٣٠٨ ، ٣١٩
 أبو الحسن بن الحسن (الفاخي) : ٢١١ ، ٢١٢
 أبو الحسن بن حمزة : ١٤٥
 أبو الحسن الفارسي : ٣٦
 أبو الحسن علي (الفاخي) : ٤٧
 أبو الحسن علي بن أحمد الخزرجي : ١٩
 أبو الحسن علي بن الحسن = ابن الحسن
 التباي

ابن الزبير : ٢١٧
 ابن زوزار : ٦٢
 ابن زمرك = أبو عبد الله بن زمرك
 ابن سبين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم : ١٢٤
 ابن سعيد : ٣٠
 ابن سكرة = أبو علي الصدقي
 ابن سيدة : ٢٧
 ابن شجاع : ١٢٣
 ابن الصباغ الثقيلي : ١٩٢ ، ١٩٣
 ابن صفوان : ١٩٠
 ابن حاصم = أبو يحيى بن حاصم
 ابن عمر : ٣٦
 ابن غازي : ٢٢٥
 ابن الفرديس الثفلي : ٢٤
 ابن فتوح = إبراهيم بن أحمد بن فتوح الثقيلي
 ابن قزمان : ١٧٣
 ابن قنفذ : ٢٤
 ابن ماساي = مسعود بن ماساي
 ابن مامة كعب : ٩٥ ، ٢٥٤
 ابن ماعان علي بن عيسى : ١٢٠
 ابن مرام : ٣٧
 ابن مرزوق = أبو عبد الله بن مرزوق
 ابن الملقوم أبو القاسم : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧
 ابن نصر الخزرجي = أبو الحجاج يوسف
 ابن إسماعيل بن نصر الخزرجي
 ابن هذيل : ٢١٩
 أبو إسحاق = إبراهيم بن أحمد بن فتوح
 الثقيلي
 أبو إسحاق إبراهيم بن حلال = الصابني
 أبو إسحاق إبراهيم بن حلال
 أبو الأسبيع بن سهل : ٢٢٢
 أبو البركات بن الحاج البليقي : ٤٩ ، ٩٨٨

أبو الحسن علي بن محمد = أبو حسن
أبو الحسن علي التتري : ٦٨
أبو الحسن علي بن يوسف بن كاشة الحضرمي :
٢٠١
أبو الحسن القمياني : ١٨٧
أبو الحسن الملقب : ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢٩١ ،
٣٠٢ ، ٢٩٤
أبو حسن : ٧٨
أبو حمز موسى بن يوسف : ٢٣٨ ، ٢٤١ ،
٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
أبو حنيفة : ٢١
أبو حيان : ٣٠٤
أبو خندو : ٢٩٨
أبو الخير : ١١٨
أبو دواد : ٩٥
أبو زكريا يحيى بن هذيل : ١٨٩ ، ٢٠٤ ،
٢٠٩
أبو زيد : ٢٢١
أبو سالم بن أبي الحسن الملقب : ٦٥ ، ٦٦ ،
١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٦
أبو سعيد : ٢٠٢ ، ٢٨٢
أبو العرف رفيع : ٤٢
أبو الطاهر : ٤٢
أبو الطيب أحمد بن الحسين = الخفي
أبو الطيب
أبو العباس أحمد بن أبي سالم : ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الحنفي
(القاضي) : ٥٩
أبو العباس أحمد بن جعفر السبق الحضرمي :
٢٧٣

أبو العباس أحمد بن محمد السبق العرفي :
٣٢ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٤ ، ٤٥ ، ٢٧٣
أبو العباس البقي : ٧٢
أبو العباس بن العرف : ٢١
أبو العباس المزني : ٣٩ ، ٢٤٣
أبو العباس بن يربوع السبق : ١٨٨
أبو عبد الله = ابن الخطيب
أبو عبد الله = الشبوكي محمد بن يوسف
أبو عبد الله بن أبي الحجاج = أبو عبد الله
ابن الأحرر
أبو عبد الله بن أبي الحسن : ٦٨
أبو عبد الله بن أبي عبد الله بن عبد الملك :
١٨٨
أبو عبد الله بن أبي القاسم بن أبي مدين :
٢٧٦
أبو عبد الله بن أبي الوليد بن أبي عبد الله :
١٩٤
أبو عبد الله بن الأحرر : ٣٧ ، ٥٨ ، ٧٢ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ،
٢٧٢ ، ٣٠٧
أبو عبد الله بن الأزرق : ٧١
أبو عبد الله بن بكر : ١٨٨
أبو عبد الله البياضي : ١٤٥
أبو عبد الله بن بيش : ١٨٨
أبو عبد الله التلساني : ٢٤٤
أبو عبد الله التنسي : ١٣٤ ، ٢٤٣ ،
٣١٠ ، ٣١١ ، ٢٥٧
أبو عبد الله بن حزب الله : ١٨٨
أبو عبد الله بن زمرك : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ،
٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦
أبو عبد الله السرقسقي : ١٤٥
أبو عبد الله العفان : ١١٦ ، ١٢٣ ،
١٣٤

أبو عبد الله البكري : ٦٠
 أبو عثمان بن ليون : ١٨٨
 أبو علي : ٢٢٤
 أبو علي حسن بن يوسف : ١٨٨
 أبو علي حسين بن محمد الصدقي : ٢١
 أبو عمرو بن أبي جعفر : ١٨٨
 أبو عثمان فارس المري : ٤٠ ، ٤٠ ، ٣٩
 ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
 أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المري :
 ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
 ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،
 ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥
 أبو الفضل بن جماعة : ١٣٤
 أبو الفضل الشيرازي = الشيرازي أبو الفضل
 أبو الفضل محمد : ٢٩٢
 أبو القاسم التلساني الميرف : ٢٠٣ ، ٢٠٧
 أبو القاسم بن جزي : ١٨٧
 أبو القاسم الجنيد : ٢١
 أبو القاسم الحسن بن الحسين = الواساني
 أبو القاسم الحسن بن الحسين
 أبو القاسم بن سراج : ١٤٥
 أبو القاسم بن سلمون : ١٨٨
 أبو القاسم بن محمد النساني : ٤٥
 أبو القاسم الملاي : ٢٣
 أبو القاسم بن اللجوم = ابن اللجوم
 أبو القاسم
 أبو مالك = عبد الواحد بن زكريا أبو مالك
 أبو محمد بن أيوب المائي : ١٨٨
 أبو محمد بن الخطيب : ٢٨٢
 أبو محمد بن سلمون : ١٨٨
 أبو محمد صالح : ٢٩٨
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم = ابن سبعين
 أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم

أبو عبد الله بن عبد الولي الفواد : ١٨٧
 أبو عبد الله بن عسكر : ٢٢٢
 أبو عبد الله بن الفخار : ١٨٨
 أبو عبد الله محمد بن يوسف = للواق أبو
 عبد الله محمد بن يوسف
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر : ٢٩٤
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي النصري :
 ٦٧
 أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن الكيلي :
 ٣٥
 أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل البسطي :
 ١٠٣
 أبو عبد الله محمد أبي محمد المكي : ١٠٣
 أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد الوادي
 آهي : ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
 ١٧١ ، ١٨٦
 أبو عبد الله محمد التميمي : ٢١٦
 أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آهي :
 ٢٣
 أبو عبد الله محمد بن حمادة البرنسي : ٣٦
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي =
 ابن الأبار
 أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن فرج :
 ١٤٦
 أبو عبد الله محمد بن عياض : ٢٤ ، ٢٧
 أبو عبد الله محمد للمري : ٥٥ ، ١٨٨
 أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إسماعيل
 الخريسي = أبو عبد الله بن الأحمر
 أبو عبد الله بن مزوق : ١٩٣ ، ٢٠٧ ،
 ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٢
 أبو عبد الله المتوري : ١٤٥
 أبو عبد الله بن نصر = أبو عبد الله بن الأحمر
 أبو عبيد : ٢٢١

أشج بن مروان = عمر بن عبد العزيز
 أليان : ١٢٠
 اسرو القيس : ٧٤ ، ٩٠ ، ١٧٤
 الأمين : ١٢٠ ، ٢٦٠
 أندلس بن يافت : ٢٩ ، ٣٠
 أنو مروان : ٢٦٧
 الوطاسي : ٧٢
 أويس بن طمر القرقي : ٨٩
 لياس بن معاوية : ٨٩

(ب)

بازيد = أبو يزيد خان السبائي
 بجير بن الحارث : ٩٥
 برصيص : ١١٧
 برقان : ١٢١
 بر بن قيس : ٩٧
 بسطام (بن قيس) : ١١٩
 البسطي = أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل
 البسطي
 بلعام بن باعوراء : ٣٠١
 بلقيس : ٢٥٦
 بوران بنت الحسن بن جهل : ١٢٧
 البوصيري : ٨٣
 بنت جزي : ٢٧١

(ت)

التنسي = أبو عبد الله التنسي

(ج)

جابر بن حيان الصوفي : ١٧١ ، ٢٥٥
 الجاحظ : ٣٧
 جارية بن الحجاج = أبو دواد

أبو محمد بن عبد المهيمن : ١٨٨
 أبو مسلم الخراساني : ١١٩
 أبو الوليد إسماعيل بن يوسف = ابن الأحمر
 أبو يحيى بن أبي بكر بن حاصم : ٥٥ ، ٥٠ ، ٥٨
 ١٦٣ ، ١٤٥ ، ١١٦ ، ٦٠ ، ٥٨
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٦
 أبو يحيى بن أبي مدين : ٢١٠ ، ٢١١
 أبو يزيد البسطامي = طيفور بن عيسى
 أبو يزيد خان السبائي : ١٠٨ ، ١٠٩
 أبو يوسف : ١٢٠
 أبو يوسف = يعقوب عليه السلام
 أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق الرقي : ٦١
 أحمد بن أبي سالم = أبو العباس أحمد بن
 أبي سالم
 أحمد بن جعفر السبقي = أبو العباس السبقي
 أحمد بن حرشون : ١٣٣
 أحمد بن الحسين = التمني
 أحمد (بن حنبل) : ٢١٩
 أحمد بن علي الأنصاري = ابن خاتمة
 أحمد بن محمد أبو سعيد الماليني = طاووس
 أحمد بن محمد الأندلسي = أبو العباس أحمد
 الدقون
 أحمد المرمي : ٣١٩ ، ٣٢٠
 أحمد النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي
 صلى الله عليه وسلم
 أحمد بن يوسف : ٢٩٨
 إدريس (عليه السلام) : ٢٥٣
 أرسطوطاليس : ٢٥٤
 إسحاق (عليه السلام) : ١٤٢
 إسحاق الموصلي : ٩
 إسماعيل (عليه السلام) : ١٤٢
 إسماعيل بن أبي الحجاج = ابن الأحمر
 الأسود بن قنان : ٩٥

داود (عليه السلام) : ٣٠

دن بطرة : ٦٢

دن جابعة : ٦١

(ذ)

القمي : ٣١١

ذوالدولتين = أبو العباس أحمد بن أبي سالم

ذو الودعات = ابن ثروان

(ر)

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد

التي صلى الله عليه وسلم

الرشيد : ١٢٧ ، ٢٦٠

رضوان (الحاجب) : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨

الرضي (الفرس) : ٤٩

رئاش : ٥

الرحيمي : ٢٢٩

(ز)

زهير بن أبي سلمى : ٨٢

زجاد = النابعة الدياني

(س)

ساسان : ٤٧ ، ١١٩

سبت بن سام بن نوح : ٢٩ ، ٣٦

سبت بن يافت : ٢٩

سراقة بن مالك السكتاني : ١٤١

سماعة : ١٢٠

سعد بن عبادة : ١٦٧

جالوت : ٣٠

جالينوس : ٢٥٥

جيريل (عليه السلام) : ١٤٢ ، ٢١٨

جذعة : ٥

جعفر بن عثمان الحاجب المصنف : ١٩٣

جليان = أليان

(ح)

حاتم : ١٧١ ، ٢٥٤

الحاجب (ملك سبتة) : ٣٧

الحارث الأكبر الفسافي : ٥٣

الحارث بن عباد : ٩٥

حبيب بن أوس الطائي : ١٧٥

الحجاج : ٨٦ ، ٨٧

الحجازي : ٢٩

الحريري : ١٢٥

الحسين بن سهل : ١٢٢

حصين الزروقي : ٢٤

حنظلة بن العرق الإيادي = أبو دواد

(خ)

خالد البلوي : ٣٠٩

خالد بن يزيد بن معاوية : ١٧١

الخليفة بن صيزوق = أبو عبادة بن

صيزوق

خليل (بن إسحاق المالكي) : ١٣٠

خيران الصقلي : ١٢٠

(د)

دارا : ٤٧

(ض)

الضليل = امرؤ القيس

(ط)

طارق بن زياد : ٦١

ظاهر بن الحسين : ١٢٠

طاووس : ٢٥٦

طيفور بن عيسى : ٣٠١

(ع)

عاد : ٤٧

عاصم بن محمد بن علي المختار أبو ثابت :

٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢

عائشة : ٣٣٣

العباس (هم النبي) : ١١٣

العباس بن مرداس : ٤١

عبد الحميد الكاتب : ١١٩

عبد الرحمن بن أبي بطون : ٢١٠ ، ٢٢٤

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

٢٢٩

عبد الرحمن بن فوح : ٢٩٢ ، ٢٩٣

عبد العزيز بن أبي الحسن = أبو فارس

عبد العزيز بن أبي الحسن اللبني

عبد الله (أبو لسان الدين بن الخطيب) : ٢٠٤

عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب : ٢٩٩

٣١٩ ، ٣٢٠

عبد الواحد بن زكرياء أبو مالك : ٢٦١ ،

٢٦٢

عبد الواحد الوائلي : ٢٢٤ ، ٣٣٦

عبو : ٢٨٨

عتبة بن الحارث : ١١٩

عثمان بن عفان : ١٢١ ، ٣٠٣

السيد بن أبي فارس : ٢٢٦

السلح : ١١٩ ، ٢٦٠

سليمان (بن سيد بن مسروق الثوري) :

٩٦

سليمان (عليه السلام) : ٤٨ ، ٢٥٦

سليمان بن داود بن أحراب : ٢٢٩ ، ٢٣٠

سليمان بن عبد الملك : ٨٦ ، ٨٧

السوءل : ٧٤

سوسان : ١٢٣

سيف بن ذي يزن = ابن ذي يزن

(ش)

الشافعي (الإمام) : ٢١٩

الشبلي : ٢٥٦

الشبوكي محمد بن يوسف : ٢٩١ ، ٢٩٤

شداد : ٤٧

شرف الدين بن القرى : ١٥٨

الشريف = أبو العباس أحمد بن محمد

الشيخ الشريف

شمس الدين = أبو عبد الله محمد بن جابر

الرازي أحمى

شمس الدين البغدادي : ٢٩

شمس الدين بن جابر : ١٨٨

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي =

ابن حجر السقلاوي

شعبة : ١١٤

الشيرازي (أبو الفضل) : ٩٤

(ص)

الصافي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال : ١١٩

الصديقي : ٣١١ ، ٣١٢

(ق)

- القادر (الخليفة) : ٩٣
قارون : ٤٧
القاسم (بن موسى بن عياض) : ٢٨
قحطان : ٤٧
القنقاع بن شور : ٩٦
القنصاذي : ١٣٣

(ك)

- كثير : ٥
كعب = ابن مامة كعب
كليب : ٩٥
الكندى = القنبي

(ل)

- لبنى (بنت الحباب الكعبية) : ٢١٤
لقريش : ١٢٠
لسان الدين = ابن الخطيب
لقمان : ٣٢٣

(م)

- المأمون = ابن ذنون
المأمون بن الرشيد : ٢١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢
مارية بنت ظالم : ٥٣
مالك (الإمام) : ٣٦ ، ٢١٩
مالك بن الرحل : ٣٢
الماوردي : ٢١
المنفي : ٧٤ ، ١٢٠ ، ١٧٥
محمد الخلويع = أبو عبد الله بن الأحمر
محمد بن إبراهيم = أبو عبد الله الصمران
محمد (بن أبي الحجاج) = أبو عبد الله بن الأحمر

مثنى بن يحيى بن عمر : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩

المرزقي = أبو عبد الله محمد بن محمد المقيلى
المرزقي = أبو العباس المرزقي
مزة : ٥

عضد الدولة بن بويه : ١١٩ ، ١٢٠
على بن أبي طالب : ٣٠٣
على بن بدر الدين : ٢١٠
على بن عيسى بن ماهان = ابن ماهان على
ابن عيسى

على بن لسان الدين : ٣١٩ ، ٣٢٠
المهاد الأصفهاني : ٣٠٩
عمر (بن الخطاب) : ١٤١ ، ٣٠٣
عمر (الفقيه) : ١٣٢
عمر بن عبد العزيز : ٨٥ ، ٨٩
عمر بن عبد الله بن علي : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٣٠

عمر بن عبد الله اليباني : ٢٩٢
عمر اللاتني : ١١٦
عمر بن العاص : ١٢٩
عمر بن عدي : ٥
عمر بن موسى : ٢٣
عنقة : ١٢٣

عياض بن موسى : ١٢ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٤
عيسى (بن موسى بن عياض) : ٢٨

(ف)

الفاروق = عمر بن الخطاب
الفتح بن خاقان : ١١٩
الفرزدق : ٥
فرعون موسى : ٢٥٣
الفنش : ٦٢

صلى الله عليه وسلم

الطلى : ٧٤

الملك الضليل = امرؤ القيس بن حجر

النتورى (أحمد) : ٢١

النذر بن ماء السماء : ٧٤

النصور (أبو جعفر) : ٢٦٠

النصور محمد بن أبي عامر : ٢٨ ، ١٢٠ ،

١٩٣

للهدى : ٢٦٠

مهلهل : ٩٥

مبار (الديلمى) : ٤١

المواق أبو عبد الله محمد بن يوسف : ٢١

موسى (عليه السلام) : ٨٨ ، ٢٥٢

موسى بن يوسف = أبو حو موسى بن

يوسف

موسى بن نصير : ٦١

ميمون : ١٢١

(ن)

النابهة القدياني : ٧٨

نافع : ٣٦

النباى = ابن الحسن الثباى

النبي صلى الله عليه وسلم = محمد النبي

صلى الله عليه وسلم

النوار : ٥

نوح (عليه السلام) : ٢٩ ، ١٤٢

(هـ)

هامان : ١١٩

هبنقة القيسى يزيد بن ثروان = ابن ثروان

هريانة أبو شائجة = دن جانية

هرم بن ستان : ٨٢

هشام بن الحكم : ٢٨

محمد بن أبي عبد الرحمن : ٦٢

محمد بن أبي عبد الله : ٦٨

محمد بن الأحر = أبو عبد الله بن الأحر

محمد بن إسماعيل : ٢٠٢

محمد بن حنون بن أبي الملاء : ٢٨٩

محمد بن الحكيم : ٢٠٥

محمد بن الخطيب : ٢٢٤

محمد بن عبد الله = ابن الخطيب

محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض : ٢٤

محمد بن عثمان : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

٢٢٩

محمد بن الفرديس = ابن الفرديس التفلي

محمد بن فرج : ١٤٦

محمد بن لسان الدين : ٣١٩

محمد بن محمد بن حاصم القيسى = أبو يحيى

ابن أبي بكر بن حاصم

محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) : ٢ ، ٨٣ ،

٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،

١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،

١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ،

١٧٠ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،

٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٤٣ ،

٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣٢١

محمد بن يوسف = الشيوك محمد بن يوسف

محمد بن يوسف بن إسماعيل = أبو عبد الله

ابن الأحر

مدغليس : ١٢٣

مروان بن محمد : ١١٩

المنصور = أحمد المربى

مسعود بن ماساى : ٢١٠ ، ٢٢٥

المصطفى = جعفر بن عثمان الحاجب

المصطفى صلى الله عليه وسلم = محمد النبي

المتنانى = حاصر بن محمد المتنانى أبو ثابت

(و)

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
الحناد الوادى آشى

الوادى آشى = أبو عبد الله محمد بن جابر
الوادى آشى

الواسانى أبو القاسم الحسين بن الحسين : ١٢٣

الوافىرىقى (عبد الواحد) : ٦٦

ولى الدين بن خلدون = ابن خلدون الحضرمى

وترمار بن حريف : ٢٢٨

(ى)

ياث بن نوح : ٢٩

يعصب بن مدرك : ٢٧

اليحصى : ٢٧

يحيى بن هذيل = أبو زكريا يحيى بن هذيل

يزدجرد : ١٢٠

يزيد بن أبى مسلم : ٨٦

يسار : ٩١

يعقوب : ٢٩٨

يعقوب : (عليه السلام) : ٨٤ ، ٩

يليان = أليان

يوسف (عليه السلام) : ٩

يوسف بن أبى عبد الله : ٦٨

يوسف بن إسماعيل = أبو الحجاج يوسف

ابن إسماعيل

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرنى :

١٢٠

فهرس الشعراء

(١)

ابن الجباب = أبو الحسن بن الجباب
ابن الحاج السلي = أبو البركات البلقيني
ابن حجاج : ٩٤
ابن الخطيب : ٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ١٨٧ ،
١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٤ ،
٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٣

ابن دراج التصلي : ١٢٠
ابن حاصم = أبو يحيى بن أبي بكر بن حاصم
أبو البركات البلقيني : ٤١ ، ٢٧٢
أبو تمام : ٢٥٧

أبو الحجاج النصف : ٣٥ ، ٣٦
أبو الحسن بن الجباب : ١١٥ ، ١٩٢ ، ٣١٣
أبو الحسن التهامي : ١٣٧
أبو الحسن طي بن أحمد الخزرجي : ١٩
أبو الحكم مالك بن المرحل : ٢٩
أبو حيان : ٣٠٤

أبو زكريا يحيى بن خلفون : ٢٣٨ ، ٢٤٦
أبو سعيد الخزرجي : ٩٩
أبو الطيب = اللثمي

أبو الطيب صالح بن صريف الرندي : ٤٧
أبو عباس أحمد القنون : ١٠٤
أبو عباس الصريف : ٣٨ ، ٤١
أبو عبد الله = الشبوكة محمد بن يوسف

أبو عبد الله بن جابر : ٣١٩
أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج = ابن حجاج
أبو عبد الله بن الخطيب السلي = ابن الخطيب

أبو عبد الله المران : ١٣٣ ، ١٣٤
أبو عبد الله محمد بن أبي جمة : ٢٤٧
أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الرحمن السكيلي
٣٥

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي : ٧٢ ،
١٠٣

أبو عبد الله محمد بن عبد الله الرعي =
أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العقيلي
أبو العتاهية : ٢١ ، ٨٧

أبو نواس : ٢٦
أبو يحيى بن أبي بكر بن حاصم : ١٤٦ ،
١٧٩

أحمد للرعي : ٣٢٠

(ت)

التلايسى = أبو عبد الله محمد بن أبي جمة

(ج)

جرول = الخطيئة

(ح)

الحاجري = عيسى بن سنجر
الحارث بن صباد : ٩٥
حسان بن ثابت : ٩٧
الخطيئة : ٩٧

(د)

القنون = أبو عباس أحمد القنون

(ف)

الفرزدق : ٥

(ق)

قيس بن ذريح : ٢١٤

قيس بن حاصم : ٩٨

(م)

مالك بن المرحل = أبو الحكم مالك بن المرحل

المتنبي : ١٢٠ ، ١٢٦ ، ٢٣٧

المستنصر = أحمد المري

المنصفي = أبو الحجاج المنصفي

(ن)

النايفة الندياني : ٧٨ ، ٩٨

(و)

الواساني : ١٢٣

(ي)

يحيى بن خلدون = أبو زكريا يحيى بن خلدون

يزيد بن عبد المدان : ٩٩

(ر)

الرندي = أبو الطيب صالح بن حريق الرندي

(ش)

الشبوكن محمد بن يوسف : ٢٩٢

الشران = أبو عبد الله الفران

العريف الرضي : ٩٣

(ص)

صالح بن أحمد بن هبان : ٣١١

صالح بن حريق الرندي = أبو الطيب صالح

ابن حريق الرندي

الصمة القشيري : ٣

(ع)

العري = أبو عبد الله محمد بن أبي محمد العنيلي

عمر الملق : ١١٦ ، ١٢٥

مياض : ٣٤

ميسى بن سنجر : ٢٧٥

(ط)	(ث)
الطوائف : ١٢٢	ثور : ٩٦
(ع)	ثمود : ١٠٠
عاد : ٨٠ ، ١٠٠	(ح)
حار : ٢٩٥	حمر : ٢٧
ميس : ١١٨	(خ)
المجم = الفرس	الخزرج : ١٦٧
العرب : ١ ، ١٢ ، ٥٣ ، ٧٧ ، ٨٧ ، ١٠٩ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤ ، ٣١٧	(د)
عوف : ٩٦	الديلم : ١٠٩
(غ)	(ذ)
الغسانة ٧٨ ، ٩٧	ذبيان : ١١٨
(ف)	(ر)
الفاطميون : ٢٨	الرباب : ٩٦
الفرس : ٤٧ ، ٧٢ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ٣١٧ ، ٢٤٠	الروم : ١١٠
فزارة : ١٢	(ز)
(ق)	زلاقة : ٢٢٨ ، ٢٣٠
قريش : ١٤١ ، ٢٤٠	(س)
القوط : ١٢٠	سعد : ٩٨
(م)	(ش)
مرو = بنو مرو	شيبان : ١١٩
المشاركة = أهل للعرق	(ض)
اللتمون : ٧٧	ضبة : ٩٦
مقر : ٩٨	
(ي)	
اليمن : ٤٧	

فهرس الأماكن

(ب)

باب الصرعة : ٦٨
باديس : ٢٣٤
بارق : ٢٣٧
بحر الروم : ٢٢٨
بحر الزقاق : ٦٧ ، ٢٩
برقه : ٣٠
بزليانة : ٤١
بسطة : ٢٨
البصرة : ١١٤ ، ٦٧ ، ٦٦
البصرة : ١٢١ ، ٨٩ ، ٧٠
بطورة : ٢٢٦ ، ٢٢٥
بلاد للمرب : ٤٧
بلاق : ١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٩٣ ، ١٨٨
٢٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩
البلد الجديد : ٢٢٩
بلقيق : ١١٤ ، ٤١
بلنسية : ٤٨ ، ٤٦ ، ٣٥
بليونش : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥
٣٦ ، ٣٧
البيازن : ٧٠
أليرة : ١١٤
البيضاء : ١٩٧ ، ٢٢٨

(ت)

تازا : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
تامنا : ٢٦٥

(١)

آسفى : ٢٩٨
آنى : ٢٨٨
أبان : ١٧
الأبلة : ٧
أحد : ٢٤٨
أرغون : ٧٠
أزمور : ٣٥
أشيلية : ٤٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٩٧
أحمات : ٢٩٧
أفريقية : ١٨٩ ، ٢٦١
أليرة : ١٨٦
أندرش : ٦٧ ، ١١٤ ، ١٩٤
الأندلس : ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤١ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٦٠
٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١٠٤
١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٠
١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٥ ، ١٨٦
١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤
٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤
٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠
٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦
أورة : ٣٧ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٧
٩٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٤
ليوان كسرى : ٤٧

حزوى : ١٠
الجراء : ٦٧ ، ١٠٤ ، ١٣٠ ، ٢٠٢
٢٠٧
حس = لاشيلية
الحقة : ٦٦

(خ)

خراسان : ١١٩

(د)

دار ابن الفرديسى الصغرى : ٢٤
الدار البيضاء : ٥٩
دار السلام : ١٢٧
دار الكتب المصرية : ٢١ ، ٩٧ ، ٩٩
١٩٥ ، ٢١٤ ، ٢١٥
دار همدان : ١٢١
دانية : ٢٤
دجلة : ٧
السناء : ١٠ ، ١٢١
الفيار المصرية = مصر

(ر)

رابطة الفصاال : ٤٢
ربى اليازىن : ٦٨
رضوى : ١٢
رندة : ٦١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤
رومة : ١١٣

(ز)

زاوية المحروق : ١٢١

طسان : ٧ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧١ ،
١٢٠ ، ١٧٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦
٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠
تهامة : ٩٢
الغرة : ٣٦

(ث)

تهلان : ٤٨

(ج)

جبل الفتح : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،
٢٣٠
جبل موسى : ٣٥
الجريد : ٢٦٢
الجزائر : ٦ ، ٢٤
الجزيرة = الأندلس
جمع : ٢٧١
جنان العريف : ١٢٨ ، ١٩٥
جنة الحافة : ٣٣
جنة العريف = جنان العريف
جنة المصاراة : ٢٠١
جيان : ٢٨ ، ٤٨
جيون : ١٢٣

(ح)

حاجر : ٢٣٥
حبيبة أم يحيى : ٧
الحيون : ٩

(b)

طليطلة : ٤٦ ، ٢٢٢
ملحة : ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧

(ع)

المجلد : ١٢١
العدد : ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٧ ، ٢٠٩
الذئب : ٢٣٧
الراق : ٥٥
الغاب : ١٢٢

(غ)

الفيط : ١١٩
غراملة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١
٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٧
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩
٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٤
١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٥
١٦١ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٩٣
٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨
٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٢٩٩
٣٠٨ ، ٣٠٧
عبدان : ٤٧

(ف)

قاس: ٧، ١٢٠
قاس: ٧٤، ٧٨، ٣٩، ٤٤، ٦٧
٦٨، ٧٢، ٧٤، ٧٨، ١٢٠
١٢١، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٨
٢١٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨
٢٩١، ٢٩٢، ٣-١

زړهون : ۲۲۸

زنگنه حیات : ۷۴

الزيتون : ٢٢٨

(م)

سجدة: ٢٣، ٢٨، ٢٩، ٢٠، ٢٤، ٢٤
٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٧، ٢٣
٤٥، ٤٦، ٤٦، ٤٩، ٢١٩، ٢٢٦
٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٤، ٢٤٣، ٢١٢
سجدة: ٢٢٨، ٢٢٩
سفالس: ٢٢٥
سلا: ١٩٣، ٢٠٨، ٢٦٢، ٢٧٧
سلع: ٣١٧
الموس: ٢٣٧

(ش)

شاخبة : ٤٨
شالة : ٢٠٨ ، ٣٠٢
شالة سلا : ٢٧٦
الشام : ٤٨ ، ٥٥
شبوكة : ٢٩١ ، ٢٩٢
شعب روان : ٧ ، ١٢٠
شنيل = شنيل
شنيل = شنيل
شنيل : ٢٠٤

(ص)

الصفحة : ٩
الصفحة : ٤٣
صفحة : ٤٧

٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٠٨ ، ١٩٣
٢٩٢ ، ٢٩٠
مربلة : ١٩٦
المرج : ٢٠٤
مرسية : ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٦
المرية : ٢٣ ، ٤١ ، ١٧٠
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم : ١١٧
المشارف : ٤٧
مصر : ٢٦ ، ٣٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥
٣٠٧ ، ٨٢ ، ٦١
المطبعة الأزهرية : ٧٥
مطبعة القترح : ٨٧
المرقة : ١٧٥
المغرب : ٢٨ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٩
٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١١٦ ، ١٢٠
١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤
٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣
٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٩٢
مقبرة أنعام : ٢٩٧
مقبرة باب الحروق : ٢٣٠
مكناسة : ٢٨٧ ، ٢٨٨
مكة : ٩ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
٢٦٧
ملوية : ٢٢٨
مليانة : ٦٦
مليلة : ٦٧
للتارة : ٢٨
منصف : ٣٥
مق : ٢٣٩
منيافة : ١١٤
النية : ٣٧
منية العبا : ٣٣

فج خير : ٦٣
فلسطين : ٣٠
فيد : ١١٩

(ق)

قبر السلطان أبي الحسن : ٢٠٨
قبر الحمد بالله أبي القاسم بن عباد : ٢٩٧
قبة المرض : ٢٠١
قرطبة : ٢٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ١٨٦ ، ٢٩٧
قسطنطينية : ١٠٩
قغتالة : ٦٢ ، ٧٠ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٠١
القيروان : ٢٨

(ك)

كدية المرائس : ٢٣٨
كندة : ١٢٠ ، ١٧٥
الكوفة : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٥ ، ٢٣٧

(ل)

لطة : ٥٤
لوشة : ١٨٦ ، ٢٠٤

(م)

مالة : ٤١ ، ٦٦ ، ١٧٥ ، ١٧٨
١٣٠ ، ١٣٢ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤
٣١٣
المحصب : ٢٣٩
المدرسة اليوسفية : ٥٥
المدينة : ١٢ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢٦٧
مراكش : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٩ ، ١١٩

وادی النبا : ٢٢٨	(ن)	نجد : ٩٢ ، ٩٣
الواسطة : ٧٠		
وانفريش : ٦٦	(هـ)	هنتاة : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤
وحرا : ١١٤		الهند : ٤٩
(ی)	(و)	وادی آتش : ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧
يقرب = المدينة		
النجاة : ١٢١		
العين : ٤٧ ، ٩٥		

فهرس الكتب

(١)

آداب الدين والدنيا = أدب الدنيا والدين
آيات الأيات لابن الخطيب : ١٩٠
الإحاطة لابن الخطيب : ٢٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٠٠
٢٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٠٠

أخبار الحق والمختلن لابن الجوزي : ٨٥
أخبار سى بن يقطان = أسرار الحكمة
المعرفية

أدب الدنيا والدين : ٢١

الأربعين النووية : ٨٨

الاستبصار في عجائب الأمصار : ٣٤ ، ٣١

أسرار الحكمة للمعرفية : ١٢٤

الاستقصا للسلوى : ٧٨ ، ٦٢ ، ٦١

استنزال الالف الموجود في سر الوجود

لابن الخطيب : ١٩٠

إعمال الأعلام في من ربيع من ملوك الإسلام

لابن الخطيب : ١٩٠

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ٢١٤

الإكليل الزاهر لابن الخطيب : ١٩٠

الإكمال لكتاب الملهم القفاض : ٢

الأمالي لقلبي : ٩٩ ، ٩٧

أنباء الفهر : ٢٦ ، ٢٥

(ب)

بده ابن سبعين = بده العارف

بده العارف لابن سبعين : ١٢٤

بديعية السمان : ٢٣

البرق الشامي لعماد الأصفهاني : ٣٠٩

بستان الدول لابن الخطيب : ١٩٠

البستان لابن سرزم : ٣٣ ، ٢٤

بنية الراشد لما تضمنه حديث أبي زرع من

الفوائد للقفاض : ٢

بنية الملتبس للمضي : ٢١

البيان والتبيين للجاحظ : ٨٧

اليزرة لابن الخطيب : ١٨٩

البيطرة لابن الخطيب : ١٨٩

(ت)

تاج العروس : ٢٠ ، ٤١ ، ٩٦ ، ٩٧

٣٠١ ، ١١٩

التاج المحلى في مساجلة التذرع للملح لابن

الخطيب : ١٨٩

تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان البتدأ

والخير

تخليص الذهب في اختيار ميون الكتب

لابن الخطيب : ١٩٠

تقديم أبي بكر لابن حجة : ٢٦٢ ، ٢٦٣

٢٦٤

تحرير الشبه وتحرير الشبه لابن الخطيب :

١٩٠

تقويم الجمان : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤

٣٥ ، ٦٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤

تسكلة كتاب الصلة : ٦٦

تسكلة للسجيات لدوزي : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(ج)

جامع البيان والتحصيل : ١٢٩

رجز السياسة لابن الخطيب : ١٨٩
 رجز الطب لابن الخطيب : ١٨٩
 رجز في أصول الفقه لابن الخطيب : ١٩٠
 الرجز في عمل الترياق لابن الخطيب : ١٨٩
 الرد على أهل الإباحة لابن الخطيب : ١٩٠
 رسالة تكون الجنين لابن الخطيب : ١٨٩
 رسالة الطاعون : ١٨٩
 رقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب : ١٩٠
 الروض الأريش : ٥٨ ، ٦٠ ، ١٤٥ ، ١٧١
 الروض المطار في أخبار الأفكار لأبي عبد الله
 الحميري : ٢
 ربحانة الكتاب ونجدة للتائب لابن الخطيب :
 ١٨٩ ، ٢٨٦

(ز)

الزبدة السخونة لابن الخطيب : ١٩٠
 زهر الرياض : ١٢٤

(س)

السكر والسكر لابن الخطيب : ١٨٩
 سد القرمصة في فضيل القرمصة لابن الخطيب :
 ١٩٠
 سراج المريدن لابن الرزي : ٢
 سلوان المطاع لابن ظفر : ٢٤٩
 سند المهتدين : ٢١ ، ٢٢

(ش)

شرح بديعية ابن حجة = عديم أبي بكر
 شرح الشاطبية : ٢٧
 شرح الشفاء للعقاب : ٢٧
 شرح القاموس = تاج العروس
 شرح المواهب اللدنية لقرطاج : ١٤١

الجامع الصغير للسيوطي : ٢١٣
 جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى
 لابن عامر : ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٧١
 جيش التوشيح لابن الخطيب : ١٩٠
 الجواهر الماعة : ١٢١

(ح)

الحلل المرقومة لابن الخطيب : ١٨٩
 حل الجمهور على السنن المصهور لابن الخطيب :
 ١٩٠

(خ)

خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف
 لابن الخطيب : ١٩٠
 خلج الرسن في أسر القاضي ابن الحسن لابن
 الخطيب : ١٩٠

(د)

الحدرد الفاخرة والجمع الزاخرة لابن الخطيب :
 ١٩٠
 دوزى = تكملة المعينات
 ديوان الصباية : ١٢٤

(ذ)

الذخائر والأعلاق لأبي عبد الله الأشبيلي : ٢

(ر)

راح الأرواح لابن الخطيب : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥
 رجز الأغذية لابن الخطيب : ١٨٩

(ق)

القاموس : ١٢٥٠ ، ٣٥٠٠
الفرطى (الجامع لأحكام القرآن) : ٢١٥
قلائد المعيان : ١١٩

(ك)

كتاب حياحب : ١٢٤
كتاب السياسة لابن الخطيب : ٧١
كتاب الوزارة لابن الخطيب : ١٩٠
الكتيبة الكامنة فى أدباء المائة الثامنة :
١٨٩

كشف الهك ولميض الهك : ١٢٣
كشف الظنون للحاجى خليفة : ١١٧ ، ٢٦ ،
١٥٨

كناسة الدكان لابن الخطيب : ١٩٠
كنز المارفين : ٢
الكواكب الوفاة : ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٣

(ل)

لسان العرب : ٣٥ ، ٩٩ ، ٩٧
اللغة البسرية لابن الخطيب : ١٨٩
٢٠٤ ، ٢٠١ ، ١٩٤

(م)

المبائر الطيبة فى الماخر الخطيبة لابن
الخطيب : ١٩٠
مثل الطريقة فى ذم الوثيقة لابن الخطيب :
١٨٩

مجلة الجميع للملكى لغة العربية : ٤٦
مجمع الأمثال للبيدائى : ٥
الحكم لابن سيده : ٢٧
مختارات ابن السجرى : ٩٨

النمر والشراء لابن تينة : ٩٥
شمس المعارف للبونى : ١٢٣

(ص)

صبح الأملى لقلقشندى : ٥٤ ، ٤٦
صبح البخارى : ٨٨ ، ٣٧
صبح مسلم : ٢١٦ ، ١٢٩
الصلة لابن بشكوال : ٢٧ ، ٢١
الصيب والجهم والماسى والكهام لابن
الخطيب : ١٨٩

(ط)

طرفة مصر فى دولة بنى نصر لابن الخطيب :
١٩٠

(ع)

طائفة الصلة لابن الخطيب : ١٩٠
المبروديان المبتدأ والخبر : ٢٠٢ ، ٧٠٢ ،
٢٠٣

العقد الفريد : ١١٩
عمل من طب لمن حب لابن الخطيب : ١٩٠
عنوان المرفوف الوافى : ١٥٨

(غ)

غرد أخبار ملوك الفرس : ١٢٠
الغنية لقاضى ميانى : ٣٦ ، ٧
الغبرة على أهل الحيرة لابن الخطيب : ١٩٠

(ف)

فئات الحوران ولغة الصوان لابن الخطيب :
١٩٠
فهرسة ابن غازى : ٧١

منية الطالب لأمن الطالب : ٢
الموطأ للإمام مالك : ٢
المونس في أخبار إفريقية وتونس : ٣٧

(ن)

تثير فرائد الجمان : ١٨٦ ، ٢٩١
ترجمة المشتاق للادريسي : ٣٠
نظم الدرر والفيان : ٢٤٤ ، ٢٤٥
نظم السلوك في سياسة الملوك : ٢٤٩
نفاضة الجراب لابن الخطيب : ١٨٩ ، ٢٩٨
نفع الطيب : ٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠ ... الخ
النهاية لابن الأثير : ٩٢
نيل الانتهاج ببطريرك الديباج : ١٠٤ ،
١٣٣ ، ١٣٥

(و)

الوصول لحفظ الصحة في الفصول لابن
الخطيب : ١٨٩
وفيات الأعيان : ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٩

(ي)

يقيمة الدهر للتمالي : ٩٤
اليوسفي في الطب لابن الخطيب : ١٨٩

مختصر خليل : ٧١
المختصر في فقه المالكية : ١٣٠
مزة المزة على غيرها من البلاد الأندلسية :
٢٣ ، ٢٥
مسالك الأعيان للمري : ٣٠
المسائل الطبية لابن الخطيب : ١٨٩
المسبب : ٢٩
المصباح : ١٢٣
المضاف والمنسوب للتمالي : ٨٥ ، ٩٢ ،
٩٥ ، ٩٦
مطعم الألفس : ١١٩
معجم أصحاب الصدق : ٢٣
معجم البلدان : ٢٤ ، ٣٧ ، ٤١ ، ١٨٦ ،
٢٣٩
معجم دوزي = تكملة المسببات لدوزي
معجم ما استمع : ١٢
الملم لفوائد مسلم : ٢١٦
معيان الاختيار لابن الخطيب : ١٨٩
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب : ٣١ ،
٦٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
مفاتيح العلوم للتوارزمي : ٢٥٥
مفاضلة مالهة وسلا لابن الخطيب : ١٨٩
مقامة السياسة لابن الخطيب : ١٩٠
المقتبس في أخبار المغرب والأندلس : ٣٦
مقدمة تاريخ ابن خلدون : ٧١
المنتقى : ٢

فهرس القوافى

طويل	سلام — خليفة : ١٠٩
د	أحبك — أوقات : ٣٠٧
بسيط	قد — المهمات : ٢٩٧
مجزوء الرمل	عد — ميت : ٣١٣
متقارب	بدنا — صوت : ٢٣١
د	آيا — الثبوت : ٢٣١

(ث)

بسيط	بتنا — البراغيتا : ٣٠٩
كامل	زحلت — المحشوت : ٢٨٩

(ج)

بسيط	ماذا — حرج : ٢٦٥
وافر	يا سماعيل — بأنبلج : ٢٧٤
خفيف	قلت — احباجا : ١٤٤

(ح)

كامل	عن — ويبرج : ٢٧٦
سريع	حيث — يروح : ٢٩
خفيف	بلد — مبيع : ٢٩٠
د	ما — جناح : ٢٣٧
د	ما — واقتضاج : ٢٣٩

(د)

طويل	أونلك — شدوا : ٩٧
د	أما — وده : ١٤٦
د	ترلنا — حد : ٢٩٨

(ب)

طويل	بنفسى — عذاب : ٣٠٣
د	ومن — معايه : ١٠٤
د	سلام — صحابي : ٦
د	بشت — مرقوب : ١٤٤
د	حلنا — المصائب : ١٣
د	أمولاي — الرتب : ٢٤٦
بسيط	مالى — نى : ٢٩٩
د	قوم — الكركا : ٩٨
د	سبعان — وجبا : ١٧٩
د	ناديت — وجبا : ٣٠٤
د	بحق — منتصبه : ٣٠٤
غلق البسيط	بليوتش — عقاب : ٣٥
د	الطب — النجا : ١٨٧
وافر	بنى — الخراب : ٢٧١
د	إذا — المصيبة : ٢٩٩
كامل	يا — ويطيب : ٥
د	للى — ديب : ٣١٢
مجزوء الكامل	فيقول — انتسب : ٣
سريع	يا — مرقوب : ٣٠٠
د	انظر — كاعبر : ٣٦
د	فمالة — بالشارب : ٣٧
بحث	وتنت — حسي : ٣٨
متقارب	سلام — يثرب : ٢٩

(ت)

طويل	ألا — سبت : ٩
------	---------------

عذبت — وقوده : ٣٠٣	طويل	يا — ثمره : ٣٠٠	بسيط
صبي — بعت : ٢٧٥	د	الناس — باختيارى : ٩٤	عظم البسيط
تمجبت — المجد : ٣٠٦	د	ما — الزاهر : ١٥٧	مجزوء البسيط
وإنا — فى الأسد : ٣١٠	بسيط	ندمت — نوار : ٥	وافر
دائى — والكند : ٣١٠	د	تجمع — صرار : ٣	د
قد — جاهد : ٢٨٨	كامل	لقد — جزرا : ٢٦١	د
ركب — الفرقد : ٣٠٦	د	بلد — عنزاره : ٣	كامل
ماذا — مهنه : ٦٥	د	إن — أخباره : ٢٠٨	د
مكتناسة — بريد : ٢٨٨	د	فى — مختاره : ٣٠٧	د
محمد — اهتدى : ١٣٣	رجز	أحياء — الأزهار : ١٦	د
أنا — المتمد : ٤٠	مجزوء الرجز	ماذا — لعناره : ١٣٤	د
كم — العميد : ٣١٥	رمل	قالعيش — سارى : ١٣٧	د
ليس — واحد : ٢٦	سريع	أخليفة — البهر : ٢٤٦	د
فى — واد : ٣٠٠	د	يا — قرار : ٢٩٥	د
مضيقى — فؤادى : ٣٠٥	خفيف	ما — المضار : ٣٠٧	د
صدنى — المباده : ٣٠١	د	يا — حيره : ٣٠٦	مجزوء الكامل
(ر)			
كان — سامر : ٩	طويل	النازلون — الأزر : ٩٧	رجز
سلا — الزهر : ١٩٦	د	لى — الدرر : ٢٤٧	مجزوء الرجز
كانا — يقصر : ٢٦٥	د	رب — قدرى : ٣١٤	رمل
أما — الضرائر : ٢٧٤	د	بأبى — صدرى : ٣٠٥	مجزوء الرمل
تقول — وآمر : ٢٩٠	د	جئتك — مضره : ١٣٢	سريع
يا أهل — الأمر : ٢٩٩	د	سكانها — مضره : ٢٧٢	د
هى — مضير : ١١	د	عزناطة — والمضرة : ٢٧٢	د
تخلصت — طير : ١٩٣	د	خليفة — قره : ٢٠٦	منسرح
على — المهاجر : ٢٧٥	د	يا — ودر : ١٣٢	د
أجاد — يدرى : ٣٠٧	د	تناثر — بطر : ١٥٤	خفيف
كانى — الفجر : ٣٠٨	د	يا — وعفار : ٢٩٩	د
لدهى — وأكابر : ١٥	د	يا — أسره : ٢٤٦	مجت
ولما — الأخرى : ٣٠٦	د	يا — صاكر : ٢٤٦	د
لنه — أعمار : ٦	بسيط	وقالوا — تنتظر : ٢٩١	متغارب
فهو — والتمير : ١٢	د	(ز)	
ولت — الضارى : ٩٨	د	فهو — لمز : ١٠١	خفيف
		أنت — حريز : ٢٩٨٠	د

(غ)

هنا — وبنى : ١٩٢ مجزوء الرجز
وأظهر — فى ارتقا : ١٩٢ »

(ف)

فينا — نقتصف : ٩١ طويل
لى — مرهف : ٣٠٨ »
والزهر — صافى : ٨ كامل
سيمان — لا تحنى : ١٧١ رجز
فكل — يسرف : ٣٦ سريع
أصبح — أتوف : ٢٧٦ خفيف
ربما — عفوفا : ١٢٦ »
تمود — انحراف : ٢٧٦ متقارب

(ق)

كان — زرق : ٨ طويل
عقيدة — غلوق : ١٣٢ »
تذكرت — السوابق : ٢٣٧ »
خللى — الحفا : ٣٠٩ »
فمرناطة — الرقاق : ٥٥ غلغ البسيط
عطفا — لا تفرق : ٩٣ كامل
ولذا — يفرق : ٢٦٩ »
يا — أغلاق : ٣١٩ »
وترنعت — أشواقى : ٩ »
يمضى — الباقي : ٢٦٠ »
أشكو — ورحيقه : ٣٠٥ »

(ك)

مولاي — فيكا : ٢٨١ كامل
يا — مسلوكا : ٣٠٦ »

(س)

عسى — بأدريس : ٢٣٤ طويل
أهلا — أليسه : ١٣٣ كامل
يا — رئيس : ٣١٣ »
أطلن — عيوسا : ٢٥٠ »
أقشيب — ورسيا : ٢٥٧ »

(ض)

سلام — الرياض : ١٨ وافر
ألفق — الرياض : ١٩ »
واقه — عرشه : ٣١٣ كامل
سرح — الرياض : ١٨ مجزوء الكلل
مصرف — نالفا : ٣٠٠ سريع

(ط)

رائى — يحاط : ١٤٤ طويل
بأهل — الطلط : ٤٦ بسيط
بليوش — النياطا : ٣٤ غلغ البسيط

(ع)

جرى — متوزع : ١١ طويل
أنيكس — طائع : ٢١٤ »
إلى — جما : ٢٧١ »
لا — سريع : ٢٦٩ كامل
يا — دما : ١٤٥ »
انظر — اللامع : ٣٧ سريع
لم — أمصاص : ٢٦٧ »
يا — المنبع : ٢٧٣ خفيف
حين — ولوى : ٣٠٥ »
يا — المنبع : ٢٧٤ متقارب

د	إلى — المزال : ٢٧٤
د	قد — الليالي : ٢٨٨
د	يا — وحال : ٢٩٨
د	قال — يحول : ٣٠٥
د	سبق — نقله : ٣٠٤
مبحث	تأثر — الوصل : ١٥٥
مقارب	أبا — النزال : ٢٦١
د	رموا — الماطل : ٣٠٧

(م)

طويل	وليس — وأسهم : ٩٩
د	ألا — الرسم : ٢٧٢
د	تعلم — بظام : ٣٠١
مدید	ندد — أحكمها : ١٠٣
بسيط	مولى — القمير : ٧٢
د	م — والنم : ٧٨
جزوء البسيط	ما — الأليم : ١٥٦
كامل	لا — هواكم : ٣١٠
د	يا — النادير : ٣٠٨
د	يا — هائم : ٣١٩
جزوء الكامل	لى — حيله : ١٤
رمل	جلس — أحكام : ٣٠٥
سريع	لى — التمام : ١٤٤
خفيف	أنا — الأفهام : ٣١٢
د	يا — رسمه : ٢٦١
جزوء الخفيف	قسما — طاعه : ٢٦٨

(ن)

طويل	وما — الحيوان : ١٥
د	وكانت برهان : ٢٨
د	قال — الجديان : ١١٧
د	أطاع — تلسان : ٢٨٦

(ل)

طويل	بلاد — فحول : ٤
د	لى — صالى : ١٢٥
د	فلا — ميمل : ١٣٣
بسيط	أبان — هامله : ٢٩٢
د	لا — حائل : ٢١
د	فاضى — الدول : ٢٦
د	كذا — آمال : ٤١
د	ماذا — وترحال : ٤١
د	لا — وجل : ٩٩
د	أمنت — وأحوال : ١٠٤
د	يا — مقبل : ٢٤٧
د	برئت — ولى : ٣٠٢
د	مال — حال : ٢٧٠
د	لكن — حملا : ١٥
عظم البسيط	جليونش — المجال : ٣٥
د	وإذا — لا يتبدل : ٢٦٢
د	الحق — لا يسأل : ٢٦٧
د	كم — منزل : ٦
د	وما — بالرجل : ٩٢
د	لك — مؤجل : ١٤٣
د	خكان — العليل : ٢٦٨
د	أفادت — حالى : ٢٧١
د	لم — المال : ٢٨٩
د	أقنا — حال : ٣١٢
د	كثبت — الخليل : ٣٠٤
د	أعيا — التفصيلا : ٢٧٥
كامل	بين — القتل : ٣٠٨
جزوء الكامل	والناس مثله : ١٤
سريع	دوام — حال : ١٣٤
د	ما — النكال : ١٥٥
منسرح	بأهل — الحمل : ١٢٣
خفيف	غريا — حيارى : ٩٥

كامل	مولاي — النقصان : ٢٧٢	طويل	علقت — الحدائق : ٢٨٧
د	حيا — للكنون : ٧	د	ولما — البين : ٣٠٤
د	أسمى — مرين : ٢٨٩	د	أمولاي — كاتا : ٣٠٣
د	إن — للكنون : ٣٠٨	د	لسنا — أولاتا : ٣١٨
د	بليونش — شانتا : ٣٤	مديد	رب — فن : ٨
سريع	أخطر — حسنه : ٢٩	بسيط	لكل — إنسان : ٤٧
خفيف	عاب — وشين : ١٤٤	د	بين — أجان : ٣٠٩
د	بان — بين : ٣٠١	د	روعت — وجيران : ١١
	(أ)	د	أيا — ووجدان : ٣١٣
		د	يا — الثاني : ٣١٣
		د	سل — تكوي : ٣١٦
طويل	نعم — شكواه : ١٤	د	لا — الدين : ٣٢٠
د	إلحي — إلحي : ١٤٤	د	يا — يسلي : ٣٢٠
د	دعوتك — تهي : ٣٠٣	د	تنائر — التين : ١٥٣
كامل	قالوا — في التنويه : ٣٠٧	مخلع البسيط	مضت — يدان : ١٤
د	إن — تكليه : ٣٠٨	واقر	والتي — البنان : ١٢٠
منسرح	خير — وأجله : ١٠٣	د	ولو — الزمان : ٢٦٩
	(ي)	د	حلفت — في البين : ٣٠٧
		د	أقول — جفاني : ٣٠٩
		د	لسائل — ما عني : ١٠
طويل	أي — ثنيا : ١١٥	كامل	لا — فطن : ٩٨
بسيط	أمل — متنبها : ٣٠٩	د	إني — أفن : ٩٨
متقارب	أميرا — صفحتيه : ٣٠٠		

فهرس أنصاف الآيات

(ل)	(ا)
لك الخير قد أوفى لعمرك خيران : ١٢٠ طويل	إذا عبروا قالوا مقادير قدرت : ٨٧ طويل إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر : ٨٧ رجز
(هـ)	(س)
هي المقادير قلن. أو فنر : ٨٧ رجز	سم المداة وآفة الجزر : ٩٧ رجز
(و)	(ش)
وطود موسى لها تاج على الراس : ٣٥ بسيط ولو ترك القطا ليل لنا ما : ٢٦٨ وافر	شم الأنوف من الطراز الأول : ٩٧ كامل

فهرس الموضوعات

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٤٠	دواة أبي عثان وشعر مكتوب عليها ...	٢٣	روضة الورد في أولية هذا الإمام الفرد
	رجع إلى ذكر العريف	٢٣	لسب عياض ...
٤١	شيء من كرم العريف وشعره ...	٢٣	عند الراوى آفى ...
٤٢	أشراف سبعة ...	٢٣	عند ابن الأبار ...
٤٢	دخل العريف من مضرب البناء وما كان ينطقه فيه ...	٢٣	عند ابن خاتمة ...
٤٤	خفاوة ملوك بني صرين ...	٢٣	عند ابن الملجوم ...
٤٤	سبب تعريف المؤلف بهذا العريف ...	٢٤	نزوله بدار ابن الفردوس ...
٤٥	استيلاء العدو على سبعة ...	٢٤	عند ولده محمد ...
٤٦	رثاء طليطلة ...	٢٥	عند ابن خلكان ...
٤٧	قصيدة الرضى في رثاء الأندلس ...	٢٥	عند ابن خاتمة أيضا ...
٥٠	ابن حاصم وبعض ما جاء في كتابه عن انحلال أمر الأندلس ...	٢٥	شيء عن ابن خلكان وابن خلدون ...
٥٥	ذكر غرناطة ...	٢٧	الكلام في ضبط اليحصي ...
٥٦	تقريظ لابن حاصم على كتاب الإحاطة ...	٢٧	محمد بن عياض يخبر عن موطن أجداده ...
٥٨	نبذة من كتاب الروض لابن حاصم عن ابن يوسف ...	٢٩	شيء من سبعة ...
٥٩	مثال من حرم ابن الخطيب على الوالد ...	٣٠	وصف ابن الخطيب لسبعة ...
٦٠	اضطراب أمر الأندلس بالخروج على القواعد ...	٣٢	العريف أبو العباس وخفاوة بابن الخطيب ...
٦٠	وصف البكرى للأندلس ...	٣٤	شعر لابن الخطيب في بليوث ...
٦١	وصف ابن الخطيب للأندلس ...	٣٤	شعر لعياض فيها أيضا ...
٦١	أبو يوسف المربى ودن جانيه ومثل من عن الإسلام ...	٣٤	وصف ابن جيان لها ...
٦٢	تقيب لابن الخطيب على قصة أبي يوسف ...	٣٥	شعر للنصيف فيها أيضا ...
٦٣	بعض ما كتب في استنهاض المهم عند النصارى ...	٣٥	شعر السكلى فيها ...
٦٣	لابن زمرك ...	٣٦	شعر للنصيف فيها ...
٦٤	لابن الخطيب ...	٣٧	مثل من كرم العريف أبو العباس ...
		٣٨	ثناء أبي الحسن النباهى على العريف وفيه عنه ...
		٣٨	شعر للعريف ...
		٣٩	خفاوة أبي عثان بالعريف أبو العباس ومنزله في سبعة ...
		٤٠	وصف أحد كتاب العريف له ...

- سقوط غرناطة في يد العدو والملاحق
في تاريخ ذلك ... ٦٥
- خروج أمير الحمراء ابن أبي الحسن إلى
فاس ... ٦٧
- وفاته وشيء عنه وعن عقبه ... ٦٨
- حال المسلمين بعده بالأندلس ... ٦٨
- رسالة في ذكر ما جرى للمسلمين في
الأندلس ... ٦٩
- تنكيل طاغية قشتالة وأرغون بالمسلمين
... ٧٠
- معض من خرج من علماء الأندلس
... ٧١
- كتاب ابن الأحمر لصاحب فاس ... ٧٢
- أبو عبد الله العربي وشيء من نظمه
... ١٠٣
- قصيدة الدقون في نذب الجزيرة
... ١٠٣
- مما كتبه بعض أهل الجزيرة إلى بايزيد
... ١٠٨
- بلاغة أهل الأندلس ... ١١٥
- مقامة الفقيه عمر : تسيخ النصال إلى
مقاتل النصال ... ١١٦
- شيء من نظمه ... ١٢٥
- مقامة في أمر الرواء ... ١٢٥
- بعض مقطوعاته ... ١٣٢
- تصريف بالمران ... ١٣٣
- شيء من نظمه ... ١٣٣
- طريقة لابن جماعة وقد تولى الفران
مكانه ... ١٣٤
- شعر للمران يصاب ابن جماعة على
إهمال دعوته إلى إغذار ... ١٣٤
- قصيدته اللامية ... ١٣٤
- بعض شعره ... ١٤٣
- تصريف بالريثيس ابن عاصم ... ١٤٥
- قصيدة له تلد بنتين فوشحتين في مدح
السلطان أبي الجباج ... ١٤٦
- البنيت الأولى ... ١٥٣
- الموشحة الأولى ... ١٥٤
- البنيت الثانية ... ١٥٥
- الموشحة الثانية ... ١٥٦
- موازنة بين ابن عاصم وصاحب عنوان
الفراف الشامي ... ١٥٨
- مختار من كتابه جنة الرضى ... ١٥٨
- شيء من كلام ابن عاصم عن ابن قنوج ... ١٧١
- مقشور سلطاني بتولى ابن عاصم القضاء ... ١٧٢
- تخميس لابن عاصم ... ١٧٩
- تصريف بابن الخطيب ... ١٨٦
- أوليته ونسبه ... ١٨٦
- نشأته وشيوخه ... ١٨٧
- مؤلفاته ... ١٨٩
- رأى ابن الأحمر فيه ... ١٩١
- توليه الكتابة ... ١٩١
- كلام لابن الصباغ عنه وعن قوة
بديته ... ١٩٢
- أيام ابن الخطيب مع السلطان أبي عبد الله ... ١٩٣
- تفصيل لشكة السلطان أبي عبد الله
وذهابه إلى فاس ... ١٩٤
- قصيدة ابن الخطيب بين بدي السلطان
أبي سالم يستصرخه لمولاه ... ١٩٦
- انصراف السلطان أبي عبد الله إلى
الأندلس ... ٢٠١
- خبر هذه القصة كما رواها ابن خلدون ... ٢٠٢
- شيء عن أحوال ابن الخطيب كما
رواها ابن خلدون ... ٢٠٤
- كتاب القاضي أبي الحسن إلى ابن الخطيب ... ٢١٢
- نكته ووفاته ... ٢٢٩
- شعر له في محبة يكن نفسه ... ٢٣١
- تخميس لبعض بني الصباغ ... ٢٣١
- شعر ابن الخطيب ... ٢٣٤
- قصيدة لابن الخطيب في المولد النبوي ... ٢٣٧
- قصيدة لأبي زكريا بن خلدون يحكى
بها قصيدة ابن الخطيب ... ٢٣٨
- وصف ليلى مولد النبي أيام السلطان
أبي حمزة ... ٢٤٣
- شعر لأبي زكريا بن خلدون في النجاة ... ٢٤٦

- ٢٨٦ ... من مخاطباته لابن مرزوق ...
 ٢٨٧ { شيء من صراحة ابن الخطيب ...
 في مجلس السلطان أبي عنان } ...
 ٢٨٨ ... شعر له في مكناسة ...
 ٢٨٨ ... شعر له في مدينة آفني ...
 ٢٨٨ ... شعر له في ابن بطان ...
 ٢٨٩ ... شعر له في البرغوث ...
 ٢٨٩ ... شعر له في ابن روح ...
 ٢٨٩ ... شعر له صدر به رسالته إلى ابن -سون
 شعر له في ندب حراكش بعد الموحدين ٢٩٠
 شعر له يخاطب به عامرا المحتاني ٢٩٠
 تعريف بعامر المحتاني ... ٢٩١
 شيء عن المصريف الشبوكي ... ٢٩١
 شعر للشبوكي في مدح أبي فارس } ٢٩٢
 والتعريض على المحتاني ...
 شعر لابن الخطيب على قبر السلطان } ٢٩٤
 أبي الحسن الرضي ...
 شعر لابن الخطيب على قبر المعتد ... ٢٩٧
 شعر له في مخاطبة ابن يوسف ... ٢٩٨
 وله في مخاطبة السلطان ... ٢٩٨
 وله في مخاطبة ابنه وقد وصل لزيارته ٢٩٩
 بعض مقطوعات له ... ٢٩٩
 وله في مصريف المارحين أكل القابض ٣٠٠
 وله في رأس القادر بالدولة ... ٣٠٠
 وله في الفزل ... ٣٠٠
 شعر له في السيد أبي بكر ... ٣٠٠
 وله في توديع ابنه لما انصرف عنه إلى } ٣٠١
 فاس ...
 وله في السيادة الخطيبية ... ٣٠١
 وله في مخاطبة السلطان أبي الحجاج ٣٠٣
 وله في التورية ... ٣٠٣
 وله في التجنيس ... ٣٠٣
 وله في التورية أيضا ... ٣٠٤
 بعض شعر له ... ٣٠٤
- ٢٤٧ موشحة لتلاليسي يخاطب بها أبو جو
 شيء عن السلطان أبي جو ... ٢٤٩
 قصيدة ابن الخطيب السلطان أبو جو } ٢٤٩
 يستعذ به ...
 نثر له أيضا وصل به القصيدة ... ٢٥٧
 بعض مقطوعات لابن الخطيب في السلطان }
 أبي جو ... ٢٦٠
 شعر له يودع به عبد الواحد بن } ٢٦١
 سلطان لإفريقية ...
 من قصيدة المنح الغريب له ... ٢٦٢
 من مقطوعات له لما أعرف على } ٢٦٥
 صراكش ...
 كتاب ابن خاتمة إلى ابن الخطيب ... ٢٦٥
 رد ابن الخطيب على كتاب ابن خاتمة ٢٦٧
 من رثاء السلطان أبي سالم ... ٢٧٠
 شعر له في الرغبة بالله ... ٢٧١
 شعر له بعد عودته من رحلة للراكية ٢٧١
 وله في مدرسة ... ٢٧٢
 وله في غرناطة ... ٢٧٢
 وله يخاطب قبر الولي السيدي ... ٢٧٢
 وله يورى بدم الأخوين ... ٢٧٤
 وله في اقتباس ... ٢٧٤
 شعر له في التورية بالطلب ... ٢٧٤
 وقال يخاطب ابن مرزوق ... ٢٧٤
 شعر له في مخاطبة أحد العرفاء ... ٢٧٥
 وقال يشكر السلطان أبا سالم على } ٢٧٥
 تخليصه إياه ...
 وله في الفزل ... ٢٧٥
 من رسالة في تهنئة ابن أبي مدين } ٢٧٦
 بتقلد الخطبة ...
 رسالته إلى السلطان أبي سالم مستعينا به ٢٧٦
 رد السلطان أبي سالم على ابن الخطيب ٢٨٢
 رد ابن الخطيب على السلطان أبي سالم } ٢٨٤
 شاكر ...
 تهنئة للسلطان أبي سالم بفتح نلسان ٢٨٦

وله في المشيب ٣١٢	وله في جلوس السلطان في يوم برد للسلام ٣٠٥
وله وقد أجاز بسجدة ٣١٢	وله في النزل ٣٠٥
وله في طلق الماء ٣١٢	أبيات له في المحسنات البديعية ... ٣٠٦
بين ابن الجباب وابن الخطيب ... ٣١٣	وله في سكن الأضاحي ٣٠٨
بعض أبيات له ٣١٣	وله في مروحة سلطانية ٣٠٨
موشحة له في مدح السلطان ... { ٣١٤	وله يخاطب ابن الجباب ٣٠٨
يوسف أبي الجباح { ٣١٤	وله في النزل ٣٠٨
وله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ٣١٦	وله في البراغيت أيضا ٣٠٩
وله في الرجوع إلى الله ٣١٨	وله في غناء البلوي ٣٠٩
غنيس لقصاني على بيتين لابن الخطيب ٣١٩	وله في للنجاة ٣٠٩
أولاد ابن الخطيب ٣١٩	وله في النزل ٣٠٩
على بن الخطيب والمستنصر في بستان ٣٢٠	وله في التصوف ٣١٠
شعر عن عبد الله ومحمد ابني الخطيب ٣٢٠	وله في المديح موريا ٣١٠
وصية ابن الخطيب لأولاده ٣٢٠	شعر له يشك أنه للمشارقة ... ٣١٠

تصويب أخطاء مطبعية

خطأ	صواب	ص	س
محمد بن الخلفاء	محمد ابن الخلفاء	٥٨	٤
لسان العربي	لسان العرب	٩٢	١٧
الأسود ابن قنان	الأسود بن قنان	٩٥	١٠
نظم بن صفوان	نظم ابن صفوان	١٩٠	١٣
ابن يفلسن	ابن أبي يفلسن	٢١٠	١٧
آسني	آسني	٢٩٨	٦

Biblioteca Alexandrina



0415070